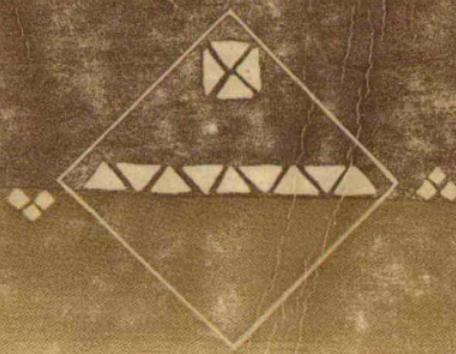
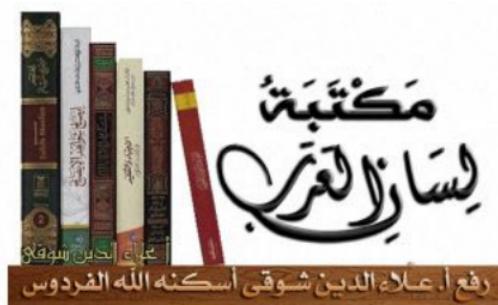


الدّراسات اللّهجيّة والصّوتيّة عند ابن جيني



الدكتور حسام سعيد النعيمي

دار
الرشيد للنشر



منشورات وزارة الثقافة والاعلام - الجمهورية العراقية

سلسلة دراسات

(٢٣٤)

١٩٨٠



الدُّسَاتِ الْكَبِيرَةُ وَالصِّقْتِيَّةُ

عَنْ كَلْبِ حَفِّ

الدُّكْتُورُ
حُسَيْنُ سَعِيدُ الدِّغَنِي

شان
لشان

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، له الحمد في الاولى والآخرة، واصلى واسلم على صفة الخلق
وحبب الحق محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه ومن سار على سنته الى يوم الدين.

وبعد، فالباحث الذي بين يدي القارئ هو: (الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني) أردت من دراسته أن أتعرف جهود العلماء في اللهجات والدراسات الصوتية في ضوء ما توصل إليه علم اللغة الحديث، وذلك من خلال ما كتبه عالم من علماء القرن الرابع المجري هو أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي المتوفى ببغداد سنة ٣٩٢ هـ.

وحيث انتهيت من جمع مادة البحث وجدتها تلبي على أن أقسمها على ثلاثة أبواب.

الباب الأول: درست فيه باقتضاب العالم الذي نظرت إلى جهد العلماء العرب من خلال ما كتب فعرفت ب حياته وثقافته وأثاره وأثره في الكتب بعده بصورة موجزة فكان ذلك الفصل الأول. وانتقلت من ذلك إلى الفصل الثاني للكلام على اصول دراسته من سماع من الشيخ واحد من الكتب و مشافهة الاعراب، وموقفه من الشواهد و عنایته بالقياس. وكان الفصل الثالث في الكلام على جهود العلماء العرب في اللهجات والأصوات قبل ابن جني تناولت فيه نماذج من الدراسات اللهجية والصوتية التي تقدمته وكان لها أثر في دراسته كالمعجمات، وكتب اللغة، والنواذر، والنحو والصرف، والقراءات القرآنية، ودواوين القبائل. وجاءت الفصول الثلاثة تحت عنوان واحد يضممه الباب الأول هو: ابن جني واصول دراسته وجهود سابقيه.

اما الباب الثاني وعنوانه: دراساته اللهجية، فقد عقدته لدراسة اللهجات العربية الغي وجدتها عنده وكان خمسة فصول:

جعلت الفصل الأول منه تحت عنوان اختلاف اللهجات، عرفت فيه باللهجات العربية واحتلافها بصورة عامة والأسباب التي جعلتها تختلف، وللي أي مدى كان الخلاف بينها، وهل تصلح على اختلافها لأن يحتاج بها جميعاً في اللغة ويقاس عليها في عصرنا الحاضر، وما أنواع الاختلاف في اللهجات، ومتى يطلق العلماء على النطق كلمة لهجة وهي لا تكون لهجة عندهم.

والفصل الثاني عقدته لاختلاف اللهجات في الصوات، وقد وجدت اللهجات العربية تختلف في الصوات بأشكال متعددة، فقد يكون الاختلاف في ابدال صامت بآخر، أو في الادغام وفكه، أو في الحذف والذكر، أو في الزيادة والنقصان، أو في القلب والترتيب. فبحثت كل شكل من هذه الأشكال بصورة مفردة اجتهدت ان افصل القول فيه بذكر آراء القدماء والمحدثين في كل ما اورده ابن جني بقدر ما توفر لي من آرائهم في ذلك.

وجعلت الفصل الثالث لاختلافهم في الصوات وعالجته بالطريقة التي عالجت بها الفصل الذي تقدمه. وقد تناولت اولاً الكلام على اختلافهم في الصوات الطويلة في الاعلام والامالة والاختلاس، وفصلت القول في كل موضوع على حدة، ثم تناولت اختلافهم في الصوات القصيرة بين الفتح والضم، والحركة والسكون، والامالة وتركها، والاشباع والاختلاس، وفصلت القول أيضاً في كل ذلك.

وفي الفصل الرابع تناولت اختلافهم في المعنى والإعراب، عالجت أولاً إختلافهم في المعنى حيث تتفق اللهجتان في لفظ واحد ولكن المعنى لا يكون واحداً بينهما، فقد يختلف وقد يتناقض أحياناً. ثم تناولت اختلافهم في الإعراب وذكرت نماذج من هذا الاختلاف وحاوت التعرف على دوافع كل لهجة لهذا الاختيار او ذاك بحسب ما توفر لي من أدلة واطلاع.

وجعلت الفصل الخامس لشذوذ اللهجات والمقاييس بينها، تناولت فيه معنى الشذوذ في اللهجة، وأقسامه، وهل المراد بالقراءة الشاذة في القرآن أنها جاءت بلهجة شاذة، ومحاولة ابن جني عقد موازنة بين اللهجات يفضل فيها بعضها على بعض. وبينت رأي علم اللغة الحديث في ذلك جهد المستطاع.

أما الباب الثالث فقد كان عنوان : دراساته الصوتية في ضوء علم اللغة الحديث وهو خمسة فصول أيضاً. كان الفصل الأول: النظرية الصوتية في نشأة اللغة وفيه حاولت أن اعرف بالنظرية الصوتية التي اوردها ابن جني ورأي علم اللغة الحديث ومذاهب العلماء المحدثين في ما عبروا عنه بالرمز.

وفي الفصل الثاني الذي جعلته بعنوان الصوت والمعنى ذكرت مذهب ابن جني في مناسبة الحروف لمعانيها على التقديم والتأخير، والبقاء الأصول، ومعاني بعض الصيغ المرتبطة بأصواتها، وحكاية الأصوات، ومضارعة الأصول، وعرضت ذلك كله في ضوء ما اطلعت عليه من آراء العلماء المحدثين في الأصوات.

أما الفصل الثالث فقد جعلته بعنوان أصوات الحروف ذكرت فيه دراسة علم اللغة الحديث لأعضاء النطق والفرق بينه وبين دراسة ابن جني، ثم تحدثت عن المدرج الصوتي للحروف عنده وعند الخليل وسيبوه، ورأي المحدثين في خارج الحروف وصفاتها وموضع الاتفاق والاختلاف بين الدراستين في ذلك.

وجعلت الفصل الرابع تحت عنوان: الحرف والحركة، وذلك أنني وجدت ابن جني قد خص العلاقة بين الحركات وحروف المدّ بعناية خاصة وفصل الكلام عليها في أكثر من موضع من كتبه فذكرت آراءه في هذه العلاقة، وفي الحركات المست في العربية، وموضع الحركة من الحرف أهي قبله أم معه أم بعده، ومطلب حروف اللين، وعرضت ذلك كله على رأي علم اللغة الحديث وأثبتت وجهة النظر فيه.

وفي الفصل الخامس وهو: التعليل الصوتي، تناولت ما ذكره ابن جني من تفسير صوتي للمظاهر اللغوية العامة التي تعنى بها الدراسات الصوتية، وحصرت الدراسة في الادغام، والإبدال، والإعلال، فبحثت كلًا منها مفصلاً على حدة.

وبعد أن انتهيت من ذلك كله كتبت خاتمة ضمت أهم النتائج التي توصلت إليها خلال البحث، ثم أوردت المصادر التي أفادت منها وأخيراً وضعت فهرساً مرشداً لما ورد من أبواب وفصوص.

وقد افدت في عملي هذا من كتب ابن جني ولا سيما سر صناعة الاعراب، والخصائص والمحتسب، والمنصف. ومن الكتب القديمة افدت أكثر ما افدت من كتاب وسيبوه، ومن الحديثة ما كتبه الدكتور ابراهيم أنيس ولا سيما الأصوات اللغوية، وفي اللهجات، وموسيقى الشعر، ومن الدراسة التي كتبها الدكتور أحمد علم الدين الجندى: اللهجات العربية في التراث، كذلك أفادت من كتاب الدكتور محمود السعران علم اللغة، وكتاب القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث للدكتور عبد الصبور شاهين، وغيرها مما اشرت إليه في موضعه. ومن كتب غير العرب أفادت من كتاب جان كانطيونو: دروس في علم اصوات العربية، وكذلك ما كتبه ج. فندريلس في: اللغة، وما كتبه هنري فليش في: العربية الفصحى، وفي: التفكير الصوتي عند العرب.

ولاني إذ أتقدم بالشكر والامتنان لاستاذي المشرف الاستاذ ابراهيم الوائلي أذكر له هنا بالوفاء وعرفان الجميل الجهد الذي بذله في توجيهه البحث وخطته، والصبر على متابعة ما ورد فيه من أبواب وفصوص والتوجيه للصورات، والإرشاد الى مواطن الخلل لتداركها، فله مني شكر العارف بما بذل، والدعاء أن يجزيه الله عني خير ما يجزي الصالحين.

ولا يفوتي في ختام هذه المقدمة أن أذكر أنني قد حاولت جهد المستطاع أن أضع في هذا البحث خلاصة فكري وتجاري التي اكتسبتها من صحة كتب اللغة القديمة والحديثة لما يزيد على خمسة عشر عاماً منذ بدأت الدراسة العليا في التخصص في حقل اللغة والنحو. وقد عرفت من هذه الصحة أنه ما من إنسان يكتب كتاباً إلا وجد بعد مدة أنه لوزاد فيه أو طرح منه لكان خيراً، ولو قدم هذا وأخر هذا لكان أجمل، وهو صاحب الكتاب فيما بالك بغيره من القراء، وهذه طبيعة البشر، إنهم لا يأتون بعمل كامل، فالكمال لله وحده، وحسبي في هذا أنني راض عنها بذلت من جهد في هذا العمل، فإن وفقت فيه إلى الصواب وهذا ما أرجوه فمن الله وحده سبحانه، ولله الحمد أولاً وأخراً إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه، وإن تكن الأخرى فمن نفسي ولا حول ولا قوة إلا بالله، وصلوا الله على إمام البلغاء وسيد الفصحاء محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الباب الأول
ابن جيئي
وأصول دراسته وجهود ساقطيه

الفصل الأول

ابن جني - حياته - ثقافته - آثاره

اسم وصفته:

هو أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، كان أبوه مملوكاً لسلامان بن فهد الأزدي وكان رومياً^(١)، وضيّعوا اسمه بكسر الجيم وتشديد النون المكسورة وسكون الياء^(٢)، قالوا: وهو مغرب (كفي) بالرومية^(٣)، ومعناها: كريم، نبيل، جيد التفكير، عبقرى، مخلص^(٤)، وقد نقل عن ابن جني أنه قال عن معنى اسم أبيه أنه فاضل بالرومية^(٥)، ولم يزيدوا على ذكر نسبة هذا شيئاً، لأن آدم متذكرة أن أمه كانت جارية رومية^(٦)، ولم أهتد إلى الموضع الذي أخذ منه هذا الخبر الذي ذكره من غير إحالة.

وقد ذكروا من صفة خلقة أبيه أنه لم يكن حسن الوجه، ومن خلقة أبي الفتح أنه كان أشقر^(٧)، وكان ممتعًا باحدى عينيه^(٨)، وكان إذا تكلم يميل بشفتيه ويشير بيده^(٩).

خلقه وهل كان مصانعاً؟

ذكر الاستاذ محمد علي النجار في صفة خلق ابن جني أنه (كان رجل جد واماً صدق في قوله وفعله... وكان عف اللسان والقلم)^(١٠).

إلا أن هذا الوصف لم يمنع الاستاذ النجار من وصفه بالمصانعة، وتتابعه في ذلك الدكتور فاضل السامرائي، فقد ذكر السيوطي أن ابن جني وشيخه الفارسي كانوا من

(١) فهرس ابن بكر بن عبد الله ص ٣١٨

(٢) نزعة الالباء ص ٢٢٠

(٣) معجم الادباء ٥: ١٨

(٤) بقية الوعادة ٢: ١٣٢

(٥) نفسه ٥: ١٦

(٦) مقدمة الحصانص ص ٨

(٧) مقدمة الحصانص ص ١٤

(٨) الحضارة الاسلامية ص ٤٣٧

المعتزلة^(٩)، وهذا الرأي يؤيده كثير من النصوص في كتب ابن حني^(١٠)، وذهب بعضهم إلى أنه كان مع اعتزاله شيعياً، ورجح الاستاذ النجاشي والدكتور فاضل أنه كان يصانع الشيعة وليس بشيعي^(١١).

ولا يؤثر في بحثنا أن يكون الرجل من أتباع هذه الفرق أو تلك، ولكن الذي يدعو للبحث أن ينتمي الرجل بأنه كان من قوم ولكنه كان يصانع غيرهم.

ومسألة المصانعة وإهتزاز الشخصية عنده قد انتهت من اسقاطها وأنا أقرأ ما كتب، وهذا قليل من النصوص التي تدفع عنه شبهة المصانعة:

١- (ومن ذلك قراءة علي عليه السلام، وعمر صلوات الله عليه، وابن عباس وأبي ابن كعب وابن عمر وابن الزبير رضي الله عنهم)^(١٢).

فآية مصانعة هذه من رجل يسلم على علي ويصلّي على عمر ويترضى عن أصحاب رسول الله ﷺ؟

٢- (وقيل لأبي هريرة رضي الله عنه: ألم سمعت هذا من رسول الله ﷺ؟ فقال: فما كان طهوي؟ أي شيء كان شغلي، وما كان عملي)^(١٣).

٣- (وحكي عن معاوية رضي الله عنه أنه قال لرجل جفا عليه في القول: قم لا يسمعك بعض مؤلاي الرعارة فيقتلوك)^(١٤).

٤- (قراءة علي عليه السلام والاعرج، ورويَت عن عمرو بن عبيد: خطوات، بضمتيْن وهمة، وهي مرفوعة، وغلط)^(١٥).

٥- (وقرأ: «خطب جهنم»، علي بن أبي طالب، وعائشة عليهما السلام)^(١٦).

٦- ومن فقه الشيعة في الوضوء مسح الرجلين لاغسلهما كما هو معلوم مشهور، أما ابن حني فنذهب به إلى مذهب جمهور المسلمين في الغسل، ولم يشر إلى المسح ليصانع قال: (ومن ذلك

(٩) المزهر ١: ١٠.

(١٠) انظر ما ورد في ابن حني التحتوي من ص ٥٢ إلى ص ٥٥.

(١١) انظر مقدمة الخصالين ص ٣٧، وابن حني التحتوي ص ٦١.

(١٢) المحاسب ٢: ٣٢١.

(١٣) المبحج ص ١٦.

(١٤) الفسر ١: ٣٦٦.

(١٥) المحاسب ١: ١١٧.

(١٦) نفسه ٢: ٣٧.

ما رواه عمرو عن الحسن: وأرجلكم، بالرفع، قال أبو الفتح ينبغي أن يكون رفعه بالابتداء، والخبر ممحوف دل عليه ما تقدمه من قوله سبحانه: (إذا قمت إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم، أي: وأرجلكم واجب غسلها، أو مغسلة كغيرها...) ^(١٧)، وكان باستطاعته أن يحملها على فامسحوا برأوسكم، ويكون المعنى: وأرجلكم ممسوحة، ولكنه التزم رأي الجمهور ولم يصانع.

أما حبّ علي عليه السلام وأبنائه، فإنه من شأن كل مسلم تقى صالح، وأما عدم ذكر الصحابة رضي الله عنهم أحياناً عند الصلاة على النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه، أو عدم ذكر الآل عليهم السلام أحياناً فليس فيه شيء ولا يدل على مصانعة أو عداء ^(١٨) على ما أرى.

حياته :

ولد أبو الفتح في الموصل في حدود سنة ٣٢٠ هـ على مارجحه د. فاضل صالح ^(١٩) وجوزه د. مصطفى جواد ^(٢٠)، واتجه إلى تحصيل العلم في مساجدها واحسن من نفسه النبوغ مبكراً فحاول أن يجلس مجلس الأساتذة في الجامع فمرّ به أبو علي الفارسي وهو يقرئ النحو، فسألته عن مسألة في التصريف فقصّر فيها ابن جني فقال له أبو علي: زيت قبل أن تحرّم. يشير بذلك إلى تعجله في التصدر للتدريس، فثار فضوله وسأل عنه ثم لزمه يأخذ عنه العلم أكثر من أربعين سنة ^(٢١)، تنقل خلاها بين الموصل والشام وحلب وواسط وبغداد ^(٢٢)، وعندما توفي أبو علي سنة ٣٧٧ هـ ^(٢٣)، تصدر ابن جني مكانه للتدريس في بغداد ^(٢٤) حتى توفي سنة ٣٩٢ هـ تاركاً من الولد ثلاثة هم علي وعال وعلاء وكلهم أدباء فضلاء ^(٢٥)، ولم يذكر بين أولاده من اسمه الفتح، ويبدو أنها كانت كنيته من قبل أن يولد له ولم يسم أحداً من ولده بها.

ثقافته :

كان ابن جني كثير الاتصال بالعلماء، فأخذ عنهم، ووعى ما أخذ، وكان اكثراً

(١٧) نفسه: ١: ٢٠٨.

(١٨) انظر قوله تعالى: (إن الله وملائكته يصلون على النبي، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً). الأحزاب: ٥٦

(١٩) ابن جني النحوي ص: ٤٠.

(٢٠) انظر تعليله في هامش ص: ٤٠ من المصدر السابق.

(٢١) معجم الأدباء: ١٨: ٥، نزهة الآباء ص: ٢٢١.

(٢٢) ابن جني النحوي ص: ٢٤.

(٢٣) نزهة الآباء ص: ٢١٠.

(٢٤) معجم الأدباء: ٥: ١٩.

(٢٥) المصدر نفسه.

أثراً فيه أبا علي الفارسي، وقد ظهر أثر شيوخه في ما كتب من فنون شتى، مما يدل على ثقافة واسعة وعلم جم غفير، فقد كتب في النحو واللغة والتصريف والعروض والقراءات والاصوات وغير ذلك، وكان في ما كتب امينا في النقل عن شيوخه، حريصاً على نسبة آرائهم اليهم، أو إلى شيوخهم. ذاكرا طريقأخذهم في كثير من الأحيان، في سند متصل أو غير متصل أحياناً إعتماداً على الثقة بالشيخ كما سيأتي بيانه.

وقد وجدت أنه كان شديد الإعجاب بما يكتب، ويظهر أثر هذا الإعجاب في عبارات متشرة في هذا الكتاب أو ذاك. وهو على ما في كتاباته من الروح العلمي والاتزان في الرد على الآراء المخالفية. قد يقوس في رده أحياناً، وعلى شدة الوضوح في عبارته قد يضطرب فيها حتى يوقع قارئه في الوهم. أما مذهب التحوي فقد كان بصرياً على ما اثير حول هذه المسألة من شبكات. وفي ما يلي تفصيل ما أوجزناه:

١- اعجابه بما يكتب:

ووجدت ابن جني معجباً بما يكتب أحياناً أياً اعجاب، يتلفت حوله فلا يجد أحداً من سبقه من العلماء، أو من عاصره قد أشيع القول في مسألة ما كما فعل هو، أو غاص على دقائق أسرار مسألة أخرى كما غاص هو، أو شرح غامضاً كما فعل هو، فلا يتعدد في التصرير بهذا الاعجاب، ولكنه اعجاب بمحوظه الروح العلمي الذي عرف به، فهو لا يقول إن ما أورده لم يسبقه إليه أحد، أو إن أحداً لم يبلغ فيه الغاية التي بلغها هو، وإنما يضع أمام ذلك كلامه: (فيما أعلم) أو: (ولا أعلم أحداً...)، وما أشبه ذلك، مما يجعل الحكم الذي يصدره مصرياً بينائه على ما علم هو، لا على ما هو واقع على سبيل القطع من غير أن يترك فسحة للتراجع إذا وجد غيره شيئاً يقرب مما قال.

فمن ذلك مثلاً قوله في باب ترافع الأحكام: (هذا موضع من العربية لطيف، لم أر لأحد من أصحابنا فيه رسماً، ولا نقلوا إلينا فيه ذكراً)^(٢٦). وكذلك اعجابه بشرح ارجوزة أبي نواس، وقد سمي الشرح تعريباً^(٢٧)، قال: (٠٠٠) قد انتهيت من تعريب هذه القصيدة بما قرب وكفى ولو لا الإطالة لبساطتها أكثر من هذا. وما رأيت أحداً من أصحابنا نشط لتعريب شعر محدث على هذه الطريقة لأن تفسير هذه القصيدة قد اشتمل على لغة وإعراب وشعر ومعنى ونظر وعروض واشتقاق وشيء من علم القوافي). وقال في المنصف^(٢٨):

(٢٦) الم الخامس : ٢ ١٥٨.

(٢٧) تسمى ارجوزة أبي نواس ص ١٩٨.

(٢٨) المص ١ : ١٢٧.

(فهذه أحكام الأصوات والخروف في امتناع اشتقاها وما يقتضيه القول في قبيلها، ولم أحداً من أصحابنا أشبع القول فيها هكذا). وفيه أيضاً^(٣٩): (ولا أعلم أحداً من أصحابنا ذكر هذه المسألة إلى هذه الغاية). ويبدو أنه كان شديد الإعجاب بما كتبه في (سر صناعة الاعراب)، فقد ورد ما يشبه العبارات الماضية في أكثر من موضع عالم أجده في أي كتاب من كتبه الأخرى بل لقد نص في موضع على أنه لم يعلم أن أحداً من العلماء قد تناول موضوع الإملاء وبعض الأمور الصوتية الأخرى كما تناولها هو واستعمال الله على الصواب فقال^(٤٠): (وما علمت أن أحداً من أصحابنا خاص في هذا الفن هذا الخوض ولا أشبعه هذا الاشباع، ومن وجد قوله قال به والله يعين على الصواب بقدرته)، وقد عقب محققو الكتاب على ذلك بقولهم^(٤١): (لنا أن نسجل هنا أن ابن جني يعذّ بحق من اللغويين العالمين الذين وضعوا أسس الدراسة الصوتية قبل أن تعرفها أوربة في النهضة الحديثة).

ومن ذلك أيضاً قوله^(٤٢): (والذي أراه أنا في هذا وما علمت أحداً من أصحابنا ولا غيرهم ذكره، ويشبه أن يكونوا لم يذكروه للطفه..).

وقال^(٤٣): (وهنا زيادة ما علمتها لأحد من أصحابنا)، وفيه أيضاً^(٤٤): (.. فهذه أحكام لام التعريف وما علمت أن أحداً من أصحابنا رحمهم الله وصل من كشف أسرارها إلى هذه الموضع التي شرحتها وأوضحتها نسأل الله عزّ وجلّ المغونة ونستمدّه التوفيق).. وهو في بعض الأحيان يقلل من شدة إعجابه فلا يستعمل كلمة: (وما علمت أحداً أو ما أشبهها، إنما يتبه إلى قلة خوضهم في ما خاص فيه، فمن ذلك مثلاً قوله^(٤٥): (فهذه جملة من القول على همة الثنائيّ وصحّة الدلالة على كونها منقلبة عن الآلف فاعرفه فقلما افصح أصحابنا هذا الإفصاح)، وزرائه أحياناً لا يشير إلى أصحابه وإنما يكتفي بالقول بأنه أحاط بهذه المسألة ولم يترك منها شيئاً كقوله^(٤٦): (فهذه جملة من القول على انقلاب الآلف همة وقد تنصّب جميع ما جاء منه مطرباً وشاداً وقلما تجد شيئاً يخرج عن هذا من الشوّاذ). وقد غلبه تواضعه في موضع آخر بعد أن نصّ صراحة على أن أصحابه لم يشبعوا القول في مسألة أوردتها ولم يختلط فيها على عادته بكلمة (فيما أعلم) أو ما أشبه فالحق باعتداته كلمة تواضع تحكي تواضع الطالب أمام شيوخه قال^(٤٧): (فهذا كلّه يؤكّد عندك أن

(٣٤) نفسه (الازعن) ٢: ٧٤.

(٢٩) نفسه ١: ١٩٤.

(٣٥) نفسه ١: ١٠١.

(٣٠) سر الصناعة ١: ٦٣.

(٣٦) نفسه ١: ١٠٣.

(٣١) هامش مقدمة المصدر السابق.

(٣٧) سر الصناعة ١: ١٢٠.

(٣٢) سر الصناعة ١: ٨٥.

(٣٣) نفسه (الازعن) ٢: ١١.

امتناعهم من استعمال آل في جميع مواقع أهل إنما هو لأن الألف فيه كانت بدلًا من بدل كما كانت النساء في القسم بدلًا من بدل فاعرفة فإن أصحابنا لم يشبعوا القول فيه على ما أوردهه الآن، وإن كنّا بحمد الله بهم نقتدي وعلى أمثلتهم نحتذى).

٢- قسوته في الرد أحياناً:

يعرض ابن جني آراء العلماء التي يخالفها في الغالب من غير تجريح ثم يحاول أن يفتدها بالادلة والراهين التي تخضره وهذه هي السمة الغالبة على ما كتب، إلا أنه في بعض الأحيان يخرج على هذا الروح العلمي فيسخر من رأي ويتوجه له وإن كان ذلك الرأي لواحد من كبار العلماء كثعلب مثلاً قال^(٣٨): (ومن طريف ما يحکى من أمر الباء أن أحد بن يحيى قال في قول العجاج:

يمد زأرا وهديرا زغدا

إن الباء فيه زائدة، وذلك أنه لما رأه يقولون هدير زغد وزغد اعتقد زيادة الباء في زغد، وهذا تعجرف منه وسوء اعتقاد ويلزم من هذا أن تكون الراء في سبط ودمتر زائدة، لقوفهم سبط ودمتر، وسبيل ما كانت هذه حالة إلا يحفل بها ولا يتشغل بإفساده). ولسائل أن يسأل إذا كان هذا الرأي من التفاهة بالمكان الذي ذكر فعلام أورده ثم أهمله، وهل ثعلب من السذاجة بحيث يقول كلاماً لا يحفل به ولا يستحق أن يتشغل بإفساده، إلا يمكن أن يكون قد أراد من الزيادة معنى التصاقب الذي أورده ابن جني فيكون الهدير الزغد أشد من الزغد لأن فيه حرف اصلاً إلا أنه زائد على حروف كلمة زعد؟

ومن ذلك قوله^(٣٩): (اعلم أن ألف الوصل هزة تلحق في أول الكلمة توصلاً إلى النطق بالساكن وهرباً من الابتداء به إذ كان ذلك غير ممكن في الطاقة فضلاً عن القياس، وليس لقول من جوز الابتداء بالساكن من القدر ما يتشغل بإفساده وإنما سبيله في هذا سبيل من شك في المشاهدات من السوفسية ومن ليس بكلام العقل). فتحن نراه هنا يستخف برأي القائل بجواز الابتداء بالساكن ويشره مع السوفسية ومن ليس بكلام العقل وهي قسوة في الرد كما هو واضح، إلا أنه على هذه القسوة نراه يذكر في موضع آخر الإبتداء بالساكن ذكراً غير مستهجن بل انه ينسب إلى شيخه أبي علي عدم الاستيعاش منه في لغة العجم، وكلامه وإن كان في لغة العجم إلا أنه نقض لقوله (غير ممكن في الطاقة) فما دام ذلك ممكناً في لغة قوم فهو إذن ممكن في الطاقة وقد نص على تلاقي طباع البشر في الحسن،

. ٥٣ : (٣٩) المنصف : ١.

. ١٣٨ : (٣٨) نفسه : ١.

قال^(٤٤): (ومن طريف حديث اجتماع السواكن شيء وإن كان في لغة العجم فإن طريق الحسن موضع تلاقى عليه طباع البشر ويتحاكم إليه الأسود والأحمر وذلك قوله آرد للدقائق ومست للبن فيجمعون بين ثلاثة سواكن ..) فطباع البشر متقدمة أذن في طريق الحسن وما يكون في لغة العجم ممكنا لا تستطيع أن نقول عنه إنه غير ممكن في الطاقة، فإذا قد انتهينا إلى هذا نأتي إلى قوله في الابتداء بالساكن الذي شتم عليه في الموضع الذي نقلناه أول مرة، قال^(٤٥): (ورأيت مع هذا أبا علي رحمة الله كغير المستوحش من الابتداء بالساكن في كلام العجم ..) بل إن ابن جني نفسه يسمعهم يبدأون بالساكن (.. فاسمعهم كثيرا إذا أرادوا المفتاح قالوا (كليد) فإن لم تبلغ الكاف أن تكون ساكنة فإن حركتها جد مضافة حتى ليختفي حالها على فلا أدرى أفتحة هي أم كسرة). وإذا خفيت الحركة إلى هذا الحد حتى لا يدرى أفتحة هي أم كسرة فلا أظن من الصواب أن نسميها حركة.

٣- اضطرابه :

القاريء لكتب ابن جني يرى عقلية منظمة غاية التنظيم فهو لا يكاد يغادر مسألة إلا بعد أن يشبعها بحثا ويوضحها بصورة وافية ويجردها من غيرها فلا تلتبس بشيء، إلا أنه يورد الأمر أحيانا ظاهرا أنه ليس مما هو سبب له ثم يمضي في الاستدلال حتى يتنهى إلى أنه مندرج تحت ما يبحثه، مما يسبب للقاريء حيرة واختصارا أول الأمر، فإذا صبر على ما يورده ابن جني ظفر بذلك بمراده، وإن تعجل الأمر ولم يتبع ما يقوله نفر وتحير في ما يورده، وقد وقع في هذا الاستاذة محقق سور صناعة الاعراب وزعموا أن ابن هشام الانصاري معهم في حيرتهم. فقد أورد ابن جني وهو يتكلم على إبدال الممزة من الألف قول الراجز:

من أي يومي من الموت أفر أيام لم يقدر أم يوم قدر

ومضى يتحدث عن فتح الراء في يقدر ومجاورتها همزة أم، فعلى محقق الكتاب على ذلك بقولهم^(٤٦): (بحثنا عن وجه مناسبة قول الراجز الذي أورد المثل المأثور هنا للموضع الذي سبقه، وهو ابدال الألف همزة عند الوقف فلم نتهى، ثم وجدنا بهامش الأصل (س) تعليقة نرجع أنها لابن هشام الانصاري صاحب المغني إذ خطها يشبه خط الخاشية التي كتب بهامش الورقة ٨٥ من الأصل نفسه مبتدئا بقوله: قال عبد الله بن هشام، والظاهر أنها من خطه وهناك نص التعليق: قوله فأما قول الراجز، فإنه أورد هذا الفصل إيرادا سينما لأنك تستمر فيه إلى أواخر الفصل ولا تدربي ما الذي أوجب ذكره هنا ولا وجه ملاعنه

(٤٠) الخصائص ١: ٩٠ . (٤١) نفسه ١: ٩٢-٩١ . (٤٢) سر الصناعة، حاشية ١: ٨٤-٨٥

وكان الصواب أن يقال وما يسلك عندنا في هذا السلك أعني بباب إيدال الهمزة والألف قول الراجز.. الخ وذلك لأن مقتضى الظاهر أن هذه الراء لا تتحرك فأجاب أصحابنا بهذا وكذا ويستمر إلى آخر كلامهم ثم يقول وعندنا فيه وجه لطيف.. الخ، ومن كلام ابن هشام يتضح أن المؤلف كان عليه أن يبين أن هذا الشاهد داخل في باب إيدال الهمزة والألف وإذا قد تقدم في كلامه إيدال الألف همزة فيكون هذا من باب إيدال الهمزة الفا عكس الأول وبهذا تظهر المناسبة).

والحق أن كلام ابن جني كان متسقاً مع بداية الفصل لم يورده إيراداً سيئاً كما زعم صاحب التعليقة. ولا هو به حاجة إلى أن يبحث له الأساتذة محقق الكتاب عن المناسبة لو أنهم صبروا ومضوا معه في حديثه، فقد مضى ابن جني ينتقل من إستدلال إلى آخر من ص ٨٥ حتى انتهى بعد تسع صفحات أي في ص ٩٣ إلى القول بأن الهمزة مقلوبة عن ألف، وكلامه من بداية الفصل في هذا، ولكن طول الإستدلال كما قدمت هو سبب هذا الاضطراب، وقد احس ابن جني بهذا فقال^(٤٣): (فهذه أيضاً همزة قلبت عن ألف أعني همزة أم وهي بدل من ألف هي بدل من همزة، فهذا وإن لطف وطللت صنعته أولى من أن تحمل الكلمة على حذف نون التوكيد لما فيه من قلة النظير وضعف القياس).

وفي موضع آخر من سر الصناعة أورد كلاماً ظاهراً لاضطراب والتتردد على غير عادته في معالجة مسائل اللغة قال^(٤٤): (.. اهرقت فسكن آباء وجمع بينها وبين الهمزة فالهاء هنا عوض من ذهاب فتحة العين لأن الأصل أروقت أو اريقت بل الصنواب أريقت، والواو عندي أقيس لأمرتين أحدهما أن كون عين الفعل واوا أكثر من كونها ياء فيما اعتلت عينه، والآخر أن الماء إذا اهريق ظهر جوهره وصفاؤه فراق رائيه يروقه فهذا أيضاً يقوى كون العين منه واوا. وعلى أنه قد حكى الكسائي راق الماء يربق إذا انصب وهذا قاطع بكون العين ياء...).

فإذا كان الصواب أن العين ياء فعلم البحث إذن عما يقوى كون العين واوا؟.

٤ - بصرية:

كان الدكتور فاضل السامرائي قد انتهى بأدلة كثيرة إلى أن ابن جني (بصري المذهب حسب لا بغدادي ولا كوفي)^(٤٥)، ثم زعم الدكتور عبد الفتاح الدجني بعد عشر

(٤٣) سر الصناعة ١: ٩٣.

(٤٤) سر الصناعة ١: ٢١٣.

(٤٥) ابن حني التحوي ص ٢٩٠، وانظر أدله من ص ٢٤٥ إلى ٢٩٠.

ستوات^(٤٦) من ظهور دراسة الدكتور فاضل ابن جني لم يكن بصربيا، من غير أن يعرض لإسقاط الآراء التي وردت في كتاب ابن جني النحوي أو مناقشتها مع أنه كان من مصادر الدكتور الدجنجي مما جعلني مضطراً للوقوف عند هذه المسألة ولو بصورة مقتضبة.

قال الدكتور الدجنجي: (هذا باحث آخر يرى أن ابن جني كان كشيخه أبي علي بصربيا، فهو يجري في كتبه ومباحته على اصول هذا المذهب^(٤٧)) وحال على كتاب (ابن جني النحوي)^(٤٨) ثم قال: (والحقيقة ان كلا العالمين ببغدادياب^(٤٩)) ولم يليث أن قال عن النحو البغدادي: (لقد تفرقت آراء نحاة بغداد تفرقوا شديداً فذهبوا في آرائهم مذاهب متباعدة فمنها البصري ومنها الكوفي ومنها الجديد المستحدث ولذا صعب على الدارس أن يلم بهذه الآراء... والخلاصة أن النحو البغدادي لم يكتب له النجاح في رأينا للأسباب التي ذكرتها آنفاً مضافاً إليها رأي الشيخ الطنطاوي وهو قصر الملة التي عاشها النحو البغدادي^(٥٠)) ولا نعرف هذا النحو بهذا الوصف عند ابن جني وقد ذكر الدجنجي مسائل مستحدثة عند البغداديين ليس فيها شيء لصاحبتنا^(٥١). والاقتضاب الذي الزمنا انفسنا به في هذه المسألة لما قدمتنا يقتضي تجاوز نقض كل ما أورده في هذا والاكتفاء بالقول إن النحو في كتب ابن جني نحو بصري مع ظهور الاجتئاد الشخصي فيه شأنه في ذلك شأن الاخفش والمبرد وغيرهما من لم يختلف في القول بيصربيته ونكتفي في الاستدلال على ذلك زيادة على ما أورده الدكتور السامرائي بما يلي:

قال ابن جني: (وذهب الكوفيون إلى... وليس الأمر عندنا نحن كذلك^(٥٢)).

وقال: (كذا قياس مذهبنا نحن فاما الكوفيون فيرون...)^(٥٣)

وقال: (هذا عند اصحابنا.. وأنا أرى في هذا رأي البغداديين.. ولا قرابة بيني

(٤٦) كان الدكتور الدجنجي قد رفع الى المطبع على الآلة الكاتبة وقد طبع سنة ١٩٦٤ م.

(٤٧) ظاهرة الشنود في النحو العربي ص ٣٣٦.

(٤٨) الاحالة كانت على ص ١٢٩ من المطبع على الآلة الكاتبة وهي في ص ٢٤٥ من الطبعة المتداولة الآن، والنص أخذته الدكتور السامرائي من مقدمة المختصين للأستاذ التجار فهو رأيه لا رأي الدكتور فاضل السامرائي اذ قال: (وجاء في مقدمة المختصين أن ابن جني كان كشيخه...) وأجال على المقدمة ص ٤٤، فتأمل.

(٤٩) ظاهرة الشنود ص ٣٣٧، وانظر ما كتبه د. فاضل السامرائي عن اختلاف العلماء في حقيقة المدرسة البغدادية ص ٢٤٧، ابن جني النحوي.

وما كتبه د. المخزومي في انكار المدرسة البغدادية وجعلها كوفية ص ٧، ص ٨٢، الدرس النحوي في بغداد.

(٥٠) نفسه ص ٣٤٢.

(٥١) نفسه ص ٣٤٣ وما بعدها.

(٥٢) النسبة من ٣٢٢.

(٥٣) النسبة من ٦٣٣.

وبين البصريين لكنها ببني وبين الحق والحمد لله^(٥٤).

وقال: (فمذهب أصحابنا فيه وفي مثله . . . ومذهب البغداديين . . . غير أن لأصحابنا الآء يقبلوا من اللغة إلا ما روى عن فضيحة موثق بعربيته)^(٥٥).

وقال: (. . . والأمر عندي بخلاف ما ذهب إليه ابن درستويه . . . وإن كان من أصحابي، وقائلاً: يقول مشيخة البصريين، في غالب أمره، وكان أحد ابن بحوي كوفياً، قلنا فالحق أحق أن يتبع أين حل وحيث صقع)^(٥٦).

فالبصريون أصحابه وهو مجتهد كما قدمنا، وأرجو أن يكون في هذه الزيادة غناءً عن العودة إلى موضوع بصرتيه.

أثره في الكتب بعده:

أثر ابن جني في كتب المتقدمين تناوله الدكتور فاضل السامرائي بما يعني عن الاعادة بعد أن قال: (من يطلع على المعجمات وكتب اللغة وكتب أصول النحو وكتب التصريف يجد أثر ابن جني واضحًا فيها، وكان كتبه كانت المعين لها)^(٥٧).

وأما أثره في كتب المحدثين فسوف ترد في هذه الرسالة الحالات كثيرة على كتب حديثة في اللغة واللهجات والأصوات والقراءات وفيها ذكر لآراء ابن جني ومذاهبه، مما يجعل ايرادها في هذا الموضوع من التكرار المرغوب عنه، ولكنني اكتفي هنا بالقول بناءً على ما قرأته وما بين يدي من جذادات: إننا لا نكاد نجد كتاباً حديثاً في القراءات أو اللغة أو اللهجات أو الأصوات يخلو من ذكر ابن جني وأرائه.

آثاره:

ترك ابن جني للأجيال بعده من مصنفاته ما بلغ سبعة وستين على ما أحصاه الدكتور السامرائي^(٥٨)، بين وجيز و وسيط وسيط، منها ما هو مطبوع، ومنها ما ذكر المفهرون مكان وجوده، ما لا نجد له ذكرًا في فهارس المخطوطات ولا يعني هذا فقدان القسم الثالث فيما زالت المكتبات الشخصية تزخر بنوادر المخطوطات . وقد طبع من كتبه بعد تأليف كتاب

(٥٤) المحتسب ١: ١٦٧.

(٥٥) نفسه ١: ٢٣٤.

(٥٦) سر الصناعة (الازهر) ٢: ٣٠٧.

(٥٧) ابن جني النحوي ص ٨٢، وانظر مقدمة الخصائص ص ٢٩ وما بعدها.

(٥٨) ابن جني النحوي ص ٨٤ إلى ٩٣.

- ابن جني النحوي الذي تناول الكلام على مصنفاته المخطوط منها والمطبوع مفصلاً:
- ١- تفسير ارجوزة ابي نواس في تقريره الفضل بن الربيع وزير الرشيد والأمين.
 - تحقيق الاستاذ محمد بهجة الأثري ط دمشق ١٣٨٦ هـ ١٩٦٦ م.
 - ٢- التنبيه على شرح مشكلات الحماسة.
 - تحقيق عبد المحسن خلوصي ط على الآلة الكاتبة. بغداد ١٩٧٤ م، (رسالة ماجستير).
 - ٣- سر صناعة الاعراب ج ٢.
 - تحقيق احمد رشيد سعيد ط على الآلة الكاتبة. الازهر ١٣٩٥ هـ ١٩٧٥ م (رسالة ماجستير).
 - ٤- العروض
 - تحقيق د. حسن شاذلي فرهود ط ١٣٩٢ هـ ١٩٧٢ م.
 - ٥- علل الشنية
 - تحقيق عبد القادر مهدي، نشر في حلقات الجامعة التونسية العدد الثاني ١٩٦٥ م.
 - ٦- الفتح الوهبي على مشكلات الشنية
 - تحقيق د. محسن غياض ط بغداد ١٩٧٣ م
 - ٧- الفسر (ديوان ابي الطيب الشني بشرح ابن جني) ج ١
 - تحقيق د. صفاء خلوصي ط بغداد ١٣٩٠ هـ ١٩٧٠ م.
 - ٨- المحتسب في تبيان وجوه شواد القراءات والايضاح عنها، ج ١ تحقيق الاستاذ علي النجدي ناصف، د. عبد الحليم النجار، د. عبد الفتاح اسماعيل، ط القاهرة ١٣٨٦ هـ ١٩٦٦ م.
 - ج ٢، تحقيق الاستاذ علي النجدي ناصف، د. عبد الفتاح اسماعيل ط القاهرة ١٣٨٩ هـ ١٩٦٩ م.
 - ٩- مختصر القوافي
 - تحقيق د. حسن شاذلي فرهود، ط ١٣٩٥ هـ ١٩٧٥ م.

الفصل الثاني

أصول دراسته

يمكن ان نجمل أهم القواعد التي قامت عليها دراساته في الأصوات واللهجات تحت
كلمة السماع والقياس، ونعرض لها بشيء من التفصيل في ما يأتي:
السمع:

كنت اثر استعمال الكلمة التلقى مكان الكلمة السماع لأنها أعم وأدل على ما أنا
بسبيله، إلا أن الذي صرفي عنها إلى الكلمة السماع هو أنها الكلمة التي استعملها ابن جنی
مقابل الكلمة القياس متابعاً في ذلك من سبقه من العلماء وعقد باباً لتعارض السماع
والقياس وتواافقهما وهل يقاس على المسموع إذا خالف القياس إلى غير ذلك، ثم ان ماتلقاه
من الكتب الراجح عندي فيه كما سيأتي أنه أخذه عن شيوخه بالقراءة عليهم فهو داخل في
السمع، وهذا وجدتني استعمل هذه الكلمة واجعل ما كان مندرج تحت التلقى مندرج
تحتها على سبيل التسامع والتجوز، وعلى هذا فسوف أبحث تحت هذا العنوان: الشواهد
سواء جاءت عن طريق السماع المباشر من العرب (المشافهة) أو كانت عن طريق السماع
من الشیوخ أو كانت من القرآن أو من الحديث، وكذلك ما تلقاه من الكتب من الآراء
والمناهج سواء كان ذلك عن طريق مباشر بالأخذ من نسخة كتاب بين يديه أو عن طريق
الرواية والشیوخ بإسناد أو بغير إسناد.

السمع من الشیوخ:

كان لابن جنی أكثر من شیوخ نجد آثارهم واضحة فيها كتب، فقد كان أميناً في الاخذ
 منهم حریصاً على ان يدون عبارتهم بحروفها إذا وجد إلى ذلك سبلاً وينبه عليه كقوله^(١):

.. كذا عهد إلى أبي علي رحمه الله في هذا وهذا لفظه لي فيه البة) فإذا خانه الحفظ نبه إلى ذلك بمثل قوله: (هذا محصول معنى أبي علي فأما نفس لفظه فلا يحضرني الآن حقيقة صورته^(٢)) أو (.. وهذا كله رأي أبي علي وعنده أخذته وقد أتيت في هذا الفصل في الإشتقاق وغيره بما هو معانٍ قوله وإن خالفت لفظه وهو الصواب الذي لا يذهب عنه إلى غيره^(٣)، بل ذهب في أمانته مذهبًا أبعد من هذا في مثل قوله: (انشدني أبو علي أو قرأته عليه)^(٤)، (وقرأت على أبي بكر محمد بن الحسن أو سمعته يقرأ عليه عن ثعلب^(٥)) أو (وحكمي لي بعض أصحابنا أراه عن أبي علي ولم اسمعه منه^(٦)) وكقوله عن أبي علي: (واخبرني ايضا قال: قال الاصمعي أو أبو زيد أشك أنا..^(٧)) مما يجعلنا نميل إلى أنه إذا قال سمعت أو قرأت أو حدثني أو أنشدني أو غير ذلك فإنه لم يذكرها إلا مثبتاً ولو كان غير ذلك لذكر ما يشير إليه أمانة منه في الأخذ عن شيخوخه. وهو لا يأخذ اللغة إلا من العلماء الذين عرفا بطول باعهم في ما يأخذ عنهم، وكانت العلوم التي يأخذها عنهم على قسمين: رأي، ورواية، فإذا كانت رواية تلقاها بالقبول ولم يظهر تشكيك فيها ثقة منه بالرواة وعدالتهم حتى لنراه يقول في مسألة: (ولو كان لها أصل في كلام العرب لنقلته الرواة^(٨))، بل إنه عقد بابا في الخصائص بعنوان: باب صدق النقلة وثقة الرواة والحملة^(٩)، وهو يأخذ الرواية بالقبول وإن كانت مخالفة لقياسه فإن كانت منفردة أو قليلة نص على أنها من الشاذ الذي لا يقاس عليه ولم يتحول إلى رد الرواية، من ذلك مثلا: (وحدثني أبو علي.. انهم سمعوا العرب تفتح اللام الجارة مع المظهر.. وهذا من الشذوذ بحيث لا يقاس عليه)^(١٠). هذا إذا كان ما يتلقاه من الشيخوخة رواية، فإن كان رأيا فإن عمل فكره فيه فإذا ظهر له شيء غير ما ذكر شيخه ذاكرا فيه وسأله عنه وأظهر له ما في خاطره ، ومذاكراه التي وجدتها كانت مع أبي علي فمن ذلك مثلا قوله: (فقلت أنا لأبي علي ما تنكر أن يكون قلته أقيمه من السواو إلا أنه جاء على فعل يفعل ونظيره من الصحيح حسب يحسب.. فقال: ليس ذلك بالكثير)^(١١)، قوله:

(٢) الخصائص : ٢ : ١٨.

(٣) سر الصناعة : ١ : ٤٥.

(٤) الفسر : ١ : ٩٩.

(٥) المنصف : ١ : ١٦٠.

(٦) نفسه : ١ : ٢٣١.

(٧) سر الصناعة : ١ : ٢٢٨ ، وقد عقب المحققون في الخامس بقولهم: (.. والتحقيق إن العبارة لأبي زيد لا للاصمعي ..).

(٨) ارجوزة ص ٦٩.

(٩) الخصائص : ٣ : ٣٠٩.

(١٠) سر الصناعة (الازهر) : ٢ : ١٢ ، ١٣ ، ١٤.

(١١) ارجوزة ص ٢٥.

(وقلت مرة لأبي علي وفوات الكتاب تقرأ عليه، وقد مني بها عياهم فياعل، فقلت له تكون عنينه بدلًا من همزة ايام افاعل كأحامر واجارد واباتر فقال: هذا عجب من العجب)^(١٢)، قوله: (على أن أصحابنا في كثير مما يحكى للحيان كالتوقيفين . . . وذاكرت بنوادره شيخنا أبا علي فرأيته غير راض بها وكان يكاد يصلني بنوادر أبي زيد اعظماما لها . . .)، ولم أقف له على مذكرة مع غير أبي علي في ما رجعت إليه، إلا ما كان مع الشبي في مسائل المعاني، وقد نص على أن المحدثين يؤخذ منهم في المعاني قال: (والمحدثون يستشهد بهم في المعاني كما يستشهد بالقدماء في الألفاظ)^(١٣)، وترخصه هذا جعله يصرح بقراءة شعر المتّبّي عليه ومذكرته إيه في معانيه كقوله: (هذا حصلته من المتّبّي وقت القراءة عليه)^(١٤) و (سألته وقت القراءة)^(١٥) و (هذا جوابه لي وقد سأله عن هذا وقت القراءة)^(١٦)، واحسب أن هذا التصرّيف بقراءة شعر المتّبّي عليه كاف في الرد على ما جاء في معجم الادباء من زعم الطرائف أن ابن جنّي لم يقرأ على المتّبّي (شيلان شعره انفة واكبّارا لنفسه)^(١٧)، وهو شديد الثقة بالمتّبّي، قال: (وحذثني المتّبّي شاعرنا وما عرفته إلا صادقا)^(١٨)، ولذا نراه لا يعقب على جواب المتّبّي إيه في أمر بدا لابن جنّي أول وهلة أنه غير ممكن قال: (سألته في الوقت عن هذا فقلت: كيف تثور العجاجة في الشتاء ولا سيماء في البلد البارد؟ فذكر أنه شاهد الامر كذلك)^(١٩).

هذا عن المذكرة، أما الأخذ فقد أخذ ابن جنّي أكثر ما أخذه من أبي علي الفارسي ولعل مرد ذلك إلى ملازمته إيه ردها طويلا من عمره اربى على اربعين عاما كما ذكروا^(٢٠)، ولا نكاد نجد كتابا لابن جنّي يخلو من ذكر أبي علي وأرائه، وهو يذكرها معزوة إليه مباشرة وهذا هو العام الغالب إلا أنه كان يذكر إسناد أبي علي أحياناً وقد تتبع هذا الإسناد فوجده ينتهي إلى أبي زيد أحياناً عن طريق أبي الحسن علي بن سليمان الأخفش الصغير عن أبي

(١٤) النبيه ص ٢٢٦.

(١٣) سر الصناعة (الازمن) ٢ : ١٣ ، ١٤ ، وانظر في مذكراته ايضا سر الصناعة ١ : ١١١ ، والخصائص ١ : ٢٧٦

٢٠٧ : ٣،١٢٨

(١٤) السر ١ : ١٧٣.

(١٥) الفتح ص ٣٢.

(١٦) نفسه ص ٤٨.

(١٧) نفسه ص ٩٨، ص ١١٢.

(١٨) معجم الادباء ٥ : ١٨. وردد السيوطي هذا القول أيضا في بغية الوعاة ٢ : ١٣٢.

(١٩) الخصائص ١ : ٢٣٩.

(٢٠) الفتح ص ١٦٦.

(٢١) معجم الادباء ٥ : ١٨.

العباس محمد بن يزيد المبرد عن أبي الفضل الرياشي^(٢٢)، أو من طريق أبي بكر بن السراج عن أبي العباس عن أبي عثمان المازني، وقد جعل أبو زيد طريقاً إلى الخليل في هذا الموضوع^(٢٣)، أو من طريق أبي بكر عن أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري عن أبي الفضل الرياشي^(٢٤)، وقد يسقط الرياشي من هذا الاستناد ويأخذ عن أبي علي عن أبي بكر عن أبي سعيد السكري عن أبي زيد^(٢٥)، وقد يشير إلى أن ما يذكره هو مما قرأه في التوادر أو في كتاب المهر على أبي علي^(٢٦)، وسيأتي الكلام على هذا. وقد يقف في بعض طريق الأخذ عن أبي زيد ليأخذ عن واحد من علماء الطريق كما وقف عند أبي عثمان المازني^(٢٧)، وقد ذكر أنه أخذ كتاب تصريف المازني من طريق أبي علي قال: (قال أبو الفتح عثمان بن جنبي أخْرَفُ الشِّيخِ أَبُو عَلِيِّ الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ الْغَفَارِ الْفَارَسِيِّ النَّحْوِيِّ قِرَاءَةً مِنْ عَلَيْهِ بِحَلْبِ عَنْ أَبِي بَكْرِ مُحَمَّدِ بْنِ السَّرِّيِّ السَّرَاجِ عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ مُحَمَّدِ بْنِ يَزِيدِ الْمَبْرَدِ عَنْ أَبِي عَثَمَانَ بْنِ كَبِيرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ بَقِيَّةِ الْمَازَنِيِّ رَحْمَةُ اللَّهِ لِجَمِيعِهِنَّ)^(٢٨)، وقد يقف عند أبي العباس^(٢٩)، وعند أبي بكر^(٣٠)، وأخذ عن أبي عمرو بإسناد المذكور وفيه الأصمعي وهو: أبو علي عن أبي بكر عن أبي العباس عن أبي عثمان عن الأصمعي عن أبي عمرو^(٣١)، وأخذ عن خلف بإسناد فيه الأصمعي أيضاً وهو: أبو علي عن ابن رستم عن ابن السكيت عن الأصمعي عن خلف^(٣٢)، وإسناد آخر فيه مكان ابن رستم بعض أصحاب يعقوب وهو: أبو علي عن أبي بكر عن بعض أصحاب يعقوب عن يعقوب عن الأصمعي عن خلف^(٣٣). والحكاية واحدة هي قوله: (انشدنِي رجل من أهل الbadia: خالي عريف.. الخ مما يدل على أنه يريد بكلمته بعض أصحاب يعقوب ابن رستم هذا. وقد يقف عند الأصمعي في هذا الاستناد^(٣٤)، وقد يقف عند ابن السكيت في هذا الاستناد والذي قبله^(٣٥)، وقد يقف عند

(٢٢) سر الصناعة ١: ٢٧٨، المنصف ٣: ١٧.

(٢٣) الخصائص ٢: ١٤.

(٢٤) المنصف ٣: ٥٧.

(٢٥) نفسه ٣: ١٠.

(٢٦) أتظر مثلاً: ارجوزة من ٨٠، الفرس ١، ١٩٦: ٦٣؛ سر الصناعة ١: ٨٦، المنصف ١: ١٤، ١١: ٣، ١٠٦.

(٢٧) سر الصناعة ١: ١٩٠، ٢٢٥.

(٢٨) المنصف ١: ٦.

(٢٩) سر الصناعة ١: ٢٠٤، الخصائص ١: ١٢٥، المحاسب ٢: ٨١.

(٣٠) الخصائص ١: ٢١٦، المحاسب ١: ٥١.

(٣١) الخصائص ٢: ١٧١، سر الصناعة ١: ٢٥٦.

(٣٢) المنصف ٣: ٧٨.

(٣٣) سر الصناعة ١: ١٩٢.

(٣٤) نفسه ١: ٢٤١، ٢١٥.

(٣٥) الفرس ١: ٣٣٤، سر الصناعة ١: ٢٣٣، المنصف ٣: ٤٨.

ابن رستم^(٣٦) ، وقد لا يذكر الاستنادين اكتفاء بقوله: (قرأت على أبي علي بإسناده إلى يعقوب)^(٣٧) ، وكذلك قد لا يذكر الاستناد إلى الأصمعي قال: (أخبرني أبو علي قراءة عليه برفعة إلى الأصمعي ..)^(٣٨) ، ويبعد أن طريق أبي علي إلى الأصمعي هو ما ذكره فيه عن أبي عمرو وما ذكره فيه عن خلف، وقد كان لابن جنبي أكثر من طريق إلى الأصمعي غير طريق أبي علي وهي : عن أبي بكر محمد بن علي بن القاسم عن أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي^(٣٩) ، وعن أبي بكر محمد بن علي بن القاسم عن هارون بن زكريا المجري عن أبي ذكوان عن الأصمعي^(٤٠) وعن المازني أخذ عن طريق محمد بن علي هذا وأكثف بقوله: (إسناده عن أبي عثمان)^(٤١) ، ولم يذكر الاستناد . وأخذ عن أبي بكر جعفر بن محمد بن الحاج عن أبي علي على بشر بن موسى الأسدى عن الأصمعي^(٤٢) . وعن طريق ابن الحاج هذا أخذ عن أبي خليفة الفضل بن الحباب عن محمد بن سلام^(٤٣) ، وكذلك أخذ عن يونس وأبي عمرو بن العلاء: أبو بكر جعفر بن محمد بن الحاج عن أبي خليفة الفضل بن الحباب ، قال: قال يونس بن حبيب قال أبو عمرو بن العلاء^(٤٤) ، وأخذ عن طريق السليل بن أحمد عن الأصمعي والخليل وأبي زيد وحمد: أبو صالح السليل بن أحمد بن عيسى بن الشيخ عن أبي عبد الله محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثنا الخليل بن أسد النوشجاني قال قرأت على الأصمعي^(٤٥) ، السليل بن أحمد بإسناده عن الأصمعي قال قال لي الخليل^(٤٦) ، السليل بن أسد عن أبي عبد الله محمد بن العباس اليزيدي عن الخليل بن أسد النوشجاني عن التوزي قال قلت لأبي زيد^(٤٧) .. ، السليل ابن أسد.. أبو عبد الله اليزيدي .. النوشجاني قال حدثني محمد بن يزيد بن ريان قال أخبرني رجل عن حادثة الرواية^(٤٨) . وأخذ عن المبرد عن طريق محمد بن سلمة^(٤٩) ، وعن طريق أبي علي أخذ كتاب معانى القرآن للزجاج «وأخبرنا أيضاً (يعنى أبي علي) بما في كتاب المعانى عن أبي اسحاق ابراهيم بن السري الزجاج بسماعه منه^(٥٠) . وكتاب معانى القرآن للفراء (ومعنى الفراء عن أبي مجاهد عن الفراء)^(٥١) . وعن طريق أبي علي أيضاً أخذ عن ابراهيم الحربي^(٥٢) ، وكذلك عن ثعلب عن ابن الاعرابي^(٥٣) .

(٣٦) سر الصناعة ١ : ٢٨٠

(٣٧) نفسه ١ : ١٩١ ، ٢٥٠

(٣٨) نفسه ١ : ٢٤٠ ، ٢٢١

(٣٩) المصنف ٣ : ٧٧ ، ٧٧ ، ٧٩

(٤٠) المصنف ٣ : ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠

(٤١) الخصائص ٣ : ٢٩٩

(٤٢) نفسه ٣ : ٣٠٥

(٤٣) المحتب ١ : ٣٠٤

(٤٤) الخصائص ١ : ٣٨٦

(٤٥) نفسه ١ : ٣٦٠

(٤٦) نفسه ٣ : ٢٩٨

(٤٧) نفسه ٣ : ٢٨٣

(٤٨) نفسه ١ : ٣٨٧

(٤٩) الخصائص ١ : ٣١٥

(٥٠) المحتب ١ : ٣٦

(٥١) نفسه

(٥٢) الخصائص ٣ : ٢١٢

(٥٣) سر الصناعة (الأزهر) ٢ : ٧٠

ويأتي بعد أبي علي في كثرة الأخذ عنه أبو بكر محمد بن الحسن المعروف بابن مقسم، وقد حاولت أن أتبع أسانيده فظهر لي أن ما أخذه عنه يتصل في الأعم الأغلب بأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب^(٤٤)، وقد ذكر الأستاذ التجار في تحقيقه للخصائص^(٤٥) أن ابن مقسم هو راوية ثعلب، وجاء في الفهرست لابن النديم أن أبي بكر^(٤٦) هذا قد سمع من ثعلب، ويبدو أن هذا السماع كان له الأثر الكبير في اعتماد ابن جني على ابن مقسم في الأخذ. ولقد نظرت في ما يزيد على أربعين رواية عن أبي بكر هذا في كتب ابن جني المختلفة فوجدتها في جمهورها تتصل بأحمد بن يحيى وعن هذا الطريق أخذ ابن جني عن المازاني أيضاً: محمد بن الحسن عن أحمد بن يحيى عن المازاني^(٤٧)، وعن أخذ عن الكسائي: محمد بن الحسن عن أحمد بن يحيى عن الكسائي^(٤٨)، وعن طريق محمد بن الحسن أيضاً أخذ عن ابن الأعرابي وأبي عمرو الشيباني، ولكن من غير طريق ثعلب: محمد بن الحسن عن أبي الحسين أحمد بن سليمان المعبدى عن ابن أخت ابن الوزير عن ابن الأعرابي^(٤٩) قال...، وفي موضع آخر قال^(٥٠) (أخبرنا ابن مقسم يرفعه بإسناده إلى ابن الأعرابي...) فلعله أراد هذا الاستناد. وقال: (قرأت على أبي بكر محمد بن الحسن عن محمد بن يحيى المروزى عن محمد بن عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن جده أنه قال...)^(٥١)، وفي موضع آخر قال: (وقرأت على ابن مقسم بإسناده عن أبي عمرو الشيباني في نوادره)^(٥٢)، فلعله أراد الاستناد المتقدم.

وقد أخذ ابن جني عن عدد من العلماء غير أبي علي وابن مقسم منهم أبو بكر محمد بن علي بن القاسم. وأبو بكر جعفر بن محمد بن الحاجاج وقد أخذ عنهما عن الأصمعي، وقد مر ذكرهما مع سنتيهما، ومنهم محمد بن محمد حيث أخذ عنه عن

(٤٤) انظر مثلاً: سر الصناعة ١: ١٥٢، ١٥٣، ٢١٦، ١٧٢، المصنف ٣: ٤٧، ٣٠، ٥٠، المبحص من ٤٥، ٦٧، الفسر ١: ١٤٠، ١٤١، ارجوحة ص ١٦٢، النعام ص ١٧٩.

(٤٥) ١: ٣٨.

(٤٦) ص ٥٥.

(٤٧) سر الصناعة ١: ١٥٢.

(٤٨) نفسه ١: ١٥٨.

(٤٩) سر الصناعة ١: ٢٤٨، وفي ٢: ١٦٣ (الأزهر) ذكر ابن أخت ابن الوزير بقوله: عبد الله بن أحمد بن شجاع الكاتب ابن أخت ابن الوزير.

(٥٠) المصنف ٣: ٥.

(٥١) نفسه ٣: ٤٦.

(٥٢) نفسه ٢: ١٨٣.

القراء : محمد بن محمد عن أحمد بن موسى عن محمد بن الجهم عن يحيى بن زياد ،
 ومنهم (٦٣) أبو الفرج الأصبهاني حيث أخذ عن طريقه عن اليزيدي قال : (قرأت على أبي
 الفرج علي بن الحسين عن أبي عبد الله محمد بن العباس اليزيدي) (٦٤) . وعن هذا
 الطريق أخذ عن محمد بن حبيب : أبو الفرج عن اليزيدي عن محمد بن حبيب (٦٥) ،
 ومنهم أبو إسحاق القرمسيني حيث أخذ عن طريقه عن أبي حاتم السجستاني قال :
 (أخبرنا أبو إسحاق ابراهيم بن أحمد القرمسيني عن أبي بكر محمد بن هارون الروياني
 عن أبي حاتم سهل بن محمد السجستاني في كتابه الكبير في القراءات) (٦٦) . وقد يجعل
 أنا حاتم بهذا الاستناد طريقا إلى أبي زيد (٦٧) ، ومنهم أبو سهل أحمد بن محمد أخذ عن
 طريقه عن أبي العباس المبرد (٦٨) وعن أبي العباس ثعلب (٦٩) وعن أبي سعيد الحسن بن
 الحسين السكري (٧٠) ، وأخذ عن قطرب من غير أن يصل الاستناد في الغالب ، فهو إما أن
 يذكره بمثل قوله : (روينا عن قطرب) (٧١) بالبناء للمفعول وأما أن يذكره عن طريق بعض
 أصحابه من غير ذكر اسمه أو اتصال إسناده كقوله : (أنشدني بعض أصحابنا عن
 قطرب) (٧٢) أو (أخبرنا بعض أصحابنا يرفعه بإسناده إلى قطرب) (٧٣) . وقد يذكر علي
 بن محمد مكان بعض أصحابنا من غير وصل الإسناد أيضا كقوله : (أخبرنا علي بن محمد
 يرفعه بإسناده إلى قطرب) (٧٤) . وقد ذكر في أول المحتسب رواية كتاب لقطرب في شواد
 القراءات بإسناد هو : (أخبرنا أبو الحسن محمد بن علي بن وكيع عن أبي الحسن أحمد
 بن سعيد بن عبد الله الدمشقي قال : حاثني محمد بن صالح المصري وراق علي بن
 قطرب قال قرأت على أبي محمد) (٧٥) بن المستنير قطرب من سورة النحل إلى آخر

(٦٣) الخصائص : ٣ ، ١٣٢ ، الفسر : ١ ، ١٥١ ، ٢٢٧ ، ٣٦٩.

(٦٤) سر الصناعة : ١ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، الفسر : ١ : ٢٧٤.

(٦٥) سر الصناعة : ١ : ٨٤.

(٦٦) الخصائص : ١ ، ٧٥ ، ٣٨٤ ، المحتب : ١ ، ٣٥ ، ٦٤.

(٦٧) المحتب : ٢ : ١٧.

(٦٨) سر الصناعة (الأزهر) : ٢ : ٣٠٣.

(٦٩) المنصف : ٣ : ٢٥.

(٧٠) نفسه : ٢ : ١٠٥.

(٧١) سر الصناعة : ١ ، ١٢٠ ، ١٢٥ ، الخصائص : ١ ، ٣ ، ١٧٧ ، ١٥ ، المحتب : ١ ، ٤٥ ، ٢٤٤ ، ٧٦ ، ٢٨٤ ، ٢٩٩ ، ٢٩٩.

(٧٢) المنصف : ٢ : ٣٤٧ ، ٣٢٠ ، ٢٠٣ ، ٢٩.

(٧٣) سر الصناعة : ١ : ٢٢٨.

(٧٤) نفسه : ١ : ٢٧٠.

(٧٥) في المحتب : ١ : ١٨٩ قال : أبو الحسن علي بن محمد بن وكيع . . . وذكر الاستناد بإسقاط الوراق . .

(٧٦) لعل الأصل : على أبي علي محمد أو على محمد بن المستنير ، والنون لا يصح غير هذا التصويب .

القرآن ، قال وقرأت على علي بن قطرب من البقرة إلى النحل عن أبيه محمد بن المستير بمصر في سنة تسع وأربعين ومائتين ، قال أبو الحسن الدمشقي : وحدثني أبو بكر العبدى بسر من رأى في سنة سبع وخمسين ومائتين قال سمعت أبا علي محمد بن المستير قطربا يملئه في مدينة السلام فكانت عنه من البقرة إلى سورة مريم ثم قطع الكتاب ، قال : وسمع مني أبو بكر العبدى من سورة مريم إلى آخر الكتاب وسمعت منه من الفاتحة إلى سورة مريم^(٧٧).

وقد أخذ ابن جنی كثیرا من كتاب قطرب هذا عن أبي علي أيضا من طريق الدمشقي هذا قال : (وأخبرنا أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي سماعا مع من قرأ عليه كثيرا من هذا الكتاب وأنا حاضره عن أبي علي الحسن بن محمد بن عثمان الفارسي عن الدمشقي أيضا)^(٧٨).

ومن أخذ منهم أيضا أبو الحسن علي بن عمرو^(٧٩) ، وهو لا يسمى من يأخذ عنه أحيانا اكتفاء بقوله مثلا : (أشدني بعض أصحابنا)^(٨٠) أو (رواه بعض أصحابنا)^(٨١) أو (قرأت على بعض أصحابنا)^(٨٢) ، وقال مرة : (. . . ما أنسده بعض أصحابنا وهو محمد بن حبيب)^(٨٣).

وقد يأخذ عمن سبقة من العلماء من غير أن يذكر إسنادا وذلك كثير كقوله مثلا : (قال أبو زيد)^(٨٤) و(حکی أبو زید . .)^(٨٥) و(حکی سیبویہ)^(٨٦) و(حکی صاحب الكتاب)^(٨٧) و(قال أحمد بن يحيى)^(٨٨) ، و(حکی یونس . .)^(٨٩) و(حکی

.٣٦ : المحتب^(٧٧)

نفسه^(٧٨)

.٨٠ : الخصائص^(٧٩)

.٤٣ ، ٤٢ : التعام ص ١٨٠ ، الخصائص ١ : ٩٦ ، ٩٦ : ٣ ، ١٥٢ ، المتصف ٢ : ٢٢٨ ، المحتب ١ : ١

.٨٩ : ١ : سر الصناعة^(٨٠)

.٥٥ : ٣ : المتصف^(٨١)

.٧٧ : ١ : المحتب^(٨٢) وقد توفى محمد بن حبيب سنة ٢٤٥ هـ.

.٦٩ : ٣ : المتصف^(٨٤)

.١٨٥ : التعام ص^(٨٥)

.٣٥ : ٣ : المتصف^(٨٦) ، التعام ص ١٩٤ .

.٣٣٩ : ٢ : الخصائص^(٨٧)

.١٥٨ : ١ : الفسر^(٨٨)

.١٥٩ : ١ : مسه^(٨٩)

الكسائي)^(٩٠) و(أنشد الأصمعي)^(٩١) و(حكاه سيبويه عن أبي الخطاب)^(٩٢) وغير ذلك من النصوص التي أخذها عن سبقة.

الأخذ من الكتب:

أخذ ابن جني علمه بالدرجة الأولى عن شيوخه، أما الكتب فقد ذكر قراءته عدداً منها عليهم وأغفل ذكر قراءته عدداً آخر وهو ينقل منها، والذي أميل إليه أنه قرأ على شيوخه الكتب التي أخذ منها وإن لم يصرح بذلك، دعاني إلى هذا شدة كلفه بالرواية، وعناية العلماء آنذاك بالأخذ عن الشيوخ والقراءة عليهم، وميلهم إلى أن لا يأخذ العالم من الكتب من غير شيخ، وقد وجدنا بعضهم يطعن في أبي الفرج الأصفهاني لأنه (كان يدخل سوق الوراقين فيشتري شيئاً كثيراً من الصحف فيروي منها)^(٩٣)، وقد أثني ابن جني على المازني بأنه أخذ عن جلة أهل العلم ولم يقل لأنه أخذ من كتاب كذا قال: (فإن أبو عثمان قدوة وحجة وقد أخذ عن جلة أهل العلم كأبي زيد وأبي عبيدة والأصمعي وأبي عمر الجرمي وأبي الحسن الأخفش وغيرهم ومن هو في هذه الطبقة)^(٩٤).

وقد وجدته في كتبه يذكر:

١ - كتبت أو نسخت أو نقلت:

قال: (وكنت وأنا أنسخ «التذكرة» لأبي علي إذا مر بي شيء قد كنت رأيت طرفاً منه أو ألمت به فيما قبل أقول له: قد كنت شارفت هذا الموضوع^(٩٥). وقال: (وأما كتاب «الجمهرة» . . . ولما كتبته وقعت في متونه وحواشيه جمیعاً من التبيه على هذه الموضع ما استحببت من كثرته . . .)^(٩٦)، (ونقلت من خط أبي بكر محمد بن السري وقرأته بعد ذلك على ابن علي عن أبي العباس قال . . .)^(٩٧) (ونسخت من خط أبي بكر محمد بن السري وقرأته على أبي علي قال، قال أبو العباس . . .)^(٩٨).

٢ - رأيت أو وجدت أو قرأت بخط فلان أو في كلام فلان.

قال: (ورأيت هذا الكتاب^(٩٩) بخط أبي العباس محمد بن يزيد فالتمست فيه هذه

(٩٥) الخصائص ١: ٢٠٧.

(٩٠) المنصف ٣: ٢٦.

(٩٦) نفسه ٣: ٢٨٨.

(٩١) نفسه.

(٩٧) سر الصناعة (الأزهري) ١١.

(٩٢) الخصائص ١: ٢٠٢.

(٩٨) نفسه ٢: ١٠٠.

(٩٣) مهذب الأغاني ١: ٧.

(٩٩) يعني كتاب القلب والإبدال لابن السكري.

(٩٤) المنصف ٢: ٣١٠.

اللقطة في باب الهمزة والياء فلم أر لها هناك أثراً^(١٠٠)) قال: (وكذا رأيته بخط أبي العباس محمد بن يزيد رحمة الله)^(١٠١)، وقال: (وجدت بخط أبي علي: قال الفراء لا يلتفت إلى ما رواه البصريون من قولهم إصبع فإنما بحثنا عنها فلم نجدها)^(١٠٢)، (ووجدت بخط أبي علي الفارسي عن الفراء لbin أمهوج، وحكي عن أبي زيد لbin أمهوج، وأفغل في الصفات قليل)^(١٠٣)، وقال: (قد ذكر أبا علي (قرأته بخطه أن الفراء حكى في محنة محنوة)^(١٠٤)) وقال: (وهذه علة في الهمزة كتبت قدি�ماً أنا رأيتها ثم غابت زماناً فرأيت بعض كلام أبي بكر محمد بن السري رحمة الله قد أوردها فيه غير مستدنة إلى غيره، ثم إني رأيتها بعد ذلك في بعض كلام الفراء، فلا أدرى أ أصحاب أبا بكر مع الفراء ما أصحابي أنا من المواردة له أم هو شيء سمعه فحكاه واعتقده)^(١٠٥).

٣ - قرأت على فلان

أ - في كتاب كذا:

قال (.. حكاه أبو زيد فيما قرأته على أبي علي في كتاب الهمز عنه)^(١٠٦)، (قرأت على أبي علي في نوادر أبي زيد)^(١٠٧)، (قرأت على أبي علي في كتاب القلب عن يعقوب)^(١٠٨)، (قرأت على ابن مقس ياسناده عن أبي عمرو الشيباني في نوادره)^(١٠٩)، (وأخذه على أبو علي وقت قراءتي تصريف أبي عثمان عليه)^(١١٠).

ب - في بعض كتب فلان:

قال: (وقرأت على أبي علي في بعض كتب أبي زيد)^(١١١).

ح - من غير ذكر لكتاب أو كاتب أو سند:

قال: (وأما ما قرأته على محمد بن الحسن من قول الآخر ..) (١١٢)، (وقرأت على أبي علي ..)^(١١٣).

٤ - قال فلان أو حكى أو أنسد:

(١٠٧) سر الصناعة ١: ٨٦، المنصف ١: ٢٩.

(١٠٨) المنصف ٢: ١٢١.

(١٠٩) نفسه ٢: ١٨٣.

(١١٠) سر الصناعة ١: ١٨٤.

(١١١) المحتسب ١: ٢٢٤.

(١١٢) سر الصناعة ١: ١٨٥.

(١١٣) نفسه ١: ٢٠٣.

(١٠٠) سر الصناعة ١: ٢٤٤.

(١٠١) المنصف ١: ٢١٦.

(١٠٢) الخلاص ٣: ٢١٢.

(١٠٣) النسر ١: ٤٣.

(١٠٤) المنصف ٣: ٧٢.

(١٠٥) سر الصناعة ١: ٤٧.

(١٠٦) نفسه ١: ٨٢، المنصف ٣: ١١.

أ - في كتاب كذا:

قال: (وقد حكى أبو زيد في كتاب «حيلة ومحالة» مكان مبدل)^(١٤)، وقال: (وهذا الموضع هو الذي دعا أبو العباس أحمد بن يحيى في «كتاب فصيحه» أن أفرد له بابا فقال هذا باب فعل بضم الفاء..^(١٥))، وقد أكثر من الأخذ عن سيبويه مكتفيا بإيراد اسمه أحيانا من غير ذكر للكتاب، أو بذكر الكتاب من غير إيراد اسمه، وقد يقول: قال صاحب الكتاب، ومعلوم أنه ليس سيبويه غير هذا الكتاب، وأن ما ينسب إليه من قول إنما هو مما قاله في كتابه، ولا نعرف أحدا نقل عن سيبويه مسألة من غير الكتاب، وعلى هذا فإن كل ما أخذه عن سيبويه يندرج تحت هذا العنوان سواء ذكر أنه قال في كتابه أم لم يذكر، ولকثرة ما أخذه عنه نكتفي بذكر ثلاثة من النصوص التي وردت في الجزء الأول من المصنفات ونضرب صفحاتاً عنها ورد في كتبه الأخرى إذ غایتنا من ذلك التمثيل لا الحصر: قال: (قال سيبويه: واعلم أن فلت إنما وقعت على أن يمكى بها، وإنما يمكى بعد القول ما كان كلاما لا قوله)^(١٦)، وقال: (قال سيبويه: هذا باب علم ما الكلم من العربية)^(١٧)، وقال: (قال سيبويه: وليس شيء مما يضطرون إليه إلا وهم يحاولون به وجهها)^(١٨).

ب - من غير ذكر لكتاب أو إسناد:

أورد ابن جني أقوالاً وحكايات وإنشاداً لعدد من العلماء المتقدمين من غير أن يذكر الإسناد إليهم أو الكتاب الذي أخذ منه، فمن هؤلاء^(١٩): أبو عبيدة، ثعلب، وأبو زيد، والأصممي، والفراء، والخليل، والمبرد، وقطرب، ويونس، وابن الأعرابي، وابن كيسان، والزجاج، ولا ريب أنه أخذ عنهم وعن غيرهم من العلماء من لم نذكرهم، عن روایة أو كتاب مقتروء على شيخ، إلا أنه لم يصرح بأي واحد من الطريقين، وقد وجدت أنه ذكر كتاباً قليلاً فيها رجعت إليه من كتبه منها:

الأصول لابن السراج^(٢٠)، أمالى ثعلب^(٢١)، البغداديات لأبي علي

(١٤) المصنفات ١: ٩٧.

(١٥) نفسه ٢: ٢١٩.

(١٦) المصنفات ١: ١٨، ١٩.

(١٧) نفسه ١: ٢٥.

(١٨) نفسه ١: ٥٣.

(١٩) انظر بالترتيب: سر الصناعة ١: ١٦، ١٦، ١٦، ٩٧، ١٩، ١٦، ١٠٣، ١١٥، ١٠٦، ١٢٣، ١٣٢، ١٤٠، ٢٦٦، ٣١٢، ٣١٢.

، وانظر فهم وفي غيرهم من العلماء بقية كتب ابن جني المطبوعة المفهرسة في فهارس الاعلام.

(٢٠) المصنفات ٣: ١٩٢.

(٢١) المحتسب ١: ٢٠١.

الفارسي^(١٢٢)، التذكرة لأبي علي أيضاً^(١٢٣)، التصريف للمازني^(١٢٤)، وقد شرحه في كتابه المنصف، الجمهرة لابن دريد^(١٢٥)، الحجة في القراءات لأبي علي الفارسي^(١٢٦)، الخلبيات لأبي علي الفارسي^(١٢٧)، رسالة في الاشتقاق لابن السراج^(١٢٨)، الرجز لثابت بن محمد^(١٢٩)، شرح فصيبح ثعلب لابن درستويه^(١٣٠)، العين للخليل بن أحمد الفراهيدي^(١٣١)، فصيبح ثعلب^(١٣٢)، قراءات السبعة لابن مجاهد^(١٣٣)، القلب والإبدال لابن السكين^(١٣٤)، كتاب ابن مجاهد في ذكر الشواذ من القراءات^(١٣٥)، كتاب أبي حاتم في القراءات^(١٣٦)، كتاب أبي علي في تفسير القرآن^(١٣٧)، كتاب حيلة ومحالة لأبي زيد^(١٣٨)، كتاب سيبويه^(١٣٩)، كتاب قطرب في تفسير القرآن^(١٤٠)، كتاب قطرب في الرد على المحدثين^(١٤١)، كتاب الهمز لأبي زيد^(١٤٢)، معاني القرآن للزجاج^(١٤٣)، معاني القرآن للفراء^(١٤٤)، النوادر لأبي زيد^(١٤٥)، نوادر أبو عمرو الشيباني^(١٤٦).

مشافهة الأعراب:

كان القرآن الكريم الكتاب المدون الوحيد الذي أخذ منه العلماء اللغة إبان تدوينها، وإن كان اعتمادهم على روایته أكثر من تدوينه فيما أكثر ما نجده عندهم من نحو كلمة قرأ فلان كذا، وقرأ فلان كذا، وهذه قراءة فلان، وقرأت على فلان.. وكانت صحف من الحديث النبوى مدونة أيضاً لعدد من الصحابة والتابعين^(١٤٧)، إلا أنهم انقسموا فريقين في الاستشهاد بالحديث كما سيأتي، وفيما سوى ذلك كان الاعتماد على مشافهة الأعراب والأخذ عنهم، والأخذ عنمن شافههم، فكان العلماء يستمعون إلى الشواهد من رواتها معروفة إلى قائلها من أبناء القبائل التي نصوا على الأخذ منها^(١٤٨).

(١٣٦) الخصائص ١ : ٧٥.

(١٣٧) نفسه ٣ : ٢٥٥.

(١٣٨) نفسه ١ : ٩٧.

(١٣٩) سر الصناعة ١ : ١١.

(١٤٠) المحاسب ١ : ٣٦.

(١٤١) الخصائص ٣ : ٢٥٥.

(١٤٢) سر الصناعة ١ : ٨٢.

(١٤٣) المحاسب ١ : ٣٦.

(١٤٤) نفسه.

(١٤٥) سر الصناعة ١ : ٨٦.

(١٤٦) المنصف ٢ : ١٨٣.

(١٤٧) يبحث في تاريخ السنة ص ٢٣٠ وما بعدها.

(١٤٨) المزهر ١ : ١٥١، ٢١١.

(١٤٩) الخصائص ١ : ٣٣١.

(١٤٣) نفسه ١ : ٢٠٧.

(١٤٤) سر الصناعة ١ : ١١١.

(١٤٥) الخصائص ٣ : ٢٨٨.

(١٤٦) المحاسب ١ : ٣٤.

(١٤٧) الخصائص ٣ : ٣٨.

(١٤٨) نفسه ٢ : ١٣٤.

(١٤٩) نفسه ٣ : ٢٢١.

(١٤٠) سر الصناعة (الأزهر) ٢ : ٣٠٧.

(١٤١) الخصائص ٣ : ١٩٧.

(١٤٢) نفسه ٢ : ٢١٩.

(١٤٣) المحاسب ١ : ٣٢.

(١٤٤) سر الصناعة ١ : ٢٤٤.

(١٤٥) المحاسب ١ : ٣٥.

وأضعين في شرطتهم أن يكون الناقل عدلاً ثقة^(١٤٩). ولم يكتفوا بالأخذ من الرواية وإنما رحلوا إلى القبائل في مواضعها وسمعوا من أبنائها ما سمعوه^(١٥٠)، وهم لم يأخذوا من قبائل العرب جميعاً بل سموا قبائل تؤخذ منها اللغة وأخرى فاسدة اللسان لا يجوز الأخذ عنها^(١٥١)، إلا أن هذه القبائل التي ذكرت قد توقف الأخذ عنها عندما دبت الفساد إلى ألسنتها، أما حاضرة الحجاز فقد ذكر الفارابي أنه لم يؤخذ منها لأن أهل اللغة صادفوها حين أرادوا جمع اللغة وقد فسدت أسنن أبنائها^(١٥٢). ومعنى ذلك أن ما أخذ من لغة قريش يتمثل في القرآن الكريم النازل بلغتها^(١٥٣) والشعر إلى فترة جمع اللغة على أيام الخليل وأبي عمرو ويونس وسيبوه. أما القبائل الأخرى التي وصفت بالفصاحة والبعد عن الاختلاط فقد امتد الأخذ عن أبنائها إلى أن ختم يابراهيم بن هرمة كما نقل ثعلب عن الأصممي قال: (ختم الشعر يابراهيم بن هرمة وهو آخر الحجج)^(١٥٤). وقد أخذ ابن جني عن ابن هرمة هذا عن طريق أبي علي^(١٥٥).

وقد ذكر البغدادي^(١٥٦) أن (الكلام الذي يستشهد به نوعان، شعر وغيره، فقبائل الأول قسمه العلماء على طبقات أربع، الطبقة الأولى الشعاء الحاهليون.. والثانية المخضرمون.. والثالثة المتقدمون، ويقال لهم الإسلاميون وهم الذين كانوا في صدر الإسلام كجرير والفرزدق، والرابعة المولدون ويقال لهم المحدثون وهم من بعدهم إلى زماننا ك بشار وأبي نواس، فالطبقتان الأولىان يستشهد بشعرهما إجماعاً، وأما الثالثة فالصحيح صحة الاستشهاد بكلامها... وأما الرابعة فالصحيح أنه لا يستشهد بكلامها مطلقاً... وأما قائل الثاني فهو أما ربنا تبارك وتعالي فكلامه عَزَّ اسمه ا Finch كلام وأبلغه ويجوز الاستشهاد بمذكراته وشاده كما بينه ابن جني في أول كتابه المحتب وآجاد القول فيه... وأما الاستدلال بحديث النبي ﷺ فقد جوزه ابن مالك.. وقد منعه ابن الصنائع وأبو حيان...) ومعنى ذلك أنهم من الناحية النظرية قد أوقفوا الأخذ عن العرب في

(١٤٩) نفسه ١: ٥٨.

(١٥٠) تاريخ علوم اللغة العربية ص ٩١، وانظر في رحلة العلماء تاريخ آداب العرب ٢: ٣٤٤ والاستشهاد باللغة من

.٢١

(١٥١) المزهر ١: ٢١١، ٢١٢.

(١٥٢) نفسه ١: ٢١٢.

(١٥٣) قال في المحتب ١: ٣٤٣: (ماروى عن عمر... وأنزله بلغة قريش فاقرئ الناس بلغة قريش...) وجاء في فضائل القرآن لابن كثير عن عثمان (... فاكتبه بلسان قريش فاما انزل بلسانهم ففعلاً) ص ٤ من مقدمة الجنابي.

(١٥٤) الاقتراح ص ٢٧ وقال عنه محقق قوس الصناعة في هامش ١: ٢٩: (من عحضرمي الدولتين الأموية والعباسية) وقال السامرائي (توفي في أواسط القرن الثاني للهجرة) التحوي ص ١٠٠.

(١٥٥) سر الصناعة ١: ٢٩، المحتب ١: ٣٤٠.

(١٥٦) المزانة ١: ٣، ٤.

الأمصار في منتصف القرن الثاني للهجرة، وقد حدد منتصف القرن الرابع للاستشهاد بعرب الbadia^(١٥٧). أي أنه لم يكن هناك مجال لابن جني لأن يأخذ من عرب الأمصار شفافها فعهد الأخذ عنهم قد مضى قبل زمانه كذلك مضى وقت الأخذ عن أهل الbadia قبل اكتمال نضجه أو كاد كما سيأتي من كلامه، وهو وإن ذكر أنه (لو علم أن أهل مدينة باقون على فصاحتهم.. لوجب الأخذ عنهم) إلا أنه نص على انعدام ذلك في زمانه بقوله: (لو فشا في أهل الوير ما شاع في لغة أهل المدر من اضطراب الألسن وبخابها.. لوجب رفض لغتها.. وعلى ذلك العمل في وقتنا هذا لأننا لا نكاد نرى بدوياناً فصحيحاً وإن نحن آنسنا منه فصاحة في كلامه لم نكاد نعدم ما يفسد ذلك ويقدح فيه..)، وقوله: لا نكاد نرى، يدع الطريق أمامه مفتوحاً ليأخذ كلام أغراي بيثت له الفصاحة كالشجري، أو يسأل أغرايياً فصحيحاً عن الكلمة كما سيأتي أو أن يأنس بكلام بعضهم ليقوى رأياً على رأي كما في قوله: (ومذهب أصلًا أصحابنا أنها لغات.. ومذهب البدائيين.. لأجل حرف الحلق.. ويؤنسني بصحة ما قالوه أني أسمع ذلك فاشيا في لغة عقيل)^(١٥٨)، بيد أنه لا يلبي أن يتبعه إلى مخالفته أصلًا من أصول الاستشهاد فيقول: (غير أن لأصحابنا ألا يقبلوا من اللغة إلا ما رأوا عن فصيح موثوق بعربيته ولست أثبت هذه الفصاحة لمن سمعت منه هذه اللفظة، أعني: نَحْوَه)، وقد رأيناه يأخذ عن الشجري بيثت له الفصاحة وعدم التكلف والبعد عن معرفة الصناعة أو مصطلحاتها فمن ذلك مثلاً قوله: (سألت الشجري يوماً فقلت له: كيف تجمع المحرنجم، فقال: وايش فرقه حتى أجمعه!.. ولم يراغ مذهب أهل الصناعة)^(١٦٠)، وقد كان ابن جني يأنس به ويسأله وأخذ عنده، ونجد اسمه يتردد في أكثر من موضوع في كتبه فهو يقول سألت الشجري^(١٦١)، أو سمعت الشجري^(١٦٢)، أو أنشدني الشجري^(١٦٣)، وقد ذكر اسمه وقبيلته في الخصائص^(١٦٤) قال: (وسألت يوماً أبي عبد الله محمد بن العاص القبلي الجوثي التميمي، قيم جوته، فقلت له...). والشجري هذا على ثقة ابن جني به وأخذته عنه في نفسي شيء من أمره فهو يظهر لابن جني جهلة بالصناعة عندما سأله كيف تجمع المحرنجم كما مرّ، ولكنه ينسى هذا الجهل عندما يسأله في وقت آخر (كيف تجمع دكاناً ف قال دكانين

^(١٥٧) طرق تنمية الألفاظ ص ١١، ١٢، ١٣، وذكر د. محمد عيد في الرواية والاستشهاد ص ٢٢٤، أواخر القرن الرابع في الbadia. وكذلك ذكر الرافعي في تاريخ أدب العرب ٢: ٣٤٥.

^(١٥٨) (الخصائص ٢: ٥).

^(١٥٩) (المختب ١: ٢٣٤).

^(١٦٠) (الخصائص ٢: ٤٦٦).

^(١٦١) (نفسه ١: ٢٥٠).

^(١٦٢) (المبحث من ٦٧).

^(١٦٣) (الخصائص ١: ٧٨).

^(١٦٤) (نفسه ١: ٧٦).

قلت فسرحانًا قال سراحين قلت فقرطانا قال عثمان قال عثمانون فقلت له هلأ قلت أيضًا عثامين، قال: أيش عثامين أرأيت إنساناً يتكلم بما ليس من لغته والله لا أقوها أبداً^(١٦٥)، فهو إذن يعرف جمع الكلمة في الاصطلاح، إلا إذا التمسنا له العذر بأن ابن جني أفهمه مراده في المرة الأولى فحفظه، وعلى آية حال فإن ما أخذه ابن جني عنه وعن غيره من معاصريه من الأعراب لم يكن شيئاً أساسياً لا غنى عنه، وقد نظرت في ذلك بعد أن حضرته، فوجده لا يعدو الاستثناء حين يتحدث عن مسألة في الأصوات أو اللهجات، ولم أجده جعل مما قاله الشجيري أو معاصره قاعدة البتة والمسائل التي أخذها عن الشجري وغيره من معاصريه على وجه الخصر ما يأتي:

١ - الأعراب لا يعرفون الصناعة:

ذكر ابن جني حكاية عن الأخفش^(١٦٦) أنه سأله أعرابياً فأجابه على مقتضى اللغة لا الصناعة ثم قال: (ونحو من ذلك أني سألت الشجيري فقلت كيف تجمع المحرنجم فقال: وايش فرقه حتى أجعنه! وسأله يوماً فقلت كيف تحقر الدملكمك فقال شخخت، ف جاء بالمعنى الذي يعرفه هو ولم يراع مذهب الصناعة)^(١٦٧). فقد ساق هذا تأكيداً لما أورده الأخفش ولو لم يذكره لما أخل بالمراد.

٢ - إنهم يتأملون كلامهم ويعطونه حقه في اللفظ:

يذكر ابن جني أن العرب تتأمل كلامها ومعانيه وعلى ضوء هذا التأمل يكون نطقها وقد استدل على ذلك بروايات^(١٦٨) عن أبي عمرو وسبيوه وأبي العباس، ثم ذكر تأييداً لذلك أنه سأله الشجيري يوماً (يا أبو عبد الله...) أفتقول ضربت أخوك فقال لا أقول أخوك أبداً، قلت فكيف تقول ضربني أخوك فقال كذلك فقلت: ألسنت زعمت أنك لا تقول أخوك أبداً فقال أيش ذا اختلفت جهتا الكلام^(١٦٩). وقد كان ذكر هذه الحكاية^(١٧٠) تأييداً لرواية أبو حاتم فيها تمسك أعرابي بالياء استخفاها وتجنب الواو ورفض تلقين

^(١٦٥) نفسه ١: ٢٤٢.

^(١٦٦) قال: فمن ذلك ما حكاه أبو الحسن: أنه سأله أعرابياً عن تحقر الحباري فقال: حبرور، وهذا جواب من قصد الغرض ولم يعقل باللفظ ألم يفهم غرض أبي الحسن فجاء بالحبرور لاته فرخ الحباري . ولذلك إن هذا الأعرابي تلقى سؤال أبي الحسن بما هو الغرض عند الكافة في مثله ولم يعقل بصاعة الأعراب التي إنما هي لنظرية ولقوم مخصوصين من بين أهل الدنيا جميعاً، وهو من ذلك...).

^(١٦٧) الحصانص ٢: ٤٦٦، وانظر ١: ٧٨، ٢٤١.

^(١٦٨) الحصانص ١: ٢٤٩، ٢٥٠.

^(١٦٩) نفسه ١: ٢٥٠.

^(١٧٠) نفسه ١: ٧٦.

أبي حاتم إيه، ساقها ابن جني مع روايات حاول فيها أن يؤكد أن العرب تتأمل كلامها وتراعي أحواله، ورواية الشجري تأيد لما قرره من تلك الروايات.

وفي موضع آخر^(١٧١) ذكر الأقواء في الشعر وأورد خبر النابغة في داليته المجرورة واعتقاد الأخفش بأن العرب لا تستنكر الأقواء، ثم أورد أقواء للشجري تمسك به على تنبئه ابن جني إيه معتذرا بقصر الصوت^(١٧٢). وفي الموضع نفسه ذكر أنه سأل الشجري عن جمع كلمات فجمعهن جمع تكسير ثم دس له الكلمة عثمانون فقال عثمانون وقد مر النص قبل قليل ثم عقب على ذلك بقوله: (والمروي عنهم في شغفهم بلغتهم وتعظيمهم لها واعتقادهم لأجل الجميل فيها أكثر من أن يورده..).

٣ - جنوحهم إلى الخفة :

في خلال كلامه على جنوحهم إلى الخفة والتماسهم إياها، قال: (وسائل غلاما من آل المهايا فصيحا عن لفظة من كلامه لا يحضرني الآن ذكرها فقلت أكذا أم كذا فقال كذا بالنصب لأنه أخف فجنه إلى الخفة، وعجبت من هذا مع ذكره النصب بهذا اللفظ، وأظنه استعمل هذه اللفظة لأنها مذكورة عندهم في الإنشار الذي يقال له النصب مما يتغنى به الركبان)^(١٧٣)، وانظر كيف تكفل في الاعتذار له عن الكلمة النصب ليستقيم له ما قرره من أن الأعراب لا يعرفون الصناعة، ولست أدرى ماذا كان يضيره لو ذهب إلى احتمال سماع هذا الغلام الكلمة من شيخ في مسجد مثلا.

(١٧١) الخصائص ١ : ٢٤٠ - ٢٤٢

(١٧٢) .. واما ابو الحسن فكان يرى ويعتقد أن العرب لا تستنكر الأقواء ويقول: قلت قصيدة الا وفيها اقواء .. وانشدنا ابو عبدالله الشجري يوما لنفسه شمراً مرفوعاً وهو قوله:

رأي وطنا فانهل بالله غالبة
يزن الذي من نعوهن مناسبه
نظرت بسنجاري كنظرة ذي هوى
لأنس من ابناء سعد طعائنا
يقول فيها يصف البعير:

فقامات اليه خدلة الساق أغلقت
فقلت يا عبد الله انقول دوينة حاجبه مع قولك مناسبه وأشانبه؟ فلم يفهم ما اردت فقال كيف أصنع اليه هنا قضم الخرير على
القرمة على الجرفة وأواما الى انه قلت صدقتك غير انك قلت أشانبه وأغالبه فلم يفهم واعد اعتذاره الاول، فلما طال هذا قلت:
أحسن أن يقول الشاعر:

أنذتنا بسمينا اسماء رب ثاء يمل منه النساء
ومطلط الصوت ومتختنه، ثم يقول بعد ذلك:
ملك المنذر بن ماء السماني.

فاحس جيتن و قال: أهذا، أين هذا من ذلك، إن هذا طويل وذلك قصير فاستروح الى قصر الحركة في حاجبه وانها أقل من
الحرف في اسماء، والسماء) الخصائص ١ : ٢٤٢ .

(١٧٣) الخصائص ١ : ٧٨

٤ - امتحان الفصاحة :

كان ابن جني يمتحن فصاحة الاعراب الذين يتصل بهم شأنه في ذلك شأن من سبقه من العلماء، وقد ذكر (أن الاعرابي الفصيح إذا عدل به عن لغته الفصيحة عافها ولم يأبه بها) (١٧٤)، وذكر امتحانه للشجري وابن عم له دونه في الفصاحة فنجح الشجري في إثبات ما قرره ابن جني للاعرابي الفصيح (سألت مرة الشجري أبا عبد الله ومعه ابن عم له دونه في فصاحتة وكانت اسمه غصنا فقلت لها كيف تحرق حراء فقالا هميرة، قلت سوداء، قالا: سويدة، وواليت من ذلك أحروا وما يحيط بالصواب ثم دستت في ذلك (علباء) فقال غصن (علبياء) وتبعه الشجري فلما هم بفتح الباء تراجع كالذعور ثم قال آه عليبي (١٧٥)، ورام الضمة في الياء).

٥ - بيان معنى الكلمة :

قال: (.. أويت لنفسي أية ، معناها رحتها ورققت لها .. وسألنا الشجري أبا عبد الله يوما عن فرس كانت له فقال هي بالبادية .. قلنا لم ، قال: إنها وجية فأنا آوي لها ، أي أرجحها وأرق لها) (١٧٦)، فنراه هنا بعد أن أورد معنى الكلمة جاء باستعمال الشجري ليؤكّد المعنى الذي ذكره لها. وفي موضع آخر قال: (وأشدّني أبو عبد الله الشجري لنفسه من قصيدة:

ترود ولا ترى فيها أريبا سوى ذي شجّة فيها وحيد

كذا أشدّني هذه القصيدة مقيدة فقلت له ما معنى أريبا؟ فقال: من الرببة (١٧٧). فهو هنا يسأله عن معنى كلمة وردت في شعره فلم يذكر له معناها مباشرة وإنما أحاله على أصلها، وإذا كانت من الرببة فينبغي أن يكون وزنها أفعيل ، ولا أعرفها، ولم يزد ابن جني على أن أوردها من غير إيضاح ، وفي موضع آخر ذكر كلمة للشجري ثم أوضح ما فيها من معنى على سبيل المجاز قال: (وقال لي الشجري في بعض كلامه : القافية رأس البيت .. ، وإنما غرضه فيه أنها أشرف ما فيه) (١٧٨).

(١٧٤) نفسه : ٢ : ٢٦.

(١٧٥) قال سيبويه : ١٠٨ : (واعلم أن كل ما كان على ثلاثة أحرف ولحقته زائدتان فكان معدودا من صرفا فإن تحقيقه كتحضير المعدود الذي هو بعده حروفه مما فيه المهمزة بدلا من نفس الحرف وذلك نحو عليه وحرباء ، تقول: عليبي وحربي ..).

(١٧٦) الخصائص : ١ : ٣٣٨.

(١٧٧) نفسه : ٣ : ٢٨٠ ، ولم أجد الكلمة بهذا المعنى في اللسان (درى ب).

(١٧٨) المحتب : ٢ : ٢٠٩ ، ٢١٠.

٦ - اختلاس الحركة للضرورة:

في باب في الفصيح يجتمع في كلامه لغتان فصاعدا ذكر قول الشماخ:
له زجل كأنه صوت حاد إذا طلب الوسيقة أو زمير
وأشار إلى أن الاختلاس في كأنه ليس لغة إنما هو بسبب الصنعة ثم قال: (وأنشدي
الشجري لنفسه :

وانا ليروعي في المخوف سوامنا كأنه لم يشعر به من يحاربه
فاختلس ما بعد هاء كأنه ومطل ما بعد هاء بهي واحتلاس ذلك ضرورة وصنعة على
ما تقدم به القول)^(١٧٩).

٧ - تداخل الأصول:

يرى ابن جني في باب تداخل الأصول الثلاثية والرباعية والخمسية أن في اللغة من الأفعال
ما يتومم كثير من الناس أن بعضها من أصل بعض وهي في الحقيقة من أصل
غيره ^(١٨٠)، ويذكر لنا عددا من هذه الأفعال منها في تراجم الثلاثي والرباعي (سبط وسبط
وهذا ن أصلان لا حالة ألا ترى أن أحدا لا يدعى زيادة الراء)^(١٨١). ومنها (زرم وأزرم
 وخصل وإنخل) ^(١٨٢)، وبعد أن يتنهى من الكلام على تراجم الثلاثي والرباعي
يعود ليقول: (وأنشدي الشجري لنفسه :

أناف على باقي الجمال ودفتْ بأنوار عشب مخضل عوازبه)^(١٨٣)
ولا يعلق شيئا على قوله وكأنه استغنى بما سبق أن ذكره من أن خصل وإنخل
أصلان.

٨ - استعمال الحروف بعضها مكان بعض :

في باب استعمال الحروف بعضها مكان بعض ذكر أنهما (يقولون إن إلى تكون معنى

(١٧٩) الخصائص ١ : ٣٧١

(١٨٠) نفسه ٢ : ٤٤

(١٨١) نفسه ٢ : ٤٩

(١٨٢) نفسه ٢ : ٥٠

(١٨٣) الخصائص ٢ : ٥٥

مع.. ويقولون تكون الباء بمعنى عن، وعلى.. كقوله: ... وقال طفيل: ... وأنشدني الشجري:

أرمي على شريانة قدّاف تلحق ريش النبل بالأجوف^(١٨٤)

وقد أوضح رأيه في كل ذلك بأنه لا ينبغي أن يكون على إطلاقه وإنما (يكون بمعناه في موضع دون موضع على حسب الأحوال الداعية إليه)^(١٨٥). ولم يعرض للأبيات التي أوردها بشيء، ومنها بيت الشجري.

٩ - تقريب الصوت من الصوت:

في كلامه على تقريب صوت من صوت وإدنائه منه من غير إدغام وهو ما أطلق عليه الإدغام الأصغر قال: (ومن ذلك تقريب الصوت من الصوت مع حروف الخلق نحو شير وبغير ورغيث. وسمعت الشجري غير مرّة يقول: زئير الأسد، يربيد الزئير)^(١٨٦)، فكلمة الشجري يستأنس بها في هذا مع ما ورد عن العرب وذكر قبل.

١٠ - فتح الحرف الخلقي في نحو يعدو:

هذا موضوع تناوله ابن حني في أكثر من موضع وهو في كل ذلك يورد كلاماً للشجري أو لبعض قومه من عقيل، وأخذ بقول البصريين في الخصائص^(١٨٧)، ورجع عنه إلى قول البغداديين في المحتسب حتى قال: (ولا قرابة بيني وبين البصريين لكنها بيني وبين الحق . والحمد لله)^(١٨٨) ، وكان قد نسب هذا القول في موضع سابق للكوفيين وقال : (وما أرى القول من بعد إلا معهم)^(١٨٩) ، ثم عاد ونسب الرأي للبغداديين وتعدد في الأمر وعاد إلى أصحابه ليقول: (غير أن أصحابنا ألا يتقبلوا من اللغة إلا ما رووا عن فصيح موثوق بعربته...)^(١٩٠) ، ثم عاد في الجزء الثاني من الكتاب وقطع بأنه يرى رأى البغداديين قال: (... وقول البغداديين فيه وإن أرى فيه رأيهم لا رأي أصحابنا...)^(١٩١) فقد جعله كلام الشجري والفصحاء من قومهبني عقيل يتحول عن رأي أصحابه في هذه المسألة، وهي مسألة مفردة لا أخت لها عنده، بالقدر الذي اطلعنا عليه من كتبه.

من كل ما مرّ يتبين لنا:

(١٨٨) المحتسب ١: ١٦٧

(١٨٤) نفسه ٢: ٣٠٧

(١٨٩) نفسه ١: ٨٤

(١٨٥) نفسه ٢: ٣٠٨

(١٩٠) نفسه ١: ٢٣٤

(١٨٦) الخصائص ٢: ١٤٣

(١٩١) نفسه ٢: ١٦٦

(١٨٧) نفسه ٢: ٩

١- أن عصر ابن جني لم يكن عصر مشافهة الاعراب والأخذ عنهم عند جمهور العلماء.

٢- انه وضع قاعدة جواز الأخذ عن الاعراب بشرط التثبت من فصاحتة، مما جعله يتحن هؤلاء الاعراب ويتهم إلى أن بعضهم يمكن الاستشهاد بلغته وهو الشجري، وأن آخرين ولم يذكر أسماءهم وهم قليل يمكن أيضاً الاستشهاد بلغتهم.

٣- ان ما أخذته من الشجري ومعاصريه لم يكن على سبيل التعقيد عن طريقه وإنما للاستئناس أو لتأييد قول، الا في مسألة فتح الحرف الخلقي حيث أدى سماعه منهم إلى تحوله في تلك المسألة عن مذهب أصحابه البصريين.

الشاهد وموقفه منها:

القرآن وقراءاته:

أجمع العلماء على أن كلام الله سبحانه في كتابه الكريم هو أعلى نص بلغة العرب، وهو الغاية في البلاغة والفصاحة فجعلوه مدار استشهادهم في كتبهم، ولا نعلم أحداً منهم خالف في ذلك يستشهدون بما ورد منه على السنن الرواية لا فرق في ذلك بين متواتره وشاده^(١٩٢)، وابن جني واحد من هؤلاء العلماء الذين عرفوا للقراءات مقامها، بل إنه أربى على من سبقه بـالـف كتاباً في الاحتجاج للقراءات الشاذة واحتسبه لله تعالى، ومن هنا جاء اسمه (المحتسب في تبيين وجوه شواد القراءات والإياضحة عنها) قال في مقدمته: (.. فسمّاه أهل زماننا شاذًا، أي خارجاً عن قراءة القراء السبعة المقدم ذكرها، إلا أنه مع خروجه عنها نازع بالثقة إلى قراءته محفوف بالرواية من أمامه وورائه، ولعله أو كثيراً منه مساوٍ في الفصاححة للمجتمع عليه... لكن غرضنا منه أن نرى وجه قوة ما يسمى الآن شاذًا، وأنه ضارب في صحة الرواية بجرانه، آخذ من سمت العربية مهلة ميدانه، لثلا يُرى مرئيًّا أن العدول عنه إنما هو غضٌ منه أو تهمة له، ومعاذ الله، وكيف يكون هذا والرواية تنميء إلى رسول الله ﷺ، والله تعالى يقول: (ومَا آتاكُم الرَّسُولُ فَخُذُوهُ) وهذا حكم عام في المعاني والألفاظ...).

الحديث:

لم تتفق كلمة العلماء على الاستشهاد بما روی من حديث رسول الله ﷺ، وقد ذكر

.٤ (١٩٢) الخزانة ١:

.٣٢ (١٩٣) المحتسب ١:

البغدادي^(١٩٤) أن الاستدلال بالحديث جوزه ابن مالك وتبعه الرضي ، ومنعه ابن الصنائع وأبو حيان ، وفي فهرس شواهد سيبويه^(١٩٥) ذكر خمسة احاديث فقط وردت في الكتاب ، ولنت هنا في موضع تصحيف الاستدلال عاروبي عن الرسول ﷺ أو ترك التصحيف^(١٩٦) ، إنما الذي يعنيه هو موقف ابن جني منه ، فأنما لم أجده له كلمة يفهم منها أنه لا يرى صحة الاستدلال بالحديث ، بل إن في الخصائص^(١٩٧) ما يمكن أن يعد تصريحاً بالاستدلال بالحديث ، قال : (وعلى ذلك عامة ما جاء في القرآن وفي حديث النبي ﷺ ومن بعده رضوان الله عليهم وما وردت به الأشعار وفصيح الكلام . . .) ، وقد أورد في كتبه احاديث اربى ما احصيته منها على الثلاثين^(١٩٨) ، وهو عدد يكفي في نظرى للتدليل على أنه يحيى الاستدلال بالحديث ولا سيما اذا ضمننا إليه نص الخصائص الذى ذكرته آنفاً ، ويمكن ان نوزع الاحاديث التي اوردها على قسمين :

١- ما اورده لفائدة غير لغوية :

قد يورد ابن جني الحديث ليستفيد منه في شيء غير اللغة كإيراده حديث نزول القرآن بسبعة احرف^(١٩٩) في القراءات ، وحديث (كان رسول الله يتخلونا بالمعظة)^(٢٠٠) برواية الاعمش ليدلل على أن قراءته برواية كما أن حديثه برواية ، وأنه لا يبعد أن يكون روينا مالم يروى غيره .

٢- ما اورده لفائدة لغوية :

وهو الكثير فمن ذلك مثلاً حديث (عن النبي ﷺ أن قوماً وردوا عليه فقال لهم من أنتم فال قالوا بنو غياث ف قال عليه السلام بل أنتم بنورشان) اورده ليدلل على صحة مذهب

(١٩٤) الخزانة ١: ٤ ، وذكر الاستاذ طه الراوي ان ابن خروف المتوفى سنة ٦٠٩ هـ هو اول من اقدم على الاستشهاد بالحديث وتبعه ابن مالك . انظر : نظرات في اللغة والنحو ص ٢٠ .

(١٩٥) ص ٥٨ - ٥٧ وقد وجدت السادس وهو قوله ﷺ : (ان الله ي نهاكم عن قبل وقال) الكتاب ٢: ٣٥ .

(١٩٦) كتب السيد محمد ضاري حمادي رسالة ماجستير بعنوان : «الحديث الشريف في الدراسات النحوية واللغوية» درس الموضوع مفصلاً ، وبهذا نسخة في مكتبة قسم اللغة العربية بكلية الآداب .

(١٩٧) ٣: ١٦٦ .

(١٩٨) انظر : الخصائص ١: ١٠، ١١، ١٤، ٢٣، ٣٣، ٣٩، ٨٧، ١٨٩، ٢٢٠، ٢٥٠، ٢٨٣، ٣٨٣، ٣٧٢، ٨: ٢، ٣٤٤، ٣٧٢، ٤٤٢، ٢٤٧، ٢٤٦ ، النبي ص ٥٥٩ ، المهجح ص ١٤ ، سر الصناعة ١: ١٤ ، سر الصناعة ١: ٢٤٤ ، ٢٧٠ ، المنصف ١: ١٩٩ ، ١٨٣: ٢، ٢٣٤ ، ١٠٩ ، ١١٦ ، ٦٤ ، ٥٥ ، ١٠ ، المحاسب ١: ٨٦ ، ٨٨ ، ٩١ ، ١٨٦ ، ١٩٥ ، ٢٩٦ ، ٣٤٣ ، ٣٣٤ ، ٣٦١ ، ٣٦٧ ، ٣٣٢ ، ٢٤٦ ، ٢٤١ ، ٢٠٤ ، ١٤٧ ، ١١٨ ، ٤٥ .

(١٩٩) المحاسب ١: ٢٩٦

(٢٠٠) نفسه ١: ٨٦ .

سيبوه في الحكم بزيادة النون مع المضعف كما يحكم بزيادتها مع غير المضعف قال: (وبدل على صحة مذهب سيبوه في أن الألف والنون إذا جاءتا بعد المضاعف كانتا بحالهما وهمما بعد غير المضاعف ما ورد في الخبر...) وأورد الحديث ثم قال: (افلا تراه كيف اشتقت الاسم من الغي والغاية حتى حكم بزيادة النون لانه قابله بضده وهو قوله رشدان وترك ان يشتقه من الغين وهو الباس الغيم .. فصار غيان عنده مع التضعيف الذي فيه منزلة ما لا تضعي فيه من نحو مرجان وسعدان فكما يحكم بزيادة النون في مثل هذا من غير تضعي كذلك حكم بزيادتها مع التضعيـف) ^(٢٠١).

حديث: (إذا سحابة ترهياً) جاء به شاهداً على زيادة الياء في بناء شاذٌ مؤيداً قول أبي علي في أن الممزة أصل، هرباً من القول بزيادتها في غير الأول قال: (وسألت أبي علي عن مثال رهياً فقال فعل لأن الممزة ليست بزائدة...) فكان أبي علي حمله على فعل وإن كان هذا البناء ليس في أبنية الأفعال ولا الأسماء هرباً من زيادة الممزة غير أول، وأنه رأى الياء في رهيا في موضع الواو من جهور وسرول وهذا المثال نظائر في الشذوذ... وجاء في الحديث فإذا سحابة ترهياً فهذا تفصيل والياء فيه زائدة) ^(٢٠٢)، حديث: (الراجع في هبته...) ذكره وهو يتحدث عن مجيء المصدر بمعنى اسم الفعل وهو يفسر قراءة الحسن وأبي الحويرث (ما هذا بشرى) قال: (فوضع المصدر موضع اسم الفعل كقول الله سبحانه: أَجِلْ لَكُمْ صِيدُ الْبَحْرِ)، أي صيده، وكقوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي يَدِأُ الْخَلَقَ ثُمَّ يُعِيدهُ)، أي المخلوق وكقول النبي ﷺ: «الراجع في هبته»، أي موهوه... ^(٢٠٣).

ومن ذلك أيضاً ابراهيم أحاديث يفسر بها كلمة جاءت في قراءة كما في قوله: (ومن ذلك قراءة...) فسوف نصليه ناراً، بفتح النون وسكون الصاد. قال أبو الفتح يروى في الحديث أنه أتى بشاة مصلبة أي مشوية يقال: صلاه يصليه اذا شواه...) ^(٢٠٤). قوله: (...) والذين هادوا...)، وقد هودي الرجل يهادي مهاداة اذا كان حوله من يمسكه ويهديه الطريق ومنه قوله في الحديث مرّينا يهادي بين اثنين) ^(٢٠٥)، وقد يذكر الحديث ليؤيد به قراءة في توجيه اعرابي كما في قوله: (ومن ذلك قراءة أبي سعيد الخدري: وأما الغلام فكان أبواه مومنان، قال أبو الفتح يجوز في الرفع هنا تقديران...)، ومثله قول النبي ﷺ: كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه وينصرانه، إن شئت كان ضمير المولود في كان اسمها...) ^(٢٠٦) ومنه قوله: وأما ابادها من اللام فيروي أن النمر بن تولب قال:

^(٢٠٤) نسخة ١: ١٦٢.

^(٢٠١) المحتسب ١: ٨٨.

^(٢٠٥) نسخة ١: ٩١.

^(٢٠٢) المصنف ١: ١٠٧ - ١٠٩.

^(٢٠٦) نسخة ٢: ٣٣.

^(٢٠٣) المحتسب ١: ٣٤٣.

سمعت رسول الله ﷺ يقول: ليس من امبر امصيام في امسفر^(٢٠٧).
ويبدو لي أنه بعد كل ما قدمناه يمكن أن نقرر باطمئنان أن ابن جنی كان من يرى
صحة الاستدلال بالحديث وأنه استدل به في موضع من كتبه.

كلام العرب وأمثالهم وأشعارهم:

في كلامنا على مشافهة الاعراب ذكرنا أن زمانه لم يكن زمناً أخذ وتلق من الاعراب
وأنه أخذ القليل من الشجري وبعض فصحاء عقيل، وقد أخذ شواهده بالرواية عن طريق
شيوخه مما أوضحتناه في كلامنا في أول هذا الباب، ولست أرى ضرورة لإعادة الكلام على
هذا، وإنما هناك أمر يستحق أن نقف عنده ونحن نتكلّم على شواهده الشعرية ذلك هو
طريقه إلى هذه الشواهد، فقد ذكرنا أنه أخذ علمه ومنه الشواهد من عدد من العلماء منهم
أبو علي ومحمد بن الحسن وأبو الفرج وأبو سهل والسليل وابن الحجاج وغيرهم، إلا أنني
نظرت في عبارته وهو يورد الشاهد فوجده في سر الصناعة^(٢٠٨) لم يقل: أنشدنا أو أنشدنا
إلا إذا كان المنشد أباً على، فإذا كان المنشد غير أبي على اكتفى بقوله أنشد فلان من غير أن
يضيفه إلى نفسه، أما في الخصائص فإنه قل أن يذكر شاهداً بإسناده إنما يوردها مباشرة
كقوله مثلاً: قال العجاج^(٢٠٩)، قال الراجز^(٢١٠)، أنشد أبو الحسن^(٢١١)، وبيت
الكتاب^(٢١٢)، وأنشد ابن الاعرابي^(٢١٣)، إلا أنني وجدته في موضع قال: (أنشدنا أبو
علي)^(٢١٤)، وفي آخر قال: (وأنشدي بعض أصحابنا)^(٢١٥)، وفي المنصف^(٢١٦) التزم ما
ذكرناه في سر الصناعة إلا في ثلاثة مواضع حيث قال: (أنشدني بعض أصحابنا)^(٢١٧)،
و(أنشدنا ابن مقسم)^(٢١٨)، و(أنشدني بعض أشياخنا)^(٢١٩)، والتزمه أيضاً في

(٢٠٧) سر الصناعة (الأزمن) ٢: ١٤٣.

(٢٠٨) انظر: ١، ٤٢، ٤٢، ٨٩، ٨٩، ٩٠، ١١٣، ١١٧، ١١٢، ٢٠٢، ٢٥٦.

٥: ١ (٢١٠)

٦: ١ (٢١١)

٣٤: ١ (٢١٢)

٧٤: ١ (٢١٣)

٢٩٠: ١ (٢١٤)

٧: ١ (٢١٤)

١٥٢: ٣ (٢١٥)

(٢١٦) انظر: ١، ١٤، ٧٢، ٧٢، ١٢٦، ٢٦٢، ٢٩٠، ٢٩٠، ٧٧، ٧٧: ٢، ٢٩٠، ١٤٨، ١١٥، ١١٤، ٧٨، ٧٧

١٧٩، ١٥٣، ١٥٣، ١٥١، ١٥٠، ١٤٨، ١١٥، ١١٤، ٧٨، ٧٧: ٣، ٣٠، ٣١، ١٨٥، ١٨٥

٢٢٨: ٢ (٢١٧)

٥: ٣ (٢١٨)

١٠٥: ٣ (٢١٩)

المحتسب^(٢٢٠) إلا في ثلاثة مواضع حيث قال: (أنشدي بعض أصحابنا)^(٢٢١) و(أنشدونا...)^(٢٢٢).

هذه الظاهرة التي أوردناها تحملنا على أن نقرر، إن سماعه الشواهد الشعرية كان عن طريق أبي علي، وأنه لم يسمع من شواهد الشعر عن غير طريق أبي علي إلا الميسير الذي لا يعتد به، أما الشواهد الشعرية الكثيرة التي نراها في كتبه مما لم يذكر فيها كلمة أنشدي فقد أخذها بالرواية من العلماء الذين ذكرناهم آنفاً وفهم أبو علي، فكأنه خصّ أبي علي بهذه الكلمة لأنه لم يشرك معه أحداً في السماع فإذا اشتراك ابن جني في الأخذ مع غيره أو كان الأخذ من كتاب قراءة على الشيخ أبي علي أو غيره تجنب كلمة أنشدي.

القياس:

عرف العلماء القياس بأنه (حمل غير المقول على المقال إذا كان في معناه)^(٢٢٣)، أي أنك إذا اتبعت سمت كلام العرب في الأبنية والاعراب وإن لم تسمع ذلك منهم كان كلامك من كلامهم لأنك جاء على سنته، فهذا هو القياس وفائدته أنك تحمل ما لم تسمعه عنهم على ما سمعته (وذلك كان يحتاج إلى تكسير الرجز الذي هو العذاب فكنت قائلاً أرجاز قياساً على أحوال وإن لم تسمع أرجازاً)^(٢٢٤)، وفي هذا ما فيه من تخفيف الكلفة عن الناس في تعلم العربية (ومنه ما وجدهو يتدارك بالقياس وتخفيف الكلفة في علمه عن الناس فقتنه وفصلوه)^(٢٢٥)، وقد نقل عن أبي علي أن هذه القوانين إنما وضعت (ليلحق من ليس من أهل اللغة بأهلها ويستوي من ليس بفصيح ومن هو فصيح)^(٢٢٦).

وهذا القصد من القياس يؤيد ما ذهب إليه الدكتور إبراهيم أنيس^(٢٢٧) من أن القياس عند علماء القرنين الأول والثاني كان يراد به وضع الأحكام العامة، أما في القرن الرابع فكان يراد به هذا مع معنى جديد هو إمكان استبطاط شيء جديد في اللغة لم يسمع من العرب قياساً على ما تكلمت به العرب.

(٢٢٠) انظر: ٤١، ٥٧، ٩٧، ١٠٦، ١٠٨، ١٠٩، ١١٨، ١٢٥، ١٣٧، ١٤٣، ١٥١، ١٦٣، ١٨٤، ٢٣٧، ٢٣٣، ٣٢٣، ٣٢٧، ٣٤٠، ٣٥٧، ٣٦٠.

(٢٢١) قال في ١: ٤٢، ٤٣.

(٢٢٢) ٦٠.

(٢٢٣) الأغراض ص ٤٥.

(٢٢٤) الخصائص ٢: ٤١.

(٢٢٥) نفسه ٢: ٤٢.

(٢٢٦) المنصف ١: ٢٧٩.

(٢٢٧) طرق تسمية الألفاظ ص ١٥، ١٦.

وقد وجدنا ابن جنی مولعاً بالقياس كثیر الأخذ به ناصحاً بتأمله (ولا تسرع إلى إعطاء اليد بانتقاض بابه والقياس القياس)^(٢٢٨)، وقد بلغ من عنایته بالقياس وشدة كلفه به أن أبعد قراءة ورد بها سماع وهي قراءة أبي عمرو (يغفر لكم) بادغام الراء في اللام وقال: (هو شيء رواه القراء ولا قوة له في القياس)^(٢٢٩)، وقد بحثت عن هذه الآية^(٢٣٠) في كتابه المحتسب فلم أجده ذكرها أو أشار إليها في مظانها^(٢٣١)، مما جعلني أميل إلى أن رده إياها لم يكن لأنها تختلف القياس حسب، إنما ردها لأنها لم تصله من طريق يطمئن إليه قبل ذلك، ولعل هذا معنى قوله: (فاما قراءة أبي عمرو يغفر لكم بادغام الراء في اللام فمدفع عندنا وغير معروف عند اصحابنا وإنما هو شيء رواه القراء ولا قوة له في القياس).

وهو على شدة ولعه بالقياس نراه يؤكّد حقيقة لغوية مهمة: هي أن اللغة لا يمكن أن تؤخذ كلها بالقياس (ومعاذ الله أن ندعى أن جميع اللغة تستدرك بالأدلة قياساً، لكن ما يمكن ذلك فيه قلنا به وبنهنا عليه)^(٢٣٢). والقياس يكون على ما أكثر استعماله: (فحمله على الأكثر هو القياس)^(٢٣٣). وهذه الكثرة هي الحكم إذا ورد عن العرب سمعان مختلفان مع تصحيح ما ورد عن العرب وكان أقل من غيره (وذلك أن «ماروطاً» أفشى في اللغة من «مرطبي» وكلاهما جائز، والأول الاختيار)^(٢٣٤)، فإذا تعارض السمعان والقياس فقد نص ابن جنی على أنه يلتزم المسموع ويترك القياس في ذلك (الأن سمع يبطل القياس)^(٢٣٥) إلا أنه مع ذلك لم يجعل القياس المخالف للمسموع عديم الفائدة إنما جعله ذخيرة للمحدثين إذا احتاج إليه أحدهم في شعر أو سجع إذ هو من كلام العرب ما دام على قياس كلامهم: (فإن صح عندك أن العرب لم تتطق بقياسك أنت كنت على ما أجعلوا عليه البتة وأعددت ما كان قياسك أداك إليه لشاعر مولد أو لساجع أو لضرورة، لأنه على قياس كلامهم، بذلك وصي أبو الحسن)^(٢٣٦). ولست أرى هنا ضرورة للاتيان بأكثر من ثوذج من قياساته، فالدارس يستطيع أن يجد الكثير منها في كتبه،

(٢٢٨) المصناص ٢ : ٢٢٣.

(٢٢٩) سر الصناعة ١ : ٢٠٦.

(٢٣٠) في المعجم المفهرس (يغفر لكم) ذكرها في: الاختلاف: ٣١، الصف: ١٢، نوح: ٤ (ويغفر لكم) ذكرت في: آل عمران: ٣١، الانفال: ٧٠، الاحزاب: ٧١، الحديدة: ٢٨، التغابن: ١٧.

(٢٣١) كذلك لم أجدها في الكتاب ولا في الحاجة لابن خالويه، ولا في إملاء ما من به الرحمن للعكيري، ولم يذكرها في الهججات العربية في التراث!

(٢٣٢) المصناص ٢ : ٤٣.

(٢٣٣) المصنف ٢ : ٩٥.

(٢٣٤) نفسه ١ : ٣٨.

(٢٣٥) نفسه ١ : ٢٧٩.

(٢٣٦) المصناص ١ : ١٢٦.

إلا أنني سوف أقف عند مسألة قياسية واحدة باللغة ابن جنی فيها وأطال وتكلف ليتهي إلى موافقتها القياس ولکي لا يحملها على الشذوذ وهي تصور لنا مقدار تعلقه بالقياس وكلفة به، وذلك في ما روی من فتح آخر الفعل المضارع بعد «لم» في قول الشاعر^(٢٣٧):

من أيّ يومٍ من الموت أفرِّ أیوم لم يقدر أم يوم قُدِيرٌ^(٢٣٨)

فقد ذكر رأيه فيه مفصلاً في سر الصناعة وأورده في المحتسب^(٢٣٩) باختصار إذ رفض رأى الجمهور فيه وأحال على سر الصناعة، وفي الخصائص^(٢٤٠) ذكر رأيه فيه بتفصيل يخالف في بعض جزئياته ما في سر الصناعة ثم قال: (وقد أكدت قدماً هذا الموضوع في كتابي في سر صناعة الأعراب). والجمهور على أن الشاعر أراد في يقدر النون الخفيفة فحذفها وأبقى ما قبلها مفتوحاً، إلا أن ابن جنی لا يرتضي هذا، فبعض البصريين - كما ذكر ولم يسمه - أنكروا هذا لأن النون الخفيفة لا تخفى إلا لسكون ما بعدها، وما بعدها ه هنا متتحرك فلا وجه لحذفها إذن في القياس. ولذا فقد كان بين أمررين: إما أن يذهب مذهب أصحابه من أنه حذف النون ضرورة وهو خلاف القياس، وإما أن يبحث عن توجيه آخر ينسق مع القياس وإن طالت صنعته، وقد وجدها يختار الطريق الثاني فيكتب في سر الصناعة ما يقابل تسع صفحات من المطبوع^(٢٤١) ليثبت أن الفتحة في يقدر جاءت بسبب مجاورة الراء الساكنة للهمزة المفتوحة لأن (الحركة المجاورة للحرف الساكن كأنها فيه)، واتكأ على سيبويه في تقرير هذا حيث ذكر أنه أجاز في صاد مصباح وقف مقلات الفتح لأنها (قد جاولنا الفتحة التي بعدهما وهم ساكنتان فصارتا كأنهما مفتوحتان فصارا كأنهما صباح وقلات)، والذي في كتاب سيبويه: (٢٤٢) (... ناقة مقلات، والمصباح... لأن حرف الاستعلاء جاء ساكنًا غير مكسور وبعد الفتحة فلما جاء مسكنًا تليه الفتحة صار مبتنله لو كان متتحركًا بعده الألف وصار مبتنلة القاف في قوائم...) ولم يقف حيث وقف سيبويه الذي يفهم من كلامه أن الفتحة المكتسبة من الباء واللام لم تؤد إلى القول بسكونهما، فهي ليست من باب نقل الحركة وإنما من باب تأثر الصوت بالصوت فجاز في مصباح مصباح، وإنما تدعى هذا إلى القول بأن الهمزة صارت ساكنة أي أن الكلمة أصبحت: لم يقدر أم فتقلب الهمزة ألفاً للتخفيف لأنها ساكنة قبلها فتحة فيصير التقدير: لم يقدر أم فيلتقي ساكنان

(٢٣٧) ورد ذلك في نوادر أبي زيد ص ١٣

(٢٣٨) ١: ٨٥

(٢٣٩) ٢: ٣٦٦

(٢٤٠) ٣: ٩٥

(٢٤١) ٨٥ من ص ٩٣ إلى .

(٢٤٢) ٢: ٢٦٥

الألف والميم فتحرّك الألف تخلصاً من النقاء الساكنين فتتقلب همزة لأنّ الألف إذا تحركت قلبت همزة . ومعلوم أن التحرير لالنقاء الساكنين لا يشترط فيه أن يكون بالفتحة أي أن التقدير يكون : لم يقدر أم بـ المهمزة المتحرّكة بـ أية حركة ، ولكنّهم اختاروا الفتحة اتباعاً لحركة الراء فصار لم يقدر أم . وقد أحسن ابن جني بطول هذا الاستدلال من غير أن يرى فيه ما نراه من تكليف^(٢٤٣) ولكنّه رضي بهذه الطول لأنّ رأي الجمهور ساقط في القياس قليل النظير (فهذا وإنّ لطف وطالت صنعته أولى من أن تتحمل الكلمة على حذف نون التوكيد لما فيه من قلة النظير وضعف القياس) .

٢٤٣) الذي في المصانص أن الشاعر : (خفف همزة أم فحدفها وألقى حركتها على راء يقدر فصار تقديره أيام لم يقدر ثم أشيع فتحة الراء فصار تقديره أيام لم يقدر ام فحرّك الألف لالنقاء الساكنين فانقلب همزة فصار تقديره يقتصر أم واحتار المفتحة اتباعاً لفتحة الراء .. وقد ذكرت قدماً هنا ..).

ويظهر تكليفه إذا ما نظرنا إلى صورة المسألة التي عند سيبويه وصورتها عنده في سر الصناعة والمخانص :

١ - سيبويه مصباح ← مصباح : تحرك الصاد ثانياً بحركة الباء وبقيت حركة الباء من غير حذف أو تغيير.

٢ - سر الصناعة : لم يقدر أم ← لم يقدر أم .

٣ - المصانص : لم يقدر أم ← لم يقدر أم .

ولو أنه وقف حيث وقف سيبويه لما أشعل بمراده حيث يتم له تفسير الكلمة بما يوافق القياس من غير حاجة إلى طول وتکلف ، أو لبيانه أخذ بما ذكره اللحّاني في نوادره كما نقل أبو حيّان في البحر : ٤٨٨ من أن النصب بلغة بعض العرب لما وجده حاجة للبحث عن تفسير ، ولكن يبدو أن رأيه في نوادر اللحّاني كان كراي شيخه أبي علي الذي لم يكن راضياً عنها كما مر .

الفصل الثالث

جهود سابقيه في الدراسات الصوتية واللهمجية

الأصوات واللهمجات والقراءات المتأثرة بها يمكن أن نجدتها في عدد من الفنون مما كان العلماء قد ألفوا فيها قبل ابن جني وأهمها:
المعجمات اللغوية، النحو والصرف، اللغة والتوادر، لغات القرآن، القراءات
والمعاني، دواوين القبائل.

المعجمات اللغوية:

من أبرز المعجمات التي ذكرها العلماء مما كان قد كتب قبل ابن جني^(١): العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٠ هـ) والجمهرة لابن دريد (٣٢١ هـ) والبارع في اللغة لاسماعيل بن القاسم القالي (٣٥٦ هـ) والتهذيب للأزهري (٣٧٠ هـ) والمحيط للصاحب بن عباد (٣٨٥ هـ).

أما ابن دريد فقد أهل ترتيب الحروف على المخارج الذي ابتكره الخليل وتمسك بالترتيب الألفي وأما القالي فقد أغفل ما فعله ابن دريد وعاد إلى طريقه الخليل في الترتيب وإن خالقه في مخارج الحروف حيث ترك ترتيب الخليل إلى ترتيب سبيويه مع شيء يسير من الخلاف . وعلى مدرسة الخليل أيضا جاء التهذيب والمحيط .

وسوف نقف عند كتاب العين للخليل لأنه أقدم المعجمات اللغوية تأليفا على ما قبل في صحة نسبته إلى الخليل.

كتاب العين:

أول كتاب في المعجمات ورد فيه حديث عن الأصوات واللهمجات هو كتاب العين،

(١) انظر المجمع العربي ص ٢٨٨، ٣٠٥، ٣٣٢، ٣٧٠.

إلا أنه لا بد لنا من أن نقف وقفة قصيرة عند نسبة الكتاب للخليل.

فقد تولى محمد الجزء الأول منه^(٢) مناقشة الآراء المشككة في نسبة الكتاب للخليل وانتهى إلى القول: (وبعد أن عرضنا لكل تلك الآراء نجد أنفسنا مقتنعين بصحة نسبة الكتاب للخليل بن أحمد. ولكننا مع هذا لا ننفي مجاهد الليث فيه كُلية إذ هو الراوي الأول للكتاب، بل ومخرجه أيضاً، وليس الاعتراف بمجاهد الليث يعني نسبة الكتاب إليه). ومع أن المحقق الفاضل قد وجد نفسه مقتنعاً بصحة نسبة الكتاب للخليل إلا أنني على قراءتي لمناقشاته لرأي العلماء لم أجده نفسي مقتنعاً بما اقتنعني به ولعل مرد ذلك إلى أن الزبيدي (٥٣٧٩) الذي اختصر الكتاب ذكر أشياء لا زرها في نسخ الكتاب المخطوطة التي ظهرت فجأة في العراق ويعود أقدمها إلى سنة ١٠٥٤ هـ مما يجعلنا نميل إلى أن بعض الأيدي قد عملت في الكتاب وغيرها. فالزبيدي يقول^(٣): (ومن الدليل على صحة ما ذكرناه أن جميع ما وقع فيه من معاني التحو إغا هو على مذهب الكوفيين وبخلاف مذهب البصريين فمن ذلك ما بدأ الكتاب به وبني عليه من مخارج الحروف في تقديمها وتأخيرها وهو على خلاف ما ذكره سيبويه عن الخليل في كتابه... وكذلك ما مضى عليه الكتاب كله من إدخال الرباعي المضاعف في باب الثلاثي المضاعف وهو مذهب الكوفيين، وعلى ذلك استمر الكتاب من أوله إلى آخره... ولو أن الكتاب للخليل لما أugeze ولا أشكل عليه تنقيف الثنائي الخفيف من الصحيح والمائل والثنائي المضاعف من المعتل والثلاثي المعتل بعلتين. ولما جعل ذلك كله في باب سماء اللثيف فأدخل بعضه في بعض وخلط فيه خلطاً... وقد نقل محقق العين هذا النص ثم قال: (ولكننا إذا تبعنا ترتيب الحروف الهجائية - الصوتية - في العين وفي المختصر وجدهما متفقاً، فكيف نفهم أن الزبيدي يعترض على الترتيب ثم يبني عليه كتابه)^(٤). ثم قال: (إذا قارنا ما قاله الزبيدي بما هو واقع فعلاً في كتاب العين نجد أنفسنا في حيرة بالغة فإن العين لم يخلط الثلاثي المعتل باللثيف... فما معنى هذا؟ هل معناه أن الزبيدي ينافق نفسه أم أن هذا يعني أن تلك الرواية مختلفة من أساسها شأن غيرها من الروايات التي تذكر من وقت لآخر في المزهر دون تحقيق أو تحيص، لعله من الأسلم أننا لا نتحامل على الزبيدي وننسب له التناقض ونكتفي فقط بنظرية اختلاف الرواية وعلى ذلك ينجلي الموقف)^(٥)، ولست هنا في معرض الدفاع عن المزهر ولكن الحق أن السيوطي قد ذكر في أول نقله لهذا الكلام أنه من كتاب للزبيدي. ويدو أنه شاهده إذ وصفه بأنه لطيف ونقل

(٢) د. عبد الله درويش: العين ج ١ المقدمة من ص ٦ - ٤٠.

(٣) المزهر ١ : ٨٥.

(٤) مقدمة العين ص ٢٠.

(٥) المصدر نفسه ص ٢١.

منه في المزهر ما استهلك ثمانى صفحات من المطبوع^(٦) بدأه بقوله : (وقال أبو بكر محمد بن حسن الزبيدي اللغوي مؤلف مختصر العين في أول كتابه - استدراك الغلط الواقع في كتاب العين - وهو مجلد لطيف . . .)^(٧). وختمه بقوله : (. . ليقوم لنا العذر فيما نزهنا الخليل عنه . انتهى كلام الزبيدي في صدر كتاب الاستدراك)^(٨).

والثقة بالسيوطى مع هذا النقل الطويل من الكتاب تمنع القول باختلاف الرواية . أما ما ذكره المحقق من أن كتاب الاستدراك للزبيدي (لا علاقة له بالعين وإنما هو استدراك على أبنية سيبوبيه)^(٩) فإن هذا لا يعني أن الزبيدي لم يؤلف استدراكا آخر على العين غير استدراكه على سيبوبيه ، والقدمة التي نقلها السيوطى من الكتاب قاطعة بوجوده وبأنه ليس الاستدراك على سيبوبيه إذ نحن لا نجد شيئا منها في هذا الكتاب^(١٠) مما يجعلنا نقطع بأنها من كتاب مستقل هو الذي رأه السيوطى ووصفه بأنه مجلد لطيف ، فإذا صح هذا لم يقتضي أمامنا إلا أن نقول أن زوال التناقض الذى ذكره الزبيدي في العين كان بسبب امتداد بعض أيادي العلماء إليه بالتصحيح . وعلى هذا يبقى رأى الزبيدي هو المقنع وهو : (أن الكتاب لا يصح له ولا يثبت عنه فقد كان جلة البصريين الذين أخذوا عن أصحابه وحملوا علمه عن رواهه ينکرون هذا الكتاب ويدفعونه إذ لم يرد إلا عن رجل واحد غير مشهور في أصحابه ، وأكبرظن أن الخليل سبب أصله ورما ثقيف كلام العرب فيه ثم هلك قبل كماله ، فتعاطى إقامه من لا يقوم في ذلك مقامه فكان ذلك سبب الخلل الواقع به والخطأ الموجود فيه)^(١١) . وهذا هو مذهب ابن جني في كتابه العين ومذهب شيخه أبي علي الفارسي ، قال ابن جني : (وأما عياهم فحاكيه صاحب العين وهو مجھول ، وذاكرت أبا علي رحمه الله يوما بهذا الكتاب فأساء نثاء ، فقلت له أن تصنيفه أصح وأمثل من تصنيف الجمهرة ، فقال : الساعة لو صنف إنسان لغة بالتركية تصنيفها جيدا وكانت تعتمد عربية لجودة تصنيفها ، أو كلاما هذا نحوه)^(١٢) . فالكتاب إذن على أنه كتاب لغة وتصنيفه خير من تصنيف الجمهرة إلا أنه ليس موفقا لأن صاحبه مجھول . فما ينسبه للعرب قد لا يكون صحيح النسبة إليها ، فهو كتاب لغة بغير العربية قد نرى فيه شيئا من حسن التصنيف ولكننا لا نأخذ منه في لغتنا ، وينبئ

(٦) المصدر نفسه ص ٧٩ - ٧٦ من ج ١.

(٧) المزهر ١ : ٧٩.

(٨) المصدر نفسه ١ : ٨٦.

(٩) مقدمة العين ص ٢١.

(١٠) انظر الاستدراك على سيبوبيه المقدمة ص ١ ، ٢ .

(١١) مختصر العين ص ٨.

(١٢) الخصائص ٣ : ١٩٧ وانظر سر الصناعة (الأزهر) ٢ : ٣٠٦ .

على هذا أن ابن جني لم يأخذ من كتاب العين لهذا وكيف يأخذ من كتاب جعله شيخه ككتاب لغة بالتركية، أما عمل الخليل في الكتاب فإن رأي ابن جني فيه يتفق مع رأي الزبيدي إذ يقول : (وأما كتاب العين فيه من التخليل والخلل والفساد ما لا يجوز أن يحمل على أصغر اتباع الخليل فضلا عن نفسه ولا م حالة أن هذا تخليل لحق هذا الكتاب من قبل غيره رحمة الله ، وإن كان للخليل فيه عمل فإنما هو أنه أوما إلى عمل هذا الكتاب إيماء ولم يله بنفسه ولا قرره ولا حرره . . . وذاكرت به يوماً أبا علي رحمة فرأيته منكرا له . . .) (١٣)

وسواء أكان رأي ابن جني وشيخه الفارسي في كتاب العين صحيحا أم فيه نظر (١٤) فإنه لا يتصور أن يأخذ منه ما دام هذا رأيه فيه ، فأما ما ورد في كتبه من ذكر للخليل وأرائه فإنما كان مما أخذه عن الشيوخ . ونحن على ما قاله ابن جني في الكتاب نرى أنه يمثل مرحلة من مراحل الدراسات الصوتية واللهجية قبله ، فعلى أنه ليس للخليل كما يرى أبو الفتح إلا أنه لرجل مجھول بعد الخليل وقبل ابن جني وهذا يعني أن العلم الذي فيه أسبق مما جاء في كتب أبي الفتح وإنما ذكرنا رأيه فيه لنتهي إلى أنه لم يأخذ منه لا أن ما فيه مخالف للغة العربية ، وأما ما ذكرناه عن الزبيدي والاستنتاج الذي خرجنا به من أن أيدي العلماء قد تناولت الكتاب بالتصحيح فإنه أمر لا يمس مادة الكتاب وإنما يتناول تبويبه وترتيبه . وعلى هذا فسوف نذكر شيئاً مما ورد فيه مما يعد تقدماً زمنياً على ابن جني في تناول الأصوات واللهجات .

ذكر في أول الكتاب صفات الحروف ومخارجها وعددًا من القوانيين الصوتية المتعلقة بها (١٥) ، وقد ترجع عندنا الشك في ترتيبها كما قدمتنا ولذا فسوف نعتمد في إثبات رأي الخليل على ما ورد في كتاب سيبويه وقد أخذ الدكتور إبراهيم أنيس اختلاف المصطلحات الصوتية بين العين والكتاب دليلاً على الشك في نسبة الكتاب للخليل (على الأقل على الصورة التي انحدرت إلينا) (١٦) . ولكننا نقول هنا أن مؤلف العين قام بمحاولة لبيان مخارج الحروف العربية وبيان صفاتها ولا ندرى على وجه اليقين كيف رتبها وبنم وصفها بعد أن وصلتنا وقد دخلها التغير اللهم إلا إذا عثرنا على نسخة خطية يعود تاريخها إلى زمن ابن جني

(١٣) المصالص : ٢٨٨.

(١٤) مال الدكتور نصار في المجمع العربي إلى رأي ثعلب وهو أن الخليل رسمه ولم يجده وحشانه قوم علماء ولم يؤخذ عنهم رواية وإنما نقله الوراقون فلذلك وقع الخلل في الكتاب . ص ٢٦٥ .
وتحجب الدكتور المخزومي الخوض في المسألة نفاديًا لطول البحث ثم ذكر ما أجمعوا عليه من أن طريقة الكتاب من عمل الخليل . انظر الخليل بن أحد ص ١٥٥ وذكر الدكتور عبد الله درويش أن اللغويين العرب متفرقون (على أن التنظيم الرئيس لكتاب العين من وضع الخليل نفسه) انظر المعاجم العربية ص ٤ .

(١٥) العين ١ : ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٥ ، ٦٦ .

(١٦) الأصوات اللغوية ص ١٠٨ .

والزبيدي لترى ما ذكره مما ورد في الكتاب من خلط أو ما ذكره الزبيدي من اختلاف في ترتيب مخارج الحروف . وفي الكتاب ذكر لعدد من المسائل الصوتية واللهجية والقراءات ، فمن المسائل الصوتية التي وردت فيه ما ذكره من إيدال الصاد سينا وعلاقة ذلك بتقديمها على القاف أو تأخرها من غير أن يبين لنا صلة هذا الإيدال بالقاف نفسها قال : (ولا تجوز السين في الكلمة التي جاءت القاف فيها قبل الصاد إلا أن تكون الكلمة سينية لا لغة فيها للصاد) ^(١٧) . وقال : (كل صاد قبل القاف إن شئت جعلتها سينا ، لا تبالي متصلة كانت بالقاف أو منفصلة ، بعد أن تكوننا في كلمة واحدة ، إلا أن الصاد في بعض الأحيان أحسن والسين في مواطن أخرى أجود) ^(١٨) ومن ذلك أيضا قوله : (الميم الموت الوحي ... وبالغين خطأ لأن الماء لا تجتمع مع العين في كلمة واحدة) ^(١٩) ولم يبين سبب ذلك مع أن العين والغين كلاهما من حروف الحلق وكان قد ذكر في أول كتابه (أن العين لا تائف مع الماء في كلمة واحدة لقرب مخرجيهما) ^(٢٠) .

وما ورد فيه من اللهجات عنعنة تميم وكشكشة ربيعة ، وهو وإن لم يصرح بأن هذه اللهجات مستقبحة - كما وصفها العلماء بأخره - إلا أنه وصف تاركها بالفصاحة ومفهومه أن مرتكبها أقل فصاحة قال : (من ترك عنعنة تميم وكشكشة ربيعة فهم الفصحاء ، أما تميم فإنهما يجعلون بدل الممزة العين قال شاعرهم :

إن الفؤاد على الذلفاء قد كمدا وحبها موشك عن يصدع الكبد
وربيعة تجعل مكان الفاء (كذا) شيئا قال :
تضحك مني أن رأني احترش ولو حرشت لكشفت عن حرش
ويقال بل يقولون عليكش وبكش ، ويقال بل يبدلون في كل ذلك) ^(٢١) .

وقوله (مكان الفاء شيئا) غير صحيح ولعله من تصحيف الناسخ والصواب مكان الكاف . وقد ذكر البيت في اللسان مادة (حرش) نقلًا عن الأزهرى وأشار إلى إيدال الكاف شيئا ولم يذكر لغة من هي ، وفي مادة (كشن) ذكره وقال : (الكشكشة لغة لربيعة وفي الصحاح بني أسد .. وفي حديث معاوية تيسروا عن كشكشة تميم ...) ^(٢٢) ، ومن ذكره

(١٧) العين ١٤٧.

(١٨) العين ١٤٨/١

(١٩) المصدر نفسه ١٢٨/١

(٢٠) المصدر نفسه ١: ٦٨

(٢١) المصدر نفسه ١: ١٠٤

(٢٢) اللسان ٨: ٢٣٣ - ٢٣٤ . وانظر الاختلاف في نسبة الكشكشة .

اللهجات أيضاً قوله: (ولغة هذيل في تعرُّج وتعكُّف تعرُّج وتعكُّف لأنهم مولعون بالكس)^(٢٣) وقوله: (العنك: الباب بلغة اليمن)^(٢٤)، ومن القراءات قوله: (والقطع طائفة من الليل... ويجوز قطع فهما لغتان وفي التنزيل: قطعاً من الليل مظلماً، وقرء قطعاً)^(٢٥) ولم ينسب للغتين.

ال نحو والصرف :

ما كتب في هذين العلمين قبل ابن جنِي على قسمين قسم حوى النحو والصرف مرة واحدة واشتهر بأنه من كتب النحو كما في كتاب سيبويه وقسم انفرد بدراسة التصريف كما في كتاب التصريف للمازني.

كتب النحو :

وهي كتب لم تكن حالية من التصريف قال ابن جنِي: (لا تكاد تجد كتاباً في النحو إلا والتصريف في آخره)^(٢٦) وأقدم ما وصلنا منها كتاب سيبويه، وإن ذكر العلماء أشياء كتب قبله إلا أنه لم يصلنا منها شيء، ويرى بعضهم أنه ينبغي أن يؤرخ للنحو من طبقة عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي (١٧٧ هـ) وعيسي بن عمر (١٤٩ هـ) وأبي عمرو بن العلاء (١٥٧ هـ) لأنها الطبقة التي قامت الدلائل على أن رجالها كانوا يتناولون بالدرس مسائل نحوية^(٢٧)، وقد ذكروا أن عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي كتب في النحو واعتنى بالقياس^(٢٨) ولم يذكروا له كتاباً، وأن عيسى بن عمر كانت له كتب كثيرة في النحو منها الأكمال والجامع ولكنها ذهبت جميعها كما زعموا في آفة اتت عليها عند موسى^(٢٩)، وقد ذكر المبرد أنه رأى شيئاً من الكتابين المذكورين والكلام فيه كالإشارة إلى الأصول^(٣٠)، وذكر السيرافي أنها لم يقع لها وأنه لم ير أحداً ذكر أنه رآها^(٣١)، أما الخليل فهو (أول من فتق معاني النحو وضبط اصوله وبسط فروعه واستخرج عللها وأسبابها.. ولكنه ترفع عن التأليف فيه لأنه منهل كثر وارده^(٣٢)). أما بعد سيبويه فقد كتب في النحو كثيرون وكلهم على كتاب سيبويه عيال كما قال الجاحظ^(٣٣)، فهذا كتاب المقتضب للمبرد على أنه كما يرى محققته (أول كتاب عالج مسائل النحو والصرف بالأسلوب الواضح والعبارة المبسطة)^(٣٤)، إلا

(٢٣) ابن الأرقم الرواة: ٢ : ٣٤٧.

(٢٤) العين ١ : ٢٥٨.

(٢٥) الم الدر نفسه: ١ : ٢٢١.

(٢٦) المصدر نفسه: ١ : ١٥٨.

(٢٧) أخبار النحوين المصريين ص ٣٢.

(٢٨) المنصف ١ : ٤.

(٢٨) تاريخ علوم اللغة ص ١٨٥.

(٢٩) عقري من البصرة ص ٧٥.

(٣٠) ابن الأرقم الرواة للقطني: ٢ : ٣٥١.

(٣١) النحو المهجي ص ٢٦.

(٣١) مقدمة المقتضب ص ٦٦.

أن تأثير الكتاب فيه كان كبيراً فقد (تغلغل تأثير سيبويه في أعماق المقتضب)^(٣٥)، وقال عنه في موضع آخر: (وقد الف البرد كتابه المقتضب على نظام كتاب سيبويه جامعاً للنحو والصرف^(٣٦)، أما الأصول في النحو لابن السراج فقد قال عنه محققته أنه (أخذ مسائل سيبويه ورتبتها أحسن ترتيب)^(٣٧)، وأنه (نظر في رفاق سيبويه وعول على مسائل الأخفش والكوفيين وخالف أصول البصريين في مسائل كثيرة)^(٣٨)، وهذا يعني أن وقوفنا عند كتاب سيبويه يعني وقوفنا عند جهرة المسائل الواردة في المقتضب والأصول وغيرها من كتب النحو المتأخرة عنه.

الكتاب لسيبوه:

كتاب سيبويه وإن قيل فيه أنه قرآن النحو^(٣٩)، وإن من اراد أن يعمل كتاباً كبيراً في النحو بعده فليستحي^(٤٠)، إلا أنه مع ذلك يحمل في طياته مادة ليست بالقليلة من اللهجات^(٤١) والمقاييس بينها، والقراءات وإيضاح بعضها^(٤٢)، أما الأصوات^(٤٣)، فإن دراسته إليها تعد بحق من أصح الدراسات المتقدمة وهي مصدر أساس من المصادر التي اعتمد عليها ابن جني في بحثه كما سيأتي.

لقد ذكر سيبويه اللهجات في مواطن عدة من كتابه، وتناول المقاييس بينها والاستدلال لها في أكثر من موضع فمن ذلك مثلاً كلامه على ما الحجازية والتيممية والاستدلال لها والمقاييس بينها وقد جعل التيممية هي القياس^(٤٤)، وكذلك فعل في كلامه على قول العرب مررت بزيد فيقول الحجازيون: من زيد (واما بنو تميم فيرفعونه على كل حال وهو أقيس القولين)^(٤٥)، وفي باب المضاعف والاختلاف العرب فيه^(٤٦)، ذكر لغة الحجاز في فك

(٣٥) المصدر نفسه ص ٨٨.

(٣٦) المعني في تصريف الأفعال ص ٧.

(٣٧) مقدمة الأصول ص ٢١.

(٣٨) مقدمة الأصول ص ٢١ وانظر معجم الأدباء ج ٧، ص ١٠.

(٣٩) مراتب النحويين ص ٦٥.

(٤٠) الفهرست ص ٨٣.

(٤١) انظر في اللهجات مثلاً ١: ٢٨، ٣٦، ٦٢، ١٢٣، ١١٥، ٢٧٥، ٢٧٠، ٢٦٢، ٢٥٨، ١٤٦، ٧٢، ٤٧١، ٤٦٤، ٤٤٨، ٤٢٦، ٤٢٢.

٤١٧، ٤٠٤، ٣٦٢، ٤٠٣.

(٤٢) انظر في القراءات مثلاً ١: ١٦٣، ٢٥٢، ٢٥٥، ٢٥٩، ٢٧٢، ٢٦٧-٢٥٩، ٢٧٢، ٢٧٠، ٢٧٥، ٢٧٠، ٢٦٢، ٢٥٨، ١٤٦، ٧٢، ٤٧١، ٤٦٤، ٤٤٨، ٤٢٦، ٤٢٢.

(٤٣) انظر في الأصوات مثلاً ٢: ٣٥٧-٣٥٥، ٣٥٨، ٢٩١-٢٨١، ٢٧٢، ٢٦٧-٢٥٩، ٢٥٥، ٢٥٢، ١٦٣.

٤٣٠-٣٥٨، ٤٣٠.

(٤٤) ١: ٢٨.

(٤٥) ١: ٤٠٣.

(٤٦) ٢: ١٥٨.

الادغام في الامر والمضارع المنجزم، وبقاء تميم على الادغام واستدلل لكل من اللغتين، وفي موضع آخر^(٤٧) ، ذكر الكشكشة ومثل لها ونسبها لتميم واسد وعلل استعمال العرب تلك اللغة، ولم يصفها بالقبع أو الضعف بل إنه يمكن أن يفهم من كلامه أنها أشد وضوحاً من لغة عامة العرب: (فاما ناس كثير من تميم وناس من أسد فإنهم يجعلون مكان الكاف للمؤنث الشين وذلك لأنهم ارادوا البيان في الوقف لأنها ساكنة في الوقف فارادوا أن يفصلوا بين المذكر والمؤنث وارادوا التحقيق والتوكيد في الفصل لأنهم إذا فصلوا بين المذكر والمؤنث بحرف كان أقوى من أن يفصلوا بحركة . . .) وذكر إبدال الكاف سيناً مع المؤنث أيضاً وعلل ذلك، ولم يسم اللهجة أو ينسبها إلى أحد^(٤٨) ، وفي موضع آخر^(٤٩) ، ذكر إبدال (الجيم من الياء المشددة في الوقف نحو علّج وعوْفَج يريدون على وعوْفَي) ولم يذكر لغة من هي، وقد بحث في حركة احرف المضارعة في لغات العرب^(٥٠) ، ذاكراً الذين يفتحون والذين يكسرؤون ومتى يفعلون هذا وهو من أنفس البحث في هذا الموضوع وقد قصر عنه كثير من جاءه من بعده وحاول أن يبحث فيه^(٥١) .

أما القراءات فنحن نجد ذكرها مبثوثاً في كتابه في مواضع متفرقة فمن ذلك استشهاده بقراءة ابن مسعود قوى بها ما نقل عن العرب من جواز رفع الاسم الذي حقه النصب في بعض المواضع قال: (هذا باب ما يجوز فيه الرفع مما يتتصب في المعرفة وذلك قوله: هذا عبد الله منطلق حدثنا بذلك يونس وأبو الخطاب عمن يوثق به من العرب . . . وزعموا أنها في قراءة ابن مسعود: وهذا بعلي شيخ)^(٥٢) .

ومنه أيضاً ما جاء عن العرب من النصب بأن مخففة من الثقيلة حيث استدل بقراءة أهل المدينة قال: (وحدثنا من ثق به أنه سمع من العرب من يقول: أنْ عمراً منطلق، وأهل المدينة يقرأون: وانْ كلا لـما ليوفينهم ربكم أعمالهم، يخففون ويتصبون.)^(٥٣) . أما ما يمكن أن ندرجها تحت الدراسات الصوتية فإن كتاب سيبويه يمكن أن يعد بحث من خيرة المصادر القديمة التي تناولت الأصوات، بل إنه أكثر المصادر تأثيراً في دراسة ابن جني، ظهر لنا ذلك واضحاً من خلال قراءتنا ما كتب ابن جني في الأصوات وما كان سيبويه

. ٢٩٥ : ٢ (٤٧)

. ٢٩٦ ، ٢٩٥ : ٢ (٤٨)

. ٣١٤ : ٢ (٤٩)

. ٢٥٦ : ٢ (٥٠)

(٥١) انظر مثلاً المحتسب ١: ٣٣٠ ، الصحبي ص ١٩ ، البيان في غريب اعراب القرآن ١: ٣٨ وانظر من المحدثين في اللهجات ص ١٢٩ ، اللهجات العربية في القراءات القرآنية ص ١١٤ ، دراسات في فقه اللغة ص ٧٣.

. ٢٥٨ : ١ (٥٢)

. ٢٨٣ : ١ (٥٣)

قد كتبه، ودراسة سببواه الصوتية وان كانت مثبتة في كتابه بجزأيه إلا ان الجزء الثاني منه ضم أهم الدراسات تلك بصورة مفصلة وافية فقد تناول الحروف وخارجها وصفاتها وأدغامها وأبدالها لمناسبة الصوت^(٥٤)، وتحدث عن تحقيق الهمزة وتسهيلاها وهمة بين بين^(٥٥)، وعن الاملة واحكامها واحوالها^(٥٦)، وعن الاعمال والابدال والتلليل الصوتي له^(٥٧)، إلى غير ذلك من البحوث الصوتية التي لا غنى للباحث عن الرجوع إليها.

كتب الصرف المفردة:

كتب عدد من العلماء كتاباً مفردة في الصرف^(٥٨)، ومن الذين تقدموا ابن جني:

- ١ - علي بن المبارك الاحمر الكوفي (١٩٤ هـ).
- ٢ - بكير بن محمد بن بقية المازني (٢٤٩ هـ) وقد شرح ابن جني كتابه ووسم الشرح بالمنصف.
- ٣ - محمد بن يزيد المبرد (٢٨٦ هـ).
- ٤ - محمد بن أحمد بن كيسان (٢٩٩ هـ).
- ٥ - أحمد بن سهل أبو زيد البليخي (٣٢٢ هـ).
- ٦ - أحمد بن محمد ابو جعفر الطبرى كان بيغداد سنة ٣٠٤ هـ.
- ٧ - أبو علي الفارسي (٣٧٧ هـ).
- ٨ - علي بن عيسى الرمانى (٣٨٤ هـ).

ونحن لا نشك في أن ابن جني قد أفاد ما تقدمه من كتب التصريف إلا أن اعلاماً اثراً كان كتاب المازني، ويكتفى أن نعلم من أهمية الكتاب وأثره فيه أن كان الأساس الذي بني عليه دراسته الصوتية في المنصف ولم نجد له كتاباً في التصريف يدارنه.

اللغة والنوادر:

من اوائل من ينسب اليهم كتاب في اللغة يونس بن حبيب (١٨٢ هـ) ثم أبو عمرو إسحاق بن مرار الشيباني (٢٠٦ هـ) صاحب كتاب الجيم الذي رمى فيه (إلى تدوين

(٥٤) ٢ : ٤٣٠ - ٤٠٤ .

(٥٥) ٢ : ١٦٣ - ١٧٣ .

(٥٦) ٢ : ٢٥٩ - ٢٦٧ .

(٥٧) ٢ : ٣٥٨ - ٤٠٤ .

(٥٨) استقر اهتمام الاستاذ عصبيه في المغني في تصريف الاعمال ص ٩، ١٣ من طبقات المغررين والتحوين للزبيدي ومحمد الادباء ليقوت وبigne الوعاة للسيوطى.

الالفاظ الغربية من لغات القبائل)^(٥٩)، وقد أعنى باللغات عنابة فائقة (فالكتاب ذخيرة للغات القبائل المختلفة... . ويفوق كتاب الجيم من هذا الجانب جميع المعاجم التي بين أيدينا إذ أن إشاراتها إلى لغات القبائل قليلة متناثرة)^(٦٠). ومن الف في اللغات^(٦١)، الفراء (٢٠٧ هـ) وأبو عبيدة (٢١٠ هـ) والاصمعي (٢١٥ هـ) وابوزيد (٢١٥ هـ) وعمرو بن أبي عمرو الشيباني (٢٣١ هـ)، وابن دريد (٣٢١ هـ)، الذي ألف كتاباً في اللغات، وكتب في آخر الجمهرة بحثاً طويلاً فيها. وهذه الكتب جميعاً ما عدا كتاب الجيم وما كتبه ابن دريد في آخر الجمهرة لم تصلينا. ولم أجد ابن جني يشير إلى واحد منها ولا نقل نصاً من أي منها. وما يمكن أن يوجد في كتب اللغات الكثير من أبواب الجزء الأول من اصلاح المنطق لابن السكikt (٢١٦ هـ)، وبعض أبواب الجزء الثاني)^(٦٢). أما كتب النوادر فقد كانت تتناول شيئاً من اللغات غير المعروفة ولذا لا يمكن التفرقة بينها وبين كتب اللغات^(٦٣)، وقد ذكر في المعجم العربي^(٦٤)، فريقاً من الذين كتبوا في النوادر منهم: أبو عمرو بن العلاء (١٥٧ هـ)، والقاسم بن معن الكوفي (١٧٥ هـ) ويونس بن حبيب (١٨٢ هـ)، والكسائي (١٩٨ هـ)، وأبو محمد يحيى بن المبارك اليزيدي (٢٠٢ هـ)، وقطرب (٢٠٦ هـ)، وأبو عمرو الشيباني (٢٠٧ هـ)، وأبو عبيدة (٢١٥ هـ)، والاصمعي (٢١٥ هـ)، وابوزيد (٢١٥ هـ)، والاخفش سعيد بن مسعده (٢١٥ هـ)، وغيرهم. وقد ذكر أن السيوطي أورد في المؤهر فقرات من كتاب لتأج الدين بن مكتوم متطرق من كتاب يونس تدل على أنه كان يوازن بين لغتي الحجاز وتقييم، وأورد عدة اقتباسات من كتاب اليزيدي تدل على أنه كان شديد العناية فيه باللغات وأنه كان يوازن بينها ويرجع أحياناً^(٦٥). وسوف نقف عند كتاب اصلاح المنطق لابن السكikt والنوادر لأبي زيد، لأن ابن جني كان كثير الرواية عن الرجلين فلا بد أن يكون قد أخذ غير قليل مما ورد فيها عن شيوخه وكذلك فإن نوادر أبي زيد أقدم كتاب في النوادر وصلينا^(٦٦).

(٥٩) المعجم العربي ص ٧٩.

(٦٠) المصدر نفسه ص ٨١.

(٦١) انظر في كتب اللغات الفهرست: ص ٦٩، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٩٨، ١٠٦، وكشف الظنون ص ١٤٥٤ وذيل كشف الظنون ٢: ٣٢٦، ٣٢٥، آناء الرواة ١: ٢٢٦ كتاب أبي عمرو الشيباني في اللغات وقد رجح في اللهجات العربية في التراث ص ١٠٨ أنه كتاب الجيم.

(٦٢) المعجم العربي ص ٨٣.

(٦٣) المصدر نفسه ص ١٤٥.

(٦٤) المصدر نفسه ص ١٢٣.

(٦٥) المعجم العربي ص ١٣٥.

(٦٦) المصدر نفسه ص ١٣٦.

اصلاح المنطق لابن السكيت:

وهو من كتب اللغة التي أكثر العلماء من العناية بها ولم أجده ابن جني يشير اليه ولا يبعد أن يكون قد أخذ منه روایة إذ كثيراً ما يذكر الأخذ عن ابن السكيت عن طريق الروایة كما قدمنا. وقد حاول ابن السكيت في هذا الكتاب أن يعالج اللحن في الكلام فضمنه (ابواباً) يمكن بها ضبط جمهور من لغة العرب وذلك بذكر الالفاظ المتفقة في الوزن الواحد مع اختلاف المعنى، أو المختلفة فيه مع اتفاق المعنى وما فيه لغتان أو أكثر، وما يعل ويصحح، وما يهمز ولا يهمز، وما يشدد..^(٦٧).

وفي الكتاب ذكر لعدد من القراءات القرآنية. واللهجات المعززة إلى قبائلها^(٦٨)، وغير المعززة أكثر.

فمن ذكر القراءات ليدعم بها ما نقل عن العرب من لغة قوله^(٦٩): (والقصر ايضاً اصول النخل والشجر وقرأ بعض القراء: أنها ترمي بشرر كالقصر)، وقد يستفيد من القراءة لتأكيد معنى لغوي للفظة ذكرها قال: (والقبضة اصغر من القبضة وهو التناول باطراف الاصابع، وقرأ بعض القراء: فقبضت قبضة من أثر الرسول)^(٧٠).

وقد يذكر القراءة لا ليؤكد معنى قاله وإنما للذكر ما يخالفه قال^(٧١)، في باب فعل وفعل بالاتفاق معنى (.. وقرىء: أن يمسكم قرح، وقرح، أكثر القراء على فتح القاف. قال وقرأ أصحاب عبد الله قرح، قال: وكأن القرح ألم الجراحات أي وجعها وكان القرح الجراحات باعيانها.).

وقد يذكر القراءة شاهداً على مجيء لغتين بمعنى واحد كقوله^(٧٢): (وهو الدرك والدرك، وقرأت القراء بهما جميعاً في الدرك الأسفل من النار، وفي الدرك الأسفل) وقوله^(٧٣): (حرج وحرج وبكل قرأت القراء: يجعل صدره ضيقاً حرجاً، وحرجاً).

(٦٧) اصلاح المنطق المقدمة ص ١٢.

(٦٨) من ذلك مثلاً. حمير ص ٢٢، عقيل ص ١٠٥، قيس وغيم ص ١١٥، أهل اليمامة وكلب ص ١١٧، أهل الحجاز ص ١٢١، أهل العالية وبنو أسد ص ١٣٦، كلاب ص ١٧٩، بنو عامر ص ١٧٩، ازد شنوة ص ٣٤٢، طيء ص ٣٥٧.

(٦٩) ص ٤١.

(٧٠) ص ٧٥.

(٧١) ص ٩٠.

(٧٢) ص ٩٧.

(٧٣) ص ١٠٠ وانظر ص ١٠٧، ١١٦، ١٣٦.

وقد يذكر القراءة شاهدا على اختلاف المعنى لاختلاف الحركة في الكلمة كقوله^(٧٤):
 (النار ذات الوقود، وقرىء الوقود، فالوقود بالضم الاتقاد... والوقود الخطب)...

أما اللهجات فقد أكثر من ذكرها في الكتاب، وإننا نستطيع أن نقول إن الكتاب في جملته مجموعة لهجات، وقد عقد أبوابا لما جاء بهجهتين غير أنه كان يذكر اللغة أحيانا معززة إلى أهلها من غير وصف كقوله في باب فعلٍ وفعلٍ باتفاق معنى: (قال أبو عبيدة تميم من أهل نجد، يقولون نهي للغدير، وغيرهم يقولون نهي... وقال يونس أهل العالية يقولون الوتر في العدد والوتر في الذحل، وتميم يقول الوتر في العدد وفي الذحل... ويقال الصرع لغة قيس والصرع لغة تميم وكلاهما مصدر صرعت)^(٧٥).

وقد يذكر اللغة معززة لبيان أن القبيلة الواحدة قد يختلف أهلها في اللغة قال^(٧٦):
 (وحضري اعرابيان من بني كلاب فقال أحدهما: إنفحة، وقال الآخر: منفحة، ثم افترقا على أن يسألأ جماعة من الأشياخ من بني كلاب فاتفق جماعة على قول ذا، وجماعة على قول ذا، وهما لغتان).

وقد يذكر اللغة غير معززة مع وصف ما كان يصفها بأنها: قليلة: (.. وختر قليلة في كلامهم)^(٧٧). أو رديئة: (هو الحوار لولد الناقة، والحوار لغة رديئة)^(٧٨)، أو لغية: (.. والكسر لغة)^(٧٩)، وقد يصف إحدى لغتين بأنها أفحص: (وتقول هلم يا رجل وكذلك للاثنين والجمع والمؤنث، موحد قال الله عز وجل: قل هلم شهداءكم، وقال: والقائلين لإخوانهم هلم إلينا، ولغة أخرى يقال للاثنين هلما وللجمع هلموا وللمرأة هلمي وللاثنين هلما وللجمع هلمن، والأولى أفحص)^(٨٠).

وقد يصفها بأنها الفصيحة: (وتقول: هي اللبوة، فهذه اللغة الفصيحة ولبوة: لغة)^(٨١)، و(مسست الشيء أمسه مسا ومسيسا، فهذه اللغة الفصيحة، قال أبو عبيدة مسست أمس: لغة)^(٨٢).

وقد يسمى اللعنين ويصف إحداهما بأنها الفصيحة كقوله: (يقال: ضللت يا فلان فأنت تضل... فهذه لغة أهل نجد وهي الفصيحة، وأهل العالية: ضللت أضل)^(٨٣).

^(٧٤) ص ٣٣٢.

^(٧٥) ص ٣٠ - ٣١.

^(٧٦) ص ١٧٥ - ١٧٦.

^(٧٧) ص ٢٠٧.

^(٧٨) ص ١٦٦ - ١٦٧.

^(٧٩) ص ٢٠٦ - ٢٠٧.

النواود في اللغة لأبي زيد:

النسخة المطبوعة من النواود نسخة نفيسة وهي برواية علي بن سليمان الأخفش الصغير (٤١٥هـ) من طريقين^(٨٤): الأولى عن البرد عن التوزي عن السجستاني عن أبي زيد، والثانية عن السكري عن الرياشي والسجستاني عن أبي زيد، والذي يزيد في نفاستها أنها كتبت بقلم علم من أعلام العربية هو ابن منظور صاحب لسان العرب فقد جاء في آخرها: (فرغ من تعليقه عبد الله محمد بن المكرم بن أبي الحسن بن أحمد الأنصاري الخزرجي الكاتب عفا الله عنه بالمعزية القاهرة حماها الله بكرمه وصانها...)^(٨٥).

وقد تصرف الأخفش الصغير بنسخة النواود هذه بأن دخل عليها زيادات وتعليقات وشروحًا من عنده ونقلًا عن شيوخه، وهي من الكثرة بحيث يمكننا القول إن الكتاب يصح تسميته بحاشية الأخفش الصغير على نواود أبي زيد^(٨٦)، ومع ذلك فسوف نقف عنده لأن علي بن سليمان سابق لابن جني فيما ورد من تعليقاته وتعقيباته وإضافاته يدخل في الجهد الذي سبق ابن جني، وكذلك ما أورده الأخفش الصغير عن شيوخه كالسكري وأبي حاتم وغيرهما.

والنواود مجموعة من شعر القصيد واللغات والرجز وقد نقل عن أبي زيد أنه قال^(٨٧):
ما كان فيه من شعر القصيد فهو سعدي من المفضل بن محمد الضبي ، وما كان من لغات وأبواب الرجز فذلك سعدي من العرب .

وهذه النواود من شعر ولغات أوردها لأن فيها ما يحتاج للوقوف عنده، كشرح كلمة غريبة، أو إعراب، أو تفسير لغة، أو بيان اختلاف اللغات، أو ضبط بعض العبارات مما ورد عن العرب، وخلال ذلك كان يشير أحيانا إلى أن هذه لغة بني فلان، أو أنها لغة، من غير أن يعزوها، وقد يصف اللغة بالشذوذ، أو القلة، أو القبح. فمن ذكره اللغات منسوبة من غير وصف قوله: (وقال المفضل: وأنشدني أبو الغول لبعض أهل اليمن:

أَيَّ قَلْوَصَ رَاكِبُ تِرَاهَا طَارُوا عَلَيْهِنَّ فَشَلَّ عَلَاهَا
وَاسْدُّ بَهْتَنِيْ حَقِّبُ حَقْوَاهَا نَاجِيَّ وَنَاجِيَا أَبَاهَا

(٨٤) ص ١.

(٨٥) ص ٢٦٢

(٨٦) أو لعله هو المراد بقول البغدادي : (اما النواود فهي نواود أبي زيد الأنصاري وشرحها لأبي الحسن الأخفش ولغيره)

المزانة ١: ١٠ .

(٨٧) النواود ص ١.

القلوص مؤنثة، وعلها: أراد عليها، ولغة بني الحارث بن كعب قلب الياء الساكنة إذا افتح ما قبلها الفاء، يقولون: أخذت الدرهان واشترت ثوبان، والسلام علام، وهذه الأبيات على لغتهم...^(٨٨).

والذي نعلم من كتب النحو أن لغة بلحارث إلزم المثنى ألف من غير ذكر العلاقة ذلك بفتح الياء^(٨٩)، ولو كان الأمر كما ذكر لقال: طاروا علاهن بدل عليهن، وقد ذكر البيتين في موضع آخر^(٩٠) وفيهما: عليهم، أيضاً.

ومن ذلك أيضاً ذكره إبدال الياء جيماً في لغة اليمن من غير ذكر لقبعها، قال: (وقال المفضل وأشندني أبو الغول هذه الأبيات لبعض أهل اليمن:

يا ربَّ إِنْ كُنْتَ قَبْلَتِ حِجَّةَ فَلَا يَزَالُ شَاحِجُ يَأْتِيكَ بِحُجَّ أَقْمُرُ نَهَّاتٍ يَنْزِي وَفَرِّيجَ

أراد حجتي ووفقي، وبعji أراد بي...^(٩١)، ومن ذلك قوله^(٩٢): (قال أبو زيد تميم تقول سماء البيت وقيس تقول بني سماوة البيت) و(قال الكلابيون...)^(٩٣) (وفي كلام بني تميم...)^(٩٤)، (وقال القرشيون...)^(٩٥)، (وقال العنبريون...)^(٩٦).

ومن ذكره اللغة من غير نسبة أو وصف قوله: (ومن لغة هذا الراجز أن يبني أمس على الكس)^(٩٧)، (وقوم من العرب يؤخرون الهمزة في رأي ونأى فيقولون راء وناء)^(٩٨)، (... أهلة: ي يريد أقلية، وهي لغة)^(٩٩)، (مسئياً: أراد مسيئاً فقدم الهمزة وهي لغة)^(١٠٠).

ومن تفضيلة اللغة على لغة بناء على الشهرة ووصفه إليها بالفصاحة أو الجودة قوله: ... ومهرت المرأة هي المشهورة الفصيحة، قال: وأمهرت لغة. وليس في جودة الأولى... قال: وكذلك زفت المرأة هي اللغة الجيدة وأزفت لغة)^(١٠١).

ومن وصفه اللغة بالشذوذ والقلة قوله: (... وقد جاء يحيى وهي شاذة قليلة، يقول

.١٧١ (٩٥)

.٥٨ (٨٨)

.٢٥٤ (٩٦)

.٧٩ (٨٩) انظر مثلاً الصisan على الأشموني ١: ١

.١٢ (٩٧)

.١٦٤ (٩٠)

.٤٠ (٩٨)

.١٦٤ (٩١)

.٤٥ (٩٩)

.٢٥٣ (٩٢)

.٧١ (١٠٠)

.٨٦ (٩٣)

.٢٠٨ (١٠١)

.١٧٠ (٩٤)

بعضهم حيث كما يقول الآخرون محوت^(١٠٢).

ومن ذكره القراءات على قلة ذلك قوله: ... وعلى هذاقرأة من قرأ: في فئتين فئة
تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة...^(١٠٣).

وما يتصل بالأصوات كلامه على قلب الواو تاء^(١٠٤) في مثل ا تعد، والت خمة،
والتكلان وإيدال التاء من السين ووصف ذلك بالقبح في قول علبة بن أرقم^(١٠٥):
(يا قبّح الله بني السعلات عمرو بن يربوع شرار النّاس
غير اعفاء ولا اكيات

النّاس: أراد الناس، وأكيات: أراد أكياس، قال أبو الحسن: هذا من قبيح البدل
 وإنما أبدل التاء من السين لأن في السين صغيراً فاستقله فأبدل منها التاء وهو من قبيح
الضرورة). ومنه أيضاً منعه الجمع بين همزتين فيها نقله الأخفش الصغير عن أبي حاتم
السجستاني: (. والجرائئ بهمزتين محققتين، قال أبو حاتم: واجتماع المهزتين غير مأمور
به ولا مفاجع)^(١٠٦).

كتب لغات القرآن:

وهي كتب تبحث في لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم وقراءاته، ويندو أنها
كانت (تجه إلى الناحية اللغوية والنحوية والصرفية)^(١٠٧)، ولم يصلنا منها أي كتاب مؤلف
قبل ابن جنی سوی الكتاب المسند لابن عباس ولا نعرف فترة تأليفه، ولم أجده فيها كتبه أية
إشارة إلى واحد منها، أو أية نص من نصوصها. وقد ذكر في الفهرست^(١٠٨) (الكتب المؤلفة في
لغات القرآن: كتاب لغات القرآن للفراء، كتاب لغات القرآن لأبي زيد كتاب لغات القرآن
للأصمعي، كتاب لغات القرآن للهيثم بن عدي، كتاب لغات القرآن لمحمد بن يحيى
القطبي). كتاب لغات القرآن لابن دريد - لم يتم).

وقد نشر الدكتور صلاح الدين المنجد (كتاب اللغات في القرآن) زعم مؤلفه أنه
مسند إلى ابن عباس ولم يذكر ذلك السنّد وإنما وضع مع العنوان عبارة: أخبر به اسماعيل
بن عمرو المقرئ^(?) عن عبد الله بن الحسين بن حسون المقرئ^(?) ياسناده إلى ابن

٢٥٩) ص ٢٠٩ (١٠٢)

(١٠٧) اللهجات العربية في التراث ص ٤٧.

٥٩) ص ٣ (١٠٤)

٢٠٩) ص ١١ (١٠٣)

٣) ص ١١ (١٠٤)

١٠٤) ص ٣ (١٠٥)

عباس والكتاب كما قال محققه (يدلنا على أن القرآن قد أخذ من ألفاظ قريش بأوفر نصيب...)^(١٠٤).

وقد أحصى عدد الألفاظ التي وردت فيه لكل قبيلة فكان نصيب قريش ١٠٤، وهذيل ٤٥، وكنانة ٣٦، وحرث ٢٣، وجرهم ٢١، وتيم وقيس عيلان ١٣ وقبائل أخرى بلغت اثنين وعشرين قبيلة ترددت ألفاظها بين لفظة واحدة وستة ألفاظ^(١٠٥).

كتب القراءات والمعاني:

ذكر ابن جني في أول كتابه المحتسب أنه أفاد من كتاب أبي حاتم السجستاني في القراءات وكذلك من كتاب أبي علي محمد بن المستير قطربي (غير أن كتاب أبي حاتم أجمع من كتاب قطربي لذلك من حيث كان مقصوراً على ذكر القراءات، عارياً من الإسهاب في التعليل والاستشهادات التي انحيط قطربي فيها وتناهي إلى متبعه غاياته)^(١١١)، وكذلك ذكر أنه أفاد من معاني القرآن للقراء ومعاني القرآن للزجاج، وذكر اعتماده على ما كتب ابن مجاهد في الشواذ وأثنى عليه ووثقه (نتحي فيه على كتاب أبي بكر أحد بن موسى بن مجاهد رحمة الله الذي وضعه لذكر الشواذ من القراءة، إذ كان مرسوماً به معنى الأرجاء عليه، وإذا هو أثبت من كثير من الشواذ المحكية عنمن ليست له روایته، ولا توفيقه، ولا هدایته)^(١١٢).

وقد ذكر أن الذين سبقوه من كتبوا في القراءات كانوا قد اكتفوا بذكر القراءة الشاذة من غير أن يحتاجوا لها (وكان من مضى من أصحابنا يضعوا للحجاج كتاباً فيه، ولا أولوه طرفاً من القول عليه وإنما ذكروه مروياً مسلماً بجماعاً أو متفرقـاً، وربما اعتزموا الحرف منه فقالوا القول المقنع فيه، فاما أن يفردوا له كتاباً مقصوراً عليه، أو يتجردوا للانتصار له ويوضحوا أسراره وعلله فلا نعلمهم)^(١١٣). ثم ذكر كتاب الحجة لأبي علي الفارسي وقال عنه (فإن أبا علي رحمة الله عمل كتاب الحجة في القراءات فتجاوز فيه قدر حاجة القراء إلى ما يحفو عنه كثير من العلماء)^(١١٤). ومعلوم أن كتاب الفارسي لم يكن في القراءات الشاذة.

ولم تكن هذه الكتب التي ذكرها ابن جني هي التي انفردت وحدتها بموضوع القراءات ومعاني القرآن، فقد ألف العلماء قبله عدداً من الكتب تناولت الموضوع بالبحث منها:

١ - كتاب القراءات لأبي عبيد القاسم بن سلام (٢٤٢هـ) قال عنه في كشف

(١١٢) نسخة ١: ٣٥.

(١١٩) اللغات في القرآن ص ٥ المقدمة.

(١١٣) المحتسب ١: ٣٣ - ٣٤.

(١١٠) نسخة من ٦، ٧.

(١١٤) نسخة ١: ٣٤.

(١١١) المحتسب ١: ٣٦.

الظنون أنه أول ما صنف من الكتب المعتبرة في هذا الباب، وقد جمع خمسة وعشرين قارئاً مع السبعة.

- ٢ - كتاب القراءات لأبي حاتم سهل بن محمد السجستاني (٤٢٤٨هـ).
- ٣ - كتاب القراءات الخمس لأحمد بن جبير بن محمد الكوفي نزيل انطاكية (٤٥٨هـ) قال عنه في الكشف^(١١٥): جمع كتاباً في القراءات الخمس من كل مصر واحد.
- ٤ - القراءات للقاضي إسماعيل بن إسحاق المالكي صاحب قالون (٢٨٢هـ) قال عنه: إنه ألف كتاباً في القراءات جمع فيه قراءات عشرين إماماً منهم السبعة.
- ٥ - كتاب الشواذ^(١١٦) لأبي العباس أحمد بن يحيى المعروف بثعلب التحوي (٢٩١هـ) ولثعلب كتاب آخر في القراءات^(١١٧).
- ٦ - الجامع لأبي جعفر محمد بن جرير الطبرى (٣١٠هـ) فيه نيف وعشرون قراءة^(١١٨).
- ٧ - القراءات لأبي بكر محمد بن أحمد بن عمر الداجوني (٣٢٤هـ) قال عنه^(١١٩) جمع كتاباً في القراءات وأدخل معهم أبا جعفر أحد العشرة.
- ٨ - كتاب القراءات السبع^(١٢٠) لابن مجاهد (٣٢٤هـ) وهو أول من سبع القراءة.
- ٩ - كتاب الشواذ في القراءات لابن مجاهد أيضاً^(١٢١).
- ١٠ - المعجم الكبير، والصغير والأوسط. في قراءات القرآن وأسمائه لأبي بكر محمد ابن الحسن النقاش الموصلى^(١٢٢) (٣٥١هـ).
- ١١ - كتاب ابن خالويه حسين بن عبد الله النحوى^(١٢٣) (٣٧٠هـ)، ولعله كتاب الحجة في القراءات السبع^(١٢٤).
- ١٢ - كتاب الحجة لأبي علي الفارسي^(١٢٥) (٣٧٧هـ).

وأثرت الوقوف عند كتاب أبي علي هذا لأنه شيخ ابن جني وفيه أخذ الفارسي عن

(١١٥) انظر ص ١٤٤٩.

(١١٦) كشف الظنون ص ١٤٣١.

(١١٧) نفسه ص ١٤٤٩.

(١١٨) نفسه ص ١٤٤٨.

(١١٩) نفسه ص ١٤٣١ وقال عنه: (شرح أبو الفتح عثمان بن جني وسماه المحتسب!).

(١٢٠) نفسه ص ١٧٣٧.

(١٢١) نفسه ص ١٤٤٩.

(١٢٢) طبع بتحقيق د. عبد العال مكرم سنة ١٩٧١.

(١٢٣) الكشف ص ١٤٤٨ وقد طبع بتحقيق علي النجدي وصاحبها.

شيخه ابن مجاهد ونقل نصوصا من شيخه ابن السراج في أول الكتاب. وفيه احتجاج أبي علي وابن السراج للقراءات باللهجات وفادتها من الأصوات في ذلك أيضا:

الحججة في علل القراءات السبع:

يجد قارئ هذا الكتاب صدق كلمة ابن جنبي فيه من أن أبا علي قد (تجاوز) فيه قدر حاجة القراء إلى ما يجهلو عنه كثير من العلماء^(١٢٤). والكتاب كما ذكر الفارسي مبني على ما كان شيخه ابن مجاهد قد ذكره في كتابه (المترجم) بمعرفة قراءات أهل الأمصار والمحجاز وال伊拉克 والشام بعد أن نقدم ذكر كل حرف من ذلك على حسب ما رواه وأخذناه عنه^(١٢٥). وأشار الفارسي إلى أن شيخه ابن السراج كان قد (شرع في تفسير) صدر من ذلك في كتاب كان ابتدأ بإيمانه وارتفع منه تبییض ما في سورة البقرة من وجوه الاختلاف عنهم، وأنا أنسد إليه ما فسر من ذلك في كتابي هذا^(١٢٦).

وقد وجده ينقل الكلام عن ابن السراج في أول كل حرف فيه قراءات بادئاً إيهاب بكلمة قال أبو بكر محمد بن السري، أو بكلمة قال أبو بكر، ثم يورد آرائه ويختتم الكلام بقوله: انتهت الحكاية عن أبي بكر، ثم يبدأ بذكر حججه هو واستدللاته، وووجدت أن آخر ما أخذته بهذه الطريقة عن ابن السراج كلامه على قوله تعالى: فيه هدى^(١٢٧)، وعندما جاء إلى الآية التي بعدها مما فيه اختلاف في القراءة وهي قوله تعالى: الذين يؤمّنون بالغيب^(١٢٨) لم يقدم كلاماً لابن السراج كما كان يفعل قبل ذلك.

ويمكن أن نرى انتفاع ابن السراج في الاحتجاج للقراءات باللهجات والاصوات في الصفحات التي نقلها عنه أبو علي. فمن احتجاجه باللهجات قوله في قراءة: سراط (للقاريء بالسين) أن يقول هو أصل الكلمة ولو لزم لغة من يجعلها صاداً مع الطاء لم يعلم ما أصلها^(١٢٩).

وقوله: (هي القراءة القديمة ولغة قريش وأهل المحجاز ومن حوطهم من فصحاء اليمن).^(١٣٠)

ومن إحتجاجه بالأصوات قوله: (ويقول من يقرأ بالصاد إنها أخف على اللسان لأن الصاد حرف مطبق كالطاء فيتقاربان وتحسانان في السمع، والسين حرف مهموس فهو أبعد

(١٢٧) الحجة للفارسي ص ١٦٠.

(١٢٤) المختب ١: ٣٤.

(١٢٨) نفسه ١: ٣٦.

(١٢٥) الحجة للفارسي ١: ٤.

(١٢٩) نفسه ١: ٤٥.

(١٢٦) نفسه ص ١٣٣ - ١٣٠.

من الطاء . . . ويقول من قرأ بالزاي أبدلت منها حرفًا جمهوراً حتى يشبه الطاء في الجر، ورمي
الخلفة، ويحتاج بقول العرب صقر وسقر وزقر . . .^(١٣٠)

والاحتجاج باللهجات والاصوات نجد عند أبي علي الفارسي أيضاً، فمن
احتتجاجه باللهجات قوله (وهذا على لغة أهل الحجاز، فاما بنو تميم . . .^(١٣١)، وقول:
(وهذه اللغة وان كان سيبويه قد سماها اللغة الرديئة فلها من وجه القياس ما ذكرته)^(١٣١).
وقوله: (اجتمع عليه أهل الحجاز وغيرهم من قيس)^(١٣٢).

ومن احتجاجه بالاصوات قوله: (والحججة ملن قرأ بالصاد أن القراءة بالسين مضارعة
لما اجمعوا على رفضه في كلامهم، ألا ترى أنهم تركوا إمالة وقد نحوه كراهة أن
يتصعدوا بالمستعلي بعد التسفل بالإمالة، فكذلك يكره على هذا أن يتثنى ثم يتصعد بالطاء
في سراط)^(١٣٣).

وقال: (الحججة ملن قرأ: عليهم، بكسر الهاء أن الهاء من مخرج الألف وهي في الخفاء
نحوها فكما أن الكسرة أو الياء إذا وقعت إحداهما قبل الألف أميلت الألف نحوها وقربت
منها كذلك إذا وقعت قبل الهاء قربت الهاء منها بابدال ضمتها كسرة كإمامتهم الألف نحو
الياء)^(١٣٤).

وقد تبع ابن جني أبي علي وابن السراج في الاحتجاج للقراءات باللهجات والاصوات
كما سيأتي^(١٣٥).

دواوين القبائل :

كان أكثر العلماء جمال الدواوين القبائل أبا عمرو الشيباني^(١٣٦) (٦٢٠ هـ)، فقد نقل عن
ولده عمرو أن أبوه ألف نيفاً وثمانين ديواناً لنيف وثمانين قبيلة. (فكان كلما عمل منها قبيلة
وأخرجها إلى الناس كتب مصحفاً وجعله في مسجد الكوفة، حتى كتب نيفاً وثمانين مصحفاً

(١٣٠) نفسه ١: ٣٧ - ٣٨ وانظر أيضاً ١٣٢.

(١٣١) نفسه ١: ٥١.

(١٣٢) نفسه ١: ٦٤ وانظر أيضاً ٦٣، ٨٧، ١٠٢، ١٨٦، ٢٠٥.

(١٣٣) الحجة للفارسي ١: ٣٨.

(١٣٤) نفسه ١: ٤٧ وانظر أيضاً ٤٠، ١٥٩، ٢٠٥، ٢٨٨، ٢٠٢، ٣٠٧، ٣٠٢، ٢٩٤.

(١٣٥) أنظر مثلاً المحتسب ١: ٣٧، ١٧٣، ٢٨٧، ٢٤٩، في اللهجات، وفي الاصوات ١: ٥٩، ٢٠١، ٢٦: ٢.

(١٣٦) في الأدب الجاهلي ص ١٧١ اتهمه د. طه حسين بفساد المروءة والوضع من غير دليل مع أنه نقل عن خصوصه (أنه كان
ثقة . . .).

بعضه)^(١٣٧)، ولم يذكر لنا أسماء القبائل التي جمع شعرها، وأكتفى ابن النديم بالقول: (وأخذ عنه أشعار القبائل كلها).^(١٣٨) ولم يسم أيًّا منها، والذي أميل إليه أنه جمع أشعار قبائل العرب المشهورة جميعًا وهي لا تتجاوز العدد المذكور فيها بين ايدينا من المراجع^(١٣٩)، وقد ذكر البغدادي من مصادره في الخزانة كتابين لأبي عمرو في باب: المواد التي اعتمدنا عليها وانتقينا منها: (المجاميع: منها أشعار بني مخارب للشيباني... أشعار تغلب لابي عمرو الشيباني)^(١٤٠)، وايرادهما في هذا الباب يقطع بأن البغدادي قد رأها وأخذ منها.^(١٤١)

وقد جمع أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري (٢٧٥ هـ) أشعار سبع وعشرين قبيلة ذكر في الفهرست ستًا وعشرين في موضع^(١٤٢)، وواحدة وهي هذيل في موضع آخر^(١٤٣)، و«أشعار هذيل» هذا هو الذي استدرك عليه ابن جني كتابه: التمام في أشعار هذيل مما أغفله أبو سعيد السكري.

أما أبو القاسم الحسن بن بشر الأدمي (٣٧١ هـ) فقد ذكر في المؤتلف والمختلف من أسماء الشعراء دواوين ستين قبيلة قام بترتيبها على حروف الهجاء صاحب مصادر الشعر الجاهلي وذكر أن الأدمي سماها ولم ينسبه الصانع^(١٤٤) على أنه كان قدر آها وأخذ منها شعرًا كثيراً للشعراء الذين ذكرهم^(١٤٥).

دواوين القبائل -على ما وصل إليه في مصاد الشاعر الجاهلي^(١٤٦)، - كانت تضم بين دفتيها (شعر شعراً القبيلة أو بعضهم...، وأخباراً وقصصاً وآحاديث...، ونسب فلان أو فلان في كتاب هذه القبيلة أو تلك) والغريب أنه لم يذكر شيئاً عن لغات القبائل في دواوينها.

(١٣٧) الفهرست ص ١٠٧.

(١٣٨) انظر اللهجات العربية في التراث: اللوحة ٦ بعد ص ١٢٤ للقبائل الواردة في اللسان، واللوحة بعد ص ١٥٨ للقبائل الواردة في المخصص.

(١٣٩) الخزانة ١٠: ١.

(١٤٠) لم يستطع د. مراد كامل أن يبني رأياً في دواوين الشيباني قال: (لأننا لم نعثر على ديوان واحد منها إلى الآن، وانتظر مقالة: (أبو عمرو الشيباني) في مجلة جمع اللغة العربية العدد ٣٤ لسنة ١٣٩٣ هـ).

(١٤١) الفهرست ص ٢٢٢.

(١٤٢) نفسه ص ١٢٣.

(١٤٣) مصادر الشعر الجاهلي د. ناصر الدين الأسد ص ٥٤٣.

(١٤٤) نفسه ص ٥٤٩.

(١٤٥) مصادر الشعر الجاهلي د. ناصر الدين الأسد ص ٥٥٢ - ٥٥٤.

هذه الدوافين التي ذكرناها وغيرها مما لم نذكره^(١٤٦)، لم يصل اليها على ما نعلم الى الآن سوى ديوان المذلين، الذي تناوله بالدرس في مصاد الشعر الجاهلي^(١٤٧)، من غير أن يشير إلى ذكر اللغات فيه، وقد عكفت على هذا الديوان بشرح أبي سعيد السكري فوجدته شعراً لعدد من شعراء هذيل يتولى الشارح تفسير الغامض من البيت ومعاني عدد من الكلمات الغربية فيه وهذا هو الأصل الذي يقوم عليه الديوان كله، قوله:

فشرعن في حجرات عذب بارد حصب البطاح تغيب فيه الأكروع
يعني الحمرُ، أي وردن ماء. وحصب البطاح أي ذات حصباء، والبطاح بطون الأودية والحجرات: النواحي، والأكروع: الألوقة)^(١٤٨). وقوله:

فجاء بجزٍ لم يسر الناس مثله هو الضحوك إلا أنه عمل النحل قال الاصمعي الضحوك: الثغر فشه بياض العسل به، وقال بعضهم هو الطلع، وقال آخرون هو الزيد.^(١٤٩) وقوله:

أمن أم سفيان طيف سرى هدوا فارق قلبا قريحا
قال أبو سعيد: لا يكون المهد إلا ليلاً، والسرى لا يكون إلا ليلاً، طيف: خيال، يعني خيال أم سفيان.^(١٥٠)

أما ذكر اللغات فهو قليل يتمثل في شذرات هنا وهناك من الكتاب إلا أنها على كل حال نافعة في تحديد شيء من معالم لغة هذيل وغيرها من لغات العرب التي ورد ذكرها في الديوان فمن ذلك قوله:

باصدق بأسا من خليل ثمينة وأمضى إذا ما أفلط القائم اليد
قال: ويريوي باصدق كيسا، والكيس: الباس عند هذيل، وقوله ثمينة: هو بلد، وقوله: افلطه، أي فاجأه مفاجأة...^(١٥١) وقوله: (يتقي): يزيد يتقى وهي لغة

(١٤٦) كمحات شعراء القبائل لابي تمام وهو غير الحماسة فالبغدادي جعل من مصادره الكتباين حيث ذكر محات شعراء القبائل لابي تمام، وقال: والحماسة أيضاً. الخزانة ١: ١٠.

(١٤٧) ص ٥٦١ - ٥٧٢.

(١٤٨) ديوان المذلين ط دار الكتب ص ٧.

(١٤٩) نفسه ص ٤٢.

(١٥٠) ديوان المذلين ط دار الكتب ص ١٢٩.

(١٥١) نفسه ص ٢٤٠ وفي اللسان (فلط) الفلاط الفجأة لغة هذيل ٩: ٢٤٧ وأشار إلى البيت وقال: أراد افلط القائم اليد فقلب.

لهم^(١٥٢) ، قوله : (وسمعت رجلاً من قريش بالطائف يقول : استضرب العسل ، إذا أكل نحله البرد)^(١٥٣) ، قوله : (وأهل تهامة يقولون رجل من أهل نجد يربيدون نجداً)^(١٥٤) . ومن ذلك أيضاً قوله : (ابو عمرو : هذيل تقول المتأ بالضم وغيرهم المتأ ، يربى المتأي)^(١٥٥) ، قوله : (اتخذت ، ولغة هذيل تأخذت)^(١٥٦) ، قوله : (الأعراض في لغة هذيل الرساتيق ، والأقاليم في لغة أهل الجزيرة والشام .)^(١٥٧) . وقد يذكر اللغة من غير نسبة قوله : (وذهب ظلفاً وظليفاً : لغتان)^(١٥٨) ، قوله : (سلكته الطريق وأسلكته ، إذا ادخلته ، لغتان)^(١٥٩) .

أن هذا العرض السريع الموجز الذي قدمناه للدراسات الصوتية واللهجية قبل ابن جني ينتهي بنا إلى التائج التالية :

١ - ان الكتب التي تقدمت ابن جني كالمعجمات وكتب النحو واللغة والتوادر والقراءات ودواوين القبائل يمكن أن نجد فيها مادة غزيرة في الدراسات الصوتية ، وفي اللهجات ، وتأثير ذلك في القراءات القرآنية ، والراجح أن ابن جني قد أفاد مما ذكر في تلك المصادر لما يربطه باصحابها من رابطة السندي عن طريق شيوخه .

٢ - على أنه لا يتصور أن يأخذ ابن جني من العين مباشرة لأنه عنده لرجل مجهول ، إلا أن فيه فقرات تتعلق بالاصوات واللهجات نرجح أنها مما تقدم ابن جني في الدرس ، وأنه إذا لم يكن قد أفاد منها بصورة مباشرة فلا يمتنع أن تكون معانى تلك الفقرات قد تسربت في فكره بصورة غير مباشرة عن طريق انتقالها إلى العلماء قبله بقراءتهم آياته وانتقال ذلك إلى شيوخه من غير نسبة .

٣ - ان عدداً من الذين تقدموه ابن جني قد بحثوا بصورة مفصلة في الحروف وخارجتها وصفاتها ، وبحثوا في الامالة والإدغام وفي الإبدال لمناسبة الصوت . وفي إعلال الحروف وأسبابه ، وغير ذلك من المسائل الصوتية .

٤ - يرد في كلام الذين تقدموه ذكر للعديد من القوانين الصوتية ، إلا أنهم لم يلتزموا

^(١٥٢) نفسه ص ١٦٩.

^(١٥٣) نفسه ص ٢٠٨.

^(١٥٤) نفسه ص ٢١٨ وانظر أيضاً ص ١٨٠ ، ص ٢٣٩ .

^(١٥٥) شرح اشعار المذليين تحقيق فراج ص ٢٤٥ .

^(١٥٦) نفسه ص ٣٥٤ .

^(١٥٧) نفسه ص ٧٥٠ وانظر أيضاً ص ٢٦٦ ، ٥٩٣ .

^(١٥٨) شرح اشعار المذليين . فراج ص ٣٠٠ .

^(١٥٩) نفسه ص ٣٣٧ .

خطأ واحداً في دراسة تلك القوانين، إذ قد يكتفون فيها بالوصف المجرد من غير تعليل أحياناً، وقد يصيرون إلى تعليل تلك القوانين أحياناً أخرى.

٥ - انهم كانوا وهم يذكرون اللهجات غير حريصين على التمسك بالطريقة التي يطبع العلماء المعاصرون إليها وهي آسنان كل لجة إلى قبيلتها بصورة دقيقة، فقد كانوا يعزون اللهجة إلى القبيلة أحياناً ويكتفون بأنها لغة لبعض العرب أحياناً وقد يختلفون في نسبة اللغة إلى القبيلة أحياناً أخرى.

٦ - حاول عدد منهم أن يعقد موازنة عقلية بين اللهجات العربية، مستندًا إلى الأقىسة المستتبطة من كلام العرب في ذلك، حتى وجدناه يقرر أن هذه اللغة اقيس من تلك للصلة الفلانية.

٧ - انا نجد في كتبهم جملة من الأوصاف للهجات العربية، أوصاف قدح أو مدح كفوفهم: لغة قليلة ولغة رديئة، ولغة شاذة، ولغة قبيحة، ولغة، وهي اللغة القدمى الفصحى، وهي اللغة الفصيحة، إلى غير ذلك.

٨ - انهم ذكروا ما أطلق عليه فيما بعد مستقبح اللغات، ولم يجمعوا على هذا القبح، فتحن نجد ما يسميه بعضهم قبيحاً يذكره بعضهم من غير وصف، وقد يذكره بعضهم واصفاً تاركه بالفصاحة، وقد يورد بعضهم كلاماً يفهم منه أن ما سماه غيره قبيحاً هو أشد وضوهاً من غيره.

٩ - ان الذين ذكروا القراءات القرآنية منهم ربما عللوها بأنها من لغات القبائل، وقد يعنون القبيلة التي وردت القراءة التي يبحثون فيها بلغتها، وقد يكتفون بقولهم أنها لغة من غير أن يذكروا نسب تلك اللغة، وقد يعللون القراءة تعليلاً نحوياً أو صرفاً أو لغوياً من غير أن يذكروا شيئاً عن علاقة ذلك باللهجات العربية.

الباب الثاني
دراسة نسخة اللهجات

الفصل الأول

اختلاف اللهجات

«لماذا اختلفت اللهجات العربية»:

كانت بين قبائل العرب فوارق لهجية واضحة المعالم بينة، يمكن أن يلاحظها من يتصف كتب اللغة، بله دارسها المتخصص بها، فقد (كانت هناك فروق بين لهجة مكة لهجات البدية، وبين هذه الاختير بعضها مع بعض)^(١).

وكما سأله ابن جني دارساً للغة عن سر النشأة الأولى للغة الانسان، وحاول أن يقدم إجابات عن ذلك، فقد سأله عن سبب اختلاف اللهجات العربية وحاول أن يقدم جواباً عن ذلك، فكان من كلام أبي الحسن الأخفش وكان أحد احتمالين:

الأول: (أن أول ما وضع منها وضع على خلاف، وإن كان كله مسوقاً على صحة وقياس، ثم أحدثوا من بعد أشياء كثيرة للحاجة إليها، غير أنها على قياس ما كان وضع في الأصل مختلفاً، وإن كان كل واحد آخرداً من صحة القياس حظاً)^(٢)، ولم يعقب ابن جني على هذا الشق من الرأي بشيء، وهو مخالف لما عليه الدراسات اللغوية الحديثة كما سيأتي.

الثاني: (أن يكون الموضوع الأول ضريراً واحداً، ثم رأى من جاء من بعد أن خالف قياس الأول إلى قياس ثان جاز في الصحة بجري الأول). وقد عقب على هذا الشق من رأى الانخفش بأمررين:

الأول: أن سعة القياس تجعل ما قاله غير بعيد، بل إن تلك السعة في القياس تحوّز في

(١) العربية ص ٤.

(٢) الخصائص ٢٩: ٢.

الشيء أوجها لا وجهين اثنين.

الثاني: أنه ما دام كلا القياسين صحيحاً فإنه كان بالإمكان عقلاً أن يبدأ الأول بالقياس الذي صار الثاني إليه.

وهذا الجواب على ما فيه من صحة أذ جعل أصل اللهجات كلها واحداً، إلا أنه حل لنا صورة من اعجاب ابن جني بالعربية، ذلك الاعجاب الذي جعله يقبل تصوراً لا يتفق وعقليته اللغوية المبصرة وهو أن اللهجات العربية صدرت عما يشبه في وقتنا الماجمع العلمية، مع اضافة الحكمة والقصد إلى كل قرار من قراراتها، وإلا فكيف نفهم قوله الذي أخذته عن أبي الحسن وجعله غير بعيد من أن الذي جاء من بعد رأي مخالفة القياس الأول إلى قياس ثان، وكان مسألة اختلاف اللهجات رأي واجتهاد صدر بعد ادارة الفكر في أمر من الأمور. ولتنا أن نسأل بعد هذا: إذا كان الأول قد جاءت لغته على وجه من القياس فيما الذي حل الثاني على أن رأى الانتقال إلى قياس ثان؟ إن ابن جني في هذه المسألة يتركنا من غير جواب.

وقد تناول تكون اللهجات عدد من المحدثين^(٣)، وانتهوا إلى نتائج تكاد تكون متقاربة، ولست هنا بسبيل الخوض في النظرية العامة لتكون اللهجات، إنما الذي يعنيني أن أحاول تفسير تكون اللهجات العربية بخاصة، وهذا ما أرى أن تسير عليه الدراسة في تناول لهجات أية لغة من اللغات، بأن تركز الدراسة في تلك اللغة وتضيق حتى لا يبقى الكلام عاماً غير محدود، وذلك أن هناك أساساً داخلية لكل لغة - طبقية ومهنية وطبيعية - تختلف قليلاً أو كثيراً عن الأسباب الداخلية لأية لغة أخرى، فلا ضرورة لخسر جميع اللغات تحت نظرية واحدة.

ويمكن أن نجمل الأسباب التي أدت إلى تكون اللهجات العربية بالعزلة والاختلاط
بغير العرب:

العزلة:

انتشرت القبائل العربية على سطح الجزيرة الواسع المتراكمي الاطراف الذي مختلف طبيعته الجغرافية بين سهول وأودية وهضاب وجبال وسواحل وصحراء، فتحن نرى سلسلة جبال السراة في غرب الجزيرة تمتد من شمالها إلى جنوبها، تاركة بينها وبين البحر

(٣) انظر مثلاً ص ٣١٢ وص ٣٢٦ وما بعدها وص ٣٦٨ من اللغة لفندرينس. وص ١٦١ وما بعدها من علم اللغة د. علي عبد الواحد وافي. وص ٢١ وما بعدها في اللهجات العربية د. إبراهيم أنس. وص ٣٧ وما بعدها: اللهجات العربية في القراءات القرآنية د. عزيزة الراجحي.

غوراً يتسع تارة ويضيق أخرى، وقد يبلغ عرضه في بعض المواقع خمسين ميلًا^(٤). وقد كان هذا الغور الذي أطلق عليه غور تمامة مسكنًا لعدة قبائل عربية^(٥)، على أن تمامة هذه ((حارة وحمة شديدة الرطوبة كأنها من بقاع جهنم في الصيف)^(٦)، وقد كانت جبال السراة حاجزاً بينها وبين القبائل الأخرى الواقعة في شرقها، إلا أن هذا الحاجز من الجبال لم يكن منيعاً حيث امتد، إنما كانت تقطعه الأودية الكثيرة التي كانت مسكنًا للعديد من قبائل العرب^(٧)، وتخلل سلسلة الجبال هذه سهول ومناطق صالحة للزراعة استقرت فيها قبائل عربية مكونة مدنًا عديدة كثيرة (المدينة) وبنين وخيبر^(٨)، وقد يمتد بعض جبالها لتكون فوقه مناطق صالحة للزراعة والاستقرار كما في جبل غروان الذي تقع عليه مدينة الطائف^(٩)، ومكة في الحجاز أيضًا إلا أن لها وضعًا خاصًا فقد كانت لأن فيها المسجد الحرام بيت الله القديم: (ربنا إني اسكنت من ذريقي بباد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افتدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الشمرات لعلهم يشكرون^(١٠)).

أما اليمن في الجنوب فقد كان بعضها موطن استقرار وبناء وزراعة وكانت فيها مدن عديدة^(١١)، وحدها (في عرف بعض العلماء من وراء (تثليث)) وما ساقها إلى صناعه وما قاربها إلى حضرموت والشحر وعمان إلى عدن أبين وما يلي ذلك من التهائم والنجود^(١٢)، وفي قلب الجزيرة تند هضبة واسعة أطلق عليها كلمة نجد (وأعلى أراضيها هي أرض نجد الغربية المحاذية للحجاز ثم تأخذ في الانحدار كلما اتجهت نحو الشرق حتى تتصل بالعروض)^(١٣)، ومعظم المنطقة صخراء وأهلها بدو رحل^(١٤)، وعلى الساحل الشرقي للجزيرة حيث بلاد اليمامة والبحرين كثرة الأغوار والنجود ومسايل الأودية لقربها من البحر فأطلق عليها العروض، وقد كانت اليمامة عند ظهور الإسلام عاصمة ذات مدن وقرى^(١٥)، إلا أن أغلب الأراضين في العروض صحاري وسهول ساحلية^(١٦)، فإذا ابتعدنا عن الساحل واجهتنا الصحراء المترامية برماتها وأكاماها^(١٧)، المحصورة بين نجد في الشمال الغربي للعروض واليمن في الجنوب ولذا كانت أغلب القبائل الساكنة في العروض من البدو الرحل.

(١١) الفصل ١: ١٧٠ - ١٧١.

١٧٨:

(١٢) نفسه: ١.

(١٣) اللهجات العربية في القراءات القرآنية ص ١٩

(١٤) الفصل ١: ١٧٨.

(١٥) نفسه: ١: ١٧٤.

(١٦) صفة جزيرة العرب ص ١٦١.

(٤) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ١: ١٧٠ - ١٧١.

(٥) صفة جزيرة العرب ص ٤٨.

(٦) نفسه ص ٧١ - ٧٨.

(٧) أحسن التقسيم في معرفة الأقاليم ص ٦٩.

(٨) أحسن التقسيم في معرفة الأقاليم ص ٧٤.

(٩) سورة إبراهيم: ٣٧.

(١٠) صفة جزيرة العرب ص ٤٨.

من هذا الوصف لسطح الجزيرة رأينا مناطق الحضارة والاستقرار في موضع من الحجاز وتهامة واليمن ومناطق البداوة في موضع من نجد والعروض، وهكذا نجد أن سعة الجزيرة العربية وترامي اطرافها واختلاف طبيعتها الجغرافية كونت حاجزاً إلى حد ما بين القبائل العربية مما كان له الأثر الأكبر في محافظة تلك القبائل على ما كان يستجد عندها من الفاظ واختلاف في الصوت، وعدم نقلها ذلك الجديد إلى قبائل العرب الأخرى مما أدى بمرور الزمن إلى أن تتحول اللغة العربية الواحدة إلى لهجات كثيرة متعددة.

نحن إذن لسنا مع ابن جني ومن قبله الاخفش في أن أول ما وضع من اللهجات العربية وضع على خلاف، إنما الذي نميل إليه أن قبائل العرب التي حملتها ظروف الجفاف والحروب والخلافات بين افرادها وغير ذلك على أن تفرق في انحاء الجزيرة الواسعة قد خضعت لعوامل التطور اللغوي المناسبة للبيئة التي عاشت فيها القبيلة، فالتطور الذي أصاب الفاظ واصوات لغات القبائل المستقرة في المدن المتحضرة بالقياس إلى البدو هو من غير شك غير التطور الذي أصاب لغات القبائل البدوية المتنقلة. لغة المدينة في زراعتها وتجارتها وحرفها تحتاج بمرور الزمن إلى ألفاظ جديدة لا تعرفها البداوة، ويجهد المدنى في أن يتتجنب الألفاظ التي ينقل جرسها على الأذن لما يدخله من رقة العيش ونعمته، والمدينة كثيرة السكان بالقياس إلى تجمعات القبائل البدوية. يكثر اختلاط الناس فيها لقضاء مصالحهم وتكثر الأحاديث ويكثر استعمال الالفاظ ومع كثرة الاستعمال يزداد الحرص على الوضوح واجتناب اللبس، ويتطور الحياة المتحضرة تتطور الأساليب، أما البدوى فإن صعوبة حياته وخشونتها وكثرة تنقله وانشغاله بالرعى أو الحروب أو الأسفار يبعد عن ذلك الاجتماع الواسع بالناس الذي يتمتع به المدنى ف تكون حاجة إلى مفردات اللغة محدودة وقدر ما بالقياس إلى مفردات المدينة ويكون تأمله أكثر من نطقه فنراه يميل إلى الاختصار والإيجاز والسرعة في النطق مما كان له أثر واضح في اختلاف اللهجات العربية كما سيأتي وكذلك قل عن حاجته إلى فخامة الصوت وامتداده في صحرائه المكشوفة المترامية كي يوصل صوته إلى إنسان بعيد عنه، ثم هو بعد هذا منشغل بالرعى أو التنقل أو الحروب مما يجعله قليل الاهتمام بتصحيح العيوب الصوتية والهفوات لدى الصغار فيشب هؤلاء على الأصوات التي انتقلت إليهم إليها وتصبح بمرور الزمن أصواتهم اللغوية التي يألفونها، وكذلك قل عن القياس الحاطئ الذي يشبون عليه من غير تصحيح مما جعل أبناء القبيلة الواحدة يختلفون في بعض الألفاظ كما سيأتي.

الاختلاط بغير العرب:

لا شك أن اتصال اللغات يؤدي إلى تأثير الواحدة بالآخر نتيجة احتياج إحدى

اللغتين إلى ما عند الأخرى من الفاظ، وقد اختلطت قبائل عربية بالأعاجم بشكل واسع مما كان له أثر سيء في موقف العلماء منها فيأخذ اللغة قال الفارابي : (لم يؤخذ لا من لحن ولا من جذام فإنهم كانوا مجاورين لأهل مصر والقطب ، ولا من قضاعة ولا من غسان ولا من إياد فانهم كانوا مجاورين لأهل الشام واكثراهم نصارى يقرأون في صلاتهم بغير العربية ، ولا من تغلب ولا النمر فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونانية ، ولا من بكر لأنهم كانوا مجاورين للبط والفرس ولا من عبد القيس لأنهم كانوا سكان البحرين مخالطين للهند والفرس ولا من ازد عمان لأنهم كانوا مخالطين للهند والفرس ، ولا من أهل اليمن أصلاً مخالطتهم للهند والحبشة ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة ولا من ثقيف وسكان الطائف مخالطتهم تجارة الأمم المقيمين عندهم ولا من حاضرة الحجاز لأن الذين نقلوا اللغة صادفوهم حين ابتدأوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم وفسدت (ستتهم)^(١٧) ، والذي يعنيانا من نص الفارابي هذا ذكره اختلاط العرب بالأمم الأجنبية المختلفة مما كان له أثر في لغات القبائل بحسب اللغة التي أثرت فيها والغالب علىظن أن هذا التأثير كان في بعض الأصوات التي لم تكن مألوفة الاستعمال عند العرب وفي اسماء الأشياء التي اخذوها عنهم ، فساعد ذلك بقدر على اختلاف اللهجات العربية بما كان من اتصال بين القبائل التي أخذت العلماء عنها ووصفوها بالفصاحة والقبائل التي لم تؤخذ اللغة عنها .

عمق الخلاف بين اللهجات :

ذكر ابن جني كما قدمنا أن بين اللهجات العربية اختلافاً حاول أن يورد تفسيره كما رأه الاخفش ، ولكن هذا الاختلاف كان يتضاءل بسبب اختلاط العرب ببعضهم ومراوغة بعضهم لغة بعض : (لأن العرب وإن كانوا كثيراً متشردين ، وخلفاً عظيماً في أرض الله ، غير متھجرين ولا متضاطجين فإنهم بمجاورةهم وتلاقاهم وتزاورهم يجرون مجرب الجماعة في دار واحدة ببعضهم يلاحظ صاحبة ويراعي أمر لغته)^(١٨) ، وقد نص في موضع آخر على أن الخلاف بين اللهجات العربية ليس خلافاً عميقاً إنما هو خلاف يسير يتناول الفروع لا الأصول : (فإن قلت زعمت أن العرب تجمع على لغتها فلا تختلف فيها وقد نراها ظاهرة الخلاف إلا ترى إلى الخلاف في (ما) الحجازية والتيممية ، وإلى الحكاية في الاستفهام عن الأعلام في الحجازية وترك ذلك في التيممية إلى غير ذلك)^(١٩) ، قيل : هذا القدر من الخلاف

(١٧) الاقتراح في علم أصول النحو ص ٥٦ - ٥٧ .

(١٨) المصاصن ٢ : ١٥ - ١٦ .

(١٩) يقول الحجازي ما زيد قاتماً ويقول التيممي ما زيد قائم ، وفي الحكاية في الاستفهام يقول الحجازي في رد الاستفهام نحو أرأيت زيداً؟ من زيد؟ ويقول التيممي من زيد؟

لقله وزارته محتقر غير مختلف به ولا معين عليه، وإنما هو في شيء من الفروع يسير، فاما الأصول وما عليه العامة والجمهور فلا خلاف فيه ولا مذهب للطاعون به .^(٢٠). وهذا الذي ذكره من أن الأصول وما عليه العامة والجمهور لا خلاف فيه يحدد ما يعني باللهجات العربية عندما يتحدث عنها، فهو إنما يتحدث عن لهجات القبائل العربية التي كانت قائمة قبل الإسلام وبعده، أما اللهجات التي كانت في بعض مناطق اليمن قبل الإسلام بزمن ليس بالقصير مما كان أقرب إلى الحبشية منه إلى العربية كما ذكر الدكتور طه حسين^(٢١)، فهو بعيد عما كان يقصده علماء العربية بكلامهم على اللهجات.

وعلى هذا فإن سعة الجزيرة العربية وتنوع أراضيها لم يكونا حائلاً دون اتصال العرب ببعضها مؤدياً إلى أن تفقد اللهجات الاتفاق في الأصول، وإنما كانت هناك أسباب أخرى تقاوم هذه الحاجز وتسعى لتقريب قبائل العرب من بعضها كالأسواق التجارية والأدبية واللحج والغزوات والأسر. وغير ذلك، وهذا ما انتهى إليه المحدثون أيضاً، فقد ذكر يوهان فاك أنه (لم تكن لهجات القبائل البدوية بالجزيرة العربية بعيدة الاختلاف من الوجهة اللغوية بحيث لا يمكن التفاهم، حتى بين القبائل المتبااعدة بعضها عن بعض في السكن والاجوار، إذ أن أغلب الفروق فيها يظهر كانت ترجع إلى طبيعة اختلاف الأصوات والقوالب والمفردات .)^(٢٢). وتابعاً في ذلك عدد من الأساتذة العرب^(٢٣)، والرأي سبق إليه ابن جني كما رأينا.

الاحتجاج بها:

عقد ابن جني في الخصائص باباً بعنوان: باب اختلاف اللغات وكلها حجة، وواضح من عنوان الباب أنه يمكن أن يحتاج بأية لغة من لهجات العرب، وكونها مما يحتاج به يعني جواز استعمالها، بل جواز القياس عليها، وقد نص على ذلك خلال كلامه في هذا الباب (وكيف تصرفت الحال فالناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطئ، وإن كان غير ما جاء به خيراً منه)^(٢٤).

ولو ترك ابن جني كلمته من غير تقيد، ولو مضى الناس على هذه الفتوى، لما بقيت

(٢٠) الخصائص ١: ٢٤٣ - ٢٤٤.

(٢١) في الأدب الجاهلي ص ٨٤.

(٢٢) العربية ص ٧ - ٨.

(٢٣) انظر مثلاً مستقبل اللغة العربية المشتركة ص ٢٠ واللهجات في القراءات ص ٤٠.

(٢٤) الخصائص ٢: ١٢.

لغة أدبية موحدة بين العرب، ولوجدنا من يقول في سعة الكلام: جاء أباك، قياسا على قوله:

إن أباها وأبا أباها...

ومن يقول: رأيت الرجالان، قياسا على قوله:

... قد بلغا في المجد غایتها

ومن يقول: كان زيد قائم، قياسا على قوله:
إذا مت كان الناس صنفان...

وهكذا، إلا أنه حاول أن يحتجط للأمر بأن فصل القول فيه فمنع تارة وأجاز أخرى

وذلك:

أ - أن تكون اللهجتان في الاستعمال والقياس متداينتين مترائلتين أو كالمترائلتين وحيثند لك أن تستعمل أي اللهجتين شئت، ولنك أن تختر إحداهما على الأخرى لقوة في القياس تعتقدوها في التي تخترها، فأما أن ترد الثانية بالأولى فلا: (اعلم أن سعة القياس تتبع لهم ذلك ولا تحظره عليهم، ألا ترى أن لغة التمييمين في ترك إعمال «ما» يقبلها القياس، ولغة الحجازيين في اعمالها كذلك، لأن لكل واحد من القومين ضربا من القياس يؤخذ به وبخليد إلى مثله، وليس لك أن ترد إحدى اللغتين بصاحبها، لأنها ليست أحق بذلك من رسيلتها، لكن غاية مالك في ذلك أن تخير إحداهما فتقويها على اختها وتعتقد أن أقوى القياسيين أقبل لها وأشد أنها بها فأما رد إحداهما بالأخرى فلا^(٢٥)).

والحق أن مسألة القياس لا قيمة لها في اختيار اللهجة هنا، كما قرره ابن جني في مواضع عده، وإن لم يكن كلامه صريحا في ذلك، وإنما هذا الذي يفهم من عباراته، وملاكه الأمر راجع إلى كثرة الاستعمال وقلته، وإلى استعمال القرآن الكريم لهذه اللهجة أو تلك، فتحن حين نقرأ قوله: (تخير إحداهما فتقويها على اختها وتعتقد أن أقوى القياسيين أقبل لها...) لا نشك في أن الاختيار في «ما» سيكون للهجة تميم حيث نص على أنها أقوى قياسا (إنما كانت التمييمية أقوى قياسا من حيث كانت عندهم كهل...)^(٢٦)، وهو في هذا متابع لسيبوه حيث قال: (وأما بنو تميم فيجرونها مجرى أما وهل وهو القياس لأنها ليست بفعل، وليس ما كليس، ولا يكون فيها إضمار)^(٢٧) فتحن أمام نص صريح في أن التمييمية أقوى

٢٥) الخصائص : ١٠ : ٢

٢٦) نفسه : ١ : ١٢٥

٢٧) الكتاب : ١ : ٢٨

في القياس، وعلى هذا فالمتظر بناء على قاعدته التي ذكرها في الاختيار أن يمحكم باختيار التمييمية على الحجازية، إلا أنها لا تثبت أن نجده بمنص صراحة على اختيار الحجازية معللاً ذلك بكثرة الاستعمال، مستدلاً على تلك الكثرة بنزول القرآن بها، وكان القرآن عنده لم ينزل إلا باللهجة الكثيرة الاستعمال: (إلا أنه إذا استعملت أنت شيئاً من ذلك فالوجه أن تحمله على ما كثر استعماله وهو اللغة الحجازية، ألا ترى أن القرآن بها نزل) ^(٢٨).

ب - أن تكون إحدى اللهجتين قليلة الاستعمال والثانية شائعة كثيرة الاستعمال وحيثئذ ينبغي أن تستعمل ما كثر استعماله وتتجاوز ما كان استعماله قليلاً: (فاما أن نقل إحداها جداً وتكثر الأخرى جداً، فإنك تأخذ بأوسعها رواية، وأقواها قياساً، إلا ترك لا تقول: مررت بك. ولا المال لك، قياساً على قول قضاة: المال له، ومررت به، ولا تقول: اكرمتكن ولا اكرمتكنس، قياساً على لغة من قال مررت بكش وعجبت منكس) ^(٢٩).

ويبدو أنه لا يريد أن يجعل كثرة الاستعمال وحدها هي الحكم وإنما يضع معها قوة القياس: (أوسعها رواية وأقواها قياساً) ولست أرى ضرورة لهذا القيد، قيد قوة القياس، فالمثال الذي ذكره لم أستطع أن أجده فيه ضعف القياس من كل وجه، وذلك أنها إذا جعلنا القياس على الاسم المفرد كانت اللهجة مخالفة للقياس في بك لأن الباء مكسورة مع المفرد كقولنا بزيد، وهي موافقة للقياس في له، لأن اللام مكسورة مع المفرد كقولنا لزيد. وكانت اللهجة السائرة موافقة للقياس في وجه خالقه في آخر، واللهجة الأخرى عكس هذه، فيما الذي يرجع إحداها على الأخرى من حيث القياس؟

أما اللهجة من قال بكش ومنكس فإنهما في الوقف أقوى قياساً من اللهجة السائرة كما يبدو، ذلك أن من قواعدهم أمن اللبس ^(٣٠)، والوقف على المتحرك يكون بالسكون ^(٣١)، فإذا وقفتنا على الكاف من مررت بك، وعجبت منك، لم يكدر بعلم المخاطب أمن ذكر هو أم مؤنث، فإذا لحقتنا بها الشين أو السين صار معلوماً، ومعنى ذلك أنها تتجاوز اللهجة بكش ومنكس لا لضعفها في القياس أو لقوة الأخرى فيه، إنما لقلة هذه في الاستعمال وكثرة الأخرى.

ج - أن يكون استعمال اللهجة في شعر أو سجع.

وحيثئذ لا حرج في استعمال ما ثبت ضعفه لقلة استعماله، وليس لأحد أن يعتريض

. (٢٨) الخصائص ١: ١٢٥.

. (٣٠) الاشباه والنظائر ١: ٢٧٧.

. (٢٩) نسخة ٢: ١٠.

. (٣١) الخصائص ١: ٣٧١.

على الشاعر أو الساجع لاستعماله اللهجة الضعيفة، لأن الشعر والسجع مبنية الحاجة إلى ذلك للضرورة: (فاما أن يحتاج إلى ذلك في شعر أو سجع فإنه مقبول، غير منعى عليه)^(٣٢). ومن ذلك أنه إذا استعمل ناثر اللهجة الضعيفة، جاز أن يعرض عليه إلا أنه اعترض من يؤخذ على اختيار شيء جيد وغيره أجود منه: (وأن يتخير ما هو أقوى وأشيع منها، إلا أن إنساناً لو استعملها لم يكن خطئاً لكلام العرب لكنه يكون خطئنا لأجود اللغتين)^(٣٢) وهذا الذي ذكره من أن المتكلم على إحدى لهجات العرب لا يكون خطئنا لكلام العرب صحيح، إلا أنه ينبغي أن تفسر الجودة هنا بالكثرة، وإنما اللهجة لا تكون جيدة لذاتها أو غير جيدة، وإنما ما كثر استعماله كان القياس عليه جودة، وما قلل استعماله كان القياس عليه ضعفاً مع وجود الكثير، ولكن أيصريح ما قاله من أن (الناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير خطيء؟) أما أنا فأرى أن هذا الكلام يمكن أن يقبل في العرب الذين استشهدوا العلماء بلغتهم، أي الذين لم يتعلموا العربية في أماكن الدرس، بل أخذوها من مجتمعهم، فإذا جاءنا شاهد لأحدهم على خلاف اللغة السائدة السائرة لم تخرجه من العربية، وإنما نقول: إنه صحيح عربية ولكنه خلاف اللغة التي عليها جهور أدب العرب، أما الذين يتعلمون العربية تعلمها في مواضع الدرس فإنهم قد علموا ولا ريب للغة السائرة الكثيرة فينبغي أن يقيسوا على ذلك ولا يتجاوزوه، وعلّموا الشاذ والقليل فينبغي أن يتحاموا وإنما علّموه لكي لا يخطئوا نصاً وردهم على خلاف اللغة السائدة لا ليقيسوا عليه، فإذا تكلم أحدهم على اللهجة القليلة نعينا عليه كلامه وردناه ولم نقبله لأنه متعلم، والمتعلم ينبغي أن يصير إلى ما شاع استعماله عن العرب لا القليل النادر.

وقد كان جهور الناس على عهد ابن جني لا يصح الاستشهاد بلغتهم كما قدمناه لأنهم كانوا يتعلمون العربية ولا يأخذونها من آباءهم ومجتمعاتهم، ولذا نرى أن تحمل إجازة ابن جني على ما ورد من كلام العرب المستشهد بلغتهم لا على كلام أهل زمانه. أما إياحته ذلك في الشعر والسجع فهو كما أرى غير صحيح أيضاً لأن الضرورة ينبغي إلا تكون سبيلاً للاتكاء على النادر القليل وترك الشائع الكبير من لغة العرب.

أنواع الاختلاف بين اللهجات:

أوضحنا أننا أننا أن بين اللهجات العربية اختلافاً على أنه ليس في الأصول، وإنما في الفروع كما ذكر ابن جني، إلا أنه اختلاف لا شك فيه ولو لا ذلك لكان اللهجات العربية لهجة واحدة، والذي يفرق بين اللهجات في الغالب كما يرى الدكتور إبراهيم أنيس هو

الاختلاف الصوتي، في طبيعة الأصوات وكيفية صدورها، كذلك قد تتميز اللهجات (بقليل من صفات ترجع إلى بنية الكلمة ونسجها أو معانٍ بعض الكلمات) ^(٣٣).
ويلاحظ اهتمامه بالأصوات والاختلافاتها، وهو ما نراه فاشيا في الدراسات اللغوية الحديثة.

أما الاستاذ الرافعي فقد نظر إلى اللهجات نظرة تقسيمية، متوجهة إلى ما اتصل بنقلها على ألسن العلماء فقال: (ورأينا أن نقسم أنواع الاختلاف التي جمعناها إلى خمسة أقسام:

- ١ - لغات منسوبة ملقبة.
- ٢ - لغات منسوبة غير ملقبة تجري في إبدال الحروف.
- ٣ - لغات من ذلك في تغير الحركات.
- ٤ - لغات غير منسوبة ولا ملقبة.
- ٥ - لغة أو لغة في منطق العرب) ^(٣٤).

وقد رأيت أن تقسيم الاستاذ الرافعي رحمه الله يمكن أن يستفاد منه في حشو البحث لا في عنوانه لأن معرفة نسب اللهجات يعين كثيراً في تفسيرها من الناحية الصوتية، ولذا رأيت أنه يمكن أن أجعل أنواع الاختلاف في اللهجات العربية على ما أورده ابن جني مفرقاً بأمرین:

الأول: داخلي يتناول اللفظة بحروفها وحركاتها، أو بصوامتها، وصوائتها الطويلة والقصيرة.

الثاني: خارجي يتعلق بما ترمز إليه اللفظة (المعنى)، وبتنوعية تغيرها في التركيب (الاعراب).

ويبحث تحت القسم الأول: الحروف الصامتة، وحروف العلة أو الصوائت الطويلة والحركات أو الصوائت القصيرة.

وتحت الحروف الصامتة يبحث: الإبدال، والإدغام، والحدف والزيادة والقلب.

وتحت الصوائت الطويلة يبحث: الاعلال، والإملاء، والاختلاف.

وتحت الصوائت القصيرة يبحث: إبدال حركة من حركة، وإسكان المتحرك،

(٣٣) في اللهجات ص ١٧ وانظر علم النفس اللغوي ص ٢٤.

(٣٤) تاريخ أدب العرب للرافعي ١: ١٣٧.

وتحريك الساكن، وبمظل الحركات واحتلاسها.

وتحت القسم الثاني يبحث: المعنى، والاعراب.

«معنى تكون اللغة لهجة ومعنى لا تكون»:

قبل أن نتناول بالتفصيل أنواع الاختلاف في اللهجات العربية عند ابن جني أرى أن أقف عند ظاهرة شغلتني طويلاً وأنا أنظر في ما استخرجته من كلامه على اللهجات فقد أوحى إلى أكثر من عبارة عنده أن مسألة القول بأن هذه اللغة لهجة أو ليست لهجة إنما هي مسألة هو لا رواية، وهي من غير شك إذا أخذت مأخذ التسليم ظاهرة خطيرة لأنها تزعزع ثقتنا بما يقال إنه لهجة إذ لا نأمن إلا يكون الأمر كما ذكر، من ذلك مثلاً قوله في بيت المذلي:

فظلت في شرّ من اللذِ كِيدا كَاللُّذْ تَرَى زُبْيَةً فاصطيدا
(قد دع الناس (اللذ) لغة في (الذى)، ويمكن عندي أن يكون ذلك صنعة لغة، وذلك أنه يجوز أن يكون حذف الياء تخفيفاً لطول الاسم بصلته، فصار (اللذ)... فلما صار إلى (اللذ) أسكن استقلالاً لكسره، وإتباعاً لإقامة الوزن)^(٣٥).

وقال: (فاما قول طفيلي الغنوبي:

تَبَيَّنَ إِذَا اقوَرْتُ مِنَ الْقَوْدِ وانطوتْ بِهِادِ رَفِيعٍ يَقْهَرُ الْخَيْلَ صَلَبِ
فيجوز أن يكون الصاد فيه لغة، ويجوز أن تكون بدلاً من سين سلبه، لأنه أكثر تصرفاً من صلبه)^(٣٦).

وقال: (وقالوا رجل انتزهو... وقالوا أيضاً عزّهُو فجائز أن تكون العين بدلاً من المهمزة وجائز أن تكونا أصلين)^(٣٧).

وقال: (تقول في الفافية رأيت سعاداً، فأنت في هذه النون مخير إن شئت اعتتقدت أنها نون الصرف وأنك صرفت الاسم ضرورة، أو على لغة من صرف جميع ما لا ينصرف كقوله تعالى: سلاسلاً وأغلالاً وسعيراً، وإن شئت جعلت هذه النون في سعاداً نون الانشاد)^(٣٨).

وقال: (فاما قول الاعرابي من بنى عوف بن سعد:

(٣٥) التمام ص ٤٢.

(٣٦) سر الصناعة ١: ٢١٨.

(٣٧) نفسه ١: ٢٤١.

(٣٨) الخصائص ٢: ٩٦.

صَفْقَةُ ذِي دَعَالٍ سَمُولٌ
بَيْعُ امْرَىءٍ لِيْسَ بِمُسْتَقِيلٍ

وهو يزيد الذعالب فيبنيغي أن يكونا لغتين، وغير بعيد أن تبدل أيضاً التاء من الباء) (٣٩).

انها نصوص جعلتني أسأل أهي مسألة رأي وهو تكون معه اللفظة إن شئنا لهجة أو لا تكون أم هو النقل والرواية نقطع معها بأن اللفظ لهجة أو أنها من الإبدال أو الضرورة أو غيرهما؟ وعدد أنظر في الجذادات التي اقتبستها من كلامه فأسعفي قوله: (إذا ورد في بعض حروف لفظان مستعملان فاللوجه وصحيح القضاء أن نحكم بأنهما كلية أصلان منفردان ليس واحد منها أولى بالأصلية من صاحبه، فلا تزال على هذا معتقداً له حتى تقوم الدلالة على إبدال أحد الحرفين من صاحبه وهذا عيار في جميع ما يرد عليك من هذا فاعرفة وقوسه تصب إن شاء الله) (٤٠). وشجعني هذا على المضي في تسع كلامه في هذا الأمر فوجدت ما أوضحه وفصله بدقة أكثر مما أورده ههنا وهذا بيانه:

١ - تقوم الدلالة على أن اللفظ دخله الإبدال أو الضرورة، وهو ليس لهجة في أربعة مواضع :

الأول: إذا كان اللفظ بأحد الحرفين أعم تصرفًا منه بالحرف الآخر:

قال: (سألت أبا علي وقت القراءة فقلت: هل أجزت أن يكون قوهم إشاح ووشاح لغتين لا أن الممزة بدل من الواو، كما تقول أكدت العهد ووكدته؟ فقال: إجماعهم على موشح بلا همز دلالة على أن الواو هي الأصل، ولم نرهم اجتمعوا في موضع من وكدت على الواو فنحكم بأن الممزة فيها بدل من الواو. وهذا صحيح) (٤١).

وقال: (يقال: تركته وقيداً ووقفياً، والوجه عندي والقياس أن تكون الطاء بدلًا من الدال لقوله عز اسمه: والموقودة، بالذال، ولقوهم: وقدة يقذه ولم أسمع وقوه ولا موقوظة، فالذال إذن أعم تصرفًا فلذلك قضينا بأنها هي الأصل) (٤٢).

الثاني: أن يكون أحد الحرفين أعم تصرفًا في لفظ آخر فيقياس عليه: قال: (ومن ذلك قراءة ابن مسعود وابن عباس: وثومها، بالثاء. قال أبو الفتح يقال الشوم والفوم بمعنى واحد كقوهم جدث وجذف وقام زيد ثم عمرو ويقال أيضًا فم عمرو، فالباء بدل فيها

(٤١) سر الصناعة ١: ١٧٣ - ١٧٤.

. (٤٢) المنصف ١: ٢٣٠.

(٤٣) نفسة ١: ٢١٩.

. (٤٤) سر الصناعة ١: ٢٣٣.

جيئاً لا ترى إلى سعة تصرف الثناء في جدث لقوهم أجداث ولم يقولوا أجداف، وإلى كثرة ثم وقلة فم^(٤٣). فهو لم ينص هنا على أن الفوم والثوم لغتان وإنما جعل ذلك من الإبدال كما هو واضح من قوله: كقوهم جدث وجذف، وظاهر من هذا التشبيه أن الثناء عنده في هذه الألفاظ أصل والفاء بدل، وقد وجد سعة التصرف في جدث والكثرة في ثم، ولم يذكر شيئاً عن التصرف أو الكثرة في ثوم وفوم، إلا أن تشبيهه بجدث وجذف ثم وفم ينبغي عن أن الثناء عنده أصل والفاء بدل في ثوم وفوم وقد نص على البديلية في موضع آخر^(٤٤) على إرادة معنى الثوم في الفوم ولكن زعم هناك أن الفوم الحنطة فلا إبدال ويدو أنه قد تراجع عن رأيه هذا لأنه ذكر في النص الذي أوردناه أنها بمعنى واحد ولم يذكر الحنطة قال: (وذهب بعض أهل التفسير في قوله عز اسمه: وفومها، إلى أنه أراد الثوم فالفاء على هذا بدل عنده من الثناء... والصواب عندها أن الفوم الحنطة وما يختبز من الحبوب يقال فومت الخبز أي خبزته، وليس الفاء على هذا بدلًا من الثناء)^(٤٥) وهذا الرأي كما قدمت قد درج عنه في المحتسب كما هو واضح. ومعنى ذلك أن القراءة الشاذة قد جاءت على الأصل والمشهورة جاءت على البديل.

الثالث: أن يكون البدل غير ملائم في كلام المنقول منه:

قال: (والبدل كثير، منه ما أنسدنا أبو علي:

يَا بْنَ الْزَّبِيرِ طَالِمَا عَصِيْكَا
وَطَالِمَا عَنِيْتَنَا إِلَيْكَا
لِنُضْرِبَنْ بِسِيفِنَا قَفِيْكَا

قال: عصيكا، أبدل تاء عصيت كافا) ويلاحظ أن الراجز أبدل تاء المخاطب كافا في عصيت وأبقاها تاء في عنيتنا، ولعل الذي دعاه إلى الإبدال القافية، مع ما بين الثناء والكاف من المناسبة (لأنها اختتها في الهمس)^(٤٦)، وكلامها ضمير مخاطب، والأشباه أن تكون اللغة قد استعملت أحدهما أول الأمر للرفع وللنصب وللجر، ثم في مراحل تطورها استحدثت الثاني فصار ضميران أحدهما للرفع والآخر للنصب والجر، يقوى ذلك وجود الضمير (نا) للأحوال الثلاث، والراجح عندي أن يكون الكاف هو الأصل لأنه استعمل لحالتين والثناء حالة واحدة، ولمجيء هذا الشاهد بالكاف على الأصل. وينبغي أن يعلم أن هناك فرقاً بين هذا وبين اجتماع أكثر من همة في النص كقوله:

(٤٥) التمام ص ٣٨ وسر الصناعة ١: ٢١٨.

(٤٣) المختب ١: ٨٨ وانظر ٢: ٦٦.

(٤٦) سر الصناعة ١: ٢٨١.

(٤٤) سر الصناعة ١: ٢٥٢.

سقى قومي بني مجد وأسفى غيراً والقبائل من هلال
وغيره مما سيأتي في موضعه، وذلك أن ما نحن بسبيله قائم على إيدال حرف من حرف
مع عدم النص على أنه لهجة، أما ذاك ففيه تغير في الصيغة ونص على أنه لهجة.

وهذه الأبيات التي رواها ابن جنوي في التمام وفي سر الصناعة عن أبي علي في الموضعين
فيها (عنيتنا) بالتأء كما قدمت، وهي في نوادر أبي زيد عن المفضل بالتأء أيضاً، وقد نقلها
البغدادي في الخزانة^(٤٧)، عن أبي زيد بالتأء وعن الزجاجي في امالية الكبرى بالكاف أي
(عنيكتنا)، وذكرها بعض المحدثين^(٤٨)، تعريراً من كتاب اجنبي كما يظهر لي (عنيكتنا)
أيضاً، وعندى أن روایة ابن جنوي هي الصواب وذلك اعتماداً على ما ورد في نوادر أبي زيد،
فقد ذكر قول علاء بن ارقم :

يا فَبَحَ اللَّهُ بْنِ السَّعْلَاتِ
عَمَرُو بْنُ يَرْبُوعَ شَرَارَ النَّاسِ
غَيْرَ اعْفَاءٍ وَلَا أَكْيَاتٍ

وقال : (الناس : أراد الناس . واكيات : أراد اكياس)^(٤٩) ، ولم يشر إلى ابقاءه سين
السعلات ويفيد أن بقاء هذه السين هنا هو الذي جعل كاتبها يذهب إلى أن التغير في الناس
وأكياس لم يكن تغيراً صوتيّاً وجعل ذلك (لتفضيات القافية أيضاً فالامر كما ترى تغير ناتج
عن الاجازات الشعرية)^(٥٠) ، ولم يشر الأخفش الصغير أيضاً إلى بقاء هذه السين وهو
يعقب على الابدال ههنا إذ ذكر أنه من قبيل البدل حيث استبدل الشاعر الصغير في السين
فأبدل منها التاء (وهو من قبيل الضرورة، وحدثني شيخ من البصريين عن أبي حاتم
السجستاني عن الاصمعي قال: أنشدت الخليل بن أحد قول السموأل:

يَنْفَعُ الطَّيْبُ الْقَلِيلُ مِنِ الرِّزْقِ
وَلِكُلِّ مَنْ رَزَقَهُ مَا قَضَى اللَّهُ
وَلَوْحَدَكَ أَنْفَقَهُ الْمُسْتَمِيتُ

(٤٧) الخزانة ٢ : ٢٥٧.

(٤٨) العربية وفتحها ماص ٧٦ . والذى جعلنى أميل إلى أنها ترجمة من كتاب غير عربي أن البيت كتب على طريقة غير العرب هكذا:
بابن زير طالما حصيكا بمذف هزة ابن في الخط ومحذف الألف واللام من كلمة الزير وهو ما يتفق مع الطعن الذى ارجح أن الأنجي كتبه
على وفقه لغيره فهو بشكل صحيح . وشجعنى على هذا الطعن أنه قال في ص ٣٤ : (ولعلم من أهم من عنى باللهجات القديمة السبوطي فى
جامع (كلدا) الجامع وابن مالك فى التسهيل ، والأسطربأحادي (كلدا) فى شرح الكافية وبالاحظ أنه اشرع فتحة الحسين فى جمع فشارت جامع
وابدال تاء الاسترادي طاء .

(٤٩) النوادر ص ١٠٤ .

(٥٠) دروس في علم أصوات العربية ص ٧٣ .

فقال لي ما الخبيث؟ فقلت: اراد الخبيث. وهذه لغة لليهود يبدلون من الثناء تاء.
قال: فلم لم تقل الكثير؟ فلم يكن عندي فيه شيء^(٥١)، ولم يعقب على ذلك واورد بعده
 مباشرة قول أبي زيد (انشدني المفضل قال: وقال راجز من حمير: يا ابن
 الزبير.....^(٥٢)).

و واضح أن الشواهد الثلاثة التي أوردتها من نوادر أبي زيد تشتراك في أن الشاعر أبدل
 حرفاً في القافية وتركه من غير إبدال في حشو البيت حيث بقيت السين في سعالات وأبدلت
 في النات واكيات في الشاهد الأول، وبقيت الثناء في الكثير وأبدلت في الخبيث، وبقيت التاء
 في عينتنا وأبدلت في عصيكان، وما يروى بالاستناد إلى أبي زيد ويأتي مؤيداً رواية ابن جني عن
 شيخه أقوى عندي مما يروى عن الزجاجي في أماليه، مع احتمال التصحيف في الرواية
 المفردة بالقياس إلى الرواية التي تعدد طرقها.

الرابع: أن يكون اللفظ ضعيفاً في القياس ولا يرد نص على أنه لهجة:

قال: (وأما قول الشماخ:

لَهْ رَجَلُ كَائِنَهُ صَوْتُ حَادٍ إِذَا طَلَبَ السُّوِسِيقَةَ أَوْ زَمِيرَ
فليس هذا لغتين، لأننا لا نعلم رواية حذف هذه الواو وإبقاء الضمة قبلها لغة،
في ينبغي أن يكون ذلك ضرورة وصنعة لا مذهبها ولغة، وكذلك يجب عندي وينبغي أن لا
 تكون لغة لضعفه في القياس، ووجه ضعفه أنه ليس على مذهب الوصل ولا مذهب
 الوقف، أما الوصل فيوجب إثبات واوه كلقيتها امس، وأما الوقف فيوجب الإسكان
 كلقيته، وكلمتها، فيجب أن يكون ذلك ضرورة للوزن لا لللغة.^(٥٣)

٢ - تقوم الدلالة على أن اللفظ لهجة وليس غيرها في أربعة مواضع:

الأول: أن يرد نص بأنها لهجة وإن وجد ما يدل على أنها كانت في الأصل ابداً:

قال: (روي عن عمر أنه سمع رجلاً يقرأ: عقى حين، فقال من اقرأك، قال: ابن
 مسعود. فكتب إليه: إن الله عز وجل أنزل هذا القرآن فجعله عربياً، وأنزله بلغة قريش
 فاقرئ الناس بلغة قريش ولا تقرئهم بلغة هذيل، والسلام. قال أبو الفتح: العرب تبدل
 أحد هذين الحرفين من صاحبه لتقاربهما في المخرج كقوفهم: بحثر ما في القبور، أي: بعثر،

(٥١) النوادر ص ١٠٤.

(٥٢) نفسه ص ١٠٥.

(٥٣) المخصاص ١: ٣٧١.

وضبت الخيل، أي: ضبخت.. فعل هذا يكون عقى وحقى، لكن الأخذ بالأكثر استعمالاً، وهذا جائز وغير خطأ.)^(٤٤). فالحاء والعين لتقريب مخرجيهما تقع أحدهما موقع الأخرى في عدد من الألفاظ سمعت من العرب، فقد سمعت الحاء في موضع العين من بعثر، والعين في موضع الحاء من ضبخت الخيل، وهكذا في عقى وحقى، فهو إبدال في الأصل إلا أنه ملتزم عند هذيل كما يبدو في كلمة حق لأنه قرأ بالحاء كلمة حين ولم يجعلها عيناً ومن ثم جاء النص أنه لغة لهم (ولا تقرئهم بلغة هذيل) فهي إذن لهجة وإن كانت في الأصل إبدالاً.

الثاني: أن ينص على أنها لهجة فينتفي إحتمال غيرها وإن كان ممكناً:

قد تحمل الضرورة الشاعر على أن يمحى أو يسكن متراكماً^(٤٥)، وكان بالإمكان أن يقال في قول الشاعر:

فظلت لدى البيت العتيق أخيلهـو وـمـطـواـيـ مـشـاقـانـ لـهـ أـرقـانـ
إن إـسـكـانـ الـهـاءـ فـلـهـ إـنـاـ كـانـ حـذـفـ لـحـقـ الـكـلـمـةـ بـسـبـبـ الصـنـعـةـ.ـ وـقـدـ ذـكـرـ اـبـنـ جـنـيـ
فـيـ أـوـلـ تـعـرـضـهـ لـلـشـاهـدـ مـاـ يـوـحـيـ بـأـنـ صـنـعـهـ ثـمـ لـمـ يـلـبـثـ أـنـ تـحـولـ عـنـ ذـلـكـ بـحـذـرـ،ـ قـالـ:
فـظـلـتـ لـدـىـ الـبـيـتـ العـتـيقـ أـخـيـلـهـوـ وـمـطـواـيـ مـشـاقـانـ لـهـ أـرقـانـ
عـلـىـ أـنـ أـبـاـ الـحـسـنـ حـكـيـ أـنـ سـكـونـ الـهـاءـ فـيـ هـذـاـ التـحـوـلـ لـأـزـدـ السـرـاءـ،ـ وـمـثـلـ هـذـاـ
الـبـيـتـ مـاـ رـوـيـنـاهـ عـنـ قـطـرـبـ مـنـ قـوـلـ الـآـخـرـ:

وـأـشـرـبـ الـمـاءـ مـاـبـ نـحـوـ عـطـشـ الـأـلـآنـ عـيـوـنـةـ سـيـلـ وـادـيـهـاـ)^(٤٦)
إـلـاـ أـنـ هـذـاـ حـذـرـ يـزـوـلـ وـهـوـ يـتـعـرـضـ لـلـشـاهـدـ فـيـ مـوـضـعـ آـخـرـ فـيـقـولـ بـعـدـ ذـكـرـ الـبـيـتـ:
(فـهـاتـانـ لـغـتـانـ،ـ أـعـنـيـ اـثـيـاتـ الـوـاـوـ فـيـ أـخـيـلـهـ وـتـسـكـينـ الـهـاءـ فـيـ قـوـلـهـ:ـ لـهـ،ـ لـأـنـ أـبـاـ الـحـسـنـ زـعـمـ
أـنـهـ لـغـةـ لـأـزـدـ السـرـاءـ وـإـذـاـ كـانـ كـذـلـكـ فـهـاـ لـغـتـانـ وـلـيـسـ إـسـكـانـ الـهـاءـ فـيـ لـهـ عـنـ حـذـفـ لـحـقـ
بـالـصـنـعـةـ الـكـلـمـةـ لـكـنـ ذـلـكـ لـغـةـ)^(٤٧).ـ وـقـدـ أـدـىـ بـذـلـكـ إـلـىـ أـنـ تـحـولـ عـنـ الـاسـتـشـهـادـ بـالـبـيـتـ
لـإـجـرـاءـ الـكـلـمـةـ فـيـ الـوـصـلـ عـلـىـ حـدـ الـوـقـفـ كـمـاـ فـعـلـ فـيـ النـصـ الـذـيـ اـورـدـنـاهـ أـوـلـاـ،ـ إـلـىـ
الـاسـتـشـهـادـ بـهـ عـلـىـ أـنـ مـنـ الـعـربـ مـنـ يـسـكـنـ الـهـاءـ فـيـ الـوـصـلـ:ـ (ـكـمـاـ أـنـ مـنـهـ مـنـ يـسـكـنـ الـهـاءـ

(٤٤) المحتسب ١: ٣٤٣.

(٤٥) الفسائر وما يسوغ للشاعر دون الناشر ص ٧٧، ١٠٨، وانظر ايضاً ص ٨١ - ٨٣ حيث تناول الموضوع الذي نحن فيه

مفصل.

(٤٦) الخصائص ١: ١٢٨.

(٤٧) الخصائص ١: ٣٧١.

إذا وصلها فيقول: مررت به أمس، وذكر أبو الحسن أنها لغة لازد السراة وانشد... .^(٥٨)

الثالث: أن يكون ما ظاهره الإبدال في أقوام مختلفين:

وذلك أن العرب مثلاً قد تبدل القاف من الكاف كما ذكر^(٥٩)، ولذا حين نسمع منهم كشطت وقشطت قد يتبادر إلى الذهن أنه من ذلك الإبدال أي أن تكون القاف في قشطت بدلاً من الكاف في كشطت، إلا أنه ينفي هذا الاحتمال لمجيء النص على أن كلامها وردت عن قوم مختلفين قال: (قال الفراء. قريش يقول كشطت، وقيس وقيس يقول قشطت بالقاف، وليست القاف في هذا بدلاً من الكاف لإيمانها لغتان لاقوم مختلفين).^(٦٠)

الرابع: أن تكون الألفاظ على المعنى الواحد.

قال: (وكلما كثرت الألفاظ على المعنى الواحد كان ذلك أولى بأن تكون لغات جماعات اجتمعت لانسان واحد من هنا ومن هنا وروي عن الاصمعي قال: اختلف رجالان في الصقر، فقال أحدهما الصقر (بالصاد) وقال الآخر السقر (بالسين) فتراضايا بأول وارد عليهما فحكي له ما هما فيه فقال: لا أقول كما قلتما، إنما هو الزقر..).

٣- إذا لم تقم أي من الدلالتين احتمل الأمران.

احسب أنا إذا أعدنا النظر في ضوء ما قدمتنا إلى النصوص التي أوردنها في أول كلامنا على هذا الموضوع فإننا سوف نستطيع تفسيرها من غير أن نقع في اهتزاز الثقة بما يقال إنه لهجة أو غير لهجة، وذلك أنه إذا لم تقم أية دلالة على أنه لهجة أو على أنه إبدال أو ضرورة أو غيرهما كان القطع بأحد القولين مخالفًا للصواب عقلاً، وكان المنطق السليم فيه أن يقال يمكن أن يكون لهجة ويمكن أن يكون غير لهجة، ولا دليل على أحد هما قاطعاً، وهكذا يمكن أن نفهم قوله: (قد عد الناس اللذ لغة في الذي ويمكن عندي أن يكون ذلك صنعة لغة) وانظر إلى قوله: (قد عد الناس، فالناس - ولا اراه يربد بهم إلا العلماء - قد عدوا ذلك لغة ولم ينقلوها رواية، وما دام الأمر هكذا فإنه يجوز أن يدخل الرأي والقول بالصنعة، وقل مثل ذلك عن الكلمة صلحب في بيت طفيلي الغنوي وكذلك قولهم انزهو وعززه ووكذلك ذعالـت في قول الاعرابي من بني عوف بن سعد، وما يدخل في هذا أن تعرف الكلمة بحرف في قوم، إلا أن هؤلاء القوم يستعملون الحرف الآخر في تصرفها مما يورد إحتمال كونها من الإبدال، إلا أن شهرتها عندهم يورد احتمال كونها أصلًا، فيجوز على ضعف القول ب أنها أصل ولكن أقل تصرفاً من غيره، قال: (.. من كل جدث ينسلون، قال أبو الفتح: هو القبر بلغة أهل الحجاز، والجذف بالفاء لبني تميم، وقالوا أحدثت له جدثاً ولم يقولوا أجدف

.^(٥٨) المحاسب ٢٤٤: ١٣٧٤.

.^(٥٩) سر الصناعة ١: ٢٧٨.

.^(٦٠) المصائص ١: ٣٧٤.

فهذا يريك أن الفاء في جدف بدل من الثاء في جدث . . وقد يجوز أن يكونا اصلين إلا أن أحدهما أوسع تصرفاً من صاحبه.)^(٦١)

أما قوله : (تقول في القافية رأيت سعاداً .) فإنه اراد أن يذكر جواز هذه العبارة في الشعر ما ظاهره أنه خلاف القواعد في النثر ، ثم حاول أن يذكر توجيه ذلك بأن تعتقد أنك صرفت ما لا ينصرف للضرورة ، وهذا الصرف وارد في الضرورات^(٦٢) ، ولكنك أن تعتقد أنك تكلمت على لغة من يصرف جميع مالا ينصرف وهي لغة ذكرها أيضاً^(٦٣) ، والمتكلّم على وفق لغة من لغات العرب مصيّب غير مخطيء^(٦٤) ، ولكنك أن تجعله نون الانشاد الذي هو نون الترنم^(٦٥) . إلا أن في النفس شيئاً من عبارة ابن جني هذه لا أريد أن أغادرها من غير أن أبيته ، وذلك إن كلامه كان على القافية (وتقول في القافية . . .) وجوز في الكلمة فيها ثلاثة أوجه ، وقد قال عن القافية : (القافية عند الخليل من آخر البيت إلى أول ساكن يليه مع المتحرك الذي قبل الساكن . . وهي عند أبي الحسن آخر كلمة في البيت أجمع)^(٦٦) ، فإذا قلنا في القافية رأيت سعاداً كما قال كانت القافية على رأي الخليل : عاداً ، وعلى رأي الآخفش : سعاداً ، ونحن فيها أمام وجهين في اللفظ :

الأول : من غير تنوين : وذلك أن الاسم المنون في القافية إذا كان منتصراً يذهب تنوينه للوقف^(٦٧) ، فمن باب أولى ذهاب تنوين مالم يكن منتصراً في الأصل ، وإذا ذهب التنوين صارت الكلمة (رأيت سعاداً) بغير تنوين وحيثند يكون الأولى أن تحمل ألف على أنها للإطلاق لأن القياس على الأكثر أولى^(٦٨) ، والأكثر أن تكون هذه الكلمة غير منصرفة ، فلا تحمل على الضرورة ، ولا تحمل على لغة من يصرف غير المنصرف في كلامه كله ، أما نون الانشاد فلا مكان لها في هذا الوجه لأنه قائم على عدم التنوين في اللفظ .

الثاني : أن تكون الكلمة سعاداً ببقاء التنوين :

وحيثند لا وجه لها إلا نون الإننشاد ، والأولى أن تكون خلافاً من ألف الإطلاق لما قدمنا ، وتكتب حيثند نوناً على ما جرى عليه جمهور العلماء في كتابتها^(٦٩) .

(٦١) المحتسب ٢:٦٦.

(٦٢) الضرائر ص ١٣٤ وانظر سر الصناعة (الازهر) ٢:٢٨١.

(٦٣) سر الصناعة (الازهر) ٢:٢٠٠.

(٦٤) المخصاص ٢:١٢.

(٦٥) القوافي لابن الحسن سعيد بن معددة الآخفش ص ١٠٥ .

(٦٦) مختصر القوافي لابن جني ص ١٩ .

(٦٧) القوافي ص ١٠٦ .

(٦٨) المتصف ٢:٩٥ .

(٦٩) القرافي ص ١٠٥ - ١٠٦ .

ما لا شك فيه أن هناك فرقاً بين أن يعرف الإنسان كيف كان غيره يفكر، وإن يتقمص فكره فيفكر بعقليته، وقد وجدتني وأنا أبحث في هذا الموضوع على غير وفاق مع ابن جني وأنا استخرج من كلامه الطريقة التي كان يفكر بها ولذا كان لا بد أن أورد هبنا وجهة نظري في ما يكون لهجة وما لا يكون إذ في صوته سوف تبحث الفصول القادمة فنقول: إن آية لهجة منسوبة أو غير منسوبة وردت فيها لفظة بحرف وهي بغیره في غيرها والمعنى واحد فيها إنما كان ذلك في الأصل ابدالاً ونحاول تفسير ذلك الابدال فيها، فإذا كان بين الحرفين اتفاق أو تقارب في المخرج أو الصفة كان هذا التقارب أو الاتفاق هو الداعي إلى الإبدال على ما سيأتي تفصيله، وإن لم يكن بينهما ما يستدعي الإبدال من الناحية الصوتية ذكرنا قول فندريس بأن (التغيرات الصوتية تقع على ما يبدو بطريقة آلية مستقلة عن إرادة المتكلم)، بل غير شعور منه، ولكنها أيضاً تقع باطراد محدود من حيث المبدأ وتتنوع محير في نتائجه^(٧٠)، قوله: (. . . ومع ذلك لا ينبغي أن نبالغ في أهمية الصوتيات إذ من النادر أن تستطع وحدها تفسير كل شيء^(٧١)). ولا نتصور أن تكون العرب قد وضعوا لفظتين لمعنى واحد وخالفت بينهما في حرف واحد، واعطت هذه لقبيلة وتلك لأخرى، فحين يقول عربي هو الصقر ويقول الآخر هو السقر لا بد أن يكون الأصل احدهما والأخر بدل التزم عند قوم لسبب ما، وكذلك القول في مثل جدت وجدف للقبر، وأن يكتب وعن يكتب، وغير ذلك. هذا على الالتزام بحسن الظن بالرواية والنقلة، وبدقتهم في السماع والتحصيف في النقل فإننا ولو ذهبنا إلى تجاوز ذلك إلى احتمال وقوفهم في الوهم في السمع والتصحيف في النقل فإننا يمكن أن نفسر به غير قليل مما أوردوه على أنه لهجات، إلا أن حسن الظن بهم يجعلنا نتابعهم فيما ذكروه وإن خالفناهم في علته أو تسميتها. أما إذا ترددت اللفظة بين أن تكون لهجة أو ضرورة فلا بد حينئذ أن تكون اللفظة على غير اللهجة المشهورة التي عليها اللسان الأدبي وإلا ما تنازعت مع الضرورة فحينئذ نظر في الناطق بها إن كان من يستشهد بكلامه كان الأولى أن يحمل على أنه تكلم بتلك اللهجة غير المشهورة، وإن كان من لا يصح الاستشهاد بكلامه كان الأولى أن يحمل على الضرورة لأن الذي جاء بعد زمن الاستشهاد متعلم للغة العربية والمتعلم ينبغي أن يلتزم اللغة الأدبية الشائنة، فإذا تحول عنها فهو إنما يتحول بسبب ضرورة تحمله على ذلك، فإن وردت اللفظة في الشعر بهذا الوصف من يستشهد بلغته ولم يأت بها أثر أو رواية في النثر وكانت وحدها المشير إلى اللهجة أو الضرورة ترجحت فيها الضرورة لأن الشعر مظنة الضرورات، إلا إذا وجد ما يعزز الميل فيها إلى أنها لهجة.

(٧١) نفسه ص ٢٧٣.

(٧٠) اللغة ص ٣٧٨.

الاختلاف في الصوامت

اختلفت اللهجات العربية اختلافاً بيناً في الحروف الصاممة (غير حروف اللين) سواء في الإبدال أو الإدغام أو الحذف أو الزيادة أو القلب. وقد رأيت أن الغالب في هذه الموضوعات أن يكون الاختلاف في الحرف الصامت والحرفين الصامتين، إلا أنهم قد يختلفون في الصامت وحرف اللين، الذي سماه المبرد المصوت^(١) وسماه بعضهم شبيه الحركة أو شبيه الساكن، والساكن عنده الصامت^(٢) وعبر عنه بعضهم بالصامت الضعيف^(٣). وقد رأيت أن أبحث هذا تحت الصوامت أيضاً، لأن هذا النوع من الاختلاف يتنازعه باب الصوامت وباب الصوائف الطويلة وهي حروف اللين أو العلة، ولا مرجع قوياً للبحث في أحدهما، فرأيت أن تقدم الصوامت في البحث أدعى إلى أن يتناول تحتها هذا الموضوع واستأنست بتسمية بعضهم إياها الصوامت الصعيبة، وبأن معنى العلة في حروف اللين يوحى بضعفها في نزاعها مع الصامت، فهي كثيرة التغير في ذاتها، بخلاف الصامت الذي تغيره قليل بالقياس إليها فهو ثابت منها. ولذا كان بحث الاختلاف بين الصوامت والصوائف الطويلة تحتها أولى، وهذا الاستدلال في الترجيح كما ترى ليس قوياً قاطعاً ولكنه يستأنس به هنا.

«الإبدال»:

ذكر ابن جني من اللهجات العربية مما يمكن أن يكون في الأصل إيدالاً جملة الفاظ، منها ما نسبه إلى أهله ومنها ما لم ينسبه، وقد رأيت أن بحث الموضوع على هذا الأساس اعني

(١) المقتبس ٦١:١ وكذلك فعل ابن جني في الخصائص ١٧٤:٣.

(٢) اللغة ص ٥١.

(٣) القراءات القرآنية ص ٤٣.

اللهجات النسوية واللهجات غير النسوية كما فعل الأستاذ الرافعي لا ينسجم مع اتجاهها في الدراسات الصوتية . فاثرت الانتقال عنه إلى تقسم آخر يستفيد من فكرة نسبة اللهجات في حشو البحث لا في خطته العامة ، وقد ذكر ابن جني نقاً عن أبي علي أن البدل في الإبدال أن يكون فيها تقارب وتدان من الحروف (أصل القلب في الحروف إنما هو فيها تقارب منها وذلك الدال والطاء والتاء .. وغير ذلك مما تدانت مخارجه .) ^(٤) . فكانت الحطة العامة لبحث الإبدال غير المطرد في اللهجات العربية اعتماداً على الجانب الصوتي على ما وصف ابن جني كما يلي :

- ١ - البدل بين الحروف المتدانية في المخرج الواحد.
- ٢ - البدل بين الحروف المجاورة في المخرج الواحد.
- ٣ - البدل بين الحروف المتقاربة المخارج.
- ٤ - البدل بين الحروف المتباينة المخارج وبينها جامع صوقي.
- ٥ - البدل بين الحروف المتباينة المخارج وليس بينها جامع صوقي.

وفرقت بين المتدانية والمجاورة في المخرج الواحد، واردت بالمتدانية ما كانت الحروف فيه أدنى إلى بعضها في المخرج من غيرها إذا كان معها فيه غيرها، كالمهمزة وأهاءاتها وإن كانوا من حروف الحلق إلا أنها أدنى إلى بعضها من العين التي هي في حروف الحلق أيضاً، واستعملت كلمة الأدنى والتداني إشارة إلى ذلك من قول العرب هو جاري الأدنى، فهذا أشد صلة من الجار باطلاقه، ومن قول البريد (أعلم أن المهمزة حرف يتبعه مخرجها عن مخارج الحروف ولا يشركه في مخرجها شيء، ولا يدانيه إلا أهاء والألف .) ^(٥) .

واردت بالمجاورة: ما كانت الحروف فيه من مخرج واحد إلا أنها ليس فيها صفة التداني التي أوضحتها ، وذلك كمجاور المهمزة والعين وكلاهما من حروف الحلق ، ومجاور القاف والكاف وما من اللهأة . أما المتقاربة المخارج فأردت بها الحروف التي من مخرجين مختلفين ولكن موضعيهما في النطق متقاربان كالثاء والفاء إذ الأولى مخرجها مما بين طرف اللسان وأطراف الثناء ، والثانية مخرجها من باطن الشفة السفل وأطراف الثناء العليا . واردت بالجامع الصوقي مع المتباينة المخارج : الصفة الصوتية كالجهر والهمس ، والشدة والرخاؤة .

(٤) سر الصناعة ١٩٧:١

(٥) المقتبس ١٥٥:١

الحروف المتدنية في المخرج الواحد:

الهمزة والألف والهاء

الهمزة والألف:

الهمزة حرف شديد مجهور على رأي القدامي^(٦)، ومخرجها أقصى الحلق^(٧)، والمحدثون يذكرون أنه حرف شديد إلا أن بعضهم جعله مهمساً^(٨). وبعضهم قال إنه (لا هو بالمجهور ولا هو بالمهوس)^(٩)، ومخرجه الحنجرة ذاتها^(١٠). والألف مجهور، مخرجها عند القدامي من أقصى الحلق كمخرج الهمزة^(١١)، والمحدثون يزرون أن (الألف هي الفتحة الطويلة وهي يحسب الدراسات الحديثة مخرجها من وسط اللسان مع ما يخاذيه من الحنك الأعلى).^(١٢) . ونحن هنا نمضى على ما قرره ابن جني من تداني الحرفين، ونرجىء حديث المخارج إلى موضعه في الباب الثالث.

الالف قبل المضعف:

الالف ساكن، والمضعف حرفان أوهما ساكن، وقد اجازت العرب التقاء الساكدين في لغتها إذا كان أوهما حرف علة والثاني مشدداً^(١٣) ، كقوله تعالى: ولا الضالين (لأن المدة قد صارت خلافاً من الحركة.. ولولا المد لكان جمع الساكدين ممتنعاً في اللفظ)^(١٤) . إلا أن شواهد عدة وردت عن العرب وقد أبدلوا الألف في مثل هذا همزة، وقد حملت هذه الشواهد ابن جني على أن قال في هذا الإبدال (كاد يتسع هذا عنهم)^(١٥).

قال: (حكى عن ابوب السختياني انه قرأ: ولا الضالين، فهمز الألف، وعلى ذلك ما حكاه ابو زيد.. شائبة ومادة، وأنشدت الكافة:

يا عجباً لقد رأيت عجباً
حار قبان يسوقُ أربناً
خاطِّها رَأْمَها أَنْ تذهبَا

(٦) سر الصناعة ١: ٦٩.

(٧) نفسه ١: ٥٢.

(٨) دروس في علم اصوات العربية ص ٣٥.

(٩) القراءات القرآنية ص ٢٤.

(١٠) نفسه ص ٢٠.

(١١) سر الصناعة ٥٢: ١.

(١٢) القراءات القرآنية ص ٢٠.

(١٣) البيان في غريب اعراب القرآن لابن الأباري ٤١: ١.

(١٤) المقتضب ١: ١٦١.

(١٥) سر الصناعة ١: ٨٣.

يريد زامها...، عن أبي زيد قال: سمعت عمرو بن عبيد يقرأ: فيومئذ لا يسأل
عن ذنبه إنسٌ ولا جانٌ، فظننته قد لحن حتى سمعت العرب تقول: شابة ودابة...
وقال آخر:

وبعد انتهاء الشِّيْبِ من كُلَّ جانِبِ
يريد: اشعال... وقال دكين:
راكدة مُخْلَاتِه وَمُخْلَةٌ
يريد اياض فهمز.. لكثير:
والارض اما سُودُهَا فتجلت
يريد: ادهامت، وقد كاد يتسع هذا عنهم.^(١٦) وقال في موضع آخر (قال كثير):
بياضاً واما بِيضاًها فادهامت
إذا ما العوالى بالعيط احارت
وقال:

وللأرض اما سودها فتجلت
يريد: بياضاً واما بِيضاًها فاسوادت^(١٧)
فهذه عشر كلمات ذكرها عن العرب وقد همزت فيها الالف قبل الحرف المضعف،
منها كلمتان وردتا في قراءتين، وتلاث رواهن أبو زيد سماعاً من العرب، وخمس في خمسة
أبيات من الشعر، ومع هذه الكلمات العشر قوله: وقد كاد هذا يتسع عن العرب، فهي
إذن ظاهرة ثابتة وردت في قراءة القرآن الكريم وفي شعر العرب ونشرها.

وتعليل هذا الهمز عند ابن جني أن الذي همز كره اجتماع الساكنين فرام تحريك
الالف لذلك فانقلبت هزة (لأن الالف حرف ضعيف واسع المخرج لا يتحمل الحركة...)
فإذا اضطروا الى تحريكه قلبوه إلى أقرب الحروف منه وهو الهمزة^(١٨).

والاضطرار إلى التحرير يصدق في الشعر اذا لا يلتقي فيه ساكنان إلا إذا كان الروي
ساكناً وقبله حرف مد، أما في الحشو فلا يكون إلا أنه قد اجيز في عروض المتقارب (ولا نظير
له في غيرها من الاعاريف)^(١٩)، حيث تتحول (فمولن الى فعول) قال الشاعر:

فذاك القصاص وكأن التقاص (٢٠)

(١٨) المخصائق ٤٢: ٨٢.
(١٩) الكامل للميري ١٩: ٢٠ -

(١٦) سر الصناعة ١: ٤٢ - ٨٤.
(١٧) المخصائق ٣: ١٢٦.

وتقطيعه:

فذا كل / قصاص / وكامل / تقاص / صُ فرضن / وحتمن / علمس / لينا .
تقاصٌ : فَعُولْ .

ولذا فحين تأتي مثل الكلمة ابياض وزام في الشعر لا مناص من التحرير، إلا أن ورودها في قراءة القرآن الكريم وفي النثر يبعد فكرة الضرورة في تفسير هذه الظاهرة بصورة عامة ولا بد من تفسير آخر غير الضرورة.

اما (**الضالين**) فقد قرأ بها أيوب السختياني وهو علم الحفاظ وفقه أهل البصرة في زمانه^(٢٠)، وحين سئل عن هذه الهمزة قال: (هي بدل من المدة لانتقاء الساكنين)^(٢١)، وهذا تفسيره للقراءة وإن الذي يقال فيه انه علم الحفاظ وسيد الفقهاء لم يكن ليقرأ إلا برواية ثابتة . والذى قرأ: فِيمَذْ لَا يَسْأَلُ عَنْ ذَبْهَ إِنْسَ وَلَا جَانَّ هُوَ عُمَرُ وَبْنُ عَبْدِ الذِّي رَوَى الْحَرُوفَ عَنْ الْخَسْنِ الْبَصْرِيِّ^(٢٢)، وما يروى عن الحسن أهل لأن يطمأن إليه . ولالم تكن القراءة موطن ضرورة يتخلص فيها من الألف ، ترجع عندنا أن هاتين القراءتين قد اخذتا من قراءة أهل البدية لأنهم هم الذين يميلون إلى الهمز وهم أهل الهمز كما قال العلماء^(٢٣) .

وأما ما رواه أبو زيد فقد نقل البغدادي^(٤)، عن كتاب الهمز لابي زيد قوله: (وسمعت رجلاً من بني كلاب يكتفى بالاصنع يقول هذه يدأبة وهذه شابة، وهي امرأة مأددة وهذا شائب ومأددة فيهمز الألف في كل هذه الحروف وذلك أنه ثقل عليه اسكنان حرفين معاً). فهذه الكلمات سمعت من رجل من بني كلاب وهم بطن من عامر بن صعصعة من هوازن^(٢٥)، وكلمة وردت في شعر دكين وهو دكين بن رجاء من بني فقيم وهم بطن من دارم من تميم^(٢٦)، وكلماتان في شعر كثير وهو وحده الذي لم يكن بدؤياً إذ هو من الاوزد وكان يسكن المدينة^(٢٧)، فهو حجازي ولكن لا يبعد أن يكون تأثر بلهجة البدو.

وقد وجدت عند ابن جني تفسيراً صوتياً لها إذ قال وهو يتحدث عن الضالين:

(٢٠) شذرات الذهب في اخبار من ذهب لابن العماد ١٨١:١ .

(٢١) المحتب ٤٦/١ .

(٢٢) غایة النهاية في طبقات القراء لابن الجوزي ١:٦٠٢ .

(٢٣) اللسان ١٤:١ .

(٢٤) شرح شافية ابن الحاجب للاسترباذى ٤:١٦٨ .

(٢٥) سباتك الذهب ص ٤٣ .

(٢٦) نفسه ص ٣٢ وانظر الاعلام للزرکل ٣:١٩ ط ٢ حيث ذكر أن دكتيناً هذا فقيمي .

(٢٧) انظر ترجمه في الأغاني ٩:٣ ط دار الكتب المصرية .

(فاللتقي ساكنان الألف واللام الأولى المدغمة فزيدي في مدة الألف واعتمدت وطأة المد فكان ذلك نحواً من تحريك الألف)^(٢٨)، واعتماد وطأة المد، أرى أن فيه معنى ضغط الحرف ونبره ونطقه من ثم همزة، وقد وصف في موضع آخر الذي يهمز هذه الألف بقوّة اللغة وتعالى التمكين والجهارة قال: (نعم وربما لم يكتف من تقوى لغته ويعالى تمكينه وجهاته بما تجشمها من مد الألف في هذا الموضع دون أن يطغى به طبعه ويتحطى به اعتماده ووطئه إلى أن يبدل من هذه الألف همزة فيحملها الحركة التي كان كلفاها ومصانعاً بطول المدة عنها فيقول شابة ودبابة..^(٢٩)).

أما التفسير الحديث لهذه الظاهرة^(٣٠)، فهو أن اللغة العربية تحاول التخلص ما امكنتها ذلك من المقطع المديد لأنها تكره النطق بمصوت طويل في المقطع المقلل، وتحوله إلى مقطع قصير مثال ذلك قولهم رام اسم فاعل من رمي ، فقد مررت الكلمة بعدة مراحل كما يقرره علماء التصريف وهي :

الرامي : رامِينُ أو رامِين - رامِين - رامِ (رامِ).

ففي المرحلة الأولى في حالة الرفع تكون الياء بين الكسرة والضمة ومعنى ذلك اجتماع ثلاث مصوتات: الياء وهي مصوت طويل يسبقه قصير من جنسه وهي الكسرة وبتبعه قصير مغاير وهي الضمة: م + ي +، وبهذا يكون لدينا تنافر صوتي تخلصت العرب منه بحذف القصير المغاير، فبقي لدينا صائب طويل مع قصير من جنسه ، وهو ما ابنته العرب في حالة المقطع المفتوح وإن كان طويلاً فقالوا: الرامي ، إلا أنهم لم يستسيغوه في المقطع المقلل ولذا حذفوا المصوت الطويل وأبقوا القصير فقالوا: رام وكذلك القول في حالة الجر فقد اجتمع مصوت طويل بين مصوتين قصيريin من جنسه ي + ي + فحذف المصوت الطويل للتخلص من أطول صوت في المتجانسات الثلاث فأدى اتصال الكسرتين إلى إيجاد مصوت طويل في المقطع المقلل والعرب تكره ذلك نكراً فدمتنا حذف أحدهما ليكون المصوت قصيراً، وقد فعلت العرب هذا في كل اسماء الفاعلين من المعتل اللام في حالتي الرفع والجر، أما في حالة التنصب فإن الفتحة بعد الياء قد احتملت لفتها في النطق وإن ليس في الانتقال من الياء إليها من الكلفة كما في الانتقال إلى الكسرة أو الضمة.

فإذ قد تقرر أن العرب تكره الاحتفاظ بالمقطع المديد وتحاول التخلص منه ما امكنتها ذلك ، فإنه يمكن أن نفسر في ضوء ذلك همز مثل كلمة الضالين بأنه محاولة من بعض العرب

(٢٨) المحسب ٤٦:١.

(٢٩) الخصائص ١٢٦:٣.

(٣٠) القراءات القرآنية من ٦٧ - ٦٨ ، ١٢٨.

للتخلص من هذا المقطع الطويل الممثل في فتحه الصاد والألف وتحويله إلى حركتين قصيرتين. أما لماذا كانت الهمزة هي الوسيلة لهذا التخلص فالذى أراه أن العرب الذين ارادوا التخلص من الألف كان أمامهم ثلاثة أحرف: الواو والياء والهمزة وذلك أن هذه الأربعية يبدل بعضها من بعض كثيراً، فلم يصيروا إلى الواو أو الياء لأن ذلك يؤدي إلى مقطع طويل أيضاً إذا جعلتا ساكتتين فيكون الضؤلين او الضيئلين باطالة صوت الواو أو الياء ليتمكن النطق باللام الساكنة، وتبقى المشكلة الصوتية كما هي أن لم نقل إنها تزداد صعوبة في النطق، فلم يبق إلا أن يزداد في مدة الألف وتعتمد وطأة المد كما قال ابن جني ليتنتقل الألف بهذا الضغط إلى همزة، وكان الذين فعلوا هذا هم بعض أهل البداءة لميلهم إلى الهمز، أما بقية العرب فقد ابقو الألف في هذا النحو على حالها لأنهم لم يكونوا شديدي الميل إلى الهمز كأولئك وكان نطقهم بالصوت الطويل كما يbedo (نبر الطول) أيسر عليهم من تحويله إلى همزة (نبر التوتر).

الالف في الوقف:

للوقف قواعده المعروفة في اللغة الادبية ومن هذه القواعد أن العرب توقف على ساكن في حالتي الرفع والجر فيقولون في الوقف جاء خالد ومررت بخالد فإذا وقفوا على المنصوب قالوا: رأيت خالداً، فوقفوا على الف، وهذا الوقف على الألف معناه أن اللغة الفصحى اساغت الوقف على المقطع المفتوح بنبر الطول وهو ما فرت منه في حالتي الرفع والجر إلا أن بعض العرب كما ذكر ابن جني نقلان عن سيبويه قد وقف على الألف بصرف النظر عن أصلها بأن ابدلها همزة أي أنه تحول من نبر الطول إلى نبر الشدة ليحصل له الوقف على مقطع مقلل (وحكى سيبويه في الوقف عنهم هذه حبلاً يزيد حبل، ورأيت رجلاً يزيد رجلاً.. وحكى أيضاً: هو يضربيها، وهذا كله في الوقف فإذا وصلت قلت: هو يضربيها يا هذا، ورأيت حبل أمس) ^(٣١).

ويلاحظ أن الألف في (حبل) ألف التأنيث وفي (رجلاً) ألف الوقف على المنصوب المنون ، وفي (يضربيها) الفضمير ، وقد عوملت جميعاً بصورة واحدة مما يدل على أن الدافع إلى ذلك كان صوتياً عضواً وإن كنت أميل إلى أنها في ذلك كله فتحة مشبعة ، فهي في رأي رجل جاءت بعد حذف التنوين وصورتها:

رجلن - رجل - رجلاً ، وأما في الضمير فإن ضمير المؤنث في مقابل ضمير المذكر ، وهو في المذكر هاء مضمومة وقد تكتب بالواو عند الاشبع كقوله :

(٣١) سر الصناعة : ١ : ٨٤.

فكذلك مع المؤنث هي هاء مفتوحة كتبت بالألف للاشاعر فصارت (ها)، ولم يجذوا الألف في الوقف كما حذفوا مع ضمير المذكر تجنبًا للبس، ويلاحظ أن الضمير المتصل للواحد مكون من حرف واحد في الرفع التاء (ت، ت، ت) وفي النصب والجر للمخاطب الكاف (ك، ك) وللمتكلم الياء (ى) وللغاية الهاء (ه) باشباع الضم واشباع الفتح، فلم يقال مع الهاء وحدها: الهاءوها، وأما الف حبل فهي على ما ذهب إليه بروكلمن^(٣٢)، كانت تاء التأنيث ثم وقف عليها بالفاء ثم اضفت الهاء حتى ذهب صوتها ثم اشبت الفتحة قبلها فصارت الفاء وهذه صورتها:

حبلة - حبله - حبل - حبل، ومعنى ذلك أن مرد علامات التأنيث جميعاً إلى التاء كما هو الحال في بقية اللغات السامية^(٣٣)، لأن همزة التأنيث المدودة نحو حراء عند ابن جني متقلبة عن ألف نحو حبل قال: (وبيني أن يعلم أن هذه الهمزة إنما هي متقلبة عن ألف التأنيث التي في نحو حبل وبشرى ولكنها لما وقعت بعد الف قبلها زائدة وجوب تحريكها لثلاثة ساكنان فقلبت همزة وهذا مذهب سيبويه وهو الصحيح).^(٣٤).

وارجع أن الذين هزوا الألف في الوقف هم من أهل البدية وأن لم يذكر لنا ابن جني نسبة هذه اللغة لأنهم كما تقدم كانوا أميل إلى المهز من غيرهم.

إذن قيل إذا كانت المسألة مسألة فرار من مقطع مفتوح إلى مقطع مغلق فلم يقولوا: رأيت خالد فغلوون وبيري كلامهم على سنن واحد في المجرور والمفروع والمتصوب، قلنا هذا الذي ذكر صحيح، ولو فعلوه لكان وجهاً، وقد فعله بعض العرب كما ذكر ابن جني: (من العرب من يقف على المتصوب المؤنث بلا ألف فيقول ضربت زيد، وكلمت محمد كما يقف على المفروع بلا واو، وعلى المجرور بلا ياء فيقول هذا جعفر، وممررت بجعفر)^(٣٥)، إلا أن الذي عليه العامة هو لغة الأدب الشائعة.

والذي اراه أن العرب كانوا يقفون أولاً على مقطع مفتوح فيقولون رأيت خالداً وجاء خالدو ومررت بخالدى، وقد بقيت آثار هذا في بعض اللهجات قال ابن جني: (قال سيبويه رحمه الله وزعم أبو الخطاب أن ازد السراة يقولون: هذا زيدوا، ومررت بزيدى، جعلوه قياساً واحداً فثبتوا الياء والواو كما ثبتو الألف)^(٣٦)، ثم تخلصت لغة الأدب من المقطع.

(٣٢) القراءات القرآنية ص ٨٤.

(٣٣) نفسه ص ٨٣.

(٣٤) المنصف ١: ١٥٥.

(٣٥) سر الصناعة (الازهر) ٢: ٢٠٢.

نفسه ٢: ٢٥٤.

المفتوح بالواو والياء باسكانه، وابقته مع الألف لأنها وجدته سائغاً مقبولاً، كما أن بعض اللهجات لم تستسغه ولذا انتقلت به أيضاً إلى مقطع مغلق عن طريق نبر الشدة بالهمزة عند بعضهم كما قدمنا، أو عن طريق نبر الشدة بالتضعيف كما فعل بعض العرب (وكذلك من قال في الوقف: هذا خالد، وهو يجعل، فإنه إذا وصل خفف الدال واللام فقال: هذا خالد وهو يجعل^(٣٧)). أو عن طريق إغفال المقطع بالسكون كما فعل بعض العرب على ما ذكر ابن جني وأوردناء آنفاً.

الألف قبل متحرك أو تاء تأنيث:

ذكر ابن جني عدة الفاظ قلبت الألف فيها همزة ولم يكن بعدها ساكن، ولا كانت في الوقف، قال: (واما قول العجاج:
يا دار سلمي ياً آسلمي ثمَّ أسلمي

ثم قال:

فَيُخْتِدُ هَامَةً هَذَا الْعَالَمُ

فقد روى أن العجاج كان يهمز العالم والخاتم.. وحكى اللحياني عنهم نار^(٣٨)،
بالهمز.. وحكى بعضهم: قوقات الدجاجة، وحالات السويق، ورثاث المرأة زوجها، ولبا
الرجل بالحج.. ونحو قول ابن كثوة:
ولَئِنْ شَاءَ بْنُ صَفَوَانَ زَوْرَةً لَمَّا رَأَى أَسْدًا فِي الغَابِ قَدْ وَبَأَ
أَرَادَ زَوْرَةً غَيْرَ مَهْمُوزٍ، وَحَكَى عَنْهُمْ: ثَابَتُ الْقَدْرَ بِالْهَمْزِ.. وَانْشَدَ الْفَرَاءَ:
يَا دَارَ مَيْ بِدَكَادِيكَ الْبُرْقُ
صَبِرًا فَقَدْ هَيَّجْتَ شَوْقَ الْمُشْتَقِ^(٣٩)

وذكر في موضع آخر بazar وسوق^(٤٠).

ويلاحظ أن الألفاظ التي ذكرها على قسمين قسم ابدل فيه الهمزة من الف في غير موطن الحذف وهي العالم والخاتم ولبي الرجل بالحج وزوجة وسوق والمشتاق وتابل، وقسم جاءت الهمزة فيه بدلاً من ألف في موطن حذف هذه الألف وذلك في قوقات وحلت ورثت

(٣٧) سر الصناعة ١: ١٧٦.

(٣٨) هكذا ذكرها في متن سر الصناعة (نار) ثم ذكر في الماشي أنها في نسخة بـ جـ زـ شـ (باز) والذي ذكره في النسخ

الآخرى متفق مع ما جاء في جـ ١ صـ ١٢٥ من سر الصناعة وجـ ٣ صـ ١٤٧ من المصائص.

(٣٩) سر الصناعة ١: ١٠٢ وانظر المصنف ١: ١٤٩ - ١٥٠.

(٤٠) المصائص ٣: ١٤٧.

فصار، قوّات وحالات ورثات، أما إذا قرئت حلات بناء الفاعل كما ضبط المحققون فيكون من باب إبدال الهمزة من الياء لأن الأصل حيث ذُكرت، إذ الألف في لام الكلمة مع بناء الفاعل تعود إلى أصلها كما هو معروف في التصريف، ولا ارى الضبط صحيحاً لأنه ليس مما كان ابن جي بسبيله.

وقد حاول أن يعلل الإبدال فيما اوردته جميعاً تعليلاً واحداً (وذلك أنه قد ثبت من عدة أوجه أن الحركة إذا جاوزت الحرف الساكن فكثيراً ما تجريها العرب مجرّها في فيصير لجواره ايها كأنه محرّك لها، فإذا كان كذلك فكان فتحة باء باز إنما هي في نفس الألف، فالالف في ذلك وعلى هذا الترتيل كأنها محرّكة، وإذا تحركت الألف انقلب همزة.)^(٤١). وانظر إلى كثرة احتياطه باستعمال كأن. وما ذلك عندي الا لشدة احساسه بضعف هذا التعليل الذي ختمه بقوله: كأنها محرّكة، ثم اغفل كأن وقال: وإذا تحركت الألف... الخ. والوجه عندي أن يقال: إن ما ورد من همزة القسم الأول كان نوعاً من التحول عن نبر الطول إلى نبر التوتر وهو أمر يتفق مع طبيعة البدوي الذي اراد أن يضغط بشدة على الألف فاحملها همزة في نحو خاتم وعلم وباز، ويمكن أن يكون الذي شجعه على ذلك القافية كما في أرجوزة العجاج^(٤٢):

يا دار سلمى ياً اسلمي ثم اسلمي

حيث جاء المقطع المفتوح قبل حرف الروى مسبوقاً بقطع مغلق في أبياتها جميعها البالغة واحداً وسبعين ومائة، إلا في بيتن هما قوله:

مبارك للأنبياء خاتم

وقوله:

فَخِندِقْ هَامَةُ هَذَا الْعَالَمُ

فجاء همز الكلمتين (خاتم والعالم) لاغلاق المقطع متسقاً مع الارجوزة كلها ولم نجد له همز كلمة مبارك أو هامة أو غيرها من الكلمات التي وردت في حشو الارجوزة بالألف كقوله:

(٤١) المختصات ٣ : ١٤٧.

(٤٢) انظرها في ديوان العجاج بشرح الأسمعي من ص ٢٨٩ - ٣٠٩.

ورب كل كافر ومسلم
و: بأعين ساهمة وسهم
و: حتى يُنحو بالمناخ المُحَجَّم
و: قوم لهم فضل السنام الأسماء

وأما قول ابن كثرة:

ولى نعام بني صفوان زوزأة لما رأى أسدًا في الغاب قد وثب

فانه من البسيط وعروضه (فعلن) ولو لم يهمز لصارت (فاعل) وليس في اعaries
البسيط ما يأتي على (فاعل)^(٤٣) فمن ثم جاء همز الكلمة مقيناً لهذه العروض .

واما ما أنسد الفراء من قوله:

يا دار مي بدكاديک البرق
صبراً فقد هيّجت شوق المشيق

فهو من مشطور الرجز وقد جاءت عروضه وهي الضرب أيضاً صحيحة (مستفعلن)
في البيت الأول وجاءت في البيت الثاني بعد همز الألف (مستفعلن) ايضاً (قلمشتق) ولو لم
تهز الألف جاءت على (مفعولان) وليس في اعaries الرجز أو أضربه المشهورة ذلك^(٤٤) .
 وإنما يأتي الضرب شذوذًا على (مفعولان) في العروض الأولى من اعaries الرجز^(٤٥) وهي:
مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مفعولان . والذى رواه الفراء من مشطور
الرجز وليس فيه (مفعولان) وقد نص محققو سر الصناعة على أنها بيتان في حاشية الصفحة
المذكورة .

فإن كانا بيثن فقد حاول الشاعر أن يتخلص من (مفعولان) بهمز الألف لأنه ليس في
عروض مشطور الرجز ذلك . وإن قلنا أنها بيت واحد وهو من الضرب الشاذ فقد هرب
الشاعر بالهمز من الشذوذ وفي كلتا الحالتين يكون الوزن هو الذي دعاه إلى الهمز .

(٤٣) شرح تختة الخليل ص ١٢٦ - ١٣٩ .

(٤٤) نفسه ص ١٩٦ - ٢٠٤ .

(٤٥) نفسه ص ١٩٧ .

واما القسم الثاني فقد التقى فيه ساكنان الألف وناء التأنيث، إذ أنه جاء قبل ناء التأنيث الساكنة اصالة، فكان المتكلم بين أمرتين: اما أن يمحذف الألف، وإما أن يستبدل بها حرفا يمكن تحريره، فسلك جمورو العرب سبيل الحذف وهذه صورته:

قوقى ← قوقات ← قوقت

وسلك بعضهم السبيل الثاني بأن زادوا وطأتهم على الألف حتى همزوها فتحركت وهذه صورته:

قوقى ← قوقات ← قوقات

فإن قيل: ولم لم يعودوا بالألف إلى واو أو ياء وتحرك، قيل لأن ما قبلها مفتوح فلو تحركت عادت الفا.

قلب الف هي بعض الكلمة:

قال: (وانشدا أبو علي:

بسالخِرِ خيراتِ وان شرًّا فَا ولا أَرِيدُ الشَّرَّ إِلَّا أَنْ تَأْ

والقول في ذلك عندي أنه يزيد فاوتا^(٤٦)، ثم زاد على الألف الفا آخر توكيدا كما تشيع الفتحة فتصير الفا كما تقدم، فلما التقت الفان حرك الاول فانقلبت همزة، وقد انشدنا ايضا: (فاوتا بالف واحدة الا ان الغرض في الرواية الاخرى)^(٤٧).

وهذا النص مشكل من أكثر من وجه:

الأول: أنه لا دليل قاطعا على ما زعمه من انه حين قال فاؤتا ا كان يزيد فاوتا، فإن قيل إن في رواية فاوتا الثانية دليلا على ذلك، قلنا انه ليس قاطعا إذ لا دليل على أن الذي رواها بالهمز هو نفسه الذي رواها بالألف.

الثاني: قوله زاد على الألف الفا آخر توكيدا، وقوله: فلما التقت الفان. وقد ذكر في موضع آخر حكاية يفهم منها أن الألف واحدة ولو مددتها إلى العصر قال: (ومن المستحيل بجمعك بين الالفين المدىين... قال أبو اسحاق يوما لخصم نازعه في جواز اجتماع الالفين المدىين ومد الرجل الألف في نحو هذان وأطال فقال له أبو اسحاق: لو مددتها إلى العصر ما كانت إلا الفا واحدا)^(٤٨) فينبغي أن يحمل كلامه على أن المتكلم نوى أن يأتي بآلف مع

(٤٦) في المطبع: فاوتا، وهو خطأ ظاهر.

(٤٧) سر الصناعة ١: ٩٤.

(٤٨) المصناص ١: ٨٩-٨٨.

الموجودة فلما علم أنه لا يمكنه الجمع بينها قلب الأولى همزة لما ورد في كلامه الذي أخذناه من الخصائص آنفًا في الألفين (قبل إبدال ألف همزة وهو خطأ كساً أو فضاً)، فهذا توهمه تقديرًا ولا تلفظ به البتة.

الثالث: أنه بيت مفرد ليس معه ما يؤيده، ويضعفه جميء الرواية الأخرى فيه من غير همز، فهو لا يمثل ظاهرة لغوية تستحق أن يقف عندها ابن جني ويحاول أن يستدل بها على إبدال ألف همزة. وفيها ذكره من غيره غني عنه.

الرابع: ورد البيت في نوادر أبي زيد بالهمزة وبعدها هاء السكت وكان رأيه فيه أنه اجتزأ بها عن أن يذكر كلاماً بعدها، قال: (.. أبو زيد: وقال لقيم بن أوس منبني أبي ربيعة بن مالك :

الله جهراً رئه فأسمعا
بالخير خيرات وإن شرّا فاءٌ
ولا اريد الشرّ إلا أن تاءٌ

... أبو زيد : قوله وان شرّا أراد فالشر ان أردت ، فأقام الألف مقام القافية ،
وقوله : الا أن تاءٌ إلا أن تشاء ذلك)^(٤٩) . وقد عقب الأخفش الصغير على ذلك بقوله :
(قال أبو الحسن : هذا الرجل يجب ما روى أبو زيد ، والذي احفظه من رواية
النحوين :

بالخير خيرات وان شرافا
ويفسرونها فيقولون : وان شرا فشر ، فحذف الشر لعلم السامع وأثبت الفاء وأتبعها
الألف للقافية إذ كانت مفتوحة كقوله :

اقلي اللوم عاذل والعتابا
وقولي إن أصبت لقد أصابا
وهذه تسمى ألف الإطلاق ... وقوله : إلا أن تاء ، يريد : إلا أن تريده ، فاثبت التاء
وأتبّعها ألف ... وأما ما رواه أبو زيد فان هذا من أقبح الضرورات وذلك أنه لما اضطر
حرك ألف الإطلاق التي ذكرت لك فخرجت من حروف المد واللين فصارت همزة)^(٥١) .
إذا كان الأمر يحتمل كل هذا التأويل أمكن أن نرفض رأي ابن جني بان الهمزة بدل
من ألف ، وأولنا ما رواه من قوله : ثنا وثنا بإن الأصل : وان شرا فأناه ، مثلاً ثم قطع
الكلمة الى فاء ، و Ashton فتحة الهمزة فصارت الفاء ، وقوله : ثنا نزوله بأنه أراد مثلاً : إلا أن

(٤٩) النوادر ص ١٢٦.

(٥٠) في المطبع فاء و هو خطأ كما سيتضمن من كلام الأخفش الصغير الآتي .

(٥١) النوادر ص ١٢٧ .

تأخذ بأسباب الشر ثم أبقى الهمزة وفتحها ليشبعها كي تستقيم له القافية.

إبدال الهمزة الفا:

كما وقع في لهجات العرب إبدال الألف همزة فقد وقع العكس أي إبدال الهمزة الفا، وقد نص على أن ذلك يحفظ ولا يقاوم عليه قال: (وقد ابدل الهمزة المفتوحة التي قبلها فتحة الفا أيضاً على غير قياس وإنما يحفظ حفظاً، أشد أبو علي:

يتساوبات سقِطُ الطَّلْ يضرِبنا
عندَ النَّدُولِ قراناً تَبْخُ درواسِ
إذاً ملا بطنَه البائِه حَلَباً
باتتْ تُغْنِيهِ وَصَرَى ذاتُ أجراسِ

أراد إذا ملا، فأبدل الهمزة الفا. ومن أبيات الكتاب:

راحت بِسْلَمَةَ الْبَغَالُ عَشِيَّةَ فَارْعَى فِزَارَةً لَا هَنَاكِ المَرْتَعُ
يريد هنَاكَ (٥٢).

وذكر أن هذا الإبدال هو تخفيض الهمزة ونطافتها الفا ولذا فإن الذي يهمز العالم والباز لا يجوز عنده تخفيض الهمزة هنا (فلا يجوز على مذهبه تخفيض هذه الهمزة، وذلك أن مذهبه إن يجتنب همزاً لا أصل له فلا يجوز على هذا أن يخفف الهمزة فيردها الفا) (٥٣). وقد ذكر في موضع آخر أن هذا التخفيض قد كثر عندهم في الشعر، قال: (.. فابدل الهمزة في هدا وهادى جميعاً .. وقد كثر هذا عندهم في الشعر) (٥٤).

ومن ذلك أيضاً ما نقله عن حكاية سيبويه من قولهم في المرأة والكماء المرأة والكماء. وقد علل هذا الإبدال بأن الساكن إذاجاور متحركاً صارت حركته كأنها فيه، فأجرته العرب بجري المتحرك (٥٥)، فكانه قال: المرأة ثم خف فابدل الهمزة الفا لسكونها وافتتاح ما قبلها (٥٦).

الهمزة والهاء:

الهاء حرف مهموس مهتوت ضعيف، مخرجته أقصى الحلق (٥٧)، فهو على عكس الهمزة في صفاته وإن كان مخرجها من مخرجها، وقد وردت الفاظ وقع فيها ما ظاهره الإبدال بينما ذكر منها: أمواه وأصلها أمواه (٥٨)، وأآل وأصلها أهل (٥٩)، وقولهم: رجل تدرأ وتدره

(٥٢) سر الصناعة (المتحف ٢ : ١٣١)

(٥٣) نفسه

(٥٤) الفسر ١ : ١١٢

(٥٥) سر الصناعة ١ : ٨٥

(٥٦) نفسه ١ : ٨٦

(٥٧) نفسه ١ : ٧٤، ٥٢

(٥٨) نفسه ١ : ١١٣

(٥٩) نفسه ١ : ١١٤

للدفاع عن قومه، وقوله: أَلَاذَا يَرِيدُ أَهْذَا^(٦٠) ، وقولهم: أَلْ فَعَلْتُ، وَمَعْنَاهُ هَلْ فَعَلْتَ^(٦١) .
وقولهم: هَنْكَ قَائِمٌ فِي لَثْنَكَ قَائِمٌ^(٦٢) .

ويمكن ان نجعل ما ذكره قسمين الأول: مشكل وهو آل وتدرأ وأَلَاذَا . والثاني غير مشكل وهو امواء وأَلْ فعلت وهنك .

الإبدال غير المشكل:

ذكر أن العرب قالت: ماء، وأصله موه، واستدل على ذلك بقولهم في الجمع امواء وهذا هو الكثير الشائع في لسان العرب وعليه اللغة الادبية، إلا أن بعض العرب قال: امواء، فاهمزة فيه بدل من اماء، ويمكن أن يفسر هذا الإبدال بأنه من القياس الخاطئ إذ سمع المتكلم كلمة ماء بالهمز في المفرد فجاء بها في الجمع، أو لأنه من يميل إلى الهمز فوجد في همز المفرد ما يعينه على همز الجمع.

أما أَلْ فعلت في قولهم: هل فعلت مما حكاه الفراء كما ذكر فالإبدال فيه واضح بناء على ما قوله من قاعدة كثرة الإستعمال وقد مرت. وأرى أن الهمز فيها إنما كانت عند أهل الهمز حالة نفسية تطلب الضغط على اهاء المهتوت والجهير بها فتحولتها إلى همزة، ومن يدرى فلعل همزة الاستفهام هي همزة أَلْ هذه قطعت عنها اللام للسرعة فاشاعت لغتها أكثر من هل وأَلْ حتى نسيت العلاقة بينها يقوى ذلك أنه ليس بين أدوات الاستفهام ما يتكون من حرف مبنيًّا واحد سوى الهمزة.

ومما ذكره أيضاً قوله: (هَنْكَ قَائِمٌ، أَيْ لَثْنَكَ قَائِمٌ وَعَلَيْهِ قَوْلُهُ فِيهَا رَوْيَنَاهُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَمَةِ عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ:

الَا يَاسِنَا بَرَقٌ عَلَى قُلُلِ الْحَمَى لَهُنَّكَ مِنْ بَرْقٍ عَلَيَّ كَرِيمٌ^(٦٣)

وقد علل هذا الإبدال بأن اللام هنا للتوكيد، وهي التي تدخل على خبر إِنْ ، وموضعها أول الجملة قبل ان، فإذا اضطروا للجمع بينها في أول الكلام أبدلوا الهمزة هاء، وكأنهم بذلك يبعدون لفظ ان عن الإجتماع باللام: (إِنْ الْعَرَبُ لَمْ جَفَا عَلَيْهَا اجْتِمَاعٌ هَذِينَ الْحَرْفَيْنِ قَلَبُوا الْهَمْزَةَ هَاءَ لِيَزُولَ لَفْظُ انَّ، فَيَزُولُ أَيْضًا مَا كَانَ مُسْتَكْرِهَا مِنْ ذَلِكَ)^(٦٤) .

(٦٠) نسخة ١: ١٢٠.

(٦١) الخصائص ١: ٣١٥.

(٦٢) الخصائص ١: ٣١٥.

الإبدال المشكّل :

ولا أريد بالاشكال هنا اشكالاً يتناول طبيعة الإبدال بين الهاء والهمزة، وإنما أريد به الاشكال الذي أثارته عبارة لابن حي في الموضوع أو تأويل ذكره:
تدرأ وتدره :

قال : (فاما قولهم رجل تدرأ وتدره للدافع عن قومه فليس أحد الحرفين فيها بدلاً من صاحبه بل هما أصلان يقال : درأ ودره قال كثير :

درهت على فرطها فذهبتم بأخطار موت يلتهمن سجاحها
فهذا كقولك : أقدمت واندفعت) (٦٣).

والذي أراه أنه ما دامت الكلمات بمعنى واحد وما دام الحرفان من مخرج واحد فإنه لا معنى لرفض الإبدال فيها، وأين أقدم واندفع من درأ ودره حتى نقول بهذا كقولك أقدمت واندفعت، وبينها ما بينها من اختلاف الحروف، فالصواب أن يقال إن بين الحرفين ابدالاً، ولكن أيهما بدل من صاحبه :

جاء في اللسان (٦٤) : (درهت عن القوم : دفعت عنهم مثل درأت وهو بدل منه ...
ودره لقومه يدره درها دفع ، وهو ذو تدرههم أي الدافع عنهم قال :

اعطى وأطراف العوالي تنوشة من القوم ما ذرأ تدره القوم مائعة
ولا يقال هو تدرههم حتى يضاف إليه ذر، ويقل الهاء في كل ذلك بدللة من الهمزة لأن الدرء الدفع ، وهذا ليس بقوى ، بل هما أصلان قالوا درأ ودره ، قال ابن سيده فلما وجدنا الهاء في كل ذلك متساوية للهمزة علمنا ان احدهما ليست بدلًا من الأخرى وانهما لغتان).

وعندني أن ما ذكره صاحب اللسان في أول النص هو الصواب فهاء دره بمعنى دفع بدللة من همزة درأ وكذلك ما تصرف منها بهذا المعنى ، ومنه هو ذو تدرههم ، أي الدافع عنهم ، والذي جعلني أقطع بأن الهاء في تدره بدل من الهمزة في تدرأ سعة تصرف الفعل وكثرة استعماله بمعنى الدفع في درأ وقلة ذلك بهذا المعنى في دره ، فقد ذكر في اللسان من استعمالات درأ بمعنى الدفع ما أربى على خمس صفحات أما في دره بمعنى الدفع فلم يذكر ما يزيد على نصف صفحة (٦٥).

(٦٣) سر الصناعة ١ : ١٢٠.

(٦٤) اللسان ١٧ : ٣٨١ مادة (دره).

(٦٥) انظر اللسان ١ : ٦٤ - ٦٩ (دره)، ١٧ : ٣٨١ (دره).

آل وأهل:

قال: (ومن ذلك قوله أَلْ كفولنا أَلَّ الله، وَأَلْ رَسُولُه، إِنَّا أَصْلَهَا أَهْلًا ثُمَّ ابْدَلَتْهَا هَمْزَةٌ فَصَارَتْ فِي التَّقْدِيرِ أَلْ، فَلَمَّا تَوَالَّتْ الْهَمْزَاتُ ابْدَلُوا الثَّانِيَةَ (الفاء)).^(٦٦) وعلى هذا تكون الفاء أَلْ بدلًا من هَمْزَةٌ هي بدل من هاء. وقد أَحْسَنَ ابن جِيَّنْ أنَّ هَذَا الْكَلَامُ لَا يَتَقْبِلُ بِيْسَرٍ وَسَهْلَةٍ ولِذَلِكَ أَثْلَاثُهُ هُوَ السُّؤَالُ: (فَإِنْ قَيْلَ وَلَمْ زُعْمَتْ أَنَّهُمْ قَلَبُوا الْهَاءَ هَمْزَةً ثُمَّ قَلَبُوهَا الْفَاءَ فِيهَا بَعْدٌ، وَمَا انْكَرْتَ مِنْ أَنْ يَكُونُوا قَلَبُوا الْهَاءَ الْفَاءَ فِي أَوَّلِ الْحَالِ). وأَجَابَ عَنْ ذَلِكَ بِأَمْرِينِ:

الأول: عدم النظير: (إِنَّ الْهَاءَ لَمْ تَقْلِبْ الْفَاءَ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ . . . إِنَّمَا تَقْلِبُ الْهَاءَ هَمْزَةً).

الثاني: (فَإِنَّ الْأَلْفَ لَوْ كَانَتْ مُنْقَلِبَةً عَنِ الْهَاءِ فِي أَوَّلِ أَحْوَاهَا كَمَا زَعَمَ الْمُلَزِّمُ دُونَ أَنْ تَكُونَ مُنْقَلِبَةً عَنِ الْهَمْزَةِ الْمُنْقَلِبَةِ عَنِ الْهَاءِ كَمَا قَدَّمْنَا بِلَازِرَ أَنْ يَسْتَعْمِلَ أَلْ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ يَسْتَعْمِلُ فِيهِ أَهْلًا . . . فَلَمَّا كَانُوا يَخْتَصُّونَ بِالْأَلْ الْأَشْرَفِ الْأَخْرَصِ دُونَ الشَّائِعِ الْأَعْمَ . . . دُلْ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ الْأَلْفَ فِيهِ لَيْسَ بَدْلًا مِنَ الْأَصْلِ إِنَّمَا هِيَ بَدْلًا مِنَ الْأَصْلِ).^(٦٧)

أما احتجاجه بعدم النظير فإنه حجة لا ريب في ذلك، فإن يصار إلى ماله نظير أولى من أن يصار إلى ما لا نظير له)،^(٦٨) بيد أن هذه الحجة لا ينبغي أن يصار إليها على ما أرى إذا أدى ذلك إلى تكلف وتعسف، وعندي أنه ينبغي أن تحدد هذه القاعدة بأن حل الشيء على ماله نظير أولى من حله على ما لا نظير له إلا إذا أدى الحمل على النظير إلى التكلف والتعسف، وقوله بأن الألف مبدلة عن هَمْزَةٌ مبدلة عن هاءٌ فيه تكلف ظاهر.

وأما ما ادعاه بأن استعمال أَلْ لا يكون في كل مواطن أَهْلٌ واتخذ من ذلك دليلاً على أن البدال لم يكن مباشرة فالجواب عن ذلك من وجوه:

الأول: يقال له: لو أنَّ الْعَرَبَ اسْغَطَتْ اسْتِعْمَالَ الْهَمْزَتَيْنِ أَفْكَانَتْ تَسْتِعْمِلُ أَلْ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ أَهْلًا لَا؟ وَالجَوابُ عَنْ ذَلِكَ بِنَاءً عَلَى اسْتِدَالَةٍ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ بِالنَّفْيِ أَيْ أَنَّ الْكَلِمَتَيْنِ فِي الْاسْتِعْمَالِ تَقْتَلُهُمَا هَذِهِ الصُّورَةُ:

أَلْ = أَهْل

فإذا أَبْدَلْنَا مِنَ الْهَمْزَةِ أَلْفَاءَ عَلَى مَا قَالَ فَإِنَّ الصُّورَةَ فِي الْاسْتِعْمَالِ تَكُونُ:

(٦٦) سر الصناعة ١: ١١٤.

(٦٧) سر الصناعة ١: ١١٤ - ١١٦.

(٦٨) الآشئه والناظائر ١: ١٧٩.

أَل = أَلْ

وعلى هذا فلا أجد ما يدعو لمنع القول بأن استعمال:

أَل = أَهْل

وهي مسألة في غاية الوضوح كما أرى.

الثاني: إذا كان المراد أن العرب لم يسمع منها استعمال هذه الكلمة في كل الموضع التي تستعمل فيها الأخرى فهذا يصدق على كثير من البدل المذكور، فقد ذكر مثلاً من البدل قوله لهم لـأَلْ الرجل بالحج، فهل سمع لـأَلْ الرجل نداء صاحبه. فإن قيل يقاس. قلنا فكذلك. وإذا كان المراد الثاني عن استعمال هذه الكلمة في كل مواضع تلك بناء على اختلاف يسير في المعنى. فهذا أمر آخر تنظر فيه الفقرة الثالثة:

الثالث: ذكر من اختلافها في الاستعمال أنهم (يختصون بالأَل الأشرف والأَخص دون الشائط الأعم حتى لا يقال إلا في نحو قوظم القراء آل الله واللهم صل على محمد وعلى آل محمد و: قال رجل من آل فرعون يكتم إيمانه، وكذلك ما أنشده أبو العباس للفرزدق:

نجوت ولم يُمْنِ عليك طلاقةٌ سوى ربِّ التَّقْرِيبِ من آل أَعْوَجَا
لأن أَعْوَجَ فِيهِمْ فَرْسٌ مشهورٌ عندَ الْعَرَبِ فَلَذِكَ قَالَ مِنْ آلِ أَعْوَجٍ وَلَا يُقَالُ آلِ
الْخِيَاطِ كَمَا يُقَالُ أَهْلَ الْخِيَاطِ وَلَا آلِ الْإِسْكَافِ كَمَا يُقَالُ أَهْلَ الْإِسْكَافِ^(٦٩).

فهناك إذن فارق ما في المعنى بحيث كان العرب يستعملون هذه الكلمة في معنى وتلك في معنى أدق منه أو أوضح، أشرف أو أوضح، ولا شأن لهذا بأن يكون الحرف مبدلاً من حرف مباشرة، أو أن يكون مبدلاً من حرف مبدل من آخر. إلا أن ما ذكره من شرف آل وضعة أهل واختصاص آل وسعة أهل فيه نظر أيضاً.

فقد وردت كلمة آل في القرآن الكريم في ستة وعشرين موضعًا^(٧٠) وهي في جميع هذه المواضع بأحد معนدين: معنى القوم والاتباع أو معنى النزارة. فقد وردت: آل فرعون، في أربعة عشر موضعًا كلها بمعنى القوم والاتباع منها قوله تعالى:

(وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فَرْعَوْنَ يَسُومُنَّكُمْ سُوءُ العَذَابِ) البقرة: ٤٩

(٦٩) سر الصناعة ١: ١١٥ - ١١٦.

(٧٠) المعجم المفهرس ص ٩٧ - ٩٨.

و: (وأغرقنا آل فرعون) الأنفال: ٤٥

و: (ولقد جاء آل فرعون النذر) القمر: ٤١

والذين كانوا يسمون مؤمني بني إسرائيل سوء العذاب اتباع فرعون وقومه، والذين أغرقوا هم أيضا من أتباعه وقومه، والذين أنذروا هم قوم فرعون وأمته. ولا أرى في اضافتهم إلى فرعون الذي قال الله سبحانه فيه: (وأصل فرعون قومه وما هدى) طه: ٧٩ أي تكريم لهم أو تشريف. والأية التي استدل بها ابن جني تشير إلى المعنى الذي ذكرته: (وقال رجل من آل فرعون يكتُم إيمانه) غافر: ٢٨ إذ هو واحد من أتباع فرعون وقومه إلا أنه كان يكتُم إيمانه.

وقد وردت آل موسى وآل هرون وآل إبراهيم وآل عمران وآل يعقوب وآل لوط وآل داود في الاثني عشر موضعاً باقياً، ولا شك أن الاضافة إلى أحد الأنبياء تشريف وتكرير. فمعنى التشريف أو ضمه إنما يكون بما تضاف إليه آل لابها ذاتها. ومعناها في هذه الموضع المذكورة: الذرية، كقوله تعالى:

(فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة) النساء: ٥٤

فالمراد بها هنا الذرية لقوله تعالى:

(ووهبنا له إسحاق ويعقوب وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب) العنكبوت: ٢٧.

وفي موضع واحد يفهم منه الزوجة مع الذرية هو قوله تعالى:
(إِلَّا آل لوطٍ إِنَّا لَنَجْوَهُمْ أَجْمَعِينَ. إِلَّا إِمَّا نَهَنَّهُمْ فَدَرَنَا إِنَّهَا لِلْغَابِرِينَ) الحجر: ٥٩، ٦٠

فلو لم تكن الزوجة معهم ما أخرجها، وهذا هو الظاهر من غير تأويل.

أما أهل فقد وردت في ثلاثة وعشرين ومائة موضع وهي فيها بمعان عدّة منها:

أصحاب الشيء:

آل عمران: ٦٤ كقوله تعالى: (يَا أَهْلَ الْكِتَابَ)

الأعراف: ٩٦ و: (أَهْلُ الْقُرَى)

النمل: ٤٣ و: (أَهْلُ الذِّكْرِ)

العائلة والأقارب:

ك قوله تعالى: (فَابعثوا حِكْمَةً مِّنْ أَهْلِهِ) ك النساء: ٣٥
و: (فَدِيَةً مُسْلَمَةً إِلَى أَهْلِهِ) ك النساء: ٩٢

الزوجة والنساء:

ك قوله تعالى: (مَا جَزَأَ مِنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا) ك يوسف: ٣٥
و: (فَلِمَا قُضِيَ مُوسَى الْأَجَلُ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آتَى مِنْ جَانِبِ الطَّوْرِ نَارًا) (القصص: ٤٧)
و: (إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) ك الأحزاب: ٣٣

وهكذا نجد كلمة آل تستعمل في المعنى العام كما في آل فرعون لعموم اتباعه وفي المعنى الخاص بالذرية كما في: آل ابراهيم، وكلمة أهل تستعمل في المعنى العام كما في أهل القرية وأهل الكتاب، وفي المعنى الخاص بالزوجة كما في: سار بأهله.

أما ما ذكره مستدلا به على شرف وخصوص آل فلا دليل فيه بالنظر لما قدمنا من استعمال القرآن الكريم. وقوله: القراء آل الله، واللهم صل على محمد وعلى آل محمد، المراد بالـآلـ اللهـ: اتباعـ أمرـ اللهـ وأنصارـ شرعـهـ سـبـحـانـهـ كـماـ قالـ: (نـحـنـ أـنـصـارـ اللهـ) الصـفـ: ١٤ـ أيـ أـنـصـارـ دـيـنـ اللهـ وـشـرـعـهـ وـرـسـوـلـهــ.ـ وـآلـ مـحـمـدـ الـمـرـادـ بـهـ الـذـرـيـةـ أوـ الـاتـبـاعـ إـذـ كـلـاـهـمـاـ جـائزــ،ـ فـذـرـيـتـهـ عـلـيـهـ الـصـلـاـةـ وـالـسـلـامـ مـنـ اـتـبـاعـهـ اـيـضاـ،ـ وـأـمـاـ آلـ أـعـوـجـ فـوـاضـحـ أـنـ يـرـيدـ مـنـ ذـرـيـةـ هـذـاـ الفـرسـ المـشـهـورـ وـنـسـلـهــ،ـ وـأـمـاـ قـوـلـهـ:ـ لـاـ يـقـالـ آلـ الـخـيـاطـ وـلـاـ آلـ الـاسـكـافــ فـإـنـهـ إـذـ أـرـيدـ بـذـلـكـ الـذـرـيـةـ جـازـ وـلـاـ دـلـيلـ عـلـىـ الـمـنـعــ،ـ وـقـدـ قـيلـ آلـ الـمـهـلـبـ لـذـرـيـةـ،ـ وـالـمـهـلـبـ الـمـتـوـفـ الشـعـرـ،ـ قـالـ فـيـ الـلـسـانـ:ـ (وـهـلـبـ الـفـرسـ هـلـبـ وـهـلـبــ:ـ نـفـ هـلـبـ فـهـوـ مـهـلـوبـ وـمـهـلـبـ،ـ وـمـهـلـبـ اـسـمـ وـهـوـ مـنـهـ)ـ (٧٣ـ).

أـلـاـذـاـ وـأـهـلـاـ:

قالـ:ـ (وـقـالـ بـعـضـهـمـ فـيـ قـولـ الشـاعـرـ:

فـقـالـ فـرـيقـ أـلـاـذـاـ إـذـ تـحـوـيـمـ

وقـالـ فـرـيقـ لـأـمـيـنـ اللـهـ مـاـ نـذـرـيـ

(٧٢ـ) لـقـولـهـ تـعـالـيـ قـبـلـهـ:ـ (يـاـ نـسـاءـ الـنـبـيـ لـسـنـ كـأـحـدـ مـنـ النـسـاءــ..ـ وـقـرـنـ فـيـ بـيـونـكـنـ وـلـاـ تـبـرـجـ الـجـاهـلـيـةـ الـأـوـلـيـ وـأـقـمـ الـصـلـاـةـ وـأـتـيـنـ الـرـكـاـةـ وـأـطـعـنـ اللـهـ وـرـسـوـلـهـ إـنـمـاـ يـرـيدـ اللـهـ لـيـذـهـ بـعـنـكـمـ الـرـحـمـ أـهـلـ الـبـيـتـ وـيـطـهـرـكـمـ تـطـهـيرـاـ وـأـذـكـرـنـ مـاـ يـتـلـ فـيـ بـيـونـكـنــ منـ آيـاتـ اللـهـ وـالـمـكـكـةـ إـنـ اللـهـ كـانـ لـطـيفـاـ خـيـرـاـ)ـ الـأـحـزـابـ ٣٤ــ ٣١ــ

(٧٣ـ)ـ الـلـسـانـ ٢ــ ٢٨٥ــ (هـلـبـ)ـ.

قالوا: أراد أهذا فقلب الماء همزة ثم فصل بين الهمزتين بالألف) (٧٤).

وهي صورة معقدة كما ترى ولا دليل عليها، فنحن نعلم أن اسم الاشارة هوذا وحده وهو التي قبله للتبيه (٧٥)، وافتراض أهذا هي أهذا يستدعي القول بمحذف الف ها وإن لم يشر ابن جنی إلى ذلك، وزيادة الألف وإن لم يذكر لم زيدت الألف دون غيرها ويمكن أن يقال هي اشباع لفتحة الهمزة الأولى وتكون الصورة على رأيه:

أ هـ اذا ← أأ اذا ← أأ اذا ← أأ اذا

وفي هذا ما فيه من التكليف. وخير منه كما أرى أن يقال: أن (آ) التي في البيت هي التي للنداء وقد ذكرها ابن هشام في المعني (٧٦)، ويكون استعمالها هنا ان شئت على معنى النداء كأنه قال يا هؤلاء أهذا الذي ذكرتم، أو نحو ذلك، أو إن شئت على معنى التبيه كما تستعمل باللتبيه (٧٧) وكأنه قال: ألا أهذا الذي ذكرتم، أو شيئاً من هذا التعبو، ولا يكون في الكلام حذف ولا زيادة وهو الأولى.

ابدال الهمزة هاء:

نسب ابدال الهمزة هاء إلى طيء في (ان) من قوله: هن فعلت فعلت، ويبدو أن الميل إلى إخفاء الهمزة وإضعافها في النطق يجعلهم يقللونها هاء لتداني مخرجتها إلا أن قبيلة طيء متوجلة في البداوة (٧٨) فكان الأشبه أن تحافظ على الصوت الشديد المجهور لأنه أوفق لطبيعتها، إلا أنه لا يبعد أن يكون الذي بدأ هذا الإبدال في طبعه لين ورقة لضعف أو علة بحيث آخر الصوت المهتوت على الصوت الشديد الانفجاري (٧٩)، فأنس به من حاله كحاله، وشاع فيهم في هذا اللفظ وغيره، إذ أنه وارد عنهم في غير (أن) من ذلك قوله:

فهيأك والأمر الذي ان توسعـت موارده ضاقت عليك مصادره (٨٠)

يريد ايأك، وقولهم هنـك في لأنـك قال الشاعـر:

(٧٤) سر الصناعة ١: ١٢٠.

(٧٥) شرح ابن عقيل ١: ١٣٤.

(٧٦) معني الليب ١: ١٨.

(٧٧) نفسه ٢: ٤١.

(٧٨) في الهمجات ص ١٠٣.

(٧٩) الأصوات اللغوية ص ٩١.

(٨٠) سر الصناعة (الازهر) ٢: ٢٨٧، ونقل ابن السكين عن الغراء انهم لا يقولون هيـأك الا في الزجر (ولا يقولون هيـأك اكرـمت) وأنظر ص ٢٥ الكتر اللغوي.

الا ياسنا برق على قلل الحمى لهنك من برق على كريم (٨١).
 وقولهم في أيا هيا قال: (وقرأت على أبي علي أيضاً:
فانصرفت وهي حساناً مغضبة ورفعت بصورتها هيأ آباه
 قال ابن السكين: يريد به أيا آباه، ابدل الهمزة هاء) (٨٢) وقد عدل ابن جنی القول
 بالابدال هنا بأن (أيا في النداء أكثر من هيا).
 ومن ذلك ايضاً قولهم في أرقت هرقت وفي أزيد منطلق هزيد منطلق ييدلون همة
 الاستفهام هاء قال: (فأنشد أبو الحسن:
واتنت صواحبها فقلنَ هَذَا الَّذِي **منَحَ المُودَةَ غَيْرَنَا وجفانا**
 قال: يريد اذا الذي) (٨٣).

اهاء والألف:
 اهاء والألف مخرجها من أقصى الخلق، والألف أقرب إلى الهمزة من اهاء وهو مذهب
 سيبويه، إلا أن الأخفش ذهب إلى أن الألف مع اهاء لا قبلها ولا بعدها، ورجم ابن جنی
 مذهب سيبويه (٨٤)، وسيأتي الفصل في ذلك في موضعه. فهذا يدل على شدة قرب اهاء من
 الألف في المخرج، إلا أنه على هذا القرب فإن الابدال الذي وقع بين الحرفين لا يكاد
 يذكر، والذي ذكر منه ليس قاطعاً في الابدال.

قال: ()
من بعِدِ ما ويعدِما ويعدِمْ
صارتْ نفوسُ الْقَوْمِ عَنِ الْغَلَصَمَتْ

أراد: وبعدما فابدل الألف في التقدير هاء فصارت وبعدمه . . . ثم إنه أبدل اهاء
 تاء لتوافق بقية القوافي التي تليها) (٨٥).

فأنت ترى أنه يمكن أن يقال إنه لكي تستقيم قوافيه أبدل التاء من الألف أبداً شاداً
 للضرورة، والشعر مطية الضرورات كما هو معروف، أو أن يقال: إنه حذف الألف وزاد
 تاء التأنيث على الحرف كما زيدت على رب وثم فقيل رب وثمت (٨٦)، أو أن يقال إنه زادها
 ثم حذف الألف لالتقاء الساكدين، أو أن يقال زادها لكي يغلق المقطع المفتوح، أو أن يقال

(٨٤) سر الصناعة ١: ٥٢.

(٨١) نفسه ٢: ٢٨٨.

(٨٥) سر الصناعة ١: ١٨٢ - ١٨٣.

(٨٢) نفسه ٢: ٢٨٩.

(٨٦) شرح ابن عقل ١: ٢٢.

(٨٣) نفسه ٢: ٢٩٠.

كما قال ابن جني، فهذه وجوه عدة كلها ممكن، ولذا لا يكون القول بالابدال هنا قاطعاً كما قدّمت.

قد وردت من أمكٰة
من ها هُنا ومن هُنَّة
إِنْ لَمْ أَرَوْهَا فَمَّا

يريد: من هنا فابدل الالف في الوقف هاء فقال من هذه، فاما قوله فمه، فالباء فيه تمحمل تأويلين: احدهما أنه أراد: فها.. أي فما أصنع.. والوجه الآخر: ان يكون أراد فمه، أي فاكف عنـي.. وكان التفسير الأول أقوى في نفسي^(٨٧).

وواضح أن الذي حلـه على أن قال: هذه في هنا إنما هو ضرورة القافية ولو كانت بالألف لما أحجم عنـ أن يقول: من هـنا ومن هـنا. ويمكن أن يقال إنه حذف الـألف وجاء بهـاء السكت لإـيضاح حركة النون ولـكي تستقيم القافية. أولـكي يغلـق المقطع المفتوح بما ينسجم مع القافية.

وقال: (واما قولـهم في الـوقف على أن فعلـت، أنا وأـنه، فالـوجه أن تكون الـباء في (أنـه) بدلاً من الـألف في أنا، لأنـ الكـثير في الاستـعمال إنـما هو أنا بالـألف لـبيان الحـركة، كـما الحـقت الـألف، ولا تكون بدلاً منها بل قائـمة بـنفسـها كالـتي في قوله سـبـحانـه وـتعـالـى: (كتـابـيهـ، وـ حـسـابـيهـ، وـ مـالـيهـ، . . .).^(٨٨))

وهـذا الذي ذـكرـه مـعـنـونـهـ وـتـكونـهـ أـهـاءـ اـصـلـاـ، أوـ بـدـلاـ، قدـ جاءـتـ لـفـائـدـتـينـ، الـأـولـىـ التـخلـصـ منـ المـقطـعـ المـفـتوـحـ فيـ الـوـقـفـ، وـالـثـانـيـ: بـيـانـ الـحـرـكـةـ قـبـلـهاـ فيـ السـكـتـ. أـمـاـ الـآـيـاتـ الـتـيـ ذـكـرـهـ فـقـيـهـ مـعـنـيـ آـخـرـ زـيـادـةـ عـلـىـ هـذـيـنـ وـهـوـ تـصـوـيرـ الـحـسـرـةـ وـالـجـهـدـ وـالـضـعـفـ الـذـيـ يـحـسـهـ ذـلـكـ النـادـمـ وـهـوـ يـلـقـيـ تـلـكـ الـكـلـمـاتـ مـنـ فـمـهـ.

الـعـيـنـ وـالـحـاءـ:

نقل ابن جـنـيـ نـسـبةـ اـبـدـالـ الـحـاءـ عـيـنـاـ فـيـ (حـتـىـ) إـلـىـ هـذـيـلـ فـيـ الـمـحـسـبـ^(٨٩) فـيـ كـلـمـةـ رـوـاهـاـ عـنـ عـمـرـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ، وـقـدـ كانـ ذـكـرـ هـذـاـ اـبـدـالـ فـيـ (حـتـىـ) فـيـ سـرـ الصـنـاعـةـ^(٩٠) مـنـ

(٨٧) سـرـ الصـنـاعـةـ ١ : ١٨٢ - ١٨٣ وـانـظـرـ ٢ : ٢٩٠ (الـازـهـرـ).

(٨٨) سـرـ الصـنـاعـةـ (الـازـهـرـ) ٢ : ٢٩١.

(٨٩) الـمـحـسـبـ ١ : ٣٤٣.

(٩٠) سـرـ الصـنـاعـةـ ١ : ٢٤٦.

غير نسبة وبلفظ يشعر أنه لم يرد عنهم من الإبدال في هذا سوى (حتى) وذكر تعليل الإبدال هناك بتقارب الصوتين (وقد أبدلت العين من الحاء في بعض الموضع، فرأى بعضهم: عني حين، يريد: حتى حين، ولو لا بحة في الحاء لكان عيناً)^(٩١). والأصل أن يحمل لفظ بعض الموضع على معنى أحد الموضع، ولم يذكر في هذا المكان أي مثال آخر. ويبدو أنه قد علم حين ألف المحتسب ما لم يعلمه حين الف سر الصناعة أو أنه رغب في الزيادة والتفصيل في المحتسب فعبارةه تختلف عن التي أوردناها من سر الصناعة باسناد اللغة إلى هذيل، وتعين القاريء بأنه ابن مسعود، وذكر الإبدال على أنه ظاهرة في العربية لا تختص بها هذيل ولا تختص بكلمة (حتى) قال: (.. قال أبو الفتح: العرب تبدل أحد هذين الحرفين من أصحابه لتقاربهما في المخرج كقوفهم: بحث ما في القبور اي بعثر^(٩٢)، وضفت الخليل اي ضبحث، وهو يعنظى ويعنى إذا جاء بالكلام الناخش، فعلى هذا يكون عني وحده^(٩٣) .).

فهذا التداني بين الصوتين هو الذي جعل العرب يبدلون أحدهما من الآخر في عدد من الألفاظ المسموعة عنهم، وهي ليست ظاهرة عامة في كل عين وكل حاء وإن كانت الحاء ولو لا بحة فيها لكان عيناً. ولا يبعد عندي في هذا وأمثاله أن تكون اللفظة قد سمعت من أحد ابناء قبيلة ما ولم يتنقن نطقها أو لم يتقن السامع سماعها ولفظها فانتقل أحد حروفها في سمعه إلى حرف من خرجه أو قريب منه ثم شاعت في قبيلته عن طريقه فعرفت عندهم بذلك اللفظ.

الغين والخاء:

ذكر ابنهم يقولون: (خطر بيده يختبر وغطر يغطر، فالغين كأنها بدل من الحاء لكثره الحاء وقلة الغين. وقد يجوز أن يكونا أصلين إلا أن أحدهما أقل إستعمالاً من صاحبه)^(٩٤). ولم يعلل الإبدال، ولو أخذنا بقوله: وقد يجوز.. الخ لأدى ذلك إلى هدم أساس من الأسس التي اعتمد عليها في الحكم بالإبدال. وأرى أنه ما دام للإبدال وجه، والكلمتان بمعنى واحد، واحدهما أكثر استعمالاً من الثانية. فقد وجدت الشروط التي تؤدي إلى الحكم بأن الغين قد أبدلت من الحاء، ولا داعي لتعطيل الأصول التي اعتمد عليها في

(٩١) سر الصناعة ١ : ٢٤٦.

(٩٢) لم يذكر ابن جني شيئاً عن بحث في سور العadiات في المحتسب ٢ : ٣٧٠، ولم يذكر ابن خالويه شيئاً عن سور العadiات أصلاً وعكانتها بين الرزلة والمغاربة في المخجة ص ٣٤٧، ٣٤٨. ولم يشر العكبري إلى قراءة بعثر بالباء ٢ : ٢٩٢ املأه. وقد ذكر في البحر ٨ : ٥٥٥ أن عبد الله قرأ باءه.

(٩٣) المحتسب ١ : ٣٤٣.

(٩٤) سر الصناعة ١ : ٢٤٧.

الابدال من أجل احتمال لا يقوم على دليل.

ولعل الذي ابدل قد آثر الصوت المجهور على المهموس هنا لأنه كان في وضع يميل
معه إلى قلة الجهد في إخراج الصوت، والنطق بالعين أقل كلفة من النطق باللسان فقد اجمع
علماء الأصوات على (أن الأحرف المهموسة تحتاج للنطق بها إلى قدر أكبر من هواء الرئتين
ما تتطلب نظائرها المجهورة، فالأحرف المهموسة مجدهة للتنفس) ^(٩٥).

الجيم والشين والياء

الجيم والياء :

ذكر أن الجيم إذا كانت بدلًا فإنما تكون من الياء لا غير ^(٩٦)، ونقل عن أبي علي
بإسناده إلى ابن السكبي حكاية عن الأصممي أن خلفاً حدثه بأبيات أنشده إياها رجل من
أهل البدية، وذكر ابن جني أنه قرأها على أبي علي في كتاب سيبويه وهي :

عَمِيْ عَوَيْفُ وَأَبُو عَلَيْجُ
الْمَطْعَمَانِ اللَّهَمَ بِالْعَشِيجِ
وَبِالْغَدَّاهِ كِسَرَ الْبَرِنَجِ
تَقْلُعُ بِالْوَوَّهَ وَبِالصَّيْصِيجِ

(يريد وأبو علي، وبالعشيج وبالصيصيج وهي قرن البقرة. قال: وقال أبو عمرو بن
العلاء قلت لرجل من بني حنظلة من أنت فقال فقيم. قال قلت: من أهيم: قال: مرج .
يريد: فقيمي ومري . وأنشد هميان بن قحافة السعدي :

يَطِيرُ عَنْهَا الْوَيْرُ الصَّهَابِجا

يريد الصهابي من الصهابة . وقال يعقوب: بعض العرب إذا شدد الياء جعلها جيما
وأنشد عن ابن الأعرابي .

كَائِنٌ فِي أَذْنَابِهِنَ الشُّوَلِ
مِنْ عَبْسِ الصِّيفِ قَرُونَ الْأَجْلِ

(٩٥) موسيقى الشعر ص ٣٢

(٩٦) سر المصناعة ١ : ١٩٢

يريد الایل . قال : وأنشد الفراء :

لا هُمْ إِنْ كَنْتَ قِيلْتَ حِجَّةٌ
فَلَا يَزَالُ شَاحِحٌ يَأْتِيَكَ بِعْجَنْ
أَفْرُّ نَهَاتُ يُنْزَى وَفَرِّجَ

ويروى شامخ : يعني بغيرا مستكرا . انقضت الحكاية عن أبي علي . وقال :

حتى إذا ما أَمْسَجْتُ وَأَمْسَجْا

يريد امسست وأمسى . وهذا أحد ما يدل على ما ندعوه من أن أصل رمت رمي وغرت غزوت ... (٤٧) .

والأبيات الأولى التي ذكر أنه قرأها في كتاب سيبويه على أبي علي قد وردت فيه منسوبة إلى بني سعد وورد الكلام على الابدال مشروطا بالوقف (وأما ناس من بني سعد فاتهم بيدلون الجيم مكان الياء في الوقف لأنها خفية فأبدلوا من موضعها أبين الحروف وذلك قولهم هذا تيميج يربدون تميمي وهذا علّج يربدون عليّ وسمعت بعضهم يقول عربانج يريد عرباني ، وحدثني من سمعهم يقولون :

خالي عويف وأبو علچ
المطعمان الشحم بالعشيج
وبالغدة فلق البرنج

يريد بالعشيج والبرني) (٤٨) .

ويلاحظ أن سيبويه قد علل الابدال في الوقف بالبيان لأن الجيم أبين حرف من موضع الياء . ولم يعلله ابن جنی مع أنه أشار إلى قراءته الأبيات على شیخه أبي علي . وقد ذكر في المنصف الأبيات في موضوعين من غير نسبة وفيها : خالي وفلق اللحم وبقلع ، وجعل حدیثه عن كلمة صيصج (٤٩) وأن أصلها صيصية فلما اضطر إلى جيم مشدودة ليوافق القوافي عدل بالكلمة إلى لفظ النسب وإن لم تكن منسوبة في المعنى فلما عزم على ذلك حذف تاء التائيت لأنها لا تجتمع مع ياء النسب فصارت صيصي مثل قاضي ، فلما لحقتها ياء

(٤٧) سر الصناعة ١ : ١٩٤ - ١٩٢ .

(٤٨) الكتاب ٢ : ٢٨٨ .

(٤٩) المنصف ٢ : ١٧٨ - ١٧٩ .

النسبة حذفت فصار صيحي ثم أبدلت منها الجيم المشددة لتوافق القوافي (فصارت صيحي كما ترى فهذا الذي عندي في هذا وما علمت أحدا من أصحابنا عرض لنفسه إلا أن يكون أبو علي فيما اظن)^(١٠٣) وفي موضع آخر^(١٠٤) ذكر الآيات معزوة إلى رجل من أهل البادية بالإسناد الذي ذكره في سر الصناعة وهي لا تختلف في الرواية عن الموضع الأول في المصنف سوى أنه أشار إلى أن ابن دريد أنسد:

خالي لقيط وأبو علّاج

وذكر هذه الآيات في المحتسب^(١٠٥) وفيها: خالي واللحم وفلق ويقلع، وفي التصريف الملوكي^(١٠٦) ذكرها أيضا وفيها: خالي واللحم وفلق مما يجعلني أميل إلى أن ما ذكره محقق سر الصناعة مرجوح، والراجع ما في كتبه الأخرى، وذكر في المحتسب أيضا من غير نسبة قوله:

حتى إذا ما أمسَجْتُ وامسجا

وكذلك فقيمِج وعربانج ولم ينسبهما، ولم ينسب أيضا قوله:

يا رب إن كنت قبلت حِجْجَتِي

إلا أنه ذكر قوله:

كَانَ فِي أَذْنَابِهِنَ الشَّوَّل
مِنْ عَبْسِ الصَّيْفِ قَرْوَنَ الْأَجْل

منسويا لأبي النجم^(١٠٤)، وفي موضع آخر قال: (وكذلك قول العجي: من عبس...).^(١٠٥) ولم أجده في كل هذه الموضع يذكر أي تعليق لهذا الابدال. والذي نستفيده من هذه الموضع جمعيا: ان الظاهرة على ما ذكر ابن جني وجدت عند رجل من أهل البادية دلنا سيبويه في الموضع الذي أرشدنا إليه ابن جني أنه من بني سعد وان ذلك ليس خاصا بذلك الرجل وإنما هو عند ناس من بني سعد، ومن هؤلاء أيضا هميأن بن قحافة السعدي الذي ذكره ابن جني، ووجدت أيضا عند رجل مري صعد بنسبة إلى فقيم ثم حنظلة، ووجدت عند أبي النجم العجي.

. (١٠٣) التصريف الملوكي ص ٥٠ - ٥١.

. (١٠٤) المحتسب ٢ : ١٧٩ - ١٧٨.

. (١٠٤) المحتسب ١ : ٧٦ - ٧٧.

. (١٠١) نفسه ٣ : ٧٩ - ٧٨.

. (١٠٥) نفسه ١ : ٦١ - ٦٢.

. (١٠٢) المحتسب ١ : ٧٤ - ٧٥.

والإياء بهذا القدر من النسبة مشددة، موقوف عليها في قسم منها، وهو موافق لما أورده سيبويه، وفي بيت هميان حصل في اللفظ تخفيف واطلاق والاصل صهابع، والراجح أن ذلك كان بسبب القافية، ولم تأت موقوفاً عليها في بيت العجل حيث جاءت حشوا (الاَجْل). والنسبة منحصرة في قوم من تميم وقوم من أسد وذلك أن الرجل الذي صعد بنسبه إلى فقيم ثم حنظلة هو تميمي إذ فقيم بطن من دارم ودارم من مالك ومالك من حنظلة وحنظلة من مالك من زيد منة وزيد منة من تميم^(١٠٦). أما هميان بن قحافة السعدي فقد ذكر محققو سر الصناعة اختلافاً يسيراً في نسبه فهو (أحد بنى عوافه بن سعد بن زيد منة من تميم، وقيل أحد بنى عامر بن عبيد بن الحارث)^(١٠٧)، وسواء اتصل نسبه بعوافة أم بالحارث فإنها يعودان إلى سعد بن زيد منة من تميم^(١٠٨)، وعلى هذا يمكن أن تنسب الظاهرة إلى زيد منة من تميم حيث وجدت في فرعين من فروعها هما حنظلة وسعد. وأما أبو النجم فينتهي نسبة إلى بنى أسد من ربيعة إذ هو (من بنى عجل واسمه الفضل بين قدامة)^(١٠٩) وقد ذكره في السباتك عند ذكر ربيعة بن عجل قال: (ومن ربيعة هذا أبو النجم الشاعر المشهور واسمه الفضل بن قدامة)^(١١٠) ورجع بنسب عجل إلى بكر بن وائل وهم من أسد من ربيعة. ويبعد أن أبي النجم هذا لم يكن يلتزم ابداً إلإياء المتشددة جهياً، أو أن الرواة كانوا يعيدون الشاهد إلى اللغة المشهورة في غير موطن الاستشهاد بالابدال فقد قال ابن جني: . . . وقالوا سايل وسُلْيل وعايل وعِيل قال أبو النجم :

كَأَنَّ رِيحَ الْمِسْكِ وَالْقَرْنَفُلِ نَبَاتَهُ بَيْنَ التَّلَاعِ السُّلَيْلِ^(١١١).

والراجح أنه لم يكن يلتزم الابدال إذ أن ابن جني ذكر بعد هذا البيت قول الشاعر:

فَتَرْكُنْ نَهَادًا عَيْلًا أَبْنَاؤُهَا وَبَنِي فِرَزَةَ كَاللُّصُوتِ الْمُرَدِ

ولم يرجع كلمة اللصوت إلى اللصوص مع أنها ليست موطن الشاهد هنا.

وعلى هذا يمكن القول إن ما جاء عنده منسوباً لتميم كان ابداً له في الوقف وما نسب لأسد كان إباداً له في حشو الكلمة. ولا يعني هذا أن نقطع حكمها في ذلك وإنما نقول هذا الذي ورد عنهم عند ابن جني ولا يمنع أن تكون الظاهرة بسبب الاختلاط قد شاعت في الغريقين بالصورتين ولكن النصوص التي أوردها ابن جني هي هذه.

(١٠٦) شرح شوادر شرح الشافية ٤: ٥٠٦.

(١٠٧) سباتك الذهب ص ٣٢-٣٧.

(١٠٨) سباتك الذهب ص ٥٧.

(١٠٩) سر الصناعة ١: ١٩٣ المخاشية.

(١١٠) سر الصناعة (التحف) ٢: ٨٤.

(١١١) سباتك الذهب ص ٢٨.

أما القسم الثاني الذي لم ينسبه ابن جني ولا ذكره سيبويه فيلاحظ أن الابدال قد جاء فيه في الياء غير المشددة وهو على قسمين : قوله : يارب .. الخ وهي أبيات ذكرها ابن جني غير معزوة وعزها ابو زيد في النوادر^(١٢٢) لبعض اهل اليمن ، وقوله : حق اذا ... الخ لم يعوه ابن جني ولا وجدت من عزاه ، ويلاحظ أن مناسب لبعض أهل اليمن كان الابدال فيه في آخر الكلمة ، أما الآخر فكان في حشو الكلمة . ولكن قبائل اليمن كثيرة فإلى أيها يمكن أن تنسن هذه الظاهرة ، ظاهرة ابدال الياء غير المشددة في آخر الكلمة جيما .

ذكر العلماء عجعجة قضاعة ولم اجد لها عند ابن جني ، ولا ريب أن هناك صلة بين الاسم والظاهرة في أصلها على أقل تقدير ، فالمعنى من قوله في أن عن والكشكشة فيها كشن فالعجعجة ينبغي ان يكون فيها عج في الأصل ولعل هذا معنى الكلمة الجوهري (وعجعجة في قضاعة يحولون الياء جيما مع العين يقولون هذا راجع خرج معج أي هذا راعي خرج معى)^(١٢٣) ويلاحظ أن الابدال قد حدث في راع بالنظر إلى الأصل فيبنيغى ان تكون الكلمة هذار اعج خرج معج باظهار التنوين على جيم راجع لأنه يمكن ذلك مع الابدال كمامي : حتى إذا ما امسجت ، حيث حرك ما جاء بدلا من الياء ،اما معج فتسكن للوقف ، وقولهم : راجع بالتنوين هو من غير شك اثقل من راع واحسب انه لهذا وسمت بالقبح لأنها تحولت من الخفيف السهل الى الثقيل من غير داع ،اما مع التشديد فالحركة باقية في الحالين ، نقول : بالعشّي بالكسر وبالعشّج ، بالكسر أيضا والثانية ابين عند الوقف ، وأرى أنها أيسر في الوصل لأننا مع الياء نجمع كسرة الشين وبياءين وكسرة أي أننا نكرر الصوت أربع مرات ممطولا مطولا مرتين أما في الابدال فنحن نفصل بالجيم بين صوتي الكسرة قبلها وبعدها ، ولذا لا أرى وجها لوسمنها بالقبح ، ومن ثم فأننا استبعد أن يكون الاوائل الذين اطلقوا كلمة القبح على عجعجة قضاعة كانوا ي يريدون ظاهرة الابدال مع التشديد لسبعين :

الأول : أن الظاهرة مع التشديد ثبت كما قدمنا أنها سميت في غير قضاعة حيث كانت في زيد منة من تميم وفي بني أسد من ربعة .

الثانى : ما قدمناه من بعد القبح عن هذا الابدال من الناحية الصوتية .

والذى ترجع عندي أن القبح في ابدال الياء غير المشددة الذى نسبه أبو زيد لبعض أهل اليمن إنما هو في بني جرم من قضاعة لأن القبيلة التي يمكن أن تكون قد اختلطت بيكر بن وايل وحنظلة في نواحي اليمامة والبحرين وجنوب العراق هي قبيلة جرم حيث كانت

(١٢٢) نوادر أبي زيد ص ١٦٤ .

(١٢٣) شرح التصريح عن التوضيح ٢ : ٣٦٧ .

مساكنهم (متفرقة فيها باليمامه ومنها بالبصرة)^(١١٤)، وجرم قبيلة من قضاة^(١١٥)، ولذا أرجح أنها هي المراد بمعجمة قضاعة حيث أبدلوها كثيراً مع العين، فلما أن يكونوا أخذوا البدل من جيرانهم وتصرفاً في غير الياء المشددة وأما أن يكون العكس هو الذي حصل وضيق جيرانهم البدل في الياء المشددة في الآخر لأجل البيان، ثم توسع بعضهم في الياء المشددة في غير الآخر.

وما يتصل بهذا يعني البدل بين الجيم والياء ما جاء عنهم من قولهم شيرة في شجرة مما ظاهره ابدل الجيم ياء وقد نص في هذا على أنه ليس ابدل وإنما هو لغة، وثبتت ورود الكلمة عن العرب فيها أنشده الأصمعي :

تحسّبُه بينَ الإِجَامِ شِيرَةٍ

يريد شجرة، وقد ضبطت شيرة بكسر الشين وفتح الياء. ونقل عن أبي الفضل الرياشي عن أبي زيد أنه كان عند المفضل وعنده قوم من الاعراب فوردت كلمة شيرة فطلب أبو زيد من المفضل أن يسألهم عن تصغيرها فقالوا شيرة. والذي جعل ابن جني يذهب إلى أنه (ينبغي أن يكون الياء فيها أصلاً ولا يكون بدلًا)^(١١٦) امران:

الأول: (ثبات الياء في تصغيرها في قولهم شيرة ولو كانت بدلًا من الجيم لكانوا خلقاء إذ حقرروا الاسم أن يردوا الجيم ليدلوا على الأصل)^(١١٧).

الثاني: أن الشين في شجرة مفتوحة (وشين شيرة مكسورة والبدل لا يغير فيه الحركات، إنما يوقع حرف مكان حرف، وعلى ذلك عامة البدل في كلامهم)^(١١٨).

وهما كما ترى من قوى الاحتجاج، إلا أنه لم يثبت أن أثار إمكان القول بالبدل سائلًا أيمكن أن يكون للقول بالبدل وجه، وأجاب عن ذلك بالامكان على ما في القول به من بعد في الصنعة، ووجه ذلك بأن العرب إذا قلبت أو أبدلت قد تغير الحركات في بعض الأحوال فنحن نعلم أن (جاه مقلوب من الوجه)^(١١٩) وأن أصلها جوه بالسكن فحركتها العرب قلبت الفا وصارت (جاه). والتغيير في شجرة بعد ابدل الجيم ياء قد حدث لثلا

(١١٤) صفة جزيرة العرب ص ١٦٣.

(١١٥) سياق الذهب ص ٢٣.

(١١٦) سر الصناعة (المتحف) ٢: ١٨٣ وانظر المحاسب ١: ٧٤ وهذا النص يظهر بوضوح خطأ م. جونسون حين فهم من الكلمة الأصل الوارد هنا أن شجرة بالجيم فرع جين قال: (زعم ابن جقي - وهو بالتأكيد خطأ في زعمه - أن شير هي الأصل وشجر هي الصيغة المنظورة عنها) فالاصل هنا غير البدل وليس غير الفرع كما فهم جونسون وانظر: تغير الجيم إلى ياء ترجمة سعد مصلح ص ١٨٥.

(١١٧) سر الصناعة (المتحف) ٢: ١٨٤.

تقلب الياء الفاء، اذ هي متحركة قبلها فتحة، فغيرت إلى كسرة لكي تقر ولا تصير (شاره)
بسكون الثاني وهو متحرك في الأصل، ولا يصبح الاستدلال بجاه وانه سكن ثانية، لأنه في
الأصل ساكن في قولنا وجه فقد (سكن ثاني كل منها) ^(١١٨)، ولو قالوا شارة في شجرة (لكان
الثاني من شارة ساكننا وقد علمنا أن ثاني شجرة متحرك) ^(١١٩).

وأرى أن القول بالابدال أقوى من القول بأنها أصلان لأمور:

الأول: أن ما استدل به للابدال من أن العرب قد تغير الحركات إذا قلبت أو أبدلت
استدلال قوي يؤكده انهم قد يغيرون حركة ما قبل الياء إلى الكسر للحفاظ عليها كما غيروا
ضمة مفعول في الاجوف اليائي كسرة لذلك لأنهم لو جعلوها فتحة لصارات الياء الفاء ولو
ابقوها ضمة لقلبت واوا والتبس الواوي باليائي فقالوا من باع مبيع والأصل مبیع ← مبیع
← مبیع ← مبیع

الثاني: ان ابدال الجيم ياء فاش في مناطق كثيرة الآن من العراق في البدو والأرياف
وكذا في الحجاز ونجد وسواحل الخليج وجزره مما يجعل الدارس يطمئن إلى أن له اصلاً قوياً
في الفصيح كقولهم رِيَال في رجال وديابة في دجاجة وبعض أهل بغداد يجمع رجال على
رياجيل وبعضهم يقول رجاجيل.

الثالث: ان البديل قد يتلزم كما قرر هو في غير هذا الموضع ^(١٢٠) ومثل له بعيد وأعياد
وقد جاء جمع شيرة على شيرات في قول (ام الهيثم) ^(١٢١):

إذا لم يكن فيكُن ظلٌّ ولا جنٌ فابعدُكَن اللهُ من شِيرات

ويلاحظ أنها لم تبدل في جنى كما لم يبدل الشاعر في قوله الاجام فيما رواه الأصممي مما
يؤكد أن العرب قد تبدل الحرف في موضع ولا تبدل في آخر. وقد سمع أبوحاتم أم الهيثم
هذه تقول شيرة فسألها أن تصغرها فقالت شيرة ^(١٢٢)، فقد ورد على لسانها المفرد والجمع
والمحضر وكله بالياء ومع ذلك تحكم بأنه من الابدال الملتزم وأن الأصل بالجيم بناء على ما
قرر ابن جنى من قاعدة كثرة الاستعمال، وقد تقدمت، إذ استعملهم شجرة بالجيم هو
الأكثر.

(١١٨) سر الصناعة (المتحف) ٢: ١٨٤.

(١١٩) نفس ٢: ١٨٥.

(١٢٠) سر الصناعة (المتحف) ٢: ١٨١ وانتظر شرح الشافية ١: ٢٠٥.

(١٢١) امثال القالي ٢: ٢١٤.

(١٢٢) امثال القالي ٢: ٤١٢.

ولم يعلل ابن جنی ابدال الياء من الجيم مع أنه ذكر مثلاً لهذا الابدال في قوله: «ابدال الياء من الجيم: قالوا دیجیوج ودیاجی واصله دیاجیج فابدل الجيم الآخرة ياء وجدفت الياء قبلها تحفيفاً»^(١٢٣)، ولم يذكر غير هذه الكلمة في هذا الابدال، ويمكن تعليله على مذهبه بتداي الحرفين واتفاق خرجيهما إذ كلاهما يخرج (من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى)^(١٢٤) وكلاهما مجھور^(١٢٥).

وجعله كلمة (دياجي) من الابدال ساقف عنده في موضع آخر مع عدد من الكلمات التي رأى أن الياء فيها مبدللة من حرف آخر.

الجيم والشين:

ذكر كلمة واحدة ابدل فيها الجيم شيئاً: (قال الراجز:

اذ ذاك اذ حبل الوصال مدمش

أي مدمج، فالشين بدل من الجيم)^(١٢٦) ويبدو أن الراجز إنما فعل ذلك (المكان الروى) كما جاء في اللسان^(١٢٧) ولا يبعد أن يكون الراجز قد لفظها جيئاً مشربة صوت الشين كما نسمعه اليوم في لهجة أهل الشام في مثل قوله (المجتمع والجمهوريه).

التاء والدال والطاء

التاء والدال:

قال: (وقد قلبت تاء افتعل دالاً مع الجيم في بعض اللغات. قالوا: اجد معوا في اجتمعوا واجذر في اجترز وانشدوا:

فقلت لصاحبِي لا تحساناً بنسع أصوله واجدرَ شيخاً
ولا يقاس ذلك إلا أن يسمع لا تقول في اجترأ اجدرأ ولا في اجترح اجدرح)^(١٢٨).

ولم يذكر تعليلاً لهذا الابدال، إلا أنه في الموضع نفسه كان يتحدث عن ابدال تاء الافتعال دالاً مع الزاي وعمل ذلك بأن الدال احت التاء في المخرج والتاء مهموس والزاي مجھور والدال احت الزاي في الجھر فقربوا الصوت من الصوت بان ابدلوا (التاء اقرب

(١٢٣) سر الصناعة (التحفظ) ٢: ١٨٥.

(١٢٤) سر الصناعة ١: ٥٣.

.٢١٥ (١٢٦) نفسه ١:

.٩٩ (١٢٧) اللسان ٣:

.٤٠١ (١٢٨) سر الصناعة ١:

.٦٩ (١٢٥) نفسه ١:

الحروف من موضعها بالزاي وهي الدال^(١٢٩). وهذا التعليل يمكن أن يصدق على قولهم أجد معوا في اجتمعوا وذلك بأن يقال إن الذين ابدلوا لاحظوا الجهر في الجيم كما لاحظ عامه العرب ذلك في الزاي.

وعكن أيضاً أن يقال إن هذا هو الذي جعلهم يقولون في تولج دولج، وتكون الجيم قد نظر إليها على بعد كما نظر إلى الدال في مصادر على بعد^(١٣٠) كما سيأتي وهو لم يعلل هذا أيضاً واكتفى بأن قال: (وقد ابدلوا الدال من تاء تولج فقالوا دولج)^(١٣١).

وذكر أيضاً ابدال التاء من الدال في كلمة ناقة تربوت والاصل دربوت قال: (وهي فعلوت من الدرية أي هي مذلة فالباء بدل من الدال)^(١٣٢). ولم يعلله^(١٣٣) ويمكن أن يعلل على قياس كلامه باتفاق الحرفين في المخرج وصفة الشدة.

التاء والطاء:

ذكر ابدال التاء من الطاء في قولهم فسطاط في فسطاط قال: (فالباء فيه بدل من الطاء لقولهم في الجمع فساطيط ولم يقولوا فساطيط فالباء إذن أعم تصرفا)^(١٣٤) ولم يعلل الابدال وهو واضحقياساً على تعليلاته السابقة إذ التاء والطاء من مخرج واحد، وإذا رقت الطاء صارت تاء^(١٣٥)، والكلمة بعد هذا معربة على ما ذكر الجوالبي^(١٣٦) فلا يبعد أن يدخلها التغيير بذلك. والذي أميل إليه أن السين إذا نطقت مفعمة بحيث تقترب من الصاد كانت الكلمة الفسطاط بالطاء. وإذا نطقت سينا خالصة مال اللسان بالطاء إلى حرف أكثر مناسبة للسين وهو التاء، واعتبر ذلك بنطق مثل الكلمة (فستان وفسطان). وأما ما ذكره من أن التاء بدل من الطاء لأن الطاء أعم تصرفا إذ لم يسمع فساطيط فقد يرد عليه ما قرره الفراء من قوله: (ينبغي أن يجمع فساطيط ولم اسمعها فساطيط)^(١٣٧)، إذ قد يفهم من قوله: ولم اسمعها فساطيط أنه سمعها فساطيط. وحيثئذ يكون الاحتجاج بما قاله ابن جني فيه نظر وينبغي أن يصار إلى احتجاج آخر مما أورده وهو الكثرة، حيث أن المسموع الكثير في الجمع فساطيط.

(١٢٩) نفسه ١: ٢٠٠.

(١٣٠) الكتاب ٢: ٤٢٧.

(١٣١) سر الصناعة ١: ٢٠٢.

(١٣٢) نفسه ١: ١٧٤.

(١٣٣) انظر أيضاً دروس في علم اصوات العربية ص ٥١ حيث ذكر الظاهرة من غير تعليل.

(١٣٤) سر الصناعة ١٧٤/١.

(١٣٥) في اللهجات ص ١٠٣.

(١٣٦) المقرب ص ٢٩٧.

(١٣٧) معجم البلدان لياقوت ٣: ٨٩٦.

ومن ابدال التاء من الطاء أيضاً ما ذكره من قوله استناع يستبع في اسطاع يسطيع^(١٣٨) ، ولم يعلله هنا وإنما قال : (فالباء بدل من الطاء لا محالة)^(١٣٩) وكأنه بكلمة لا محالة يشير إلى الأصل الذي من الطاعة والاصل (صي ع) وليس (تى ع) فلا محالة اذن من القول بأن التاء بدل من الطاء ، وقد ذكر التعليل في موضع آخر حيث قال : (وقالوا أيضاً استناع يستبع فابدلوا الطاء تاء لتوافق السين في المهم)^(١٤٠) . وأرى أن تعليل هذا الابدال هو عين التعليل الذي ذكرته قبل قليل وهو أن الأمر موكل بطريقة نطق السين من حيث قربها من الاطلاق قريباً من مخرج الصاد أو احتفاظها بمخرجها خالصاً ، وعلى هذا أيضاً ابدل التاء طاء في قوله (فحصط برجلي)^(١٤١) في فحصت برجلي وذلك راجع لمكان الصاد كما ذكرنا.

السين والصاد والزاي :

ذكر أن قبيلة كلب تقلب السين مع القاف خاصة زايا وذكر لذلك امثلة ثم انتقل الى الصاد ، وعبارة بحاجة إلى تأمل وأنا موردها ثم معقب عليها بما أراه ، قال : (وكلب تقلب السين مع القاف خاصة زايا ، فيقولون في سقر زقر وفي مس سقر مس زقر ، وشاة زقاء في صقاء ، ومثله من الصاد ازديق في اصدقني وزدق في صدق قال :

وَدْعُ ذَا الْهُوَى قَبْلِ الْقِلْ، تَرُكُ ذِي الْهُوَى
مَتِينَ الْقُوَى خَيْرٌ مِنَ الْصُّرْمِ مَزْدَراً

يريد مصدرها ، وقال آخر :

يَزِيدُ زَادَ اللَّهُ فِي خَيْرَاتِهِ حَامِي نِزَارٍ عَنْدَ مَزْدُوقَاتِهِ
أي مصدوقاته)^(١٤٢) .

وفي موضع آخر قال : (وإذا كان بعد السين غين أو خاء أو قاف أو طاء جاز قبلها صاداً ، وذلك قوله تعالى كائناً يساقون ، وبصاقون ، ومس سقر ، ومس صقر ، وسخر وسخر ، واسبغ عليكم نعمه ، واصبغ ، وسراط وصراط ، وقالوا في سقت صفت وفي سوق صويق)^(١٤٣) .

(١٣٨) في المطبوع (استناع يستبع اي اطاع بطبع) وهو غير مستقيم.

(١٣٩) سر الصناعة ١ : ١٧٤.

(١٤٠) نفسه ١ : ٢١٤.

(١٤١) نفسه ١ : ٢٢٥.

(١٤٢) سر الصناعة ١ : ٢٠٨.

(١٤٣) نفسه ١ : ٢٢٠.

وهنا جملة امور نقف عندها:

الأول: ان عبارته في النص الأول صريحة في نسبة قلب السين زايا بقيد عند كلب، والقيد هو أن يكون السين مع القاف، فما ثأر القاف في هذا الابدال، السين حرف مهموس غير مطبق رخو منخفض والزاي حرف مجهور غير مطبق رخو منخفض ومحرجها من بين أسلة اللسان والثانيا، وكلاهما من حروف الصفير فالفرق بينها في الجهر والهمس، والقاف حرف مجهور شديد مستعمل غير مطبق، وكلب من القبائل البدوية والبدوي يميل إلى الأصوات المجهورة (فالسين عند الحضريين قد ينطق بها زايا عند البدى)^(١٤٤). فكأن القاف وهي مجهورة قد شجعت بني كلب على أن قربوا منها صوت السين بأن نقلوه من الهمس إلى الجهر فصاروا زايا. ولكن قد يقول قائل لم لم تصنع كل قبائل العرب البدوية هذا، ولم لم تصنع كلب هذا مع غير القاف، والحق أن الظاهرة اللغوية قد يكون لها في مكان ما يبرر وجودها إلا أنها لا توجد فيه، فالبدوي يميل إلى الصوت المجهور وهذه صفة تجعل الحرف المهموس عرضة لأن يتتحول عنه إلى مجهور ولكن الذي يلاحظ أن قبيلة بدوية أو افرادا منها يبحرون على المستهم هذه الظاهرة والآخرون يحتفظون بالحرف كما هو، ومعنى هذا أن أمثل هذه الظواهر لا تعرف الاطراد. واما الابدال مع غير القاف فاني لم اجد حرفا يشبه القاف في كل صفاتة اعني أن يكون الحرف مجهورا شديدا مستعملا غير مطبق، والطاء وحده يتفق مع القاف في صفاتة العامة غير الاطباق وقد قرئ السراط باشمام السين زايا (والحججة لمن اشم الزاي أنها توخي السين في الصفير وتوaxy الطاء في الجهر)^(١٤٥)، وذكر الفراء أن اخلاص الزاي في السراط (لغة لعدرة وكلب وبني القين)^(١٤٦).

الثاني: قوله: (وشاة زقعاء في صقعاء) وهو يتكلّم على ابدال السين زايا مع القاف وللعبارة عندي أحد تأويلين: إما أن تكون الكلمة في الأصل سقعا بالسين ثم دخلها التصحيف في نسخة قديمة من الكتاب وسرى في الآخريات بعدها، والذي أعن على ذلك أن الكلمتين بمعنى واحد قال في اللسان: (كل ما يذكر في ترجمة صقع بالصاد فالسين فيه لغة)^(١٤٧)، وما ذكره في صقع: (ونعامة صقعا في وسط رأسها بياض)^(١٤٨)، وإما أن يكون ذكرها تمهدأ لقوله: (ومثله من الصاد ازدقى . .) إلا أن الذي اميل إليه الأول

(١٤٤) في اللهجات ص ١٠٧.

(١٤٥) الحجة لابن خالوية ص ٣٩.

(١٤٦) مقدمتان في علوم القرآن ص ١٤٨ وفيه (لغة لعدرة) واحسبه من خطأ الطبع.

(١٤٧) اللسان ١٠: ٢٢ (ستع).

(١٤٨) اللسان ١٠: ٧٠ (صقعا).

وذلك لأن الصاد حرف صغيري، وكذلك الزاي، والصاد من حروف الاستعلاء كالقاف بخلاف الزاي الذي هو من حروف الانخفاض والاستفال، فلا معنى لابدال الصاد المستعملة زايا لاجل القاف المستعملة. وقد قال ابن جني وهو يتحدث من تقريب الصوت في سبقت وسقت وسملت وسوبيق حيث قيل صبقة وصقت وصملق وصوبيق بالصاد: (والقاف حرف مستعمل والسين غير مستعمل إلا أنها اخت الصاد المستعملة فقربوا السين من القاف بأن قلبوها إلى أقرب الحروف إلى القاف من مخرج السين وهو الصاد).^(١٤٩) وعلى هذا فالذى أراه في مثل كلمة صقر وسقرا ووزقر التي أوردها ابن جني في *الخصائص*^(١٥٠) أن الأصل فيها السين، ولكان القاف فيها ولكي يقرب الصوت من الصوت أبدل بعض العرب صادا وهو موافق للقاف في الاستعلاء، وأبدل بعضهم من السين زايا لأن الزاي أقرب إلى القاف منها للجهة فيها. ثم كان أن شاع الصوت الأولي وهو الصاد مع القاف، وعلى هذا فنحو خالف الرأي القائل بأن الصقر بالصاد هو النطق القديم للكلمة ثم تطورت في البيئة الحضرية وأصبحت سينا^(١٥١)، وكذلك السراط والصراط فنحن لا نوافقه على أن الأصل بالصاد ثم تطورت إلى السين بل الأولى كما هو مذهب سيبويه أن تكون السين الأصل ثم أبدلت صاداً لتتوافق حرف الاطباق... . وقالوا صاطع في ساطع لأنها في التصعد مثل القاف وهي أولى بما من القاف لقرب المخرجين والاطباق.^(١٥٢)

الثالث: قوله (ومثله من الصاد...) أي ومثل قلب السين مع القاف زايا قلب الصاد، ولكن يكون ذلك بقيد القاف أيضاً أم بغيره؟ الذي يلاحظ على الأمثلة التي أوردها إنها جميعاً بالقاف إلا كلمة واحدة وهي (مزدا) يزيد مصدرأً، والذي تبين لي أنه لا شأن للقاف بهذا الابدال إنما كان ذلك لمكان الدال في الكلمات: (اصدق وصدق، ومصدرأ، ومصدوقاته)، وقد كانت الصاد ساكتة فيها جميعاً إلا في صدق، وكان ابن جني ذكر هذا الابدال وهو يتكلم على الصاد التي كالزاي في يصدر وفي قصد ثم قال: (ومن العرب من يخلصها زايا فيقول يزدر وقرد)^(١٥٣)، وقد علل الابدال بانهم قلبوها إلى حرف من مخرجها وهو أقرب حروف هذا المخرج من الدال وذلك الحرف هو الزاي أذ هو حرف مجهر كما أن الدال حرف مجهر، ونص على أن الذي أعاد على هذا القلب هو سكون الصاد ولو تحركت ما جاز قلبه لأن الحرف يتحسن بالحركة فيبعد عن الانقلاب، كذلك جعل القلب مشروطاً بأن يأتي بعدها الدال: (فليما سكنت الصاد ضارعوا بها الدال التي بعدها بأن قلبوها إلى أشبه الحروف بالدال من مخرج الصاد وهي الزاي لأنها مجهرة كما أن الدال مجهرة فقالوا

(١٤٩) سر الصناعة ١: ٢٠١. ٤٢٨: ٢.

(١٥٠) سر الصناعة ١: ٣٧٤.

(١٥١) في اللهجات ص ١٢٩.

(١٥٢) سر الصناعة ١: ٢٠١.

فرد، فإن تحركت الصاد لم يجز فيها البدل وذلك نحو صدر وصدق لا تقول فيه زدرولا زدف وذلك أن الحركة قوت الحرف وحصته فابعدته من الانقلاب، بل قد يجوز فيها إذا تحركت أشمامها رائحة الزاي فاما أن تخلص وهي متحركة زايا كما تخلص وهي ساكنة فلا، وإنما تقلب الصاد زايا أو تشم رائحتها إذا وقعت قبل الدال، فإن وقعت قبل غيرها لم يجز فيها ذلك^(١٥٤). وعلى هذا فاما أن تكون كلمة صدق التي اوردها هي مما أشمر رائحة الزاي لا مما ابدل الصاد فيه زايا، وإنما أن يكون الابدال قد دخلها خلاف القاعدة، وإما أن يكون هناك خطأ في النسخ وان أصلها أصدق وهو المناسب لا صدقى التي قبلها. وقد شرط سيبويه لهذا الابدال الشرطين المذكورين اعني سكون الصاد ووجيء الدال بعدها في الكلمة وعلل الابدال بتقرير الصوت من الصوت حتى يستعملوا المستهم في ضرب واحد (فضارعوا به اشبه الحروف بالدال من موضعه وهي الزاي لأنها مجهرة غير مطبقة... وإنما دعاهم الى أن يقربوها ويبذلوها أن يكون عملهم من وجه واحد وليستعملوا المستهم في ضرب واحد).^(١٥٥) أما شرط سكون الصاد فقد عللته بأن الحركة حينئذ تفصل بين الصاد والدال وإذا فصل بين الحرفين لا يتأتى ادغامهما وتقرير الحرف من الحرف نوع من الادغام اطلق عليه الادغام الاصغر كما سبأي، إلا أنه لم يثبت أن اجازه وان نص على أن الابقاء أحسن، وأجاز الابدال مع البعض على قوله (فإن تحركت الصاد لم تبدل لأنه وقع بينها شيء فامتنع من الابدال.. ولكنهم قد يضارعون بها نحو صاد صدق وبالبيان احسن، وربما ضارعوا بها وهي بعيدة نحو مصادر)^(١٥٦)، فهذا يقوى القول بأن الابدال في صدق إثما جاء على خلاف القاعدة.

الرابع: انه عندما تحدث عن جواز ابدال السين صادا شرط فيه أن يكون بعدها غين أو خاء أو قاف أو طاء، وهي جميعاً من حروف الاستعلاء، والمناسبة ظاهرة في هذا الابدال وذلك أن الصاد والسين من الحروف المهموسة إلا أن الصاد من حروف الاستعلاء فتحولوا عن السين الى اختها لانها اقرب الى الحروف المذكورة منها فهو من باب تقرير الصوت من الصوت. ولم ينسب ابن جي هذا الابدال، وقد نص سيبويه على أنه لغة (هذا باب ما تقلب فيه السين صاداً في بعض اللغات...)^(١٥٧)، ونسب بعض هذه اللغة إلى بني العنبر (... وإنما يقووها من العرب بنو العنبر)^(١٥٨)، وبنو العنبر قوم من تميم^(١٥٩)، وهي قبيلة بدوية ولذا جنحت إلى الصوت المستعلي.

وبقي من حروف الاستعلاء الصاد والضاد والظاء فهل يجوز أن تقلب السين معهن

(١٥٧) الكتاب ٤: ٤٢٧.

(١٥٨) نفسه ١: ٤٢٧.

(١٥٩) الكتاب ٢: ٤٢٨.

(١٥٥) الكتاب ٢: ٤٢٦.

(١٥٦) السياق: ص ٢٧.

(١٥٧) نفسه ٢: ٤٢٦ - ٤٢٧.

صاداً؟ ان الجواب السريع عن هذا يقول: نعم، لأن العلة واحدة وهذا قياس، ولكن لم يذكر ذلك ابن جنی ومن قبله سیبویه؟ يبدو أن ذلك كان لأنه لم تردهم كلمة فيها السين والصاد، أو السين والضاد وقد تقدمت السين، أو السين والظاء. وقد رجعت الى الجمهرة في باب السين والصاد فوجدته يقول (باب السين والصاد: اهملتا مع باقي الحروف في الثلاثي الصحيح)^(١٦٠)، ويبدو أن العرب لم تجمع حرفين من حروف الصفير في كلمة واحدة: (الزاي والسين: زس ش اهملت وكذلك حالها مع باقي الحروف... . . . باب الزاي والصاد مع باقي الحروف مهملات)^(١٦١)، وفي باب السين والضاد قال: (س ض ط: مهملات وكذلك مع الظاء).

س ض غ: الغضس: نبت.

س ض ف: الضفس: مثل الصفز سواء، ضفت البعير وضفسته: إذا جمعت له ضغثاً من خلا فلقمته آية.

س ض ق: مهملات.

س ض م: الضمس: المضخ.

س ض ن: مهملات.

س ض ه: الضهس: هو العض يقدم الفم.

س ض ى: اهملت)^(١٦٢).

ويلاحظ أن جميع الكلمات التي اجتمعت فيها السين والضاد كانت الصاد فيها مقدمة على السين بخلاف ما تكلموا فيه من ابداها صاداً حيث كانت مقدمة على حروف الاستعلاء.

وفي باب الصاد والضاد قال: (باب الصاد والضاد مع باقي الحروف: اهملت مع باقي الحروف، وكذلك الصاد والطاء اهملتا مع باقي الحروف، وكذلك الصاد والظاء. والضاد)^(١٦٣) قد يدخل على السين كثيراً وقد اتينا في باب السين على جملة منها وهي في ما بعد مهملة)^(١٦٤).

فيما كانت العرب قد اهملت الصاد والضاد في الاصل فكيف تقلب السين صاداً مع الضاد فتعود إلى لفظ اهملته، هذا في الاصول التي دخل الصاد فيها على السين، أما

(١٦٣) في المطروع (الصاد).

٢٤: ٣ (الجمهرة).

(١٦٤) نفسه: ٣ (الجمهرة).

٣٥٢: ٣ (الجمهرة).

٢٥ - ٣٤: ٣ (الجمهرة).

الباقيات فلم ترد بالسين أصلًا كما تقدم.

وما يدخل في هذا الباب اعني الابدال في حروف الصفير قوله: (وقال بعضهم: يقال شَرَبَ وشَسَبَ وشَسَفَ، بمعنى، أي: ضَمَّرَ. وفصل الاصمعي فقال: الشاذب الذي فيه ضمور وإن لم يكن مهزوًلاً، والشاسب والشاسف الذي قد يبس... . وليس الزاي ولا السين بدلاً احدهما من الآخر لصرف الفعلين جميعاً^(١٦٥)، ونحن نأخذ بتفصيل الاصمعي اعتماداً على قاعدة من حفظ حجية على من لم يحفظ، فتكون شسب وشسف بمعنى واحد، أي ضمر مع هزال حتى يربى يابساً، فلا بد أن يكون قد وقع فيها ابدال، واغفل ابن جني ذكر الابدال في القاء والباء واكتفى بالكلام على السين والزاي . وأرى أن يقال إن القاء في الكلمة بدل من الباء لأن مجيء شرب بالباء مع امكان القول بالابدال يقوى الاصلية في باء شسب ولم يذكروا لنا شسف. وعلة الابدال أن الباء والفاء من حروف الشفة، أما قوله في شرب وشسب انها اصلاح (لصرف الفعلين جميعاً) فأرى أن يقال إنه قد دخلهما الابدال ثم شاع الاستعمال في الاثنين فتصرف البدل تصرف المبدل منه، والابل عندى السين، والزاي بدل لمجيء الكلمة بالسين مع الباء والفاء اذا قالوا شسب وشسف ولم يقولوا شسف، وأما ذلك الفارق في المعنى الذي ذكره الاصمعي بين شرب وشسف فلا بد أن يكون قد جره الاستعمال، حيث خصت لفظة بالضمير غير المهزول والآخرى بالضمير مع هزال).

الذال والثاء والظاء

الذال والثاء:

الذال والثاء من مخرج واحد فقد نص على أن مخرجهما ما بين طرف اللسان واطراف الشفاه^(١٦٦)، ولكنه حين جاء الى قوله: جذوت وجثوت، وتلعثم وتلعم وحد حاذ وتححاث، لم يذهب فيهن إلى الابدال وإنما قال: (فليس أحد الحرفين بدلاً من صاحبه بل هما لغتان)^(١٦٧). وقولهم جذوت وجثوت ذكر ما يفهم منه انها بمعنى واحد (جذوت وجثوت إذا قمت على اطراف اصابعك وقرأت على أبي على:

اذا شئت غتنني دهاقين قريبة وضناجة تجذو على كل منسي^(١٦٧)، وكذلك قوله: (قرأ فما تلعثم وما تلعم) يشير إلى انها بمعنى واحد، وما دام معناهما واحداً، وبين الحرفين ما يسمح بالابدال وهو وحدة المخرج، فلا أرى ما يدعو

(١٦٥) سر الصناعة ١: ٢٠٧.

(١٦٦) سر الصناعة ١: ٥٣.

(١٦٧) نفسه ١: ٢٠٣.

للقول بأنه ليس إبدالاً، وأرى أن الذال فيهما بدل من الثناء بناء على قاعدة كثرة الاستعمال التي قررها، فنحن نعلم أن الكثير في الاستعمال جثا يجثو وتلعم يتلعم بالثناء.

أما حذ حاذ وحشحاث فقد قال فيما: (وكذلك قولهم قَرْبٌ حَذْ حاذ وَحَشَّ حاثٌ : إذا كان سريعاً، وهو طلب الماء، ليس احدهما بدلًا من صاحبه)^(١٦٨)، وتفسیره الكلمتين بمعنى : إذا كان سريعاً، وهو طلب الماء، يفهم منه أنهما بمعنى واحد، ويندرج تحت ما قلناه آنفًا من الإبدال، وان ذكر معنى السرعة في كل منهما من أصل غير صاحبه : (لأن حشحاثاً من قول تأبّط شرًا :

كائِنَا حَشَّحُوا حُصَّاصاً قَوَادِمَةً أو أَمْ حِشْفٍ بِذِي شَتْ وَطْبَاقٍ أي اسرعوا به، وحذ حاذ من معنى الشيء الاحد..) ثم ذكر قول الفرزدق:

اطعْمَتُ الْعَرَاقَ وَرَافِدَيْهِ فَزَارَأْيَا أَحْذَّيْدَ الْقَمِيصِ
يصفه بالغلو وسرعة اليد، ومن هنا سمي الخليل فعلن في الكامل اخذ لأن أصله متفاعلن فلما حذف الوتد من آخره بقي (متفا) فنقل إلى فعلن، فلما قطع آخر الجزء قل وأسرع انقضاؤه وفناؤه فسماه أخذ.

والذي أراه أن يقال إن الحشحاث دخلها الإبدال فصارت الحذ حاذ لثلاثة أمور:

الأول: أن الكلمتين بمعنى واحد مع إمكان القول بالإبدال لتداني الحرفين.
الثاني: أننا نعرف استحثة بمعنى السرعة ولا نعرف استحذه بهذا المعنى، ومادامت الكلمة بالثاء أوسع تصرفًا في هذا المعنى منها بالذال قلنا باصالة الثناء فيها.

الثالث: أن ما ذكره للاستشهاد على معنى السرعة في حذ حاذ بأخذه من الكلمة أحذ في نظر، إذ قول الفرزدق: أحذيد القميص، قبل فيه انه المقطوع أي القصير اليد عن نيل المعالي، وأرى أنه يمكن أن يقال : إنه كفى بذلك عن السرقة فكانه قد قطع يده، فيقول أوليت العراق سارقاً فكفي عن ذلك بقوله أحذيد القميص. وكذلك تأويله الحذ في الكامل بالسرعة ظاهر التكليف لأن المراد به القطع وذلك واضح مما ذكره مع قطع الوتد، إلا أنه أبي إلا أن يجعل من هذا القطع علامه على السرعة، وهو تكليف لا أرى القول به.

الظاء والذال:

ومخرجها واحد أيضًا إذ هما من بين طرف اللسان وأطراف الشنایا ولذا جاز الإبدال بينهما، وقد نقل أن العرب تقول : (تركته وقيداً ، ووقيظاً)^(١٦٩) ، ثم قضى بأن تكون الظاء بدلًا من

(١٦٨) نفسه ٢٠٣: ٢٠٤ - .

(١٦٩) سر الصناعة ١: ٢٣٣ .

الذال لأن اللفظة بالذال أعم تصرفًا منها بالظاء، فقيد قيل وقده يقده، وقال الله تعالى:
(والموقدة) ولم يسمع المقوظة ولا وقطه.

الحرف المجاورة في المخرج الواحد

الهمزة والعين:

مخرج الهمزة من أقصى الحال والعين من وسطه فهما متجاوران في المخرج ونقل الكلمة عن ثعلب منها: (ارتفعت قريش في الفصاحة عن عنعنة تميم)^(١٧٠)، ثم فسر ذلك بقوله: (فاما عنعنة تميم فإن عيناها تقول في موضع أن عن، تقول: عن عبد الله قائم، وأنشد ذو الرمة عبد الملك:
أَعْنْ تَرَسَّمْتُ مِنْ خَرْفَاءَ مَنْزَلَةً

قال الأصمي سمعت ابن هرمة ينشد هارون الرشيد:
أَعْنْ تَغْنَتْ عَلَى سَاقِ مَطْوَقَةٍ وَرِقَاءٌ تَدْعُ هَدِيلًا فَوْقَ أَعْوَادٍ^(١٧٠).

وأن في بيت ذي الرمة مفتوحة الهمزة ساكنة النون، وكذلك هي في بيت ابن هرمة إلا أن المثال الذي اورده فيه إن مكسورة الهمزة مشددة النون لأنها لا يصح في هذا الموضع ساهاها، وقد أورد المثال في سر الصناعة مسبوقاً بكلمة ظنت^(١٧١)، فتكون الهمزة مفتوحة والنون مشددة. وذكر فيه أيضًا أن العين تبدل من الهمزة وجاءت كلمته مطلقة غير مقيدة: (وأما البدل فقد أبدلت من الهمزة . . .) ثم ذكر الشاهدين والمثال واضاف (وقد أبدلو الهمزة عيناً في غير (عن) أخبرني أبي علي قراءة عليه يرفعه إلى الأصمي قال سمعت أبا ثعلب ينشد بيت طفيلي:
فتحن متعنا يوم حرس نساءكم غداة دعانا عامر غير معتملي

قال: يزيد غير مؤتلي، قال وسمعت أبا الصقر ينشد:
أَرِينِي جِوادًا ماتَ هُرْزَلًا لَأَنِّي أُرِي مَا تَرِينَ أَوْ بِخِيلًا مُحَلَّدًا
قال يزيد لعلني^(١٧٢) . . . ، وظاهر أن الإبدال عنده ليس محصوراً في (أن) فكيف نفس قوله: (وقولهم عنعنة مشتق من قولهم عن، عن، في كثير من الموضع، ومحب، النون في العنعنة يدل على أن ابدالهم أيها إنما هو في همزة أن دون غيرها)^(١٧٣)، وهذا كما ترى نص صريح بتحديد الإبدال في همزة ان؟

الراجح أنه يحصر الإبدال الكثير الذي يسمى عنعنة في الهمزة إذ اتبعتها النون، سواء

(١٧٠) الخصائص ٢: ١١، وانظر سر الصناعة ١: ٢٣٤.

(١٧١) وقد أشار عفتون سر الصناعة إلى أن كلمة ظنت لم ترد في نسختين مما اعتمدوا عليه.

(١٧٢) سر الصناعة ١: ٢٤٠ - ٢٤١.

(١٧٣) نفسه ١: ٢٣٧.

أكانت الهمزة مكسورة أم مفتوحة وسواء أكانت النون ساكنة مفردة أم ساكنة مدغمة في مثلها، وتلك عنده هي العنونة، والقليل أن تأتي مبدلته من غير النون لقوله : (في كثير من الموضع) وذلك بناء على الشواهد التي وردت ، ولم ينشأ أن يجتهد مع الشواهد في جيز الابدال في كل موضع وإن كان القيد ليس له ما يبرره من الناحية الصوتية (فاشترط البدء بالهمزة أو أن تكون مفتوحة ليس له ما يبرره من الناحية الصوتية) ^(١٧٤) ، إلا أنه اشتراط له ما يبرره من حيث الرواية ، إلا أننا نرى لهذه الظاهرة إثارةً في اللهجات الحديثة لا تلتزم بما ذكره ابن جني ، ففي مناطق كثيرة من العراق كما في الرمادي والفلوجة والعشائر المحيطة بها وفي جنوب العراق في العمارة والفرات الأوسط نسمعهم يقولون مثلاً : (أَسْعَلْكَ سَعَالْ) أي أسألك سؤالاً ، وكذلك كانت لهجة كثير من البغداديين في كلمة القرآن الكريم وكتاب القراءة فقد كنت إلى عهد قريب اسمع القسم بالقرآن ، والسؤال عن كتاب القراءة ، أفهمها من أثار اللهجات القديمة وقد فات ابن جني الوقوف عليه ، أم هو شيء مستحدث عندنا . أما القطع فلا سبيل إليه لأنه ليس بين أيدينا ما يعين على ذلك ، إلا أن الذي تميل إليه بسبب انتشار الظاهرة في البدو أنه قديم وهو من آثار تفحيم النطق . وهذا الابدال من غير شك مما تستسيغه البدوة بجفافها وخشونتها . أما الحضارة الناعمة الهانئة فإنها تميل إلى الصوت الأرق نسبياً ، ولذا وجدنا البغداديين اليوم لا يكادون يستعملون كلمة القرآن الكريم بالعين في قسمهم . وليس الظاهرة خاصة بتسميم كما توحى به التسممية (عنونة تسميم) وإنما هي ظاهرة بدوية وجدت في غير تسميم أيضاً فقد ذكر ابن السكري قوله أشهد عَنْكَ رسول الله . وقال : (وهي لغة في تسميم وقبس كثيرة) ^(١٧٥) .

وما يدخل في هذا الباب ابدال العين همزة وقد ورد في كلامه آنفأ شاهد على ذلك هو قوله :
لالي أرى ماترين .. يريد لعلني وقد قال في موضع آخر : (فاما ما أنشده الا صمعي من قول الراجز :

أبأبْ بَحْرٌ ضاحكٌ هَزُوقٌ

فليست الهمزة فيه بدلأ من عين عباب وان كان بمعناه ، وإنما هو فعال من أب إذا همأ . قال الأعشى :

أَخْ قَدْ طَوِيَ كَشْحَأْ وَأَبْ لِيذْهَبَا

وذلك أن البحر يهيا لما يزخر به ، فلهذا كانت الهمزة أصلاً غير بدل من العين . وإن قلت إنها بدل منها فهو وجه وليس بالقوى . ^(١٧٦)

(١٧٤) في اللهجات ص ١١٠ .

(١٧٥) الكثر المغربي ص ٢٤ .

(١٧٦) سر الصناعة ١: ١٢١ .

ولست أرى ضرورة لكل هذا التكليف كي تثبت عدم الابدال ثم ننتهي للقول بأن الابدال وجهه ولكننه ليس بالقوى، فهادامت الكلمتان بمعنى واحد والحرفان من مخرج واحد هو الحلق وقد وقع بينهما الابدال في أن وعنه وما اشبه فإن من الأوفق القول بأنه قد وقع ابدال العين همزة ولا بأس بأن يقال إن ذلك لم يكن بكثرة العكس ولكنه ابدال على آية حال وقد أورد البغدادي في شرح شواهد الشافية^(١٧٧) ، كلام ابن جني المار وذكر عدة كلمات وقع فيها ابدال العين همزة عن عدد من العلماء كالزخنيري وابن يعيش ومن قبلهما ابن السكري والزجاجي وكان ختام كلامه في هذا (ولو استحضر ابن جني عدة كلمات لم يقل ما قال).^(١٧٨)

العين والغين :

خرج العين كما ذكرنا من وسط الحلق أما الغين فإن مخرجها من ادناء فهما متباوران في المخرج إلا أنها على هذا التجاور لم يقع فيها من الابدال ما يستحق الوقوف عنده، فقد ذكر أن العرب يقولون لعني ولعني في لعل وحكم بأن العين بدل من العين (لسعة العين في الكلام وكثيرها في هذا المعنى)^(١٧٩) ، ولم يعلل الابدال هنا وهو واضح لتجاور المخرج. وكثيراً ما نسمع من الأطفال لفظ بعده في بغداد فلا مانع من أن يحدث العكس خطأ في السمع مثلاً.

القاف والكاف :

ما فوق مخرج العين والخاء (من اقصى اللسان مخرج القاف ومن اسفل من ذلك وأدنى إلى مقدم الفم مخرج الكاف)^(١٨٠) ، فهما متباوران في المخرج وقد وقع بينهما ابدال لهذا فمن ذلك قولهم كشط وقطط، وهي بالكاف لقرיש وهي متحضرة بnasibah صوت الكاف المهموس وبالقاف لتميم وأسد وهم اقبيلتان بدويتان يناسبهما صوت القاف المجهور على ما قرره القدامي ، وليس معنى هذه المناسبة أن قريشاً تراكموا الكاف في كل اللغة وأن تميم وأسد اترکوا الكاف وإنغيراً د بالمناسبة أنهما في هذه اللفظة المختلفة في نطقهما مال كل إلى ما يناسبه ، أما لماذا كان الخلاف في هذه اللفظة بخاصة ولم يكن عاماً في كل اللغة فالحسب أن الإجابة القاطعة في هذا أمر غير ممكن ، إنما هي ظاهرة وردت عن العرب نحوها تفسيرها ، ولا يبعد أن يكون الانتقال من أحد الحرفين إلى الثاني إنما جرى بسبب خطأ في السمع أو النطق كتب له أن يشيع . وقد يكون الأصل في اللفظتين

القاف اليمانية التي هي بين القاف والكاف والتي مثلوا لها بقولهم:^(١٨١)
ولا أكُولُ لِكَدْرِ الْكَوْمِ قَدْ نَضِيَّجَتْ ولا أَكُولُ لِبَابِ الدَّارِ مَكْفُولُ
وهذا النطق ما زال معروفاً إلى يومنا هذا في اليمن وفي مناطق كثيرة من البلاد العربية كما

(١٧٧) شرح شواهد الشافية ص ٤٣٢ - ٤٣٥.

(١٧٨) الصاحبي ص ٥٤.

(١٧٩) سر الصناعة ١.

ذكر كاتبتيño^(١٨١). وهو كثير في لهجة بغداد اليوم في أول الكلمة ووسطها وأخرها كقولهم في قال وقشط وقريب (قال، كشط، كريب) وفي رقي ورافق ورقبة (ركي وركاك وركبة) وفي دق وصفق وشق (دك وصفك وشك) فالخلصها القريشي كافاً والتيممي قافاً ولذ السنامع ابن جن في رفض الابدال في الكلمتين حيث قال: ... قريش يقول كشطت وقيس وتميم يقول: قشطت، بالقف وليست القاف في هذا بدلاً من الكاف لأنها لغتان لأقوام مختلفين^(١٨٢).

وإذا نقول مادامت الكلمات بمعنى واحد وبين الحرفين ما يسمح بالابدال فيجب القول به ثم نحاول تفسيره كما ذكرنا.

وما يتصل بهذا اعني ابدال الكاف قافاً ما ذكره عن الاصمعي من قول العرب (امتك الفصيل ضرع امه وامتق وتفق وتفكك: إذا شربه كلبه)^(١٨٣)، وذهب فيه إلى أن الأظهر أن تكون القاف بدلاً من الكاف، لما ذهب إليه أبو علي من أن مكة من هذا المعنى أخذت (لأنها كال مجرى للماء فهو ينجذب إليها)، ولما قال الجميع مكة ولم يقولوا مقدة فوق ذلك أن تكون الكاف هي الأصل[.]

ولكي لا يمتحن عليه بأن القاف أوسع تصرفاً إذا قالوا مقتضي الشيء إذا فتحته ورجل أمن للطويل ذكر أن مقتضي (ليس من امتك في شيء فيحکم بأنه من معناه، وكذلك قوله للرجل الطويل أمن لا نسبة بينه وبين امتك في المعنى)^(١٨٤).

ونحن في هذا على خلاف ما قال اذنرى أن مقتضي الشيء بمعنى فتحته من معنى واحد هي وامتك. وأن الأصل مق أي فتح، فيكون امتك افتفل من المثل أي افتح، ولا شك أن الفصيل عندما يبدأ مص الضرع يفتح عيونه فتسيل، ولو كانت مفتوحة قبل أن ييقها لسا الحلب منها. فهذا آذن من معنى واحد، وكذلك قوله رجل أمن إذا كان طويلاً، إنما هو أفعل من مق الضرع أيضاً فكانه إنما طال لأنه كان أكثر مقاً من ضرع أمه من غيره، فمن مجانية الصواب أن يقال (لا نسبة بينه وبين امتك في المعنى).

الذي اراه أن الكلمتين حكاية لفعل واحد فالعرب يقول: (امتك الفصيل ما في ضرع امه وامتكه وتفقهه: شرب كل ما فيه امتكاً وامتكاً وكذلك الصبي إذا امتص جميع ما في ثدي أمه، وزعم يعقوب أن قافها بدل من كاف امتك)^(١٨٤). والفصيل إذا رضع فإنه في أول أمره يخرج صوتاً بين الشين والصاد يغلب عليه صفير الصاد حين يبدأ باطريق شفتيه على الحلة فيحدث الهواء المتسرب من بين شفتيه وضرع أمه ذلك الصوت فيقال مص

(١٨١) دروس في اصوات العربية ص ١١٠ . ٢٧٩: ١ (١٨٣)

(١٨٤) سر الصناعة ١: ٢٢٣ (مقن).

بالصاد فكأن الميم تمثل انطاب الشفتين على الحلمة والصاد الصوت الذي يتسرّب من بينها وبينها، فإذا حكم غلق شفتيه ولم يسمح للهواء بالتسرب سمع صوت ابتلاعه اللبن وهو إلى القاف أقرب منه إلى الكاف فذاك هو المقص أو الملك، ويبدو أن المقص بالقاف بدوية وبالكاف حضريّة لما قدمنا من ميل البدو إلى الحرف المجهور، والحضر إلى المهموس، وعلى ذلك يكون القاف أصلًا والكاف بدلاً لأن البداؤة أصل في تربية الحيوان والانتباه إلى صوت رضاعه والعناية بما بقي من لبن في ضرع الأم لشدة الحاجة إليه، ولأن القاف أيضًا أوسع تصرفاً كما قدمنا في امتنق وأمق، ويقوى ذلك أنه ذكر قوله: اعرابي كح واعرابية كمحه يريدون قح وقحة ثم قال: (فيبنيغي أن تكون الكاف في كح بدلاً من قاف قح لأن ابن زيد حكى في جمعه اقحاح ولم نسمعهم قالوا أكحاج).^(١٨٥)

وبقى عندنا الكلمة مكة والجواب عن اسمها: إن القول بأنها من معنى انجذاب الماء إليها فكأنها تمهك هو رأي لا يعلي المتفق سنة ٣٧٧ هـ قد يكون صواباً وقد لا يكون، لم ينفله عنمن سبق من العلماء ولم يورد فيه أثراً. ولذا إذا أمكن معارضته برأي آخر أمكن اسقاطه، وهذا أصل. وقد فرق أبو علي بين مكة وبكة وذكر أن موضع الطواف هو بكة لأنها من الأزدحام. وعلى مذهبه يكون موضع الطواف حول البيت بكة، والبلدة مكة. وقد جاءت الكلمة في القرآن الكريم مترين، مرة بالباء وآخر باليم، قال سبحانه: (إن أول بيت وضع للناس للذي يبكيه مباركاً وهدى للعلماء) آل عمان: ٩٦ ولم أجده في ما راجعت إليه قراءة باليم^(١٨٦). وقال سبحانه: (وهو الذي كف أيديهم عنكم وآيديكم عنهم بيطن مكة من بعد أن اظفركم عليهم وكان الله بما تعاملون بصيراً) الفتح: ٢٤ ولم أجده فيها ذكرت من مراجع^(١٨٧)، قراءة فيها بالباء، واطلاقهم على قراءة الأولى بالباء والثانية باليم يشير إلى فرق بين الكلمتين لا شك في ذلك. فكأن القرآن الكريم أراد أن يحدد موضع البيت الحرام في مكة فنص على أنه الموضع الذي يزدحم الناس حوله في الطواف، ولو قيل في غير القرآن: البيت الذي يبكي لا احتمل أن يقول قائل: إن البيت العتيق مكانه موضع كذا من مكة وليس هذا الموضع، ولكن لما حدد بالموضع الذي يزدحم فيه الناس في الطواف انتفى احتمال هذا القول. وقد كان البيت قبل أن تكون مكة حيث أسكن إبراهيم من ذريته عنده ثم تكاثر الناس حوله فكانت البلدة فيما يمكن على هذا أن نقول: إن بكة هي الأصل ويراد بها الأرض التي يطوف الناس فيها مزدحدين حول البيت، ثم لما أرادوا تسمية البلدة ابدلوا الباء منها لما

^(١٨٥) سر الصاعة: ١: ٢٨٠.

^(١٨٦) انظر مثلاً المحتب: ١: ١٥١ - ١٧٨، الحجة ص: ٩٣ - ٨٩، املاء، ما من به الرحمن: ١: ١٤٤، البحر المحيط: ٣: ٦.

وقال (والباء في بكرة طرقية.. وبغضّف أن يكون بكرة هي المسجد لأنه يلزم أن يكون الشيء طرفة ل نفسه وهو لا يصح).^(١٨٧)

^(١٨٧) انظر المحتب: ٢: ٢٧٥ - ٢٧٧، الحجة ص: ٣٠٣ - ٣٠٢، املاء: ٢: ٢٢٨، البحر: ٨: ٩٧.

بين الحرفين من وحدة في المخرج وليرقووا بين الكلمتين. فوافق اللفظ الجديد أصلًا من أصوthem هو الملك أي المص الذي من معانيه الاملاك والنقسان فرأى أصحاب المعجمات أنها سميت بذلك (قلة مائتها وذلك أنهم كانوا يمتكون الماء فيها أي يستخرجونه وقيل سميت مكة لأنها كانت ثلث من ظلم فيها والخد أي تهلكه ..) (١٨٨)، ورأى أبو علي أنها من مك الماء أي مصه فكانها لانخفاضها تملأه، فهذا رأيان متقابلان اعني الرأي القائل بأنها من المص والرأي . القائل بأنها من الاملاك . يمكن أن يضاف إليهما رأي ثالث هو ما قدمته من القول بالابدال وان الكلمة بالمير قد وافقت اصل (مك) موافقة من غير قصد.

الراء واللام :

الراء مجاورة لللام في المخرج اذ (من حافة اللسان من ادنها الى متنه طرف اللسان بينما وبين ما يليها من الخنك الاعلى مما فوق الصاحنك والناب ، والرباعية والثانية مخرج اللام ، ومن طرف اللسان بينه وبين ما فوق الثنایا مخرج النون ، ومن مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلاً لانحرافه الى اللام مخرج الراء) (١٨٩).

ولهذا نجد الأطفال عندما يفرون من الراء لما فيها من تكرير يتتحولون بها إلى اللام فيقولون في راح مثلاً لاح فلا يمتنع أن يقع العكس لهذا القرب أعني أن يتتحول باللام إلى الراء . وقد ذكر ابن جني كلمتين الأولى (قوفهم امرأة جربانة وجبلانة إذا كانت صخابة) (١٩٠)، ونص على أنه ليس من الابدال بل هما لغتان وعلل ذلك بأن لكل واحدة من الكلمتين اشتقاءً . والثانية (قوفهم في الدرع: نثرة ونثلة في يعني أن يكون الراء بدلاً من اللام لقوفهم نثر عليه درعه ولم يقولوا نثراً فاللام اعم تصرفاً) (١٩١).

وقوله بأن الراء في نثرة بدل من اللام في ثلاثة قائم على اصل سبق أن قرره وهو إذا كان احد الحرفين أعم تصرفًا حكم بأنه الأصل والثاني بدل ، وقد أورد هنا أنهم قالوا نثر عليه درعه باللام ولم يقولوا نثر ، وقد نقل صاحب اللسان ذلك أيضًا عن ابن السكريت (١٩٢)، فلا مناص من القول بالابدال على مذهبه وأصوله وما يعني واحد.

أما قوله في امرأة جربانة وجبلانة أنها أصلان واستدلاله بأن لكل منها اشتقاءً إذ أن (جبلانة من الجبلة والصياغ لأنها صخابة وأما جربانة فمن جرب الأمور وتصرف فيها) (١٩٣)، فلا جرم أنه استدلال صحيح ، ولكنني لا أرى المعنى واحداً بهذا التأويل ، إذ

(١٨٨) اللسان ١٢ : ٣٨٠ (مك).

(١٨٩) سر الصناعة ١ : ٥٢.

(١٩٠) سر الصناعة ١ : ٢٠٥ - ٢٠٦.

(١٩١) نفسه ١ : ٢٠٦.

(١٩٢) اللسان ١٤ : ١٦٩ (نثر).

(١٩٣) سر الصناعة ١ : ٢٠٥ - ٢٠٦.

أحدهما من الجلبة والآخر من التجريب وفرق واضح بين الأصلين فلا يصح بحثها مع الابدال أو ما يوهم الابدال إذا كانتا بهذين المعنين ويكون مثلهما كمثل قوله : كرع الرجل وكلع ، مثلاً لو أردنا أن نتكلف لها لبحثناها تحت ما يتهم أنه ابدال وهو لغة ، ولقلنا إن الكلمتين تدلان على الوضعية إذ كرع يعني اجتنأ بأكل الكراع ، وكلع أصابته شقوق ووسخ في قدمه^(١٩٤) ، ولكنه تكلف لا نرتضيه .

وعندي أنه إذا أراد بكلمة جرباته معنى الصخب كما ذكر (جرباته وجلباته إذا كانت صخابة) فلا بد من القول بالابدال ، ولا معنى للتجريب حينئذ لأنه أراد أن يذكر الجلبة والصخب ، فابدل من اللام وكأنه يبالغ في اظهار صخباً باظهاره صخب الراء وترددتها ، فإن أراد معنى التجريب ابتداء فلا إبدال لأن المعنى مختلف . وما دام ابن جني قد ذكر الكلمتين بمعنى واحد فإن القول بالابدال فيها هنا هو الوجه .

اللام والنون :

ذكرنا مخرج اللام وفيه (من حافة اللسان من ادنها إلى متنه طرف اللسان...)^(١٩٥) ، ومخرج النون (من طرف اللسان بينه وبين ما فوقه الثانية)^(١٩٦) ، فهـما إذن متجلوران في المخرج ، مشتركان في طرف اللسان ، ويشتركان أيضاً في سفة الجهر وفي أنهما من الحروف التي وصفها ابن جني بـانـها بين الشدة والرخـاوة^(١٩٦) ، (ومعنى هذا أن اللام والنون متقاربان في المخرج ، أو هـما من مخرج واحد بضرـبـ من التـوسع^(١٩٧) .

وقد ذكر مما ورد باللام والنون قوله: سكر طبرزـلـ وطـبـرـزـنـ وقال: (ـهـما متساوـيـانـ في الاستعمال فـلـسـتـ بـأـنـ تـجـعـلـ أحـدـهـماـ أـصـلـاـ لـصـاحـبـهـ أـولـىـ مـنـ بـحـمـلـهـ عـلـىـ ضـدـهـ).^(١٩٨) ، وقد أغفل هـجـةـ ثـالـثـةـ وهيـ : طـبـرـزـ بـالـدـالـ ، فـقـدـ نـقـلـ فـيـ الـعـرـبـ عـنـ الـاصـمـعـيـ أنـ فـيـ الـكـلـمـةـ (ـثـلـاثـ لـغـاتـ مـعـرـيـاتـ)^(١٩٩) ، وـذـكـرـ أـصـلـ الـكـلـمـةـ (ـبـالـفـارـسـيـةـ تـبـرـزـ) ، كـانـهـ يـرـادـ نـحـتـ منـ نـوـاحـيـ بـفـأـسـ ، وـالـتـبـرـ الـفـأـسـ بـالـفـارـسـيـةـ ، وـمـنـ ذـلـكـ الطـبـرـزـ مـنـ التـمـرـ لـأـنـ نـخـلـتـ كـانـغاـ ضـرـبـتـ بـالـفـأـسـ).^(٢٠٠) ، وـيـدـوـ أـنـ السـكـرـ المـرـادـ هـنـاـ هـوـ مـاـ كـانـ نـسـمـيـ فـيـ بـغـدـادـ بـ(ـكـلـةـ القـندـ)ـ ، أـوـ رـأـسـ الـقـندـ)ـ لـأـنـ يـكـونـ عـلـىـ شـكـلـ مـخـرـوطـ فـكـأـنـهـ نـحـتـ بـفـأـسـ ، وـيـكـونـ قـوـياـ مـتـمـاسـكـاـ لـيـكـسـرـ إـلـاـ بـقـوـةـ فـكـأـنـهـ يـرـيدـونـ أـنـ نـحـتـهـ أـوـ كـسـرـهـ يـكـونـ بـالـفـأـسـ كـنـايـةـ عـنـ قـوـةـ ثـامـسـكـهـ . وـيـلـاحـظـ اـجـاعـ الـلـهـجـاتـ الـثـلـاثـ عـلـىـ اـبـدـالـ التـاءـ مـنـ تـبـ طـاءـ ، ثـمـ اـخـتـلـفـ فـيـ الـحـرـفـ الـآـخـرـ ، فـبعـضـهـمـ أـفـرـهـ دـالـاـ وـبعـضـهـمـ جـعـلـهـ نـوـنـاـ ، وـبعـضـهـمـ لـاـ ، وـمـاـ دـامـتـ الـكـلـمـةـ

(١٩٧) القاموس المحيط ٣:٧٨، ٧٩ (كرع، كلع). (١٩٤) علم اللغة العام - الاصوات ص ٩١.

(١٩٨) سر الصناعة ١:٥٢. (١٩٥) الخصائص ٢:٨٢.

(١٩٩) المـعـربـ صـ ٢٧٦ـ . (١٩٦) نفسه ١:٦٩ـ .

معربة فإنه يجوز أن يكون الذي أبقى الدال فيها اخذها عنه بعضهم فأبدل الدال لاماً، وبعضهم أبدلها نوناً، أو يكون الذي جاء بالكلمة باللام قد اخذها من قالها بالنون فابلد، ويجوز العكس أيضاً، ويجوز أن يكونوا جميعاً قد اخذوها مباشرةً من الفارسية وتصرفاً فيها. وعلى آية حال فإن العرب يتصرفون كثيراً في المعرّب.

أما التمر الطبرزد فقد جعلناه في هجتنا العامية في بغداد: التبرزل بالباء المكسورة واللام ولم نسمعهم يقولون تبرزد ولا تبرزن، فهل يمكن أن يوحى اليها هذا ابدال البنون من اللام في سكر تبرزن.

ومن ذلك أيضاً قوله هلت السماء. وهتنت، قال: (هـ اصلان، الا ترا هـ متساوين في التصرف.. قال امرؤ القيس:

كُلٌّ من شَعِيبٍ ذَاتٍ سَحْ وَهَنَانٍ
فَسَحَّتْ دَمْوَعِي فِي الرِّداءِ كَأَنَّهَا
وقال العجاج:

عَزَّزَ مِنْهُ وَهُوَ مُعْطَى الإِسْهَابِ

ضَرَبُ السَّوَارِيِّ مَتَّهَ بِالْهَتَّالِ (٢٠٠)

وعندني أن قوله: هـ اصلان، فيه نظر، ذلك أنه لم يرد عن العرب في هذا المعنى غير هـل وهـن لكان ما قاله منسجياً مع قاعدته في اللهجة والبدل، إذ هـ ما متساويان في التصرف، إلا أن العرب قالت: هـل، بالطاء، فيكون عندها ثلاث كلمات: هـل وهـل وهـن، وكلها تصرف وهي بمعنى واحد، قال في اللسان: (.. وسحائب هـل وهـن: هـل)، إلا أن هـل في كثرة الاستعمال لا يدان بها أي من الكلمتين الآخرين (٢٠١)، ولعل هذا الذي جعل ابن منظور يفسرها بها، وعلى هذا فالاشبه أن تكون هي الأصل، ثم قيل هـل باللام حيث أبدلت الطاء تاءً لتناسب الهماء إذ كلـها حرف مهموس، ثم أبدلت النون من اللام عند آخرين لتجاوزها في المخرج، واشتراكها في الصفة، إذ كلـها مجهر، وبين الشديد والرخو. أما ما ذهب إليه ابن السكيت من أن الهـن والهـل (فوق المـلـ) (٢٠٢)، فيبدو أنه إن صح شيء دخل اللـفـظ بالاستعمال وكان الأولى على مذهب ابن جـني كما سيأتي في فصل الصـوتـ والـمعـنىـ أن تكونـ الـلـفـظـ بـالـطـاءـ أـشـدـ مـنـ الـيـ بـالـباءـ.

(٢٠٢) نفسه: ١٤، ٢٢٣، ٢٢٤ مادة هـل.

(٢٠٣) الكـترـ اللغـويـ صـ ٣.

(٢٠٠) الحـصـائـصـ ٢: ٨٢ - ٨٣.

(٢٠١) اللـسانـ ١٤: ٢١٣ مـادـهـ هـلـ.

الحرف المتقاربة:

الثاء والفاء:

من بين طرف اللسان واطراف الثنایا مخرج الثاء، ومن بين باطن الشفة السفلی واطراف الثنایا العليا مخرج الفاء^(٢٠٤)، ويکاد مخرجها يكون واحداً، والصوت الذي يخرج من الثنایا العليا نتيجة مرور الهواء بينها وبين طرف اللسان الضاغط عليها، قريب من الصوت الخارج منها نتيجة مرور الهواء بينها وبين باطن الشفة السفلی الضاغطة عليها، وهذا ما يفسر لنا بجيء عدد من الكلمات عن العرب وقعت فيها الفاء مكان الثاء عند قوم منهم وبالعكس، وقد نسب للتمييمين قوفهم في الجدث الحجازية الجدث^(٢٠٥)، وذكر في سر الصناعة من غير نسبة: فروع الدلو وثروغها والاثافي والاثنائي^(٢٠٦)، وقام زيد ثم عمرو، وفم عمرو، وقوفهم جدث وجدف، وقوفهم فناء الدار وثناء الدار، وعافور وعائزور، والتنفي والثني، والفوم والثوم^(٢٠٧). إلا أنه لم ينظر إليها جيئاً على أنها من باب واحد بل جعلها من أبواب متفرقة:

فالثروغ والاثائي ، نص فيها على الابدال حيث ابدل الثناء من الفاء ، وعلة ذلك
عنه سعة تصرف اللغة بالفاء فقد قالوا التفريغ ، وقالوا ثفاه يشفوه .
اما فُمْ وجذف ، فالباء فيها بدل من الثناء . لقولهم احداث ولم يقولوا اجداف ولم
يذكر هنا علة حلة فاء في البدل ، وعلله في موضع آخر بكثرة استعمال الكلمة بالثناء^(٢٠٨) .
اما العافور فقد نقل رأي ابن السكري في بأن الفاء بدل من الثناء لأنه من غير يعثر
أي وقع في الشر وذلك في قوله :

وَعَقْبَ عَلَيْهِ بَقْرُلَهُ : (وَالَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ وَجْهُهُ)^(٢٠٨) . إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُلْبِثْ أَنْ جَعَلَ الْقَوْلَ
بِالْأَبْدَالِ هُنَّا ضَعِيفًا لِأَنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ عَافُورًا مِنَ الْعَفْرِ وَهُوَ الشَّدَّةُ قَالَ : وَمِنْهُ عَفْرِتُ ،
وَذَكَرَ ضَابِطًا فِي الْمَسْأَلَةِ هُوَ : (إِذَا وَجَدْنَا لِلْفَاءَ وَجْهًا نَحْمِلُهَا فِيهِ عَلَى أَنَّهَا أَصْلُ لَمْ يَجِزْ
الْحُكْمُ بِكُونِهَا بَدْلًا إِلَّا عَلَى قَبْحِ وَضْعِفِ تَجْوِيزِهِ)^(٢٠٩) . وَيُلَاحِظُ أَنَّ الْقَوْلَ بِالْأَصْلِ هُنَّا
يَجْعَلُ الْكَلْمَتَيْنِ بِمَعْنَيَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ ، فَالْعَافُورُ عَلَى الْقَوْلِ بِالْأَبْدَالِ مِنَ الْعَثَرَةِ أَوِ الْوَقْعَفِيِّ
الشَّ كَمَا ذَكَرَ وَيَكُونُ الْمَعْنَى أَنَّ هَذِهِ الْبَلْدَةَ مَرْهُوبٌ شَرْهَا ، وَهِيَ عَلَى الْقَوْلِ بِالْأَصْلِ أَيِّ

٢٥٠ : ١ نسخه (٢٠٧)

٥٣ - الصناعة (٢٠٤)

٢٠٨) المحتسب ١: ٨٨.

٢٠٩) المحتسب

١٩١ الصناعة (٢٠٦)

من العفر بمعنى الشدة ويكون المعنى أنها مرهوبة شدتها، وفرق بين الشر والشدة، وأبدال الصوت من الصوت الذي نتكلم عليه لا يغير شيئاً من المعنى كما في ثم وفم وجدث وجذف، ولذا فإن المعنى إذا اختلف كان الأولى أن يحمل اللفظ على الأصل لا الأبدال.

وهكذا قطع في فناء الدار وثنائها وذلك أن فناء الدار (من فني يفنى ، لأنها هناك تفنى ، لأنك إذا تناهيت إلى اقصى حدودها فتني ، وأما ثناها من شيء يثنى لأنها هناك أيضاً تثنى عن الانبساط لمجيء آخرها وانقضاء حدودها)^(٢٠٨) ، والذي جعله يحكم بانهما أصلان وليس أحدهما بدلاً من الآخر أن الفعل يتصرف من فني كما يتصرف من شيء ، وليس أحدهما باقل تصرفًا من صاحبه حتى يحكم بأنه بدل منه ، وهذا الذي قاله وجه ، إلا أن الذي أميل إليه أن الأصل فناء الدار بالفاء وأن الثاء أبدل من الفاء وذلك اعتماداً على قاعدته التي اوردها في ثم وفم حيث حكم بأن الفاء بدل من الثاء لكثره استعمال ثم وقلة فم ، فهكذا هنا نقول إن الثاء في ثناء بدل من الفاء لأننا وجدناهم يكترون من استعمال فناء حتى الفها الناظر في كتب العربية لكثره ورودها عنهم أما ثاء الدار فلقتها لم تكن مألوفة لدينا ولذا نجد الاستعمال اليوم يجري على فناء الدار ولا اثر فيه لكلمة ثاء الدار بالثاء.

اما النفي والشيء للماء المتساقط من الرشاء ، فقد ذهب فيما إلى أنهما اصلان وذلك أنه نفي لأن الجبل المستقى به ينفيه عنه ، وهو شيء لأن الجبل يشهو أي ينشره ويفرقه ، ثم لم يليث أن أجاز كون الثاء بدلاً من الفاء لقول امرئ القيس :

وَمَرُّ عَلَى الْقَنَانِ مِنْ نَفِيَانِهِ فَأَنْزَلَ مِنْهُ الْعُصْمَ مِنْ كُلِّ مَنْزِلٍ

حيث اجمعوا على روايته بالفاء ولم يسمع فيه الثاء.

اما الفوم والثوم فقد نفى في سر الصناعة أن يكون بين الكلمتين ابدال وحمل الفوم على معنى الحنطة فليست الفاء بدلاً من الثاء وذكر أنه هو الصواب : (والصواب عندنا أن الفوم الحنطة . . ولنست الفاء على هذا بدلًا من الثاء)^(٢٠٩) ، بيد أنه ذكر في المحتب أنه من الأبدال وانهما بمعنى واحد : (الثوم والفوم بمعنى واحد كقولهم جدث وجذف . . فالفاء بدل فيما جمياً)^(٢١٠) . فإذا عرفنا أن المحتب كان قد الفه بعد سر الصناعة كان المعتمد قوله بالأبدال.

. ٤٥٢: (٢٠٩) سر الصناعة ١.

. ٨٨: (٢١٠) المحتب ١.

الكاف والشين :

(من اقصى اللسان مخرج الكاف ومن اسفل من ذلك وادنى الى مقدم الفم مخرج الكاف، ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الاعلى مخرج الجيم والشين والياء)^(٢١١)، فهما متقاربان في المخرج .

وقد تحدث ابن جني عنهما في اكثر من موضع وحديه بحاجة الى تأمل ، فقد ذكر الكشكشة ونسبها الى ربعة قراءة على محمد بن الحسن عن ثعلب ثم قال احسبه أنا عن الاصمعي وذلك في سر الصناعة^(٢١١)، وفي الخصائص^(٢١٢)، قال حدثنا أبو بكر محمد بن الحسن عن أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب قال ... ، ولم يذكر الاصمعي ، وسواء أكان الخبر عن الاصمعي أم وقف عند ثعلب فإنه قد أثبت لنا اسم الكشكشة منسوبة إلى ربعة دون إيضاح لحقيقةها ، وقد فسرها ابن جني في الموضعين بزيادة الشين بعد كاف المؤنث خاصة وفي حال الوقف : (واما كشكشة ربعة فإنما يريد قولها مع كاف ضمير المؤنث انكش ورأيتكش واعطيتكش ، تفعل هذا في الوقف ، فإذا وصلت استقطعت الشين)^(٢١٣) . وهي بهذا القدر زيادة ، وليس ابدال حرف من حرف ، إلا أنه في موضع آخر ذكر أن من العرب من يبدل كاف المؤنث في الوقف شيئاً وعلل ذلك بالحرص على البيان لأن كسرة المؤنث تخفي عند الوقف ، ثم لم يلبث أن قال : (وربما زادوا على الكاف في الوقف شيئاً حرصاً على البيان أيضاً)^(٢١٤) ، ولم ينسب اللغة كما هو واضح من النص وأشار إليها بلفظ التقليل (ربما) ، ولذا رأيت أن اتناول المسألة بشيء من التفصيل :

بين ايدينا عبارة سيبويه في هذا الموضوع وهي على قدمها لا ترقى اليها عبارات ابن جني في الموضع التي تناول فيها الكاف والشين ولذا فسوف أقف عندها لأقارن بها عبارات ابن جني ولأخذ منها دليلاً على توهم بعض المحدثين في تفسير الكشكشة ، قال سيبويه^(٢١٥) : (فاما ناس كثير من تميم وناس من أسد فانهم يجعلون مكان الكاف للمؤنث الشين) فهذه نسبة صريحة إلا أن ابن جني لم ينسب اللغة وعبر عنها بالابدال في أكثر من موضع كقوله : (فاما ما قرأته على أبي بكر محمد بن الحسن عن ابن الاعرابي من قوله :

وان تكلمت حَتَّى تُنقِي كُنْقِيقَ الدِّيشِ

. (٢١٤) سر الصناعة ١: ٢١٧.

. (٢١١) سر الصناعة ١: ٢٣٤.

. (٢١٥) الكتاب ٢: ٢٩٥.

. (٢١٢) الخصائص ٢: ١١.

. (٢١٣) نفسه وانظر سر الصناعة ١: ٢٣٥.

فإنه أراد الديك فابدل الكاف شيئاً ونحوه قوله:

فعيناش عينها وجيدُش جيدها سوى أن عظم الساق منش دقيق

والبدل كثير...^(٢١٦). قال سيبويه: (وذلك أنهم أرادوا البيان في الوقف لأنها ساكنة في الوقف فارادوا أن يفصلوا بين المذكر والمؤنث وارادوا التحقيق والتوكيد في الفصل لأنهم إذا فصلوا بين المذكر والمؤنث بحرف كان أقوى من أن يفصلوا بحركة...) وهذا تعليل مفصل للغة التي تبدل الكاف شيئاً في الوقف، وعندما جاء لذكر زيادة الشين بعد كاف المؤنث علله بالبيان كما في ابدال الكاف شيئاً (وقد يلحقون الشين ليبيسوا بها الكسرة في الوقف كما ابدلوا مكانها للبيان^(٢١٧))، وقد أخذ ابن جني تعليل سيبويه في الموضعين، قال عن ابدال الكاف شيئاً (ومن العرب من يبدل كاف المؤنث في الوقف شيئاً حرصاً على البيان لأن الكسرة الدالة على التأنيث فيها تخفي في الوقف فاحتاطوا للبيان بأن ابدلوها شيئاً^(٢١٨)). وقال عن زيادة الشين بعد الكاف: (وربما زادوا على الكاف في الوقف شيئاً حرصاً على البيان أيضاً)^(٢١٩)، وقد ذكر ابن جني في ابدال الكاف شيئاً في الوقف أن من العرب (من يجري الوصل مجرى الوقف فيبدل فيه أيضاً وانشدوا للمجنون):

فعيناش عينها وجيدُش جيدها سوى أن عظم الساق منش دقيق^(٢١٩)، ولم اجد سيبويه ينص صراحة على أن بعض العرب يجري الوصل مجرى الوقف هنا إلا أن المثالين الذين ذكرهما تجعلني أميل الى أن العبارة الخاصة بذلك قد سقطت من الكتاب فقد قال: (...) وذلك قوله: إنشِ ذاتبة ومايُشِ ذاتبة يريد إنكَ وماليك^(٢٢٠)، واضح أن المثالين في الوصل لا الوقف. وقال سيبويه: (وجعلوا مكانها أقرب ما يشبهها من الحروف إليها لأنها مهموسة كما أن الكاف مهموسة، ولم يجعلوا مكانها مهموساً من الحلق لأنها ليست من حروف الحلق)^(٢٢٠)، وهذا تعليل لم اجده عند ابن جني وكأنه لم يلتفت إليه، فالمهموس عشرة احرف هي: هـ، حـ، كـ، شـ، خـ، ثـ، سـ، تـ، ثـ، فـ. وأول حرف مهموس يسبق الكاف في المخرج هو الخاء وهو من حروف الحلق، وأول حرف مهموس يلي الكاف هو الشين، ولذا نرى أن تعليل سيبويه اختيار الشين لتكون مكان الكاف تعليل صوتي مقبول ولا ارى عليه اعتراضاً.

من كل ما مر نرى انفسنا أمام ظاهرتين صوتيتين: الأولى : تبدل كاف المؤنث في الوقف شيئاً، وقد ابقى قوم هذا الابدال في الوصل أيضاً إجراء للوصل مجرى الوقف، وقد

(٢١٦) التمام ص ٣٧ وانظر سر الصناعة ١: ٢١٦. (٢١٩) نفسه.

(٢٢٠) الكتاب ٢: ٢٩٥. (٢٢٧)

(٢١٨) سر الصناعة ١: ٢١٦.

نسب سيبويه الظاهرة إلى ناس كثير من تميم وناس من أسد، ولم يذكر كلمة ربعة.
 والثانية: زيادة الشين بعد الكاف ولم ينسها سيبويه وإنما قال: (وقوم يلحقون . . .) وهذه الظاهرة هي التي رأينا ابن جني يفسر بها الكشكشة المنسوبة إلى ربعة. فإذا علمنا أن أسد من ربعة^(٢٢١)، وأن السيرا في^(٢٢٢)، قد نسب الظاهرة إلى بكر بن وائل وهم من أسد^(٢٢٣)، يمكن أن نفسر كلمة سيبويه (وناس من أسد) بأنه اراد بهم بكر بن وائل، وأن الذين قالوا: كشكشة ربعة قد ارادوا ذلك أيضاً إلا انهم اطلقوا الصفة على القبيلة بسعتها وهي في جزء منها، وبكر بن وائل كانت ديارهم (من اليمامة الى البحرين الى سيف) كاظمة فاطراف سواد العراق فالابلة فهيت^(٢٢٤)، (وفهم العدد والشهرة)^(٢٢٥)، أما بنو تميم فقد كانت منازلهم (في اليمامة حتى جنوب العراق ثم ترجع إلى البحرين فألاحساء)^(٢٦)، ويبدو أنه كان هناك تجاور واحتلاط بين بكر بن وائل من أسد من ربعة وبعض تميم في اليمامة والبحرين وجنوب العراق. ولكن أي تميم كانوا على احتلاط بيكر بن وائل. الراجح عندي أنهم منبني سعد بن زيد منة، لأنهم كانوا في اطراف اليمامة من جهة العراق (وارض اليمامة لقصدها من العراق قرية يقال لها ثياب بها ناس منبني سعد بن زيد منة من تميم)^(٢٧)، ولعل هؤلاء هم الذين عبر عنهم سيبويه بكلمة ناس كثير من تميم ، أما من من ينبطون سعد بن زيد منة كان على احتلاط بيكر بن وائل فالذي أميل إليه أن منهمبني عوافة بن سعد بن زيد منة الذين يتسبّب إليهم الشاعر هبيان بن قحافة السعدي وذلك لوجود ظاهرة ابدال الياء المشددة فيما عنده وعنده الشاعر أبي التجم العجلي الذي يعود نسبة إلى بيكر بن وائل كما مر في كلامنا على الياء والجيم . ولست اقطع بشيء إنما هو مجرد ميل . وحسبني أنني وقفت عند وحدة صغيرة نسبياً من تميم ومن ربعة في حصر هذه الظاهرة وحددت موضعها في الاماكن المشتركة بين الوحدتين .

والظاهر من عبارة سيبويه (وقوم يلحقون . . .) وعبارة ابن جني : (وربما . .) أن الظاهرة الغالبة في هذين الحين هي ظاهرة الابدال، أما الحال الشين مع بقاء الكاف فهو

(٢٢١) السيانك ص ٢٠.

(٢٢٢) شرح السيرافي على الكتاب ٤٦٨:٥ (عن اللهجات في التراث ص ٢٧٩).

(٢٢٣) السيانك ص ٥٣، ٥٤.

(٢٢٤) صفة جزيرة العرب ص ١٦٩.

(٢٢٥) السيانك ص ٥٤.

(٢٢٦) صفة جزيرة العرب ص ١٧٣.

(٢٢٧) صفة جزيرة العرب ص ١٦٢.

قليل، ولعل هذه القلة هي التي جعلت بعض العلماء يصف الظاهرة بالقبح.

هذا التفصيل في وصف وتحليل الظاهرة الذي رأيناه عند سيبويه وابن جني يجعلنا نتردد كثيراً في قبول ما قيل من أن الظاهرة لم تكن شيئاً، أو كافأً وشيناً، إنما كانت صوت تش (ch) خليل للعلماء، أنه شين أو كاف وشين^(٢٢٨). فالتحليل الذي ذكر لابدال الكاف شيئاً أو لزيادة الشين بعد الكاف من الذين شافهوا الناطقين بها كان البيان، أي بيان الكسرة في كاف المؤنث بزيادة الشين، وبيان التأنيث في ابدال الكاف شيئاً، ومعنى ذلك أن هناك كسرة بين الكاف والشين في قولهم: مررت بكش، ولا يمكن أن يقال إن الكاف والكسرة والشين تساوي صوت التاء الساكنة والشين أو بلغة المعادلات: ك + كسرة + شين ≠ تش، أما الابدال فإنه يؤدي إلى صوت الشين الساكنة التي جيء بها مكان الكاف الساكنة في الوقف فنقال: مررت بش، وهي شين مفردة لا يمكن أن تساوي صوت تش أيضاً أو تلتبس به. زد على ذلك أن دقة العلماء في الأصوات ووصفهم مخارج الحروف وكلامهم على الحروف التي لا تتكلم بها العرب، يجعلنا نشك كثيراً في نسبة هذا الوهم إليهم، وإن الذي يحدثنا عن الحروف الفروع غير المستحسنة (الكاف التي بين الجيم والكاف والجيم التي كالشين...)^(٢٢٩)، لا يعجزه أن يتحسن صوت تش. بل إن الذي أميل إليه أن هذا الصوت يشيع عندنا اليوم في الكاف من نحو كتابك وأسمك بالكسر لضمير المؤنث وديك وسمك للام الكلمة حيث تلفظ كلها بصوت تش أو كما نرسمه (ج) أي بالجيم المنقوطة بثلاث نقاط، وأن هذا الصوت هو الذي اطلق عليه ابن جني الكاف التي بين الكاف والجيم وجعله من الفروع غير المستحسنة^(٢٣٠)، ولا علاقة له بالخشخاشة، ولعل كونه بين الكاف والجيم هو الذي جعل الكتاب عندنا وفي بلاد فارس والهنود وتركيا يرمزون له بحرف الجيم وتحته ثلاث نقاط. فهو كاف في الأصل نقل إلى صوت بين الجيم والكاف وهذا الصوت كثير شائع في الهندية والفارسية كقولهم في السرير جرباية والأصل جهار باية أي الارجل الأربع وهو مستعمل في عامتنا فمن الجائز أن يكون الصوت قد انتقل إلى بعض العرب عن طريق الاختلاط في نواحي البحرين وجنوب العراق فسمعه العلماء، وجعلوه من الفروع غير المستحسنة، وانتشر عندنا كثيراً لاختلاطنا القديم والحديث بالهنود والفرس.

(٢٢٨) في اللهجات ص ١٢٩. اللهجات العربية في التراث ص ٢٨٠.

(٢٢٩) سر الصناعة ١: ٥١.

(٢٣٠) نص كاتبتو على ذلك أذ قال في دروس في علم اصوات العربية ص ١٠١: (نطق متهم للكاف هو الكاف التي كالجيم... فالمفروض أن يكون هذا النطق هو نطق الكاف تش).

وقد علل المستشرقون الكشكشة بأن الكاف الحالية من التعطيش وهي من أصوات اقصى الحنك حين يليها صوت لين امامي للكسرة تمال إلى نظائرها من أصوات وسط الحنك أو الثناء الامامية ولذا فقد تطورت هذه الكاف في عدد من الكلمات الهندية الاوروبية إلى صوت تش (ch) الذي هو صوت من وسط الحنك . ووافقهم في ذلك عدد من الكتاب العرب^(٢٣١)، ووصف بعضهم الصوت بأنه صوت صلب لثوى مهموس (مثل كاف التأنيث في اللهجة العراقية في مثل كتابك)^(٢٣٢) . وهذا الذي ذهبوا إليه قد يكون صحيحاً في الصوت المستعمل في لهجتنا العامية فنحن نقلب الكاف إلى تش في الأول والوسط والأخر في المؤنث وغيره ، جاءت بعده كسرة أو فتحة أو كان ساكناً نقول في كم جم وفي مكارى للذى كان ينقل الناس على الدواب بمحاري ونقول للنهم الكثير الأكل مشرج أي مشرك كما نقول في سكين سجين أو في كاف المؤنث المخاطب باطراد نحو كتابج . إلا أن الظاهرة التي نحن بصددها خاصة بكاف المؤنث المخاطب وشذ عن ذلك كلمة وردت في ارجوزة شينية هي قوله :

علَىٰ فِيمَا ابْتَغَيْتُ
بِيَضَاءٍ تُرْضِينِي وَلَا تُرْضِيشِ
وَإِنْ تَكَلَّمْتُ حَتَّىٰ فِي فِيشِ

حَتَّىٰ تَبْنِقَيْ كَنْقِيقَ الدِّيشِ

وقد حملته القافية على كلمة الجيش وأشار ابن جنی إلى ذلك بقوله (فسبه كاف الديك بكسرتها بكاف ضمير المؤنث)^(٢٣٣) ، ويلاحظ أنه ابقى الكاف في تكلمت ولو وضعنا مكانها الكلمة المستعملة عندنا (حكيت) لقلنا (حجبيتي) وكذلك ابقى الكاف في كنفيف ولو تكلمنا بها لكان (كأنه) فتصبح (جنه) .

فهذا كله يدل على أن الكشكشة هي غير ما نسمعه اليوم من صوت تش (ch) وإنما هي كما وصفها العلماء العرب كاف مكسورة بعدها شين لقولهم : كِش ، كِش . أما إيدال الكاف شيئاً فليس كشكشة ولا يدخل في ما اسموه قبع اللهجات .

(٢٣١) انظر دروس في علم الاوصات ص ١٠٢ ، وفي اللهجات ص ١٢٣ ، واللهجات العربية في التراث ص ٢٨٠ .

(٢٣٢) محاضرات في اللغة ص ١٣٠ .

(٢٣٣) سر الصناعة ١: ٢١٧ .

الباء والسين :

ما بين طرف اللسان وأصول الثناء مخرج الباء، ومما بين الثناء وطرف اللسان مخرج السين^(٢٣٤)، فهـما متقارباً المخرج. وقد ذكر ابن جنـي ثـلـاث كـلـمـاتـ اـبـدـلـتـ فـيهـنـ السـيـنـ بـاهـيـ :ـ النـاسـ وـاـكـيـاـسـ وـخـسـيـسـ ،ـ وـكـلـمـاتـ اـبـدـلـتـ الـباءـ فـيهـنـ سـيـنـاـ وـهـمـاـ الطـسـ فيـ الطـسـ ،ـ وـاستـخـذـ فـيـ اـتـخـذـ ،ـ وـقـدـ عـلـلـ الـاـبـدـالـ بـيـنـ السـيـنـ وـالـباءـ بـيـنـ ماـ بـيـنـ الـحـرـفـيـنـ مـوـافـقـةـ فـيـ الـهـمـسـ وـتـقـارـبـ فـيـ المـخـرـجـ ،ـ وـإـنـهـماـ مـنـ حـرـوفـ الـزـيـادـةـ .ـ وـذـكـرـ كـلـمـتـيـ النـاسـ وـاـكـيـاـسـ فـيـ رـجـزـ سـبـقـ أـنـ أـورـدـنـاهـ مـنـ نـوـادـرـ أـبـيـ زـيـدـ ،ـ وـلـكـنـهـ روـاهـ عـنـ مـحـمـدـ بـنـ الـحـسـنـ عـنـ أـبـيـ العـبـاسـ ثـلـبـ وـهـوـ :

يَا قَائِلَ اللَّهُ بْنِ السَّعْلَاتِ
عُمَرُو بْنُ يَرْبُوعٍ شَرَارُ النَّانِ
غَيْرَ أَعْفَأَةٍ وَلَا أَكْيَاتٍ^(٢٣٥)

ولـمـ يـنـسـبـهـ أـبـنـ جـنـيـ وـقـدـ نـسـبـهـ أـبـوـ زـيـدـ لـعـلـبـاءـ بـنـ أـرـقـمـ كـمـاـ تـقـدـمـ ،ـ وـلـاـ يـعـدـ عـنـديـ أـنـ يكونـ هـذـاـ الـاـبـدـالـ مـاـ جـرـتـهـ إـلـيـهـ الـقـافـيـةـ كـمـاـ ذـكـرـ كـاتـبـيـنـ^(٢٣٦).

أـمـاـ خـتـيـتـ فـيـ مـعـنـىـ خـسـيـسـ فـالـشـيـهـ أـنـهـ مـنـ عـيـوبـ النـطـقـ .ـ وـنـحـنـ نـسـمـعـ الـيـوـمـ مـنـ بـيـدـ السـيـنـ بـاهـيـ لـعـيـبـ فـيـ نـطـقـهـ فـيـ قـيـوـلـ ثـلـامـ عـلـيـكـمـ فـيـ سـلـامـ عـلـيـكـمـ وـهـيـ كـثـيرـةـ فـيـ نـطـقـ الـأـطـفـالـ وـبـعـضـهـمـ يـجـعـلـهـاـ بـاهـيـ فـيـ قـيـوـلـ فـيـ سـالـمـ تـالـمـ مـثـلـاـ ،ـ وـقـدـ قـرـرـ أـبـنـ جـنـيـ وـجـودـ الـعـيـبـ فـيـ النـطـقـ حـيـثـ قـالـ :ـ (ـوـاـمـاـ مـاـ يـحـكـيـ عـنـ سـحـيـمـ مـنـ قـوـلـهـ :ـ فـلـوـ كـنـتـ وـرـدـاـ لـوـتـهـ لـعـيـقـيـتـيـ)ـ وـلـكـنـ رـبـيـ سـائـيـ بـسـوـادـيـاـ فـإـنـمـاـ قـلـبـ الشـيـنـ سـيـنـاـ لـسـوـادـهـ وـضـعـفـ عـبـارـتـهـ عـنـ الشـيـنـ وـلـيـسـ ذـلـكـ بـلـغـهـ وـإـنـماـ هوـ كـالـلـثـنـ(٢٣٧)ـ ،ـ فـلـاـ يـعـدـ أـنـ يـكـونـ الـذـيـ نـقـلـتـ عـنـهـ كـلـمـةـ خـتـيـتـ يـقـلـبـ السـيـنـ بـاهـيـ فـيـ نـطـقـهـ ،ـ أـوـ لـعـلـهـ كـانـ يـجـعـلـهـاـ بـاهـيـ كـالـكـثـيـرـيـنـ وـلـكـنـهـ لـمـ جـاءـتـ فـيـ قـافـيـةـ بـالـباءـ جـعـلـهـاـ بـاهـيـ وـهـوـ عـلـىـ كـلـ حـالـ لـمـ يـكـنـ لـيـنـطـقـهـ سـيـنـاـ.

أـمـاـ استـخـذـ فـقـدـ ذـكـرـ (ـأـنـ الـعـرـبـ تـقـوـلـ اـسـتـخـذـ فـلـانـ أـرـضـاـ)^(٢٣٨)ـ ،ـ وـأـجـازـ أـنـ يـكـونـ الـأـصـلـ إـتـخـذـ ثـمـ اـبـدـلـتـ الـباءـ سـيـنـاـ كـمـاـ أـبـدـلـتـ فـيـ سـتـ وـعـلـلـ ذـلـكـ بـاـنـ الـباءـ وـالـسينـ مـهـمـوـسـتـانـ فـجـازـ بـيـنـهـمـاـ الـاـبـدـالـ .ـ

(٢٣٧) سـرـ الصـنـاعـةـ ١: ٢١٤.

(٢٣٤) نفسـهـ ١: ٥٣.

(٢٣٨) نفسـهـ ١: ٢٠٩.

(٢٣٥) سـرـ الصـنـاعـةـ ١: ١٧٢.

(٢٣٦) درـوسـ فـيـ عـلـمـ أـصـوـاتـ الـعـرـبـ صـ ٧٣.

ويجوز عندي أن يكون الذي قال استخذ قد اراد استعمل لا افعل. فكان الاصل استأخذ، ثم سهلت المهمزة ويولغ في تسهيلها حتى سقطت كما نسمع اليوم من يقول في ما ادرى: مدرى، فصارت استخذ ويكون وزنها حينئذ استعمل بحذف الفاء.

اما الطس والطست فقد ذكر صاحب المعرّب (عن أبي عبيدة: ومما دخل في كلام العرب الطس.. وهي فارسية.. وقال الفراء طي يقول: طس، وغيرهم: طس^(٢٣٩)). وما دامت معربة فإن العرب تتصرف فيها ولا تصح دليلاً على الابدال في لهجات الغرب لأن الطائين كما يبدو قد أخذوا الكلمة من غير تغيير، وغيرهم غير فيها بأن حذف التاء، أو لعله لم يتبنّاها وسكون السين قبلها، فشدد السين لتكون المفظة موافقة للبناء العربي الثلاثي. ولا أراه من الابدال لهذا وإن رأه بعض المحدثين ابداً ولعله بأن الطائين لبدواتهم قد مالوا إلى الصوت الشديد وفضلوه على نظيره الرخو (والسين صوت رخو، نظيره الشديد التاء)^(٢٤٠). ولكن يمكن أن يقال إن الطائين بسبب ميلهم إلى الصوت الشديد قد اقرروا اللفظ على حاله من غير تغيير لامه إلى صوت رخو كما فعل غيرهم. ولا يعني ذلك ابداً.

التاء والصاد:

ذكرنا مخرج التاء قبل قليل، ومخرج السين. ومن مخرج السين مخرج الصاد فالباء والصاد متقاربان وقد ذكر أن التاء ابدلت من الصاد في قولهم: لصت، ولصوت، وهم يريدون لصاً ولصوصاً قال الشاعر:

فتركِنْ نَهْدَا عَيْلَا أَبْنَاؤُهَا وبني كنانة كاللصوت المُرَد^(٢٤١)
ولم يقلل هذا الابدال، ولعله لو اراد ذكر تعليمه لكان تقارب المخرج والتواافق في الهمس، قياساً على طريقة في التعليل، ويمكن أن يقال إنه اراد هذا ولكنه أكتفى بقوله: (ابدل من الصاد أيضاً...) وأيضاً هذه تعود إلى كلامه على ابدال التاء من السين وعلله هناك بالموافقة في الهمس وتقارب المخرج.

وقد نسبت هذه اللغة لطيء، وعللها بعض المحدثين ببداوة طيء التي قلبت الصوت الرخوي الصاد (إلى نظيره الشديد الطاء التي إذا رقت أصبحت تاء)^(٢٤٢).

(٢٣٩) المعرّب ص ٢٦٩ وكذلك نسب الفارابي الطس لطيء. ديوان الأدب ١: ٩٨.

(٢٤٠) في لهجات من ١٣.

(٢٤١) سر الصناعة ١: ١٧٣.

(٢٤٢) في اللهجات من ١٠٣.

الضاد واللام:

(من أول حافة اللسان وما يليها من الأض aras مخرج الضاد. إلا أنك إن شئت تكلفتها من الجانب الأيمن، وإن شئت من الجانب الأيسر.

ومن حافة اللسان من أدناها إلى متنه طرف اللسان من بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى مما فوق الصاحك والناب والرباعية والثانية مخرج اللام) (٢٤٣).

فهما حرفان متقاربان في المخرج، تجمع بينهما حافة اللسان، ولعل هذا التقارب، والاشتراك في حافة اللسان، هو الذي دعا بعض العرب إلى أن ابدل الضاد لاما، فقال في اضطجع: الطبع: (فاما قوله:

مال إلى أرطة حُقْبٍ فَالْطَّمْجَعُ

فإنه ليس باصل إنما أبدلت الضاد من اضطجع لاما، فاعرفه.) (٢٤٤).

وقد وصف هذا الابدال في سر الصناعة بالشذوذ (٢٤٥) إذ قال بعد أن ذكر البيت: (.. يريد فاضطجع فابدل الضاد لاما وهو شاذ. وقد روى: فاضطجع، وبروى أيضاً فاطجع، وبروى أيضاً فاضجع.).

والطاء في اضطجع بدل من تاء الافتعال لأن الفاء ضاد، فلما ابدلت الفاء لاما لم ترجع التاء كما تكون مع اللام في مثل قولك: التمس، وإنما أفرت الطاء فيها ليكون ذلك دليلاً على البدل. ولو كانت اللام أصلاً ما قلبت تاء الافتعال معها طاء (.. اللام بدل من الضاد، فلذلك أفرت الطاء بدلاً من التاء، وجعل ذلك دليلاً على البدل.) (٢٤٦)، وقد ذكر هذا في موضع آخر إذ قال: (وكان سبيله إذ ازال جرس الضاد أن تصبح التاء فيقال: فالتجع، كما يقال: التحم ..) (٢٤٧)، وعلمه أيضاً بأنه دليل على البدلية.

أما ما ذكره في سر الصناعة من رواية: اضطجع، فإنه قد جاء على الأصل وأما: اطجع بالأدغام، فقد أبدلت الضاد طاء وادغمت في الطاء، وقد وصف هذا الأدغام بالشذوذ حيث قال: (قد ادمغوا الضاد في الطاء في بعض اللغات، فقالوا في اضطجع: اطجع، وهذه لغة شاذة.) (٢٤٨)، وأما: اضجع، فهو من ابدال تاء الافتعال حرفاً من

(٢٤٣) سر الصناعة ١: ٥٢.

(٢٤٤) الخصائص ١: ٦٣.

(٢٤٥) نفسه ١٦٣: ٣ وانظر أيضاً ٣٢٢: ٣.

(٢٤٦) سر الصناعة (الازهر) ١: ٢.

(٢٤٧) سر الصناعة ١: ٢٢٢.

جنس الفاء وادغامه فيه كما قالوا في افتعل من سمع وصبر في بعض اللغات: اَسْمَعْ وأَصْبَرْ^(٢٤٩).

وقد روی عنهم العكس؛ أعني ابدال اللام ضاداً وذلك في ما حکاه (أبو علي عن خلف من قولهم: التقى النوى، واستقسطته، واستقسطته، فصحة الناء مع الضاد في: اضستقسطته)، دليل على اراده اللام في التقى النوى وان هذه الضاد بدل من تلك اللام، كما أن لام الطبع بدل من ضاد اضطجع.^(٢٥٠).

وفي ابدال الضاد لاما جنوح إلى الخفة وهرب من ثقل الضاد^(٢٥١)، ولكن كيف ساع لهذا أن يبدل اللام ضاداً، فيأتي بلفظة لا تكاد تجرى على اللسان إلا بتتكلف.

الذى أراه في هذا أنه ليس استقطت من التقط، بل هما أصلان أحدهما من الفعل سقط. والآخر من لقط، وصيغة افتعل فيما قد جاءت هنا لمعنى (الاجتهد) والاضطراب في تحصيل أصل الفعل^(٢٥٢)، فيكون: استقطت النوى، أي: اجتهدت في تحصيل ما سقط منه، والتقطته: اجتهدت في تحصيل ما يلقط منه، وقد ذكر أن افتعل تكون متعددة وغير متعددة، أما فعلها فهو وان نقل عن أبي علي أنه لا يكون إلا متعدداً، لكنه أورد شواهد له لازماً^(٢٥٣)، فيكون هذا منه.

فإذا تم لنا هذا قلنا لا يبعد أن يكون الذي اخذ عنه خلف قد صحف الصاد ضاداً، والصاد تبدل من السين لأجل القاف وهو من حروف الاستعلاء فقالوا في سقط صقط كما قالوا في سبقت صبقت وقد تقدم، فتكون لفظة، استقطته من استقطته، وتكون الناء قد أقرت فيها مع وجود الصاد للإشارة إلى الابدال، ولا شك أن استقطت النوى أخف على اللسان من استقطته.

الحروف المتباعدة:

ذكر من الابدال بين الحروف المتباعدة في المخرج ما يمكن أن نرجع بعضه الى اتفاق في الصفة، كما في صفة الهمس في الهاء والناء، والناء والكاف، والسين والشين،

. (٢٤٩) الخصائص ٢: ١٤٢.

. (٢٥٠) الخصائص ٣: ٣٢٦ - ٣٢٧.

(٢٥١) الثابت أننا اليوم في العراق لا نلتفظ الضاد، إذ تحولت عندها لتقلها إلى ظاء، ولكن بعض المسلمين من غير العرب يحرص على الغريق بين الضاد والظاء في نلاوة القرآن الكريم وبخاصة في سورة الفاتحة لكثره ترددتها في الصلاة، فتسمعه حين يتكلف ذلك يأتي بلا مفخمة مكان الضاد، وكثيراً ما نسمع ذلك منهم في قوله تعالى: ولا الصالين.

. (٢٥٢) شرح الشافية ١: ١١٠.

. (٢٥٣) المنصف ١: ٧٥.

وكما في صفة الشدة في الثناء والباء، وكما في صفة الجهر في الهمزة والواو والياء، وكذلك الياء واللام والياء والباء والياء والثاء، والياء والضاد، والياء والميم، وكما في صفة ما بين الشدة والرخاوة والجهر في الألف والياء والواو وفي الياء والعين.

وذكر من الابدال ما لا يجمعه جامع صوتي إلا بتتكلف كالابدال بين الياء والهاء، إذ الياء حرف مجهور، والهاء مهموس، والياء حرف بين الشدة والرخاوة، والهاء رخوه، وقل مثل ذلك في الياء والصاد، والياء والثاء، ويمكن أن يتتكلف الجامع بين كل من الهاء والصاد والثاء وبين الياء بأن الياء لما كانت بين الشدة والرخاوة، وهذه الأحرف رخوة كانت قريبة منها لوجود معنى الرخاوة فيها، وعلى أية حال فإن أكثر ما أورده من هذا لا يعود إلى الابدال كما ستفصل القول فيه في ما يأتي :

الثاء والهاء :

تبديل الهاء من الثناء في التأنيث عند الوقف، تقول في جوزة في الوصل : جوزه إذا وقفت، وفي حزة حزة^(٢٥٤)، (وذلك منقاد مطرد في هذه الثناء عند الوقف)^(٢٥٥).

وقد علل هذا الابدال بقوله : (إنما أبدلت هاء لافتتاح ما قبلها، وإنما من الحروف المهموسة، والهاء مهموسة وقريبة من الألف، ولم تبدل الفاء لافتتاح ما قبلها لئلا يتبع بالألف المقصورة في حبل وبشرى. والهاء قريبة من الألف، فابدلت هاء)^(٢٥٦).

وكانه كما أرى يريد بهذا أن الثناء لما سكتت في الوقف ضعفت لأن الحرف يضعف باسكانه^(٢٥٧)، وكان الوجه أن يقلب الفاء لافتتاح ما قبله بمحانسة للفتحة فلم يفعلوا لئلا يتبع بالألف المقصورة كما ذكر. فتحولوا إلى حرف قريب من الألف وهو الهاء. وهذا الابدال مطرد كما ذكر، إلا أن هناك نوعاً آخر من إبدال الثناء هاء ليس مطرداً وهو الذي يعني هنا لكونه ظاهرة لهجية، فقد ذكر عن قطرب أن طيباً يقولون في البناء، والأخوات الأخوات، فيقولون كيف البنون والبناء، وكيف الأخوة والأخوات، وذكر وصف قطرب لذلك بأنه شاذ^(٢٥٨)، وهذا النوع من الابدال لم تنفرد به طيء إذ قد سمع ابن جني مثله من عقيل، سمعهم يقولون في الفرات : الفراه في الوصل والوقف^(٢٥٩)، كما أن لغة الانصار في التابوت التابوه^(٢٦٠)، وبعض العرب وقف على اللات باءه^(٢٥٨).

(٢٥٨) سر الصناعة (الازهر) ٢: ٣٠١.

(٢٥٤) سر الصناعة (الازهر) ٢: ٣٠٠.

(٢٥٩) المحاسب ١: ١٣٠.

(٢٥٥) المحاسب ١: ١٣٠.

(٢٦٠) نفسه ١: ١٢٩.

(٢٥٦) المنصف ١: ١٦١.

(٢٥٧) نفسه ١: ٢٢١.

(٢٥٨) نفسه ١: ٢٢١.

وقد علل الإبدال في الفرات بما يفهم منه أنه من القياس الخاطئ أو التوهם الذي أدى إلى ثبات الكلمة بالصورة الجديدة وصلاً ووقفاً وذلك (أنك ترى الناء في الفرات تشبّه في اللفظ تاء فتاة وحصاء وقطاء، فلما وقف وقد أشبه الآخر ابدل الناء هاء، ثم جرى على ذلك في الوصل)^(٢٦١)، وهو تعلييل صحيح في نظرنا يمكن أن نعمل به كلمة بنات وآخوات وما أشبه ذلك مما توهموا فيه نتيجة القياس الخاطئ.

وقد ذهب بعض المحدثين إلى أن هذا ليس من الإبدال في شيء وإنما هو وقف بحذف آخر الكلمة يظن معه السامع أن الكلمة تنتهي بالهاء، قال: (وليس هذه الظاهرة في الحقيقة قبل صوت إلى آخر، بل هي حذف الآخر من الكلمة، وما ظنه القدماء هاء متطرفة هو في الواقع امتداد في التنفس حين الوقوف على صوت اللين الطويل، أو كما يسمى عند القدماء الف المد، وهي نفس الظاهرة التي شاعت في الأسماء المؤثرة المفردة التي تنتهي بما يسمى بالناء المربوطة، فليس يوقف عليها بالهاء كما ظن النحاة، بل يحذف آخرها، ويمتد التنفس بما قبلها من صوت لين قصير (الفتحة) فيخيل للسامع أنها تنتهي بالهاء)^(٢٦٢).

وهذا الذي قاله فيه نظر من وجوه:

الأول: من الصعب أن نحكم على اجماع العلماء على أنها هاء وتبثبيتهم ذلك في كلامهم بأنه وهم منهم جيغاً، وانهم على علمهم لم يستطيعوا التمييز فيما سمعوه من العرب بين الهاء والمد، أو الهاء والفتحة.

الثاني: أن الوقوف على الف المد أو صوت اللين الطويل لا يختلط بالهاء على السمع اليوم إلا إذا اختلست الألف وتحولت إلى فتحة، إذ لا فرق في النطق بين قولنا: البناء من المكرما و: العصا على من عصا فهل يتخيّل السامع الهاء مع العصا وعصى حتى تزعم تخيلها في الأولين، نعم لو اختلست الف المكرما حتى تكون فتحة فحيثئذ قد تخيل نحن أنها المكرمة بالهاء ولكن المتكلّم لم يظهرها أما الذين شافهوا العرب الفصحاء وحرصوا على تبيّن اصواتهم وتذوّقها فلا نظن بهم ذلك، وعندني أنهم حين قرروا سماع الهاء في البناء والمكرماه كانوا كحالنا حين نقرّ سماع هاء الضمير في قولنا عصاه في الوقف، فهل يجوز أن ندعّي أنها ليست هاء وإنما هو صوت مد الألف.

الثالث: خط القرآن الكريم توقف^(٢٦٣)، كما هو معلوم، وقد نقلت الينا قراءته بموجة مرتبة عن طريق التلقى بالمشافهة، ونحن نرى فيه ما سماه (فتحة يخيل للسامع أنها

. (٢٦١) المحتسب: ١٣٠.

. (٢٦٢) في اللهجات ص ١٣٦.

. (٢٦٣) في كشف الظنون ٧٤١: ١ (خط المصحف سنة لا تختلف)

هاء) قد كتبت هاء، ونسمعها من القراء هاء كقوله تعالى: (يا ليتها كانت القاضية..)
(الحقة: ٢٧).

الرابع: انتا اليوم في لمحتنا العامية نحذف التاء في الوقف ونجعلها فتحة، لا يمكن أن نقول إنها خالصة وإنما نشم شيئاً من الهاء، فنقول المدرس في المدرسة، والتعجب في النعجة، ولعل هذا ما جعله يذهب إلى ما ذهب إليه، إلا أن ذلك لا يصلح دليلاً مع ما قدمنا إذ يمكن أن تكون الهاء قد ضعفت في نطقنا في هذا الموضع على مر السنين حتى حذفت وحلت الفتحة المشوهة هاء محلها في الوقف، الخالصة في الوصل، ولا نرى صحة الاستدلال باللهجة المحلية المعاصرة ما دامت تناقض مع أدلة أقوى منها وما دام تعليلها مكيناً.

الخامس: أن هذه الهاء تتضمن في إنشاد الشعر بشكل لا يحتمل القول بأنها فتحة مما جعل صاحب هذا الرأي نفسه يكتب في موضع آخر أنها هاء (والعبرة هنا بنطق التاء إذ لا تعد تاء التأنيث في موسيقى الشعر تاء، إلا إذا نطق بها كما تُنطق التاء، أما تلك التي ينطق بها هاء في حالة الوقف فينظر إليها في روى الهاء^(٢٦٤)، وقال في موضع آخر وهو يثبت لنا النطق بالهاء المذكورة: (وإن الهاء هنا وصل أي تكميلة للتفافية، في مثل هذا النوع من القصائد... . وكتاب شوقي في زلزال طوكيو:

فَتْ بِطْوِيكِيو وَطَفْ عَلَيْ يُوكَا هَامَه
دَنَتْ السَّاعَةُ الَّتِي أَنْذَرَ النَّا
قَفْ تَأْمُلْ مَصَارَعَ الْقَوْمِ وَانْظُرْ
حَسِيقَتْ بِالْمَسَاكِنِ الْأَرْضُ خَسْفًا

واحسب أن اظهار صوت الهاء في هذه الأبيات كان مقصوداً مراداً من شوقي رحمة الله، وكأنه تأوه لما أصاب المديتين، ولا يمكن أن يقال إنها فتحة وليس هاء.

وقد ذكر كانتينو نقلأ عن بروكلمن أن الهاء في مثل ناقه يمكن تفسيرها كما يلي: (أن تسقط التاء في مرحلة أولى نحو ناقه ← ناق، ثم تظهر بعد اخركة النهاية هاء ثانية شبيهة بهاء السكت) وعقب على ذلك النقل بقوله: (وهو تفسير تحمل صحته)^(٢٦٥)، وانظر كيف وقف الاستاذ إبراهيم أنيس عند النصف الأول من رأي بروكلمن الذي اثبت صوت الهاء في مثل ناقه وان سماه (هاء ثانية شبيهة هاء السكت)

. (٢٦٤) موسيقى الشعر ص ٢٥١.

. (٢٦٥) نفسه ص ٢٥٥.

. (٢٦٦) دروس في علم اصوات العربية ص ٥٢.

ولكنها هاء على كل حال، وكذلك تأييد كانتينو له يثبت صوت الهاء أيضاً.

وقد تحدث ابن جني مفصلاً عن هذه الهاء وبين لماذا لم تقر النساء ويوقف عليها بالألف كما يقال رأيت زيداً، فيقال: أكلت تمرتا في الوقف على اكلت تمرة، قال: (ولم تقل اخذت تمرتا، واخذت جوزتا، لأنهم ارادوا الفرق بين النساء الاصلية نحو دخلت بيته، وسمعت صوتاً، وكفنت ميتاً، والوقف على قوله عز اسمه: أو من كان ميتاً فاحببناه، أو من كان ميتاً، والوقف على تاء الملحق نحو: رأيت عفريتا، وملكتنا، وجبروننا، وبين تاء التأنيث نحو تمرة وغرفة..) (٢٦٧).

ويؤكّد أنها هاء وليس فتحة وانها منظور إليها منهم أن بعض العرب يقف عليها بالباء (شبهوا الوقف بالوصل في نحو قولهم: عليه السلام والرحمت، قوله:

بِلْ جَوْزِ تَيْهَاءِ كَظُهْرِ الْحَجَفَتْ

وقوله:

الله نجاك بـكـفـنـي مـسـلـمـتـ
من بـعـدـ ما وـبـعـدـ ما وـبـعـدـ مـتـ
صارـتـ نـفـوسـ الـقـوـمـ عـنـدـ الـغـلـصـمـتـ
وكـادـ الـحـرـةـ آنـ تـدـعـيـ أـمـتـ (٢٦٨)

الكاف والناء:

ذكر ابن جني قول الشاعر وقد تقدم:
يا ابن الزبير طالما عصيـكـا
وطـالـمـا عـنـيـتـاـ اليـكـا
لنـصـرـنـ بـسـيـفـنـاـ قـفيـكـا

وقال: (ابدل الكاف من الناء لأنها اختها في الهمس، وكان سحيماً إذا انشد شعراً جيداً قال: أحسنت والله، يريد: أحسنت). (٢٦٩).

وقد سبق أن تعرضت لقول الشاعر المار وذهب فيه إلى احتمال أن يكون ضمير المخاطب في الأحوال الثلاث كان الكاف ثم استحدثت الناء في مراحل تطور اللغة

(٢٦٧) سر الصناعة (المتحف) ٢: ١٣٦.

(٢٦٨) الخصائص ١: ٣٠٤.

(٢٦٩) سر الصناعة ١: ٢٨١.

وحرص أهلها على التخصيص، وذكرت ما جعلني أميل إلى هذا الرأي في موضعه.
وبقي عندنا قول سحيم: أحسنك في أحسنت، والقول فيه انه إما أن يكون جاء به على الأصل، أو أن يكون ذلك لغة أو كاللغة عنده، وقد تقدم كلام ابن جني في سحيم هذا، أو أن يقال إن الذي دعاه إلى هذا الابدال ما بين الكاف والباء من اتفاق في الصفة اذ هما حرفان مهموسان شديدان^(٢٧٠).

التاء والباء:

ذكر أن أعربياً من بني عوف بن سعد قال:
 صفة ذي ذعالٍ سموٍ
 بيع امرئٍ ليس بمستقيلٍ

وقال: (وهو يريد الذعالب، فيبنيع أن يكونا لغتين، وغير بعيد أن تبدل أيضاً التاء من الباء، إذ قد أبدلت من الواو وهي شريكة الباء في الشفة)^(٢٧١)

والذى أشار إليه من إبدال التاء من الواو كلمات وردت في لغة جمهور العرب نحو تجاه وتراث وتقوى، والأصل: وجاه لأنه فعال من الوجه، وتراث وهو أيضاً فعال من ورث، ووقوى وهو فعلى من وقت، وكذلك الابدال والإدغام القياسي فيفاء افتعل إذا كانت واواً نحو اتجه واتزن واتقد^(٢٧٢). ويبدو أن الذي جعله يميل إلى كونهما لغتين أن علة الابدال ليست مباشرة فالباء قد أبدلت من الواو، ولا يبعد أن تبدل من الباء لأن هذه شريكة الواو في الشفة، ويمكن أن يقوى القول بالابدال صفة الشدة في الحرفين.

الشين والسين:

ويجمع بين الحرفين صفة الهمس، وقد ذكر أن الشين تكون بدلاً من السين في الكلمة: جعشوش^(٢٧٣)، وعلل ذلك بأن السين أعم تصرفًا من الشين في هذه الكلمة إذ يقال: (هم من جعاسيس الناس، ولا يقال بالشين في هذا). وبالعلة نفسها اعني سعة التصرف حكم على أن السين بدل من الشين في قوله: (السلدة في معنى الشدة، ورجل مسدوه في معنى مشدوه)^(٢٧٤). أما لماذا أبدلت السين شيئاً في جعشوش ولماذا حدث

(٢٧٠) نفسه: ٦٩.

(٢٧١) نفسه: ١٧٤.

(٢٧٢) سر الصناعة: ١٦٣، ١٦١.

(٢٧٣) نفسه: ٢١٥، وقد فسرها عن الاصمعي بقوله: (يقال جعشوش وجمسوس وكل ذلك الى قما، وصغر وذلة).

(٢٧٤) نفسه: ٢١٠.

العكس في السدة ومسدوه. فإنه لم يتعرض للكلام على ذلك، ويبدو أن الابدال بين الحرفين له جذور قديمة في اللغة السامية حيث أن الشين قد صار في العربية الفصحى إلى سين، ويجوز أن تكون كلمة شمش بالشين هي الصيغة السامية القديمة التي آلت في العربية إلى شمس بابدال الشين الأخير سيناً^(٢٧٥). ولا يبعد عندي أن يكون هذا الابدال قد دفع لعيب في النطق وقد مرت الكلمة ابن جنى في سحيم وإنه إنما (قلب الشين سيناً لسوداه وضعف عبارته عن الشين وليس ذلك بلغة وإنما هو كاللغة)^(٢٧٦)، فلا يمنع أن يشيع هذا الذي هو كاللغة بين قوم من العرب فيسمع منهم نحو السدة ومسدوه، ولا يمنع أيضاً أن يظن بعضهم أن السين في جعسوس مبدل لضعف في نطق قائلها فيبالغ في فصاحته بأن يعيدها شيئاً فيقول جعشوش وتشيع بهذا اللفظ عند بعضهم.

وليس بعيد أن يكون ما سمي بكسكسة هوازن هو من ابدال الشين سيناً ويكون الأصل الشين لكثرته في الاستعمال في قولهم: الكتاب لكش وقد مر، ويكون الداعي للابدال ما بين الحرفين من همس ومن قلب قديم كما ذكر في السامية، أو أنه من ميل البداوة إلى صوت الصفير كما نسمعهم اليوم في جزيرة القرات يقولون في الشجرة السجّرة وسِجْرَه واسجار. وأنه من عيوب النطق التي شاعت في قوم، ويلاحظ أن ابن جنى قد نسب الكسكسة لهوازن في أكثر من موضع^(٢٧٧)، ولم يذكر فيها إلا زيادة السين بعد الكاف، وخصها بالوقف وعللها بالبيان: (ومن العرب من يزيد على كاف المؤنث في الوقف سيناً ليبين كسرة الكاف.. فإذا وصلوا حذفوا ليبيان الكشرة)^(٢٧٨).

الهمزة والواو والياء:

ذكر أن من العرب من يبدل الواو همزة فمن ذلك قوله: (وقد ابدلها قوم من المكسورة وذلك نحو وسادة واسادة ووفادة وافادة.. وقال:

ما كُنْتُ أخْشِي أَنْ يَبْيَنَا أَشْكَ ذَ

أي وشك ذا من الوشيك)^(٢٧٩). ومن ذلك أيضاً ما أنسده أبو علي:
(أَحَبُّ الْمُؤْقِدَيْنَ إِلَيَّ مُؤْسِى

(٢٧٥) دروس في علم أصوات العربية ص ٩٧، ٩٨.

(٢٧٦) سر الصناعة ١: ٢١٤.

(٢٧٧) الخصائص ٢: ١٢، سر الصناعة ١: ٢٣٥.

(٢٧٨) سر الصناعة ١: ١١١.

بهمز الواو في الموقدين، وموسى، وروى قنيل عن ابن كثير: بالسوق، مهموز الواو). (٢٧٩).

ولم يعلل الابدال في اسادة وافادة واشك، والاشبه أن يكون الذي ابدل قد كره الكسرة على الواو فابدل منها الهمزة في وسادة ووفادة، أما اشك فالظاهر أن الذي دعاه إلى الابدال انضمما ما قبلها في يبينوا وشك، حيث أدى ذلك إلى أن يجتمع ضمة النون والضمير وفاء وشك وهي ثلاثة اصوات من جنس واحد فكانه كره ذلك فتخلصن بابدال الآخر همزة، أو أنه كره أن يبدأ بحرف ضعيف متحرك فأبدلها همزة، أما المؤقدين ومؤسسي السوق فقد علل الهمز فيهن بان مجاورة الواو للمضموم وإن كانت ساكنه تجعل الحركة كأنها فيها فتقلب همزة لانضمماها لأن الساكن إذاجاور المتحرك صارت حركته كأنها فيه.

وقد ورد عنهم العكس اعني ابدال الهمزة واوا فمن ذلك قراءة: (سواتهما) (٢٨٠)، في سواتهما، ولم يعلله وإنما وصفه بأنه أدون اللغتين واضعفهم. ويمكن عندي ان يقال: إنه جعل الهمزة بين بين في سواتهما، ثم غالب عليها الواو ل المجاورتها ايها فخلصها واوا وادغمها في اختها فقال سواتهما.

ومن ذلك أيضاً قولهم آخيت زيداً، وواحيته وقال: (فهذه الواو بدل من الهمزة لا محالة). (٢٨١)، وعلل وجوب القول بالأبدال بأن لام الفعل من واخيت او لقولهم اخوان واخوة (إذا كانت اللام كما ذكرنا واواً لم يجز أن يكون الواو في واخيت اصلاً، لأنه ليس في كلامهم كلمة فاؤها او ولا مها او، غير قولهم: او، فاعرف ذلك). (٢٨١). ولم يعلل الابدال، والظاهر أنه كره الحركة على الواو في أول الكلمة وبعدها الف، حيث يؤدي ذلك إلى اجتماع صامت ضعيف هو الواو، وصيانت قصیر هو الفتحة وطويل هو الألف، فابدل من الضعيف الهمزة وبذلك يكون قد بدأ بحرف صامت.

ومن ابدالها من الياء قوله: (وقالوا في اسنانه ألل يريدون يلل، فابدلوا الياء همزة. وقالوا: ربـالـ، فابدلـوهاـ منـ اليـاءـ، وهـمـ بعضـهمـ الشـئـمـةـ، وهـيـ الخـلـيقـةـ). (٢٨٢). ولم يعلله، والظاهر أنه مبالغة من المتكلم في تحقيق الحرف بنطقه همزة كما قالوا بير وبثر.

ابدال الياء:

ذكر ابن جني ابدال الياء من الهمزة والسين والثاء والباء والعين والميم، والهاء

(٢٨١) سر الصناعة (المتحف) ٢: ٧٧.

(٢٨٢) سر الصناعة ١: ١٠٤.

(٢٧٩) نفسه ١: ٩٠.

(٢٨٠) المختبـ ١: ٢٤٣.

والضاد واللام والباء والجيم والصاد والتون، وجاء على ذلك بشواهد من القرآن الكريم أو الشعر أو الحكاية عن العرب، بحسب الحرف الذي تكلم عليه، وقد استطعت أن أجمع ما ذكره تحت عنوانين، الأول التخفيف، والثاني: التضعيف.

التخفيف:

الهمزة:

قال: (ابدلوا الهمزة ياء لغير علة إلا طلباً للتخفيف.. وعلى هذا قال زهير: جرىء متى يُظلم يعاقب بظلمه سريعاً وإنْ يَد بالظلم يظلم اراد يُدأ فابدل الهمزة، واحرج الكلمة إلى ذوات الياء، ومن أبيات الكتاب: وكنتَ أَذلَّ مِنْ وَتِدِ بقَاعٍ يُشَجَّعُ رَأْسَهُ بِالْفِهْرِ واجي

يريد: واجيء، ونحو من هذا قول ابن هرمة:
ان السباع تَهْدا عن فَرَايِسَهَا والنَّاسُ لَيْسَ بِهَادِ شَرُّهُمْ أَبْدَا
يريد: ليس بهاديء فابدل الهمزة ياء ضرورة، وجميع هذا لا يقاد عليه إلا أن يضطر شاعر.)^(٢٨٣).

والذي اراه أن ما ذكره هنا ليس من الابدال في شيء، أما قول زهير: والا يد بالظلم، فإن الأمر لا يزيد على حذف الهمزة الساكنة للضرورة كي يستقيم له الوزن، ولعل الذي شجعه على حذفها سكونها إذ الحرف يضعف بسكونه ويقوى إذا كان متهركاً كما ذكر ابن جني^(٢٨٤)، ويمكن أن يقال: إنه سهلها فصارت الفاء ثم احتلساها، فهذا أو ذاك خير عندي من أن يدعى انقلابها ياء ثم الفاء ثم حذفها للجزم.

وأما بيت الكتاب فقد ذكره سيبويه وهو يتحدث عن ابدال الهمزة في ضرورة الشعر، وقال بعد أن ذكره: (يريد الواجب)^(٢٨٥)، وقال الأعلم^(٢٨٦): (والواجب من وجوه، الوتد إذا ضربت رأسه ليرسب في الأرض)، وذكر في اللسان وجنته مخفف وجاته إلا أنه عندما ذكر البيت منع أن يكون على التخفيف (...). ولم يحملها على التخفيف القياسي)^(٢٨٧)، وعلل ذلك بما عللته ابن جني حين قال: (يريد واجيء فابدل الهمزة ياء

. (٢٨٣) سر الصناعة (المتحف) ٢: ١٧١، ١٧٢.

. (٢٨٤) المنصف ١: ٢٢١.

. (٢٨٥) الكتاب ٢: ١٧.

. (٢٨٦) تحصيل عين الذهب بحاشية الكتاب في ٢: ١٧.

. (٢٨٧) اللسان ١: ١٨٦ (وجاء).

واجراماها مجرى الياء الاصلية، الدليل على ذلك أنه جعلها وصلأ لحركة الجيم، لا ترى أن البيت يجمي ، ولو كانت الهمزة منونة عنده لم يجز أن يكون الياء وصلأ كما لا يجوز أن تكون الهمزة المرادة المنوية وصلأ^(٢٨٨) . وهو استدلال يقوم على المنطق ولا اراه صحيحاً بالنظر إلى الصوت الذي يسمع بعد الجيم هنا إذ هو ياء ، والياء تكون وصلأ في القافية، فما شأن الحرف الذي قلبت عنه هذه الياء وهو لامكان له في اللفظ ولا اثر له في الصوت من ثم ، ولذا أرى أن الصواب أن يقال في هذا البيت إنه خفف الهمزة أو سهلها فصارت ياء بسبب انكسار الحرف الذي قبلها وهو مقيس في ضرورة الشعر، كما قال سبيويه ، ويمكن أيضاً أن يقال إنه من باب قطعة طرء حيث قطعت الهمزة واشترت الكسرة في حرف الروى فصارت ياء.

وأما بيت ابن هرمة:

ان السباع لتهدا عن فرائسها والناس ليس بهاد شرهم أبدا
فاصل الفعل فيه هدا ، ولكن يلاحظ أن رواية البيت هذه قد جاءت على تسهيل
الهمزة في تهدا وفرائسها فما يمنع أن تكون قد سهل في هادىء فصارت هادى ، ثم أجرى
الكلمة بعد التسهيل على اللفظ إذ صار لفظها لفظ المنقوص فحذف الياء للتنوين فهو أيضاً
من باب التخفيف لا الابدال.

السين والثاء:

ذكر أنه قد أبدلت (الياء من السين، قال الشاعر:
اذا ما عَدَ أربعةَ فَسَالُ فزوجك خامس وأبوك سادي

أي : سادس ، وقال الآخر:
بُوئِزِلْ أَعوامٌ أَذاعَتْ بِخَمْسَةٍ
وتعذرني إن لم يق الله ساديا

وقال الآخر:
عمرُو بنْ كعبٍ وعبدُ اللهٍ بينهما . وابنها خمسة والحارث السادي

وقال الآخر:
مضى ثلاث سنينٌ مُنْذَ حلَّ بها
وعام حلت وهذا التابع الخامبي
يريد: الخامس^(٢٨٩).

(٢٨٨) سر الصناعة (المتحف) ١٧٢: ٢

(٢٨٩) سر الصناعة (المتحف) ١٧٣: ٢

(٢٩٠) ابدال الياء من الثناء:

يفديك يا زَرْعُ أبي وخالي
قد مِرَّ يومان وهذا الثالثي
وانت بالهجران لا تبالي

. اراد الثالث (٢٩٠).

وهذا الابدال في العدد كما أرى لا يصح أن يسمى إبدالاً، وإنما هو حذف الحرف الأخير من الكلمة واسباب حركة الروى المكسور، وقد رأينا كيف قال الشاعر الأول: خامس في حشو البيت، فلما صارت الكلمة في قافية بيت الشاعر الرابع، قال: الخامن. وارى بناء على هذه الشواهد أنه يجوز في ضرورة الشعر حذف آخر فاعل من العدد اذا دل عليه دليل وتشيع حركة ما قبله فتكون ياء، فقد سمع الثاني والخامن والسادى في قياس عليها: الرابع والسايبى والثانى والتاسى والعاشى، ويؤنس بذلك أن جمهور العرب يقولون الحادى والثانى، ولكن لا يقال إننا ابدلنا الحرف الأخير من العدد ياء وإنما يذهب إلى الحذف إذ لا معنى للابدال هئنا.

الباء والعين:

قال: (ابدال الياء من الباء: انشد سيبويه:
لها أشاريرٌ من لَحْمٍ تُتمَرَّةٌ من الشَّعَالِي وَخَرَّ من أرانيها
قال: أراد الشعال والارانب، فلم يمكن أن يقف على الباء فابدل منها حرفأ يمكن
أن يقف في موضع الجر، وهو الياء، قال: وليس ذاك أنه حذف من الكلمة شيئاً ثم عوض
منه الياء). (٢٩١).

وقال: ابدال الياء من العين: انشد سيبويه:
ومنهـلٌ ليس له حـوازـقٌ ولـضـفـادي جـمـهـ نـقـائـقـ
يريد: الصفادع، فكره أن يسكن العين في موضع الحركة فابدل منها حرفأ يكون
ساكناً في حالة الجر وهو الياء). (٢٩٢).
و واضح أن الأمر لا يتعلق بابدال حرف من حرف لقرابة بينهما، وإن كانت الياء

. (٢٩٠) نفسه: ٢١٨٥.

. (٢٩١) سر الصناعة (المتحف): ٢١٧٣.

. (٢٩٢) سر الصناعة (المتحف): ٢١٨٣.

اخت الباء في الجهر واحت العين في كونهما مجهورتين وهمما بين الشدة والرخاوة، وإنما هو محض موافقة. فقد اراد الشاعر أن يسكن الباء في ثعالب وأرانب وضفادع فلم يمكنه ذلك لمكان الاعراب فجعل الياء مكان الحرف الذي يقع عليه الاعراب فجاءت الياء ساكنة واستقام الوزن وذلك بعد أن قطع واشبع ما قبله، ولو كان مفتوحاً لصار الفاء، ولو كانت كلمة سلاحف مثلاً في موضع ضفادع لقال لنا قد ابدلنا الياء من الفاء، ولو كانت في مثل موضع ثعالب وارانب نحو شاعر وقواطن مثلاً لقال أبدلت من الراء والنون، فالامر ليس صوتياً إنما هو مجرد موافقة، إذ وافقت هذه الكلمة في هذا البيت في هذا الموضع من الاعراب فكان الشاعر بين أن يسكن فيخالف الاعراب وبين أن يحذف الحرف، فاختار الحذف واشبع الحركة قبله وكانت كسرة فصارات ياء وليس هذا أيضاً من الابدال.

الميم:

قال: (ابدال الياء من الميم: اخبرنا ابو علي باسناده، عن يعقوب عن ابن الاعرابي أنه انشد:

تسزورُ امْرًا امَا الالَّهُ فَيَتَقَىِّي وَأَمَا بَفْعَلِ الصَّالِحِينَ فَيَأْتِي

قال ابن الاعرابي: اراد: يأتِي فابدل الميم الثانية ياء. (٢٩٣)
وهذا الذي ذكره ابن الاعرابي ليس مسلماً على أن الياء والميم من الحروف التي وصفت بانها بين الشدة والرخاوة، وليس الأمر عندي كما ذكر، والذي اراه أن الشاعر قد وقف على المشدد بالسكون كما قال امرؤ القيس وهو من الضرائر الشعرية (٢٩٤):
لَا وَابْيِكِ ابْنَةُ الْعَامِرِي (م) لَا يَدْعُي الْقَوْمُ أَنِّي أَفِرْ
فصادر تقدير قوله: فإذاً، ثم إنه كسر الساكن واشبع كسرته في الروى على حد قول أبي النجم (٢٩٥):

**فَهِيَ عَلَى الْأَفْقِ كَعِينِ الْأَحْوَلِ
صَغْوَاءُ قَدْ كَادَتْ وَلَمَّا تَفَعَّلَ**

ويجوز أيضاً أن يقال: إنه فك الادغام على حد قول أبي النجم (٢٩٦):
الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْأَجْلَلِ الْوَاهِبُ الْفَضْلُ الْوَهُوبُ الْمَجْزُلُ

(٢٩٥) ديوان العجاج برواية الاصمعي ص ٤٩٣.

(٢٩٦) الضرائر ص ٨٧، ١٤٠.

(٢٩٣) نفسه: ٢١٨٢.

(٢٩٤) الضرائر ص ٨٧، ١٤٠.

فكان تقدير قوله: واما بفعل الصالحين فياتم، ويبدو أن قافيةه كانت بكسر الميم ولو كسر الأخيرة لأنكسر الوزن، فعمد إلى قطعها فبقيت الكلمة يأتـم وأشبعت الحركة في حرف الروى.

التضعيف:
الهاء:

ومخرجـه كما ذكرنا أقصـى الـحلـق، ويخرجـ (بـأن تـدفعـ الهـوـاءـ مـنـ رـئـيـكـ دـفـعاـ قـوـياـ فـيـ دـعـكـ جـوـانـبـ أـقـصـىـ الـحلـقـ) ^(٢٩٧)، وهو حـرـفـ مـهـمـوسـ فـيـحـتـاجـ إـلـىـ جـهـدـ أـكـبـرـ مـنـ الـجـهـوـرـ فـيـ اـخـرـاجـهـ كـمـاـ تـقـدـمـ،ـ فـلـعـلـ هـذـاـ الـذـيـ جـعـلـ بـعـضـ الـعـربـ يـتـخـلـصـ مـنـ تـضـعـيفـهـ فـيـ الـكـلـمـةـ بـأـنـ يـبـدـلـ إـحـدـىـ الـهـائـينـ يـاءـ فـيـ قـوـلـهـ:ـ دـهـدـيـتـ الـحـجـرـ وـصـهـصـيـتـ بـالـرـجـلـ،ـ فـيـقـولـ دـهـدـيـتـ الـحـجـرـ،ـ أـيـ دـحـرـجـتـهـ وـاصـلـهـ دـهـدـهـتـهـ،ـ أـلـاـ تـراـهـمـ قـالـوـاـ:ـ دـهـدـوـهـةـ الـجـعـلـ لـمـ يـدـحـرـجـهـ،ـ قـالـ أـبـوـ النـجـمـ:

كـأـنـ صـوـتـ جـرـعـهـاـ الـمـسـتـعـجـلـ
جـنـدـلـةـ دـهـدـيـتـهـاـ فـيـ جـنـدـلـ

وقـالـوـاـ فـيـ صـهـصـيـتـ بـالـرـجـلـ إـذـاـ قـلـتـ لـهـ:ـ صـهـ صـهـ،ـ صـهـصـيـتـ،ـ فـابـدـلـواـ مـنـ الـهـاءـ يـاءـ) ^(٢٩٨).ـ وـلـكـنـ لـمـ جـعـلـوـهـاـ يـاءـ دـوـنـ غـيـرـهـاـ مـنـ الـحـرـوفـ؟ـ الـهـاءـ حـرـفـ مـهـمـوسـ (ـلاـ يـوـجـدـ فـيـ الـلـغـةـ حـرـفـ مـجـهـورـ يـقـابـلـهـ) ^(٢٩٧)،ـ وـمـنـ ثـمـ كـانـ اـخـتـيـارـ أـيـ حـرـفـ صـامـتـ لـيـسـ لـهـ مـاـ يـبـرـهـ،ـ وـالـصـوـامـتـ الـضـعـيفـةـ أـوـ الـصـوـائـتـ الـطـوـلـيـةـ هـيـ حـرـكـاتـ مـشـبـعةـ،ـ وـقـدـ تـكـونـ اـنـصـافـ حـرـكـاتـ حـيـاناـ وـلـذـاـ كـثـرـ فـيـهـاـ التـغـيـيرـ،ـ فـكـانـ الـأـوـفـقـ أـنـ يـخـتـارـ أحـدـهـاـ هـنـاـ،ـ وـقـدـ استـبـعـدـتـ الـوـاـوـ لـأـنـ الـيـاءـ اـخـفـ عـنـ الـلـسـانـ مـنـهـاـ،ـ وـكـذـلـكـ الـأـلـفـ لـمـ فـيـهـاـ مـنـ مـدـ الـصـوـتـ وـهـمـ إـنـمـاـ تـحـولـوـاـ عـنـ الـهـاءـ هـرـبـاـ مـنـ الـإـجـهـادـ.ـ فـتـحـولـهـمـ إـلـىـ الـيـاءـ اـذـنـ فـيـ دـهـدـيـتـ فـيـ رـاحـةـ للـرـتـيـنـ فـيـ اـخـرـاجـ الـهـوـاءـ.

الضـادـ وـالـلـامـ وـالـنـاءـ:

كـمـ اـبـدـلـواـ الـهـاءـ يـاءـ هـرـبـاـ مـنـ التـضـعـيفـ لـلـعـلـةـ الـتـيـ ذـكـرـنـاـ فـقـدـ اـوـرـدـ انـهـمـ اـبـدـلـوـهـاـ مـنـ الضـادـ وـالـلـامـ وـالـنـاءـ،ـ قـالـ:ـ (ـ.ـ.ـ قـوـلـ الـعـجـاجـ:ـ تـقـضـيـ الـبـازـيـ إـذـاـ الـبـازـيـ كـسـرـ

(٢٩٧) دروس في علم اصوات العربية ص ١١٩.

(٢٩٨) سر الصناعة (المتحف) ٢: ١٧٢.

هي تفعّل من الانقضاض واصله تقضض^(٢٩٩) ، وكذلك قولهم أمليت (إنما اصلة امليت ، فابدل اللام الاخره هرباً من التضعيـف ..)^(٣٠٠) ، وكذلك ما انشـدـه (بعضـهمـ) قـامـ بـهـاـ يـنـشـدـ كـلـ منـشـدـ واـيـتـصلـتـ بـمـثـلـ ضـوءـ الفـرـقـدـ ارادـ اـتـصلـتـ فـابـدـلـ مـنـ النـاءـ الـأـوـلـىـ لـكـراـهـيـةـ التـشـدـيدـ)^(٣٠١) .
فـهـذـاـ كـلـهـ إـنـمـاـ هـرـبـواـ فـيـهـ مـنـ التـضـعـيفـ إـلـىـ الـيـاءـ لـأـنـهـ أـيـسـ عـلـىـ السـتـهـ كـمـاـ تـقـدـمـ .

الجيم:

وقد جعل من الابدال قولهم: (ديجوج ودياج، واصله دياجيج، فابدل الجيم الآخرة ياء وحذفت الياء قبلها تخفيفا^(٣٠١) ، واري إنه يمكن أن يقال إنه حذف الجيم الآخرة كما قالوا: يا أبا الحكا وتكون صورته: دياجيج ← دياجيـ(جـ) ← دياـجـ في التنوين .

وهو أقرب من قوله:

دياجيج ← دياجيـ(يـ) ← دياـجـ في التنوين .

الصاد:

وجعل من الابدال أيضاً قولهم قضيت اظفارـي قال: (اخـبرـنـاـ أـبـوـ عـلـيـ باـسـنـادـهـ عنـ يـعقوـبـ قـالـ ، قـالـ الـلـحـيـانـيـ: قـضـيـتـ اـظـفـارـيـ فـيـ مـعـنـىـ قـصـصـتـهـ فـهـذـاـ مـثـلـ تـظـيـيـتـ اـبـدـلـ الصـادـ الـثـالـثـةـ يـاءـ كـراـهـيـةـ التـضـعـيفـ)^(٣٠٢) .

والـذـيـ قـالـهـ وـجـهـ وـلـكـهـ ضـعـيفـ عـنـدـيـ ، وـذـلـكـ أـنـ الفـعـلـ قـصـ فـيـ اـدـغـامـ فـإـذـاـ ضـعـفـ صـارـ قـصـصـ وـيـكـونـ ذـلـكـ هـنـاـ لـمـعـنـىـ التـكـثـيرـ وـلـاـ يـحـتـمـلـ غـيرـهـ فـيـمـاـ نـقـلـهـ عـنـ الـلـحـيـانـيـ وـهـوـ مـعـنـىـ لـأـرـىـ لـهـ فـائـدـةـ فـيـ قـصـ الـأـظـفـارـ ، وـهـوـ عـنـدـيـ قـصـصـتـهـ بـفـكـ الـادـغـامـ مـنـ غـيرـ تـضـعـيفـ ، وـيـشـجـعـنـيـ عـلـىـ نـسـبـةـ الـوـهـمـ لـلـحـيـانـيـ مـاـ ذـكـرـهـ اـبـنـ جـنـيـ فـيـ مـاـ يـرـوـيـهـ حـيـثـ قـالـ: (عـلـىـ اـنـ اـصـحـابـاـ فـيـ كـثـيرـ مـاـ يـحـكـيـهـ الـلـحـيـانـيـ كـالـمـتـقـفـينـ . . . وـذـاكـرـتـ بـنـوـادـرـهـ شـيخـناـ اـبـاـ عـلـيـ فـرـأـيـتـهـ غـيرـ رـاضـ بـهـاـ).^(٣٠٣) ، فـتـكـونـ الـكـلـمـةـ قـضـيـتـ اـظـفـارـيـ فـيـ مـعـنـىـ قـصـصـتـهـ وـهـذـهـ الـيـاءـ فـيـ قـضـيـتـ زـائـدـةـ جـيـءـ بـهـاـ اـنـحـفـاظـ عـلـىـ اـدـغـامـ لـيـنـبـوـ الـلـسـانـ نـبـوةـ وـاحـدةـ عـنـ

(٢٩٩) سـرـ الصـنـاعـةـ (المـتحـفـ) ١٨٢:٢

(٣٠٠) نـفـسـهـ ١٨١:٢ ، وـانـظـرـ المـحـتـبـ ١: ٢٨٣:١ حـيـثـ ذـكـرـ فـرـاءـ (إـيـلاـ وـلـادـمـةـ) .

(٣٠١) نـفـسـهـ ١٨٥:٢

(٣٠٢) سـرـ الصـنـاعـةـ (المـتحـفـ) ٢: ١٨٢ ، ١٨١:٢

(٣٠٣) نـفـسـهـ (الـازـهـرـ) ٢: ١٤ - ١٣

الحرف. ونحن نجد هذا في اللهجات الحديثة فاشياً كثيراً من غير ارادة معنى التكثير فيه، من ذلك مثلاً قول العامة عند استناد الفعل للمتكلم في مل وشد ورد وطل وكت ولفت وفك: ملّيت وشدّيت وردّيت وطلّيت وكفّيت ولفتت وفكّيت، وغير ذلك، وهي كما ترى افعال فصيحة يمكن أن تقوى ما زواه من زيادة الياء وإن لم يكن ذلك ابداً.

النون

قال : (وقالوا ايسان ، فأبدلوا نون إنسان ياء) وقال :

فيما ليته من بعد ما طاف أهلها هلكت ولم اسمع بها صوت إيسان إلا أنهم قالوا في جمعه أيسي بباء قبل الألف، فعلى هذا يجوز أن تكون الياء غير مبدلة، وجائز أن يكون أيضاً من البدل اللازم نحو عيد واعياد^(٤). والذى اراه في هذا أن الياء ليست أصلاً ولا بدلاً كما ذكر، وإنما هي كسرة الهمزة غلت على النون في الاختفاء فسمعت كأنها ياء، والاختفاء كما ذكر في قواعد التلاوة (اذهاب ذات النون والتلوين من اللفظ وإبقاء صفتها التي هي الغنة^(٥))، ويكون ذلك مع حروف، منها السين، وقد مثل لها بكلمة : (إنسان)^(٦)، فلا يبعد أن يكون الناطق بها قد اخفى الغنة قليلاً فلم يتبنها من سمعه فظنها بالياء خالصة فاستعملها ولم يجد من يصححها له فشاعت في أفراد من العرب، ثم إنهم قاسوا الجمجم عليها فكما قالوا إنسان واناسي قالوا في جمع إيسان أيسي .

الإدغام:

الأصل في الإدغام أنه (تقريب صوت من صوت)^(١)، وهو قسمان أكبر وأصغر، أما الأكبر فهو قسمان أيضاً الأول: وهو الإدغام المألوف المعتمد وذلك بأن (يلتقي المثلان على الأحكام التي يكون عنها الإدغام فيدغم الأول في الآخر)^(٢)، وذلك نحو قطع والأصل قطّع، وشدّ والأصل شدّ.

الثاني: (أن يلتقي المتقاربان على الأحكام التي يسوغ معها الإدغام فتقلب

^(١) نفسه ص ٨٤ (٣٠٦).

^(٢) (٣٠٧) الخصائص ٢: ١٣٩.

^(٣) نفسه ٢: ١٤٠.

^(٤) سر الصناعة (المتحف) ٢: ١٨١.

^(٥) قواعد التلاوة وعلم التجويد ص ٨١.

^(٦) (١) الخصائص ٢: ١٣٩.

احدهما إلى لفظ صاحبه فتدغمه فيه، وذلك مثل وَدَ في اللغة التميمية، وامْحِي وَامْزَرْ
واصْبِرْ واثَّاقْلْ عنه).^(٢)

وأما الإدغام الأصغر فيراد به تقريب الحرف من الحرف وادناؤه منه من غير ادغام
يكون هناك وهو ضروب...^(٣)

والذي يعني هنا من الإدغام بتنوعه ما لم يكن مطرداً في لغة العرب، وما كان
مطرداً مقيساً عند قوم منهم وغيرهم على خلافه، لأن هذا هو الذي يربينا اختلاف
اللهجات.

الأمر والمضارع المنجز :

العرب مجتمعون كما ذكر سيبويه على إدغام المثيلين في الفعل إذا تحرك الثاني
منهما، قال: (والتضعيف أن يكون آخر الفعل حرفان من موضع واحد وذلك نحو رددت
ووددت.. فإذا تحرك الحرف الآخر فالعرب مجتمعون على الإدغام)^(٤)

إلا أنهم اختلفوا في فعل الأمر وفي المضارع المنجز، وقد نسب سيبويه ذلك
إدغام فيما للحجازيين، وابقاء الإدغام لتميم وغيرهم من العرب ووصفهم بالكثرة
قال: (إذا كان حرف من هذه الحروف في موضع تسكن فيه اللام فإن أهل الحجاز
يضاعفون.. وذلك قوله: اردد واجترر وإن تضارر اضارر.. يدعونه على حاله ولا
يدغمونه.. وأما بنوتيم فيدمغون المجزوم كما ادغمو إذا كان الحرفان متراكبين لما
ذكرنا من المتراكبين فيسكنون الأول ويحركون الآخر لأنهما لا يسكنان جميعاً، وهو قول
غيرهم من العرب وهم كثير).^(٥)

وهذا الذي فصله سيبويه ذكره ابن جني باقتضاب في الخصائص ونسب الإدغام
لتميم ولم يذكر معهم غيرهم من العرب ونسب الفك للحجازيين وقال: (فهكذا لغة أهل
الحجاز وهي اللغة الفصحى القدemi).^(٦)

والذي اراه أن الحجازيين قد اتجهوا إلى فك الإدغام بسبب ميلهم إلى إيصال
الأصوات وتجنب اللبس وهي من صفات المتحضررين، فقد نطقت العرب بالتضعيف من
غير ادغام مع تاء الرفع في قولها رددت فإذا تحركت اللام أجمعوا كما قال سيبويه على

(٥) الكتاب ١٥٨:٢، ١٥٩.

(٢) نفسه ١٤٠:٢

(٦) الخصائص ١: ٢٦٠ وانظر المختسب ١: ١٤٨.

(٣) نفسه ١٤١:٢

(٤) الكتاب ١٥٨:٢

الإدغام فقالوا رَدْت مثلاً، واللام ساكنة في قولهم: أفعل ولم يفعل من ردّ وما اشبهه من المضعف، ونحوه وإن كنا نقول بأن الأمر من المضارع، لا نمنع أن يكون أهل الحجاز قد وجدوا بسأً في الأمر من المضاعف المدغم في نحو: رَدَ الفتى عن بغيته، فتحولوا به إلى الفك فقالوا اردد، كي لا يتلبس بالماضي المبني للمفعول، ثم حملوا المضارع عليه في فك الإدغام، ليجري الفعلان على سنن واحد، ولا شك أن الابتعاد عن اللبس ظاهرة حضورية ولذا وجدناها عند الحجازيين.

وقد أحصيت في القرآن الكريم بحسب الجهد ستة أفعال^(٧)، للأمر من المضاعف جاءت كلها بفك الإدغام، ولم أجدها في مارجع إلينا من كتب القراءات^(٨)، قراءة بالإدغام.

أما المضارع المنجز فقد أحصيت واحداً واربعين فعلاً جاء منها بفك الإدغام سبعة وثلاثون^(٩)، وبالإدغام أربعة حسب^(١٠)، مما يدل على أن لغة القرآن الكريم قد تجنبت تماماً الإدغام مع صيغة الأمر، ولعل ذلك قد كان لأن فيها بسأً بالماضي كما قلنا ورخصت في استعمال الإدغام مع المضارع المنجز بنسبة قليلة^(١١).

ادغام التاء في الطاء والدال:

التاء والطاء والدال من خرج واحد إلا أن الطاء والدال مجهوران عندهم والتاء مهموس، وإذا جاوزت الطاء الساكنة التاء سمعناها في النطق طاء مجهورة يشوبها ضعف يدندنها من التاء المهموسة، وقد ذكر في قواعد التلاوة أن الطاء تدغم في التاء في مثل: لتن

(٧) هي قوله تعالى: فاقصص (الاعراف: ١٧٦) اشدد (تونس: ٨٨، ط: ٣١)، احلل (ط: ٣٧)، اغضض (القمان: ١٩)، امن (ص: ٣٩).

(٨) انظر: الحجة لابن خالويه، والمحتب، وأملأ ما من به الرحمن والبحر المحيط، في مواضع الآيات المذكورة.

(٩) هي قوله تعالى: يرتد (البقرة: ٢١٧)، وليصلل، فليمثل (القرآن: ٢٨٢)، يمسني (آل عمران: ٤٧، مريم: ٤٠) بمدكم (آل عمران: ١٢٥، نوح: ١١)، يمسكم (آل عمران: ١٤٠)، يغلل (آل عمران: ١٦١) يمسهم (آل عمران: ٣٣، الرعد: ٣٣، فليستغفف (النساء: ٦) ويستغفف (النور: ٣١) يضلل (النساء: ٨٨، ١٤٣)، الاعراف: ١٧٨)، يشقق (النساء: ٤٦، ٤٤)، يمسك (الأنعام: ١١٥)، يمسك (الأنعام: ١٧ مرتان، تونس: ١٠٧) يقللله (الأنعام: ٣٩)، يشاقق (الأنفال: ١٣)، لا تقصص (يوسف: ٥)، فليمدد (مريم: ٧٥)، الحج: ١٥) يحلل (ط: ٨١) يغيرك (غافر: ٤)، لم تقصص (غافر: ٧٨) لا تمن (المدثر: ٦).

(١٠) هي قوله سبحانه: لا تضمار (البقرة: ٢٢٣) لا يضار (البقرة: ٢٨٢) وقد ذكر ابن جني في الأولى قراءة عن أبي عمرو بفك الإدغام: لا تضمار (المحتسب: ١) وذكر في الثانية أنه قد قرئ، يضار وضار يضار بكسر الراء الأولى وفتحها وقال: (والإدغام لغة تعييم والأظهار لغة الحجازيين...) (المحتسب: ١٤٨) وقوله سبحانه: (من يرتد منكم) (المائدة: ٥٤) وقد ذكر العكبري أنه قد قرئ، بفك الإدغام فيها (امالاء: ٢١٩) وقوله سبحانه: (ومن يشاق الله) (الحشر: ٤) وقد ذكر في البحر أن طلحة قرأ ومن يشاق بالاظهار (٨: ٢٤٤).

(١١) ٩٠,٢٤

بسقط ، و: أحطت^(١٢) ، ونسب للنحوين لقول بوجوب قلب التاء طاء وإدغامها في الطاء بصيغة التمريض والقلة ، قال: «والنحوين لعلهم يوجبون قلب التاء طاء ثم الادغام في مثل: أحطت وبسقط^(١٣) .

وأرى أن قواعد التجويد قد مالت إلى الصوت المهموس لأنها علم وضع في حضارة ، أما البدوة فهي التي اتجهت إلى العكس أعني قلب التاء طاء وإدغامها في الطاء . وقد ذكر ابن جني بيتأ لم ينسبه المحققون لعلقمة الفحل التميمي وقد أورده باسناده إلى المازني وفيه قلبت التاء طاء وأدغمت في الطاء ، وعقب عليه بأن إظهار التاء أقيس ، وفي هذا رد لما ذكره صاحب قواعد الثلاثة من نسبة القول بوجوب القلب والادغام للنحوين ، قال: «فاما ما فرأته على أبي علي عن أبي بكر عن أبي العباس عن أبي عثمان من قوله : وفي كل حَيْ قَدْ خَبَطْ بِنَعْمَةٍ فَحُقَّ لِشَائِسٍ مِنْ نَدَكَ ذَنْبَهْ فإنه أراد: خبطت ، ولو قال: خبطت لكان أقيس اللغتين^(١٤) .

ولا غرابة في أن ينطق تميمي بالحرف المجهور متحولاً عن المهموس لأن طبيعته أميل إلى الجهر منها إلى الهمس.

وقد علل ابن جني كون الاظهار أقيس بأن تاء الرفع ليست متصلة بالكلمة اتصال تاء افتصل في البناء الذي هي فيه حتى تقلب طاء كما تقلب في اطبلع فيقال اطلع ، واطرد فيقال اطرد ، ثم اعتذر عن القلب والإبدال في خبطت بأنه شبه هذه التاء باء افتصل لشدة اتصالها بالفعل لأنها (ضمير الفاعل ، وضمير الفاعل قد أجرى في كثير من أحكامه من الفعل مجرى بعض أجزاء الكلمة من الكلمة)^(١٥) .

وما قيل في الطاء يقال في الدال ، فإذا جاء ساكناً قبل التاء سمعنا في ضعفاً يكاد يدنيه من التاء في الهمس نحو رددت ويمكن ملاحظة ذلك بوضوح بمقارنة صوت الدال الأولى بالثانية عند النطق .

وقد أدى ميل التميميين إلى فخامة اللفظ وجهر الحروف إلى أن سكنوا التاء في الكلمة التي يكثر استعمالها عندهم وهي (الوتد) ثم قلباً التاء دالاً اختياراً للصوت

(١٢) قواعد الثلاثة ص ٦٦

(١٣) نفسه ص ٥٩ . ٦٠ .

(١٤) سر الصناعة ١ : ٢٢٥ .

(١٥) نفسه ١ : ٢٢٥ ، وقد نقل عن أبي علي أربعة أدلة على شدة اتصال الفعل بالفاعل ، وزاد هو خمسة ، فصادر تسعة أدلة ، وانظرها ان شئت من ص ٢٢٦ إلى ص ٢٣١ .

المجهور، فقلالوا ود في وتد، وقد ذكر ابن جني ذلك ونسبه إلى تميم^(١٦).

فاء الافتعال وتأوه

المشهور في الاستعمال أن فاء الافتعال إذا كانت واحداً من حروف معلومة قلبت التاء حرفاً آخر، إلا أن بعض العرب قد خالف ما عليه اللغة المشهورة في عدد من الكلمات فمن ذلك مثلاً قولهم: اذْكُرْ وَازَّانْ وَاصْلَحْ وَاصْبَرْ^(١٧) والمشهور اذْكُرْ وَازَّانْ بقلب التاء دالاً، واصطلحوا بقلب التاء طاء، وقد علل ذلك بأنه تقريب صوت من صوت قلب معه أحد الحرفين إلى لفظ صاحبه ليدغم فيه^(١٨).

وأرى أن الذين قالوا: اصْبَرْ وَاصْلَحْ وَازَّانْ وَاذْكُرْ قد تجافت أستهم عن الطاء والدال، وغلب عليها صوت الصاد والزاي والذال، لما في الطاء والدال من الشدة فتحولوا إلى صوت رخو، فكان أن جرى على أستهم قلب الشديد إلى رخوي ناسب الفاء فأبدلوا مع الصاد صاداً وأدغموا، ومع الزاي زاياً وأدغموا وهكذا إذ كان ذلك أخف على أستهم.

ويغلب على القطن أن الذين فعلوا هذا ليسوا من البدو لأنهم أميل إلى الصوت الشديد منهم إلى الرخو^(١٩)، وأصحاب هذه اللهجة نفروا من الشديد إلى الرخو.

ومما يدخل في هذا أيضاً (أن التاء إذا وقعت فاء في افتعال وما تصرف منه قلبت تاء وأدغمت في تاء افتعال بعدها وذلك قولهم افتعال من الثريد اتَّرَدْ وهو متَّرد.. وفي افتعال من الثأر اتَّأرَ، وفي افتعال من ثني اتَّنِي.. هذا هو المشهور في الاستعمال.. ومنهم من يقلب تاء افتعال تاء فيجعلها من لفظ قبلها فيقول: اتَّرَدْ وأتَّأرَ واتَّنِي..^(٢٠).

وأرى أيضاً أن الذين تحولوا عن الثناءين إلى الثناءين قد فروا من الشدة إلى الرخواة لأن التاء حرث شديد والثاء رخو وإن كان الإثنان مهموسين ويغلب على القطن أنهم أهل الحضارة، لأنهم مع ميلهم إلى الصوت الرخو يميلون إلى الواضح المتأتي من رغبتهم في صحة الكلام وجمال العبارة^(٢١)، والحفاظ على فاء الكلمة أكثر وضوهاً هنا من قبلها

(١٦) الخصائص: ٢: ١٤٠.

(١٧) الخصائص: ٢: ١٤٠، وسر الصناعة: ١: ١٦٠.

(١٨) نفسه: ٢: ١٤٠.

(١٩) في اللهجات ص ١٠٠.

(٢٠) سر الصناعة: ١: ١٨٩، ١٩٠.

(٢١) اللغة ص ٨٠، في اللهجات ص ٨٨.

تاء، فنحن نرى معنى التأثر في التأثر بالثاء أوضح من رؤينا إياه من كلمة التأثر بالثاء، وكذلك معنى الشريد في اثرد أوضح منه في اترد، فالوضوح مع الثاء وصفة الرخاوة تجعلنا نميل إلى أن الذين قلوا الثاء وادغموا في الثاء هم أهل حضارة لا بداع، وفي القرآن الكريم جاء قوله تعالى: (اثاقلتكم إلى الأرض) (التوبه: ٣٨) بابدال ثاء تفاعل ثاء وزيادة همزة الوصل ليتأتي إسكانها وإدغامها والأصل تثاقلتهم، فسكتت للإدغام ولم تقلب الثاء ثاء فتكون اثاقلتكم ابتعاداً عن الصوت الشديد وتحولـا إلى الرخو لأنـه الصوت المناسب لطبيعة الحضارة ولما في إبقاء الثاء من ايضاح الثقل في الكلمة مع ما في ذلك من تصوير لمعنى الثقل في الكلمة بخلاف اثاقلتـم بالثاء، ولم أجـد قراءة بالثاء المشددة.

الحذف والزيادة :

مما اختلف فيه اللهجات العربية في الحروف وذكره ابن جني الحذف والزيادة، فقد حذف بعضهم في حين أتم الجميع، وزاد بعضهم في حين وقف الجميع من غير زيادة، فمن ذلك:

حذف الألف في الوقف على المنصوب:

وكانت هذه الألف (في الوقف بدلاً من التنوين اللاحق علماً للصرف وذلك قولهم: رأيت زيداً)^(٢٣). وقد وقف بعض العرب على هذا المنصوب بإسكان آخره فقالوا: (رأيت فرج، ولم يحك سيبويه هذه اللغة لكن حكاهـا الجماعة أبو الحسن وأبو عبيدة وقطـرب وأكثر الكوفيين).^(٢٤) وعلـل ذلك بأنه قد (حمل أهل هذه اللغة التي حـكاهـا أبو علي عن أبي عبيدة المنصوب على المـرـفـوع والمـجـرـور).^(٢٥) ووصف ما جاء عنـهم من ذلك بالكثـرة (لـكـثـرة ما جاء عنـهم من ضربـتـ رـجـلـ)^(٢٦) وذكر لذلك عدة شواهد: (وـحدـثـنيـ أبوـ عـبـيـدـةـ أـنـ أـبـاـ عـبـيـدـةـ حـكـىـ عـنـهـمـ ضـرـبـتـ فـرـجـ وـأـنـشـدـ لـلـأـعـشـىـ):

إلى المرء قيسِ أطيلُ السُّرِيِّ وَاحِدٌ مِنْ كُلِّ حَيٍ عَصْمٍ

ولم يقل عصما ، وأخبرني بعض أصحابنا يرفعه إلى قطـرب أنه أنسـدـ:

شِئْرُ جَنْبِيِّ كَائِنُ مُهَدِّداً جَعَلَ الْقَيْنُ عَلَى الدَّفَ إِبْرَ

ولم يقل إبرا، وقال آخر:

(٢٤) سر الصناعة (المتحف) ٢: ١٣٦.

(٢٥) نفسه ٢: ٢٠٤.

(٢٦) سر الصناعة (المتحف) ٢: ٢٥٥.

(٢٧) الخصائص ٢: ٩٧.

أعددت للورد إذا الورد حَفْرٌ غَرْبًا جَرُورًا وجُلَالًا حُزَّخْرٌ
 ولم يقل حُزَّخْرًا، وأخبرنا بعض أصحابنا عن قطرب أنه أنشد لعدي بن زيد:
 أتعرَفْ أمس من لميس طَلْلٌ وأنت بحر كالفرات تميم
 مثل الكتاب الدارس الأحوال رُّ الناس منك دَرْمَكَا وَحَلْلٌ
 ولم يقل طَلْلٌ، ولا حلْلٌ، وأنشدا أيضاً له:

هل ترى من ظُعْنَى باكرة يستطاعُنَ من النجد اسرُ
 ولم يقل أسرًا، هكذا روينا عنه، قال: وسمعت بعض العرب الفصحاء من بني حنظلة
 ينشد:

لما رأت في ظهري انحناء والمشيَّ بعد قصص أحباء
 أَخْلَتْ وكان حبَّها اجلاء وجعلت نصف غبوقي ماء
 شم تقول من بعيد هاء درجة إن شئت أو القاء
 قال: فوقف على هذا كله بغير ألف. (٢٦)

ويلاحظ أن الشواهد التي ذكرها نسب منها بيتا للأعشى، وثلاثة لعدي بن زيد
 وثلاثة لأعرابي من بني حنظلة، وأغفل بيتن هما قوله: شئز.. الخ، وقوله:
 أعددت... الخ، أما الأول فقد ذكر محقق المختص أنه لعدي بن زيد. وأما الثاني
 فقد ذكر محقق سر الصناعة أنه لم يعثر على قائله (٢٧). أي أن الظاهرة وجدت في شعر
 الأعشى وعدي بن زيد، ورجل من حنظلة، وشاهد واحد مجهول القائل لا تستطيع أن
 تفيد منه في الحكم ولذا نطرحه في نظرنا إلى القبائل التي يمكن أن ينسب إليها هذا الإسكنان
 بعد الحذف مما ذكره ابن جني.

أما الأعشى فهو شاعر من شعراء ربعة، ويعرف أحياناً بأعشى قيس وأحياناً بأعشى
 بكر (٢٨) والرواية يحدثوننا أن الأعشى كان يعيش في اليمامة فليس هو إذن من ربعة
 العراق (٢٩).

وأما عدي بن زيد فهو من بني أمراء القيس بن زيد منة من تميم وكان جده (منزله

(٢٦) سر الصناعة (الأزهر) ٢: ٢٠٤ - ٢٠٢.

(٢٧) نفسه الحاشية ٢: ٢٠٣.

(٢٨) في الأدب الجاهلي ص ٢٣١.

اليمامة فيبني أمرئ القيس بن زيد منة^(٢٩)، ثم رحل عنها إلى الحيرة وهناك ولد عدي بن زيد^(٣٠) (وهو قروي قد أخذوا عليه أشياء عيب بها)^(٣١).

وحيظلة من زيد منة من تميم كما قدمتنا، ويبدو أن اليمامة هي الجامع لهؤلاء الذين نقلت عنهم هذه الظاهرة، ولذا يمكن القول إن هذه الظاهرة تمثل بداية من بدايات اللحن نتيجة الاختلاط بالغرس وغيرهم فما بعدهم أهل اليمامة إلى إسكان الاسم الذي يقفون عليه في التشر، وفي الشعر قال في الضرائر^(٣٢) . . . ان يوقف عليه بحذف التنوين وسكون الآخر مطلقاً، ونسبها ابن مالك إلى ربعة، والجمهور على أن ما ورد من ذلك ضرورة. . . قال ابن عقيل : والظاهر أن هذا غير لازم في لغة ربعة، ففي أشعارهم كثيراً الوقف على المنصوب المنون بالألف^(٣٣).

حذف ألف فاعل :

ذكر أن العرب قد تحذف ألف فاعل لغرض التخفيف، وقد أورد قراءة محمولة على هذا وأيدتها بشاهد، قال: . . . من القاطنين. قال أبو الفتح: ينبغي أن يكون في الأصل القاطنين كقراءة الجماعة، إلا أن العرب قد تحذف ألف فاعل في نحو هذا تخفيفاً قال الراجز:

أَصْبَحَ قَلْبِي صَرْداً
لَا يُشْتَهِي أَن يَرِداً
إِلَّا غَرَاداً عَرَداً
وَصِلَيَانًا بَرَداً
وَعَنْكَشًا مُلْتَبِداً

يريد عارداً، وبارداً فحذف ألف تخفيفاً^(٣٤).

وهذا الحذف الذي ذكره أنه لغرض التخفيف يتفق مع الميل إلى السرعة في النطق وهي من صفات البداءة وكما تقدم.

وغير بعيد أن تكون صيغة فعل من المتعدي التي عدت من أسمية المبالغة في اسم

(٢٩) مهدب الأغاني ١: ١٩١.

(٣٠) مهدب الأغاني ١: ١٩٤.

(٣١) نفسه ١: ١٩١.

(٣٢) الضرائر ص ٦٣.

(٣٣) المحتب ٤: ١٧١، وانظر ١: ١٧١، والخصائص ٢: ٣٦٥.

الفاعل قد جاءت عن طريق هذه اللهجة، ولذلك كانت قليلة كما وصفها سيبويه^(٣٤)، وجرى فيها الخلاف في التوجيه والطعن في صحة الشاهد^(٣٥) الذي أورده في الكتاب.

وعلى هذا الرأي يتوجه ما رواه صاحب الكتاب من عمل فعل عمل فاعل في قوله:

حذّرَ أموراً لا تضيرُ وآمنَ ما ليس مُنجِيَّةً من الأقدارِ

فاما ما زعمه اللاحقي من أن سيبويه سأله عن شاهد في تعديي فعل فعل له هذا البيت^(٣٦)، فمد فوع عندنا غير مقبول، لأنّه أقرّ على نفسه بالكذب، ولا تقبل روایة الكاذب ولا تصح، إذ ما يدرينا أنّ هذا المقرّ على نفسه بالكذب صدقنا الآن ولم يكن كذباً في خبره. وليس في كلام سيبويه ما يشير إلى هذا اللاحقي الكاذب بإقراره، فكانه أراد أن يفخر بأنّ سيبويه كان يسأله أو بأنه استغفل شيخ النحوين والذي قاله سيبويه: (ومما جاء على فعل قول الشاعر:

حذّرَ أموراً لا تضيرُ وآمنَ ما ليس منجيَّةً من الأقدارِ^(٣٧).

حذف الهمزة:

حذفت الهمزة من الكلام في عدد من الشواهد في التشر والشعر والقراءات، ولم تكن في هذا همزة وصل، بل قد تكون همزة قطع مزيدة أو من بنية الكلمة، وقد وصف هذا الحذف بالكثرة والضعف في القياس: (٠٠) وقد جاء نظير ذلك من حذف الهمزة شيء صالح الكثرة^(٣٨). (٠٠) وعلى كل حال فحذف الهمزة هكذا اعتباطاً ساذجاً ضعيف في القياس وإن فشا في بعضه الاستعمال^(٣٩).

وعلى أن الحذف قد ورد في الشعر والتشر إلا أن ذلك في مواضع معينة لا يجوز القياس عليها، وعلل ذلك بأن الحذف إنما كان للعلم بالمحذوف لكثره الاستعمال وهو في ذلك شبيه بالحذف في لم يك (تلك مواضع كثر استعمالها، فعرفت احوالها، فجاز الحذف فيها)^(٤٠). وبين أن الحذف في ذلك إنما كان للتخفيف^(٤١).

(٣٤) الكتاب ١: ٥٧، ٥٨.

(٣٥) تحصيل عين الذهب بحاشية الكتاب ١: ٥٧، ٥٨.

(٣٦) شرح الكافية ٢: ١٨٨.

(٣٧) الكتاب ١: ٥٨.

(٣٨) المحجتب ١: ١٢٠.

(٣٩) نفسه ١: ١٢١.

(٤٠) الخصائص ٣: ١٤٩.

(٤١) نفسه ٣: ١٥١.

وأورد قاعدة للحذف الجائز ذكرها في أكثر من موضع^(٤٢)، وسماه الحذف القياسي، خلاصتها أن الهمزة إذا كانت متحركة وكان الحرف الذي قبلها ساكنًا جاز حذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها نحو من أبوك فتقول منْ بُوك، وكم بذلك فنقول كم بِلك، ومن ذلك قراءة^(٤٣) (قدْ فُلْحَ الْمُؤْمِنُونَ) في (قدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ) (سورة المؤمنون: ١) وقراءة (ولَرْض) في : (وَالْأَرْضَ) (مثلاً آل عمران: ١٣٣) أما إذا كان الحرف متحركاً فقد حته حركته أن يقبل حركة أخرى غيرها^(٤٤).

والشواهد التي ذكرها كما أسلفت ثلاثة أقسام: التشر، والشعر، والقراءات: فمن التشر ذكر ما حكاه ثعلب من قول امرأة لبناتها: أفي السوتنته، تريده: أفي السوءة أنتنه^(٤٥). وما حكاه أبو زيد من قولهم: لاب لك في لا أب لك^(٤٦). وذكر أنه جاء عنهم: سايسوا في ساء يسوء وجايوجي في جاء يجيء^(٤٧)، وتناول الموضوع في مكان آخر من المحتسب^(٤٨)، وذكر قولها: أفي السوتنته وقال: (هذا من الشذوذ بحيث لا يقاس على ضعفه، فضلاً عنه على قوله). ومنه قوله في الأحر: الحمر وأحمر^(٤٩).

وي يمكن أن يقال إن هذه الكلمات التي وردت في التشر قد جاء تخفيفها على الصورة القياسية، وذلك أن لاب لك أصلها لا أب لك فالهمزة متحركة قبلها ساكن فإذا خففت القيمة حركتها على ما قبلها، ولما كان ما قبلها لا يتحمل الحركة البة إلا إذا انقلب همزة بالضغط عليه كما تقدم، لم يكن بد من الاكتفاء بحذفها مع حركتها، ولا يبعد عندي أن يكون نطقها قد مر أولاً بمرحلة الهمزة بين بين للتخفيف، ولكنثرة استعمالها ازداد ضعفها وخفاوها حتى لم يبق لها أثر في اللفظ، ولا جرم أن الكلمة كثيرة الاستعمال عندهم. وكذلك قل عن سافي ساء وجأ في جاء فلما خفف الماضي حملوا عليه المضارع فقالوا: يسو ويجي، هذا على كون الأفعال المذكورة موصولة غير موقوف عليها، فإن جاء الفعل منها موقوفاً عليه لم يكن من هذا الباب الشاذ بل هو مقيس^(٥٠) في الوقف. أما قوله: أفي السوتنته بفتح التاء من كلمة السوء، فظاهره مشكل لأن التاء في

(٤٢) انظر مثلاً: المحتسب ١: ٧٣-٧٢، ٢٤١-٢٤٢، ٢: ١٤٧.

(٤٣) المحتسب ١: ٧٢.

(٤٤) المحتسب ١: ٧٣.

(٤٥) الخصائص ٣: ١٥٠.

(٤٦) نفسه ٣: ١٥١.

(٤٧) المحتسب ١: ١٢١.

(٤٨) نفسه ١: ٢٤٢.

(٤٩) المنصف ١: ٧٠.

(٥٠) شرح الشافية ٣: ٤٤، ٥٠.

الأصل مكسورة والهمزة مفتوحة، ولكن يمكن أن يقال إنها سكنت التاء وأظهرتها على حد قولهم في الوقف: عليه السلام والرحمت ثم أجرته في الوصل مجرأه في الوقف^(٥١) وكما فعلوا في الكشكشة حيث زادوا الشين على كاف المؤنث في الوقف للبيان، ثم ابقوها بعضهم في الوصل اجراء للوصل مجرى الوقف، وقد تقدم فصار التقدير أفي السوء أنته فكان ما قبل الهمزة الأولى ساكنة نقلت إليه ففتحتها بعد حذفها وما قبل الثانية كذلك فصار أفي السوتته. وأما قولهم في الأحمر: الحمر بحذف الهمزة التي هي فاء الكلمة، و قالوا أيضاً لـ أحمر بحذف همزة أـل مع حذف الفاء^(٥٢) فهو أيضاً مما نحن بسبيله من حذف الهمزة والفاء حركتها على الساكن قبلها وذلك ظاهر في قولهم الحمر، وقد ذكر أن همزة أـل قد أقرت بعد تحرك اللام ولم تمحى مع إنما جيء بها لسكون اللام، لأن (اللام أصلها السكون وإنما تحركت لفتحة الهمزة في التخفيف. والأصل التحقيق والسكون وإنما الحركة عارضة)^(٥٣).

و عبر عن ذلك في موضع آخر بقوله: (ومن قال: لـ أحمر قال حركة اللام غير لازمة إنما هي لـ تخفيف الهمزة والتحقيق لها جائز فيها).^(٥٤)

وأما حذفها في قولهم: لـ أحمر فقد عللها بأن الذين حذفوا الهمزة من أـل إنما فعلوا ذلك لأنهم نظروا إلى أنها إنما دخلت لـ سكون الحرف في قولهم: الأـحمر (وحذفهم الهمزة لـ تحرك ما بعدها).^(٥٥) وقد ذكر في موضع آخر^(٥٦) أنهم حذفوا همزة الوصل في قولهم: لـ أحمر، لأنهم اجروا غير اللازم مجرى اللازم. ويريد بذلك أنهم نظروا إلى حركة اللام العارضة وهي غير لازمة، على أنها حركة لازمة لا يحتاج معها إلى همزة الوصل.

وذكر من الشعر^(٥٧) ما أنسدـه أبو الحسن:

تَضِبُّ لِثَابِ الْخَيْلِ فِي هَجَرَاتِهَا وَتَسْمِعُ مِنْ تَحْتِ الْعَجَاجِ لَهَا آرْمَلا

وما أنسـدـه أبو علي:

ان لم اقاتل فالبسوني برقعا

وما روـي عن ثعلـب:

هـوـي جـنـدـ اـبـلـيـسـ العـرـيـدـ

(٥٤) المنصف: ١: ٧٠

(٥١) المنصف: ١: ١١، ١٠

(٥٥) الخصائص: ١: ٣٠٥

(٥٢) نفسه: ١: ٧٠

(٥٦) نفسه: ٣: ١٥١

(٥٣) الخصائص: ٣: ٩٠

وقول الراجز:

أَرَيْتَ إِنْ جَئْتَ بِهِ أُمْلُودًا

وقول الآخر:

حَتَّى يَقُولَ مِنْ رَأَءِ قَدْ رَاهَ

(وأنشدَ أَحْمَدَ بْنَ يَحْيَى):

أَرِيتَكَ إِنْ شَطَّتْ بِكَ الْعَامَ نَيَّةً وَغَالَكَ مُصْطَافُ الْجَمَى وَمَرَابِعُهُ^(٥٧)

والكلمات الواردة في هذه الشواهد يمكن جعلها على قسمين:

الأول: قوله: لهزملاء، وفلبسوني، وجند بليس.

والثاني: قوله: أريت في أرأيت. وقد راه في قد راه وأريتك في أرأيتك.

والجامع بين القسمين في الحذف الضرورة، والشعر كما نعلم موطن الضرورات، وقد أكد ابن جنني ما يفهم منه هذا المعنى في غير موضع وهو يتحدث عن الحذف في القراءات (. . . وهو ضعيف القياس والشعر أولى به من القرآن)^(٥٨). إلا أنهما يختلفان في ما شجع على الحذف مع الضرورة.

أما الأول: فقد اجريت همزة القطع فيه مجرى همزة الوصل شجع على ذلك كونها في أول الكلمة كهمزة الوصل فقال لهزملاء ليستقيم له الوزن ولو بدأ بها فقال مثلا: لها أزمل، في البحر نفسه، لما جاء بها محنونة ولحقتها ولا بد، وكذا في قوله فلبسوني لولا الفاء ل جاء بالهمزة محققة وقل مثل ذلك عن كلمة ابليس.

أما الثاني: فهو فعل واحد كثير الاستعمال عند العرب فلا يبعد أن تكون كثرة الاستعمال قد أعاشرت على هذا الحذف مع الضرورة، وانظر كيف أظهر في قوله من راه لأن الوزن لا يستقيم بالحذف، ثم حذف في قد راه للوزن أيضا.

وذكر من القراءات:

١ - (بِمَا أَنْزَلْتِكَ) والأصل: (بِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيْكَ) (البقرة: ٤) ونسب القراءة

.١٢١) المحتب (٥٧)

(٥٨) المحتب ١: ٢٧٣، وانظر ٢: ١٥٠

للكسائي ووصفها بأنها شاذة، ولم يذكرها في موضعها من المحتسب. وذكر أن قياس تخفيف الهمزة فيها أن تجعل بين بين، ولكن حذفها والتى حركتها على لام انزل وقد كانت مفتوحة فغلبت الكسرة الفتحة على الموضع فصار التقدير انزل ليك فاسكتت اللام الأولى وادغمت في الثانية^(٥٩)، وذكر في المحتسب^(٦٠) ان العرف إذا كان متحركا فلا يسوغ نقل حرقة اخرى إليه عوضا عن حركته (ولذلك ضعفت عندنا قراءة الكسائي بما انزليك).

٢- سواء عليهم انذرتهم أم لم تنذرهم والأصل (أنذرتهم) (البقرة: ٦) وذكر أن همزة الاستفهام حذفت تخفيفا لكرامة الهمزتين، وأنها قد حذفت في غير موضع من هذا الضرب، وذكر شواهد عدة على الحذف ثم قال: (وعلى كل حال فاخبرنا أبو علي قال: قال أبو بكر: حذف الحرف ليس بقياس)^(٦١) ثم أضاف (إنه إذا صح التوجيه إليه جاز في بعض الأحوال حذفه لقوة الدلالة عليه).

٣- (فمن تعجل في يومين فلثم عليه ومن تأخر فأشم عليه) والأصل: (فلا إثم عليه) (البقرة: ١٧٣) وقال بعد اياضح ما حدث من حذف (وقد مرّنا من حذف الهمزة اعتباطاً وتعجرفاً من نحو هذا اشياء كثيرة)^(٦٢).

٤- (وأتيتمْ حُدَاهُنَ قنطاراً) والأصل (وأتيتمْ إِحْدَاهُنَ) (النساء: ٢٠) وأحال على قراءة فلثم عليه ثم قال: (وهذا حذف صحيح واعتباط مريع نحو قوله: وتسمع من تحت العجاج لها ازملا)^(٦٣).

٥- (مِنْ جُلِّ ذَلِك) والأصل (مِنْ أَجْلِ ذَلِك) (المائدة: ٣٢) قال: (غير مهموز والنون مكسورة). قال أبو الفتح يقال: فعلت ذلك من أجلك ومن إجلك بالفتح والكس)^(٦٤) وحمل هذه القراءة على لغة من كسر الهمزة فقال مِنْ اجلك^(٦٥).

٦- (وإِذْ يَعْدُكُمُ اللَّهُ أَحَدُ الطَّائِفَتَيْنِ) والأصل: (وإِذْ يَعْدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ) (الانفال: ٧) وقد عقب على هذه القراءة بقوله: (وهو ضعيف في القياس، والشعر أولى به من القرآن)^(٦٧).

٧- (أَرَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَمْتَ عَلَيْ) والأصل: (أَرَيْتَكَ . . .) (الاسراء: ٦١) وقد

(٥٩) الخصائص: ٣: ١٤١.

(٦٠) المحتسب: ١: ٢٤٢.

(٦١) نفس: ١: ٥١.

(٦٢) نفس: ١: ١٢٠.

(٦٣) نفس: ١: ١٨٤.
(٦٤) المحتسب: ١: ٢٠٩.

(٦٥) نفس: ١: ٢١٠.
(٦٦) نفس: ١: ٢٧٣.

ذكر أنه في هذه القراءة (يريد أرأيتك) ^(٦٧).

٨- (ويمسكت السماء أنْ تقع عَلَّرْض) والأصل: (على الأرض) (الحج: ٦٥) وقد نقل القراءة من أبي زيد قال: (وحكى أبو زيد في (خباء) انه سمع بعضهم يقرأ: ويسكت السماء ان تقع عَلَّرْض يريده على الأرض. فحذف همزة ارض تخفيفا والقى حركتها على اللام وهي ساكنة كما ترى فصارت عللرض، فكره اجتماع اللامين متحركتين فاسكن اللام الاولى وادغمها في الثانية) ^(٦٨).

٩- (أنْ أَرْضِعِيه) والأصل: (أنْ أَرْضِعِيه) (القصص: ٧) قال: (بكسر النون ولا هنـز بعدها. قال أبو الفتح: هذا على حذف الهمزة اعتباـطا لا تخفيفا كـما قرأ ابن محيسن: (فجاءـته أـحـدـاهـمـا بـحـذـفـ هـمـزـةـ إـحـدـاهـمـاـ البـتـةـ) ^(٦٩) ويبدو أنه يريد بقوله لا تخفيفا، التخفيف القياسي فـكانـهـ حـذـفـ كـلـمـةـ: قـيـاسـياـ، لـلـعـلـمـ بـهـاـ، يـدلـ عـلـىـ ذـلـكـ قولـهـ: (ولـوـ كانـ عـلـىـ التـخـفـيفـ الـقـيـاسـيـ لـقـالـ أـنـ أـرـضـعـيـهـ بـفـتـحـ النـونـ بـحـرـكـةـ الـهـمـزـةـ مـنـ أـرـضـعـيـهـ وـمـثـلـهـ مـاـ حـذـفـ مـنـ الـهـمـزـةـ اـعـبـاطـاـ هـكـذـاـ لـاـ تـخـفـيفـاـ قـيـاسـياـ مـاـ أـنـشـدـهـ أـبـوـ الـحـسـنـ..ـ هـاـ اـزـمـلاـ).

١٠- (فجاءـتهـ حـدـاهـمـاـ) والأصل: (فجـاءـهـ إـحـدـاهـمـاـ) (القصص: ٢٥) قال: (باسـقـاطـ الـهـمـزـةـ. قالـ أـبـوـ الفـتـحـ: قدـ قـدـمـناـ ذـكـرـ ضـعـفـ ذـلـكـ وـأـنـ إـنـاـ يـجـوزـ فـيـ الشـعـرـ لـاـ فيـ التـنزـيلـ) ^(٧٠).

١١- (انـهـ لـحـدـىـ الـكـبـرـ) والأصل: (انـهـ لـإـحـدـىـ الـكـبـرـ) (المدثر: ٣٥) قال: (فـهـذـاـ فـيـ الحـذـفـ كـقـوـلـهـ فـلـثـمـ عـلـيـهـ، إـلـاـ أـنـ بـيـنـهـاـ مـنـ حـيـثـ أـذـكـرـ فـرـفـاـ وـذـلـكـ أـنـ قـوـلـهـ لـحـدـىـ الـكـبـرـ إـنـاـ فـيـ حـذـفـ الـهـمـزـةـ لـغـيـرـ، وـقـوـلـهـ فـلـثـمـ عـلـيـهـ اـصـلـهـاـ فـلـاـ اـثـمـ فـلـمـاـ حـذـفـ الـهـمـزـةـ تـخـفـيفـاـ وـإـنـ لـمـ يـكـنـ قـيـاسـاـ التـقـتـ الـأـلـفـ مـعـ ثـاءـ اـثـمـ وـهـيـ سـاـكـنـ فـحـذـفـتـ الـأـلـفـ مـنـ لـاـ لـالـتـقـاءـ السـاـكـنـينـ) ^(٧١).

والقراءات ليس فيها موضع للضرورة كالشعر، ولا هي قليلة كـماـ فيـ الـكـلـمـاتـ الـتـيـ تـعـرـضـنـاـ لـهـاـ فـيـ كـلـامـنـاـ عـلـىـ النـثـرـ، لـذـاـ كـانـ لـاـ بـدـ مـنـ الـوـقـوفـ عـنـدـهـ بـشـيءـ مـنـ التـفـصـيلـ.

ويـكـنـ أـنـ تـجـعـلـ الـقـرـاءـاتـ الـوـارـدـةـ بـحـذـفـ الـهـمـزـةـ عـلـىـ قـسـمـيـنـ مـاـ جـاءـ حـذـفـهـ مـقـيـساـ وـماـ جـاءـ غـيرـ مـقـيـساـ:

. (٧٠) المحتسب: ٢: ١٥٠.

. (٧١) نفسه: ١: ١٢٠ وانتظر ايضاً: ١: ٢٧٣.

. (٦٧) نفسه: ١: ١٢١.

. (٦٨) نفسه: ١: ٧٢ - ٧٣.

. (٦٩) نفسه: ٢: ١٤٧.

الحذف المقيس:

وذلك بأن تكون المهمزة مسبوقة بساكن فتحذف وتلقي حركتها عليه كقوله تعالى: قد أفلح المؤمنون حيث قرئت قد فلخ المؤمنون كما تقدم في أول كلامنا على حذف المهمزة، ويعن أن ينظر تحت هذا إلى قراءة فلشم عليه، ومن جل ذلك، وعلّرض إذ الأصل في الأولى فلا اثم عليه ولما كان السكن قبلها الفاء لم يكن تحريكه فتحذفت المهمزة وحركتها. وفي الثانية جاءت القراءة كما ذكر على لهجة من يكسر همزة أجل فتحذفها والتى حركتها على التون فجاءت مكسورة. وفي الثالثة كان الأصل على الأرض المهمزة الأولى همزة وصل واللام من آلل ساكنة وألف على ساكنة لذا حذفت الألف في اللفظ ويعن كتابتها من حيث الصوت: عللأرض فلما حذفت المهمزة والقيت حركتها على اللام الساكنة صارت عللّرض وهذا على الحذف المقيس؛ ثم سكن أول المثلين توصلا إلى الادغام فصار عللّرض.

الحذف غير المقيس:

وذلك بأن يكون ما قبل المهمزة متتحركا وينظر تحته إلى الكلمات الباقيه في القراءات المذكورة، وهو على قسمين:

الأول: ما كانت المهمزة فيه للاستفهام:

وذلك قوله تعالى: (سواءٌ غَلِيْلُهُمْ أَنْذِرَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) حيث التقت همزتان متحركتان، فتحذفت على هذه القراءة همزة الاستفهام للدلالة عليها لأن معنى التسوية وجود أم المعادلة يقتضي هذه المهمزة. وقد ذكر أنه إذا قويت الدلالة على الحرف جاز حذفه، وهذا منه.

الثاني: ما لم تكن المهمزة فيه للاستفهام:

وذلك قراءة: انزليك والأصل انزل اليك. وقد عللها كما تقدم بغلبة الكسرة على الفتحة ثم سكن أول المثلين لأجل الادغام.

والذى أراه أن تبقى القاعدة في الابدال المقيس في نقل الحركة من المهمزة المحذوفة إلى الساكن قبلها ويزاد عليها: وتحذف الحركة أيضا إذا لم يمكن القاؤها على الحرف السابق للهمزة، ولا يمكن القاء الحركة على الحرف قبلها في حالتين: الأولى: إذا كان ما قبلها الفاء كما في قوله تعالى فلا اثم عليه. الثانية: إذا كان ما قبلها متتحركا كما في انزل اليك. لأن القول بغلبة الكسرة على الفتحة في هذه القراءة كما ذهب إليه، يوقعنا في اشكال في قراءة: أنها لحدى الكبر بفتح اللام إذ لو كان كما ذكر لكسرت اللام والأصل لاحدى بفتح اللام

وكسر الهمزة مثل: ل اليك بفتح اللام وكسر الهمزة فكان ينبغي على مذهبه في غلبة الكسرة أن يقرأ: إنها لحدى الكبر بكسر اللام، فلما لم يقع هذا كان القول بهذه الغلبة هنا بعيداً، ويصار إلى القول بحذف الحركة مع الهمزة لأنها لا مكان لها على الحرف المتحرك. ويدخل في هذا أيضاً قراءة وإذا يدكم الله حدى الطائفتين، وقراءة فجأته حداتها لحركة الهاء فيها، وقراءة أريتك هذا لحركة الراء وقراءة إنها لحدى الكبر لحركة اللام.

ويدخل في هذا أيضاً بتأمل يسير قراءة: وآتيتكم حداتها. وذلك أن الأصل وآتيتم أحدهن بسكون الميم وكسر الهمزة وقد سكتت ميم الجمع وهي في الأصل مضمونة لأن ما بعدها متحرك، فلما سكن ما بعدها بحذف الهمزة عادت إلى الميم ضمته قال الرضي: (إذا لقي ميم الجمع ساكن بعدها ضمت الميم رداً لها إلى أصلها، وقد تكسر)^(٧٢). فلما كانت الميم قد تحركت بحذف الهمزة ولم تبق على سكونها لم يبق موضع فيها لحركة الهمزة حتى تلقى عليها.

وأما قراءة، إن رُضعيه بكسر النون والأصل أنْ أرضعيه بسكونها وفتح الهمزة فليست من هذا الباب لكان الكسر، وإنما هي من باب قوله: فَلِيُسُونِي، فإن الهمزة في الأصل همزة قطع على القياس لأنها جاءت في أول فعل بعدها فيه ثلاثة أحرف فتكون الهمزة فيه وفي أمره ومصدره همزة قطع^(٧٣). وظاهر أن الفعل ارضعي في هذه القراءة قد عومل في صيغة الطلب معاملة الفعل الثلاثي المجرد كضربي، والأمر منه اضري بهمزة وصل، وهو خلاف ما عليه جمهور اللغة، فلما التقى الساكنان النون والراء كسر النون على أصل التخلص من القاء الساكين. ولم أجده هذه القراءة من تعليل سوى القول بوصل همزة القطع في فعل الأمر من الرباعي شذوذًا، ولست أكترم عدم ارتياحي لهذا التعليل.

الحذف من الاسم الموصول:

ذكر ابن جني قول المذلي:

فَظَلَّتْ فِي شَرِّ مِنَ اللَّذِي كِيدَا كَاللَّذُ تَزَئِي زُبِيَّةً فَاصْطَبِدا
وقال: (قد عد الناس اللذ لغة في الذي، ويمكن عندي أن يكون ذلك صنعة لـ لغة، وذلك أنه يجوز أن يكون حذف الياء تخفيضاً لطول الاسم بصلته، فصار اللذ . فلما صال إلى اللذ اسكن الذال استثقالاً لكسره واتباعاً لاقامة الوزن)^(٧٤).

(٧٢) شرح الكافية: ٢ : ٧.

(٧٣) شرح الشافية: ٢ : ٢٥٩.

(٧٤) التمام ص: ٤٢.

ومسألة أن تكون اللفظة لهجة أو لا تكون قد تكلمنا عليها فيما مضى ، الا أنها نظر في عبارته فقد عد الناس اللذ لغة في الذي ، وهو لم يقطع بأنها صنعة وإنما قال يمكن أن يكون صنعة ، فالمرجع اذن أنها لهجة ، وأما تفسيره اللذ كيف جاءت ، فإنه يصدق عليها أيضا إذا قلنا إنها لهجة . وقد قالت العرب في الاشارة الى المؤنث (ذ) بسكون الهاء ... وهذه بكسر الهاء باختلاس ، وبأشباع^(٧٥) . وإذا أشبعت الكسرة صارت ياء : ذهي ، وهي لا تختلف عن آخر الذي ، فهل إذا عللنا وجود الياء في آخر اسم الاشارة بأنه اشباع لكسرة ذه يخرجها ذلك عن كونها لهجة . ولذا قلنا إن تعليل الحذف لا يخرج الكلمة عن كونها لهجة ، يضاف إلى ذلك أنه لم يقطع بالنفي وإنما قال : يمكن :

وقد ذكر العلماء لهجة لطيء اطلقوا عليها قطعة طيء^(٧٦) وهي أن يقطع اللفظ قبل تمامه فيقال مثلا في يا أبا الحكم : يا أبا الحكم ، ومن ذلك قوله في أحد الرأيين^(٧٧) :

تَصِلُّ مِنْهُ إِلَيْيَ بِالْهَوْجَلِ
فِي لَجْةِ أَمْسِكٍ فُلَانًا عَنْ فُلَيْ

ويلاحظ أنه حذف التنون في فلان وقلب الألف ياء لمناسبة القافية ، وفي يا أبا الحكم ، حذف الميم ومطرد الفتحة فصارت الفاء . فهم في الموضوعين لم يقروا عند الحذف بل زادوا عليه تغييرا على أنهم قد يكتفون بحذف (بعض الكلم استخفافا حذف يخل بالبرقة ويعرض لها الشبه ... قوله ليبيد .

دَرَسَ الْمَنَا بِمُتَّالِعِ فَأَبَانِ

أراد المنازل^(٧٨) .

فلا يبعد أن تكون اللذ لهجة في الذي قطعت فيها الياء ، وسكنت الذال تخفيفا ، أو لإقامة الوزن في الشاهد .

وقد ذكروا أن ربعة تسقط نون اللذين واللتين^(٧٩) ، وعليه قول الأخطل :

هَمَا اللَّتَا لَوْ وَلَدَتْ تَمِيمُ لَقِيلَ فَخَرَّ لَهُمْ صَمِيمُ

(٧٥) شرح ابن عقيل ١ : ١٣١ .

(٧٦) في اللهجات ص ١٣٤ - ١٣٥ .

(٧٧) والرأي الآخر : أنه اسم لزم النداء وجاء هنا في غير النداء وانظر حاشية الصبان : ٣ - ١٦١ .

(٧٨) الخصائص ١ : ٨١ .

(٧٩) في اللهجات ص ١٣٥ .

وقوله^(٨٠):

أبني كليب إن عمّي اللذا
قتلا الملوك وفكوا الأغلا

وقال الأشهب بن زميلة:

فإن الذي حانت بقلجِ دماؤهم هُم القوم كُلُّ القوم يا أمَّ خالدٍ

... يريد الذين كما أراد الأختطل اللذان^(٨١).

ولا يبعد أن يكون بعض العرب لم يكتف بالحذف مع الاسم الموصول لثلاثين والجمع فحذف مع الاسم الموصول للواحد ثم سكن لاقامة الوزن.

وأرى أن كثرة الاستعمال في الاسم الموصول هي التي ادت إلى هذا الحذف والعرب قد تسقط بعض حروف الكلمة لكثرة الاستعمال على ما قرره سيبويه في مثل قولهم (لا أَدْرِ وَلَمْ يَكُنْ وَلَمْ أَبْلُ وَخُدْ وَكُلْ، وأَشْبَاهُ ذَلِكَ وَهُوَ كَثِيرٌ)^(٨٢)، وفي اللهجة العامية أثروا حذف الحرف الصحيح (الذال) وابقينا المحتل (الياء) فقلنا: (اللي) ولعل ذلك كان لميل العامية إلى السكون وهو ما يؤلف مع الياء لشقل الحركة عليها.

التنوين:

حد التنوين بأنه (نون ساكنة تلحق الآخر لفظاً لا خطأ، لغير توكيده)^(٨٣) والذي يعيننا من هذا الحد أن التنوين نون يلفظ بها، فهي إذن ثابتة في الصوت أما الخط فهو رمز لهذا الصوت وقد رأى الكتاب في العربية لا يثبتون نوناً كثون مسلمين واستعاضوا في ذلك بالرمز إليه بضمتين أو كسرتين أو فتحتين، ولكنه في الأصوات نون لا يختلف لفظها عن نون البنية، ولذا ثبتت في خط العروض لأن الوزن قائم على الأصوات المتحركة والساكنة الملفوظ بها، وكانت الكتابة العروضية لبيت امرئ القيس مثلاً هكذا:

يَكْرُونْ مِفْرِنْ مُقْبِلْنْ مُدْبِرْنْ مَعْنْ كَجْلُمُودْ صَخْرِنْ حَطْطَةْ سَسِيلْ مَنْ عَلَيْ

وقد تعرض التنوين للحذف الشائع في لغة الأدب في غير موطن وليس ذلك مما نحن بسبيله، إلا أن بعض العرب قد وقفوا على المنون المعرف بالواو وال مجرور بالياء،

(٨٠) نسبة في اللهجات إلى الفرزدق وهو في المصنف ١: ٦٧ للاختطل.

(٨١) المصنف ١: ٦٧.

(٨٢) الكتاب ٢: ١٤٨.

(٨٣) شرح النصريج ١: ٣٠ - ٣١.

وبعضهم حذف التنوين في موطن من موطن الذكر الشائع له، وهذا ما يدعوا إلى النظر فيه:

الوقف على المنون بالواو والياء:

ذكرنا آنفاً أن جمهور العرب يقفون على المنصب المنون بالألف فيقولون: رأيت زيداً، وإن بعضهم وقف عليه بالسكون فقال: رأيت زيد حملاً للمنصب على المعرفة والمحرر. وقد ورد عن قوم العكس يعني حمل المعرفة والمحرر على المنصب فكما أن الشائع في لغة العرب الوقوف على المنصب بالألف فقد حمل هؤلاء المعرفة والمحرر عليه فوقفوا على المعرفة بالواو وعلى المحرر بالياء، نقل ذلك عن سيبويه الذي نسبها للاخفش الكبير وزعم أنها لغة لازد السراة قال: «(قال سيبويه رحمة الله تعالى: وزعم أبو الخطاب أن ازد السراة يقولون: هذا زيدوا، ومررت بزيدي، جعلوه قياساً واحداً فثبتوا الياء والواو كما ثبتو الألف)»^(٨٤).

ازد السراة هؤلاء قد شاركوا جمهور الحجازيين في بعض ما خالفوا فيه لغة عامة العرب وذلك في فتح أحرف المضارعة كما سيأتي مما يشير إلى شدة صلتهم بهم وقربهم منهم، ولا يبعد عندي أن يكون نطقهم بالواو والياء قياساً على نطق عامة العرب بالألف مع المنصب هو مما قاسوه خطأً مبالغة منهم في تقليد أهل الحضارة.

حذف التنوين مع بنت:

إذا وصف العلم المنون بابن، وأضيفت (ابن) إلى علم، اسم أو كنية، حذف تنوينه، وقد علل سيبويه هذا الحذف بكثرة الاستعمال والتقاء الساكنيين قال: «(إنما حذفوا التنوين من هذا النحو حيث كثُر في كلامهم، لأن التنوين حرفة ساكن وقع بعده حرفة ساكن، ومن كلامهم أن يجذفوا الأول إذا التقى ساكنان)»^(٨٥). أما إذا كان الوصف بينت ساكن، فقد نقل عن يونس بقاء التنوين قال: «(وقال يونس: من صرف هندا قال: هذه هند بنت زيد، فتون هندا، لأن ذا موضع لا يتغير فيه الساكن ولم تدركه علة، وهكذا سمعنا من العرب) ثم نقل عن أبي عمرو انهم يجذفون التنوين وعلل ذلك بكثرة الاستعمال (وكان أبو عمرو يقول: هذه هند بنت عبد الله، فيمن صرف، ويقول لما كثر في كلامهم حذفوه كما حذفوا لا أدر ولم يك)»^(٨٦).

(٨٤) سر الصناعة (الأزهر) ٢٥٤٠٢.

(٨٥) الكتاب ٢: ١٤٧.

(٨٦) الكتاب ٢: ١٤٨.

أما ابن جني فقد علل الحذف الشائع عن العرب في هذا بكثرة الاستعمال وشدة الامتناع بين الاسم وابن: (لأنهم اعتقدوا في الأسمين أنها قد جريا مجرى الاسم الواحد حتى انهم لما أضافوا ابنا فكانهم قد أضافوا ما قبله وأنه لم يحذف التنوين لالتقاء الساكنين^(٨٧)). واستدل على ما قال بما (حكاه سيبويه من قوله: هذه هند بنت فلانة في قول من صرف هندا، فتركهم التنوين في هندا وهي مصروفة ولا ساكنين هناك يدل على أنهم إنما حذفوا التنوين لكثرة الاستعمال لا لالتقاء الساكنين، وهو رأي أبي عمرو بن العلاء).

وهذا الحذف الذي ذكره في قوله هذه هند بنت فلانة وهو كما قال رأى أبي عمرو أرى أنه لا دليل عليه من هذه العبارة التي أوردها على أن أبو عمرو قال: فيمن صرف. ذلك أن من العرب من يصرف هندا ومنهم من يمنعها من الصرف وقد استنبط العلماء من ذلك قاعدةتهم التي تقول: (الثلاثي الساكن الوسط إذا لم يكن اعجميا ولا منقولا من مذكر كنهن دفعه يجوز فيه الصرف ومنعه، والمنع أحق)^(٨٨). ولم تُعين القبائل التي تصرف هندا والتي لا تصرفها، وقد أدى الاختلاط إلى انتقال الاستعمال من أفراد قبيلة إلى أفراد أخرى، فإذا قيل هند بنت فلانة من غير تنوين فهذا الدليل على أن قائل الكلمة أراد صرفها، وحذف التنوين لكثرة الاستعمال، إلا يمكن أن يقال إنه جاء بها غير منصرفة، وإن الذي قال هذه هند بنت فلانة بالتنوين هو الذي جاء بها على لغة من يصرف، وقد وصفها يونس بأنها لغة كثيرة جدا^(٨٩).

إنني أميل إلى القول بأن الذي حذف التنوين إنما تكلم على لغة من يمنع الصرف ولا أرى ما يحمل على الاعتقاد بأنه حذف لكثرة الاستعمال وخاصة أن هناك ما يقابل هذا من هنا في قوله هذه هند بنت فلانة. ولذا لا تُوافق ابن جني في حكم بنت في قوله: (وكيل ما ذكرناه من حال ابن إذا جرى وصفا، وحال ما قبله، فهو جار على بنت وابنة، لأنهما في كثرة الاستعمال مثله)^(٩٠). أما ابنته فيمكن أن يفسر ذهاب التنوين من الاسم قبلها بأنه لكثرة الاستعمال والتقاء الساكنين على احتمال أن يكون المتكلّم من يصرف مثل هندا، ويمكن أن يقال إنه جاء به على لغة من يمنع الصرف، والذي جعلنا نجيز الأمرتين مع ابنته بخلاف بنت أنهم لم يذكروا لنا أن من العرب من ينون معها كما ينون مع بنت، فلما أظهروا التنوين مع بنت قلنا هذه لغة من يصرف، وتلك لغة من لا يصرف، ولكن لما لم يذكر تنوين مع ابنته، مع علمنا بأن من العرب من يصرف ومنهم من لا يصرف. كان لا بد من القول بالتأنيفين

(٨٧) سر الصناعة (الأزهر) ٢: ٢٦٠.

٣١٤

(٨٨) الصياغ على الأشموني ٣: ٢٥٤.

٢٦١

على الاحتمالين يقوّي ذلك شبه ابنة بابن من حيث التقاء الساكنين بين التنوين الذي قبلها إن وجد والباء الساكنة.

حذف فاء افتتعل:

وما يندرج هنا من حديث الحذف في اللهجات ما ورد عنهم من قولهم (تفى يتقى، والأصل أتفى يتقى .. حذفت الفاء وجعلت تاء افتتعل عوضاً عنها)^(٩١) ويبدو أن هذه الكلمة كانت كثيرة الاستعمال فقد اورد لها شواهد عدّة منها قول الشاعر:

جلالا الصَّيْقَلُونَ فَأَخْلَصُوهَا خَفَافًا كُلُّهَا يَتَقَى بِأَثْرِ

وقال أوس:

تَقَاقَ بِكَعْبٍ وَاحِدٍ وَتَلَدَّهُ يَدَاكَ إِذَا مَا هُزِّ بِالْكَفِّ يَعْسِلُ

وأنشد أبو الحسن:

زِيَادَتَنَا نُعْمَانٌ لَا تَنْسِينَهَا تَقِ اللَّهُ فِينَا وَالْكِتَابُ الَّذِي تَنْلُو

فهذا كله في الأصل افتتعل من وقى فلما حذفت الفاء وهي ساكنة حذفت همزة الوصل التي جيء بها للتوصيل إلى النطق بالساكن، فبقي وزنه تعل، ويتنقى وزنه يتعل، والظاهر أن الحذف إنما كان لكثر الاستعمال تخفيفاً، ومثله قولهم تجهه يتوجه في آتجه يتوجه قال: (وانشدنك يعني أبا علي-):

فَصَرَّتْ لَهُ الْقَبِيلَةُ إِذْ تَجَهَّنَا وَمَا ضَاقَتْ بِشَدَّتِهِ ذِرَاعِي

فهذا مخدوف من الجهة كاتقى)^(٩١).

وعلى ذلك جاءت قراءة^(٩٢) (قال لو شئت لتأخذت عليه أجرا)، وقد ذهب ابن خالويه إلى أن من قرأ أخذت فقد (أخذه من مخدوف يتحذّذ كما تقول شرب يشرب فأق بالكلام على أصله)^(٩٣). وعندني أن الوجه ما ذكره ابن جني، وأنه قد جاء به مخدوفاً من اتخاذ، ولم يذكره لنا شاهداً على يتحذّذ بزنة يشرب وإن وجد فالغالب أنه من القياس الخاطئ إذ سمع تحذّذ وظاهره أنه بزنة فعل فجيء بمضارعه مفتوح العين على الصورة الغالبة في مضارع ما كان ماضيه مكسور العين.

(٩١) الخصائص ٢: ٢٨٦

(٩٢) نفسه ٢: ٢٨٧

(٩٣) الحجة لابن خالويه ص ٢٠٣ وانظر اللسان ٥: ٩ (مادة تحذّذ).

الكشكشة والكسكسة :

وما يدخل في هذا الباب يعني الزيادة الكشكشة والكسكسة وقد قال (في تفسيرهما):
(وأما كشكشة ربعة فإنما يريد قوله مع كاف ضمير المؤنث انكش ورايتکش واعطيتکش،
تفعا هذا في الوقف فإذا وصلت استقطت الشين، وأما كسكسة هوازن فقولهم أيضا
اعطيتکس ومنکس وعنکس وهذا في الوقف دون الوصل)^(٩٤) وقد مر الكلام على
الكشكشة بصورة مفصلة والكسكسة مثلها في هوازن كما ذكر ونسبها الزمخشري إلى بكر
فقال: (والكسكسة في بكر وهي أن يتبعوا كاف المؤنث سينا في الوقف نحو كشكشة
تميم).^(٩٥)

ويمكن أن يجمع بين النسبتين بأن يقال إن المراد ببكر هنا بكر بن هوازن على ما ورد في
سبائق الذهب^(٩٦):

القلب:

وهو على قسمين:

الأول: يتحول الحرف معه إلى حرف آخر في موضعه. وهذا بابه الأعلال والأبدال.
وليس مما نحن بسبيله هنا.

الثاني: أن يرد لفظان متفقان في الحروف الأصول، إلا أن أحد الحروف مختلف
موضعه فيها، مما يشير ظاهره إلى أنه قد أصابه قلب مكانى وهكذا سماه علماء التصريف
(القلب المكانى)^(٩٧). وهذا ما نزد الوقوف عنده لأنه في نظرنا يمثل ظاهرة همجية.

ذكر ابن حني في أكثر من موضع^(٩٨) كلمات ظاهرها أنه قد أصابها قلب مكانى نحو:
جذب وجذ، وأيس ويأس، وأن وأن، وأطيب وأيُّطِّب، وأضمحل وأمضحل، واكفهر
واكرهف. وجعل هذه الكلمات وغيرها مما ظاهره أنه قلب فيه حرف من مكانه قسمين: ما
هو لغة واصل في اللفظين، وما قلب فيه حرف من أحد اللفظين، فأحدهما أصل والآخر
مقلوب، ووضع لذلك قاعدة تقول: (كل لفظين وجد فيها تقديم وتأخير فامكن أن يكونا
جميعاً أصلين ليس أحدهما مقلوباً عن صاحبه فهو القياس الذي لا يجوز غيره، وإن لم يكن

(٩٤) الخصائص ٢: ١٢ - ١١.

(٩٥) أساس البلاغة ص ٨٢٢.

(٩٦) سبائك ص ٣٥.

(٩٧) شذا العرف في فن الصرف للحملاوي ص ٢٣.

(٩٨) انظر الخصائص ١: ٢٠٦٤ - ٢٠٦٢، المصنف ٢: ١٠٤ - ١٠٦، سر الصناعة ١: ٢١٩.

ذلك حكمت بأن أحدهما مقلوب عن صاحبه ثم أريت إيهما الأصل وإيهما الفرع، وسنذكر
وجوه ذلك^(٩٩). وقد ذكر وجوه القول في ذلك بما ملخصه:

١- المساواة في التصرف:

إذا تصرف اللفظان تصرفا واحدا فهما أصلان ليس أحدهما مقلوبا عن صاحبه، نحو
جذب وجذب (وذلك أنها جميعا يتصرفان تصرفا واحدا)^(٩٩).

٢- سعة التصرف:

(فإن قصر أحدهما عن تصرف صاحبه ولم يساوه فيه كان أوسعهما تصرفا اصلا
لصاحبها^(١٠٠)، ومثل لذلك بأن وآن حيث ذكر لأن مصدرها هو الأن (ولا تجد لأن
مصدرها... قال الله تعالى: إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين انه، أي بلوغه
وإداركه). ثم لم يثبت أن ذكر أن أبو زيد حكى مصدر الآن وهو الأنين وقال: (فإن كان الأمر
كذلك فهما إذن أصلان متساويان).

٣- التصحيح مع وجود موجب الأعلاف:

ذكر ذلك في كلامه على أيس ويئس بعد أن أورد رأي أبي علي في أن أيس مقلوب من
يئس لأن أيس لا مصدر له، وهو ما يدخل في الوجه الثاني الذي ذكرناه حيث نص على أن
ترك الأعلاف إنما كان للدلالة على أنه مقلوب وأن ذلك رأي رأه هو، قال: (وأما الآخر
فيعني أنه ل ولم يكن مقلوبا لوجب اعلافه وأن يقال: است آس كهبت أهاب، فظهوره
صحيحا يدل على أنه إنما صحيحة لأنه مقلوب مما تصح عينه وهو يثبت لتكون الصحة دليلا
على ذلك المعنى^(١٠١).

وقد كان المنتظر أن يذكر وجها رابعا وهو كثرة الاستعمال كما صنع في كلامه على
إبدال حرف ومعرفة الأصل منها بكترة الاستعمال إلا أنه لم يفعل، وإندي أراه أن
كترة الاستعمال في هذا الباب تشير إلى الأصل أيضا، وعلى هذا نقول إن أقي يأنى أصل لأن
يئس، وإن حكى أبو زيد لأن مصدرها، لأنها حكاية مفردة لكلمة لم تكن معروفة كثيرة
الاستعمال كمصدر أني، ولا ماجهلها العلماء غير أبي زيد على أننا بهذا لا نرد روایة أبي
زيد، ولكننا نقول لو كانت كثيرة الاستعمال لم تجهل. وكذلك القول في اكفاره واكرهه

(٩٩) الخصائص ٢ : ٦٩.

(١٠٠) نفسه ٢ : ٧٠.

(١٠١) الخصائص ٢ : ٧١ - ٧٢.

قال: (لان التصرف على اكفهار وقع، ومصدره الاكفهار ولم يمر بنا الاكرهفاف قال
النابعة:

أو فَازْجَرُوا مُكْفَهِرًا لِإِكْفَاءِ لَهِ كَاللَّيلِ يَخْلِطُ أَصْرَامِ

وقد حكى بعضهم: مكرهف، فان ساواه في الاستعمال فهما على ما ترى
أصلان^(١٠٢) نحن لا نوافقه على أنها اصلان على القول بما حكاه بعضهم لأن هذه الحكاية
لا تهض في رأينا أمام كثرة الاستعمال، وقد قال هو عن المصدر هنا إنه لم يمر بنا فكيف
يكونان أصلين.

وأنا أحمل على القلب كل ما أورده على أنه أصلان، وأرى أن القلب يحدث في هجة
القبيلة الواحدة وفي اللهجات المتعددة، ومرد ذلك إلى تدافع الحروف على اللسان والخطأ في
آخرها، وكثيراً ما نسمع مثل هذا على السن المتحدثين باللغة الفصحى أو اللهجات
العامية، ثم لا يلبث المتكلم في الغالب أن يعود إلى اللفظ الصحيح لأن لنا اقىسة نخلد
إليها، ويغلب على ظني أن القبائل التي وقع فيها هذا القلب هي القبائل البدوية لتوكحها
السرعة في النطق^(١٠٣)، والابتعاد عن المبالغة في التأكيد بالألفاظ كما يفعل الحضري^(١٠٤)،
فيتلقي الصغار لفظة المقلوبة ولا تصحح لهم فتشيع ثم يجري عليها القياس في بقية
المشتقات فتوجد لدينا مثل جذب وجذب التي ذهب فيها ابن جني إلى أنها أصلان، وشيوخ
جذب وما تصرف منه في لغة الأدب أكثر من جذب وما تصرف منه يقضي بأن جذب مقلوب
جذب فقد قيل مجنوب بكثرة لا أحسب أن مجذوباً ترقى إليها.

وما عدا جذب وجذب اللذين نص على أنها أصلان، وأن وآن اللذين تراجع عن
القول فيها بالقلب لحكاية أبي زيد، واكفهار واكرهف لحكاية بعضهم، أقول ما عدا هذه
الثلاثة فإن كل ما ذكره نص فيه على القلب. وقد أوضحنا رأينا في هذه الثلاثة. وأنها
عندنا من القلب أيضاً.

.٧٤ - ٧٣ .٢٠ (١٠٢) الخصائص

.١٣٢ (١٠٣) في اللهجات ص

.٨٠ (١٠٤) اللغة ص

الاختلاف في الصوائت

في العربية ستة أصوات يتشابه كل اثنين منها تشابهاً كبيراً بحيث لو مطينا الصوت باحدهما لكان الآخر، ولو قصرناه بالأخر لكان الأول. وهي الفتحة والألف، والكسرة والياء، والضمة والواو. وقد أطلق على الأولى: حركات، وعلى الثانية: حروف، فحروف الذين مضارعة للحركات (وإنما قلت الحركات في حروف الذين لمضارعة هذه الحروف للحركات فكرهوا اجتماع المشابهات)^(١)، والحركات بعض حروف المد كما ذكر^(٢). فالضمة بعض الياء، والكسرة بعض الياء، والفتحة بعض الألف (وهذه الحروف عن هذه الحركات تنشأ من كن مدّات)^(٣)، وقد أطلق على الحركة: المضمة القصيرة^(٤)، أو الحركة القصيرة^(٥)، وأطلق على حروف الذين: المضمة الطويلة^(٤)، أو الحركة الطويلة^(٥)، وسمّاها ابن جني (الحروف الثلاثة اللينة المصوّنة)^(٦). وقد رأيت أنه ما دام التشابه قائماً بين حروف الذين والحركات فإنه يمكن جمعها في فصل واحد وجعلت المبحث الأول للاختلاف في الصوائت الطويلة أو المضمات الطويلة وهي حروف الذين، والمبحث الثاني للاختلاف في الصوائت القصيرة أو المضمات وهي الحركات.

الاختلاف في الصوائت الطويلة :

اختلّت اللهجات العربية في نطق الكلمات التي تحتوي على حروف الذين في الاحتفاظ بحرف الذين أو تغييره، وهو ما أطلق عليه الإعلال، وحقيقة إبدال حرف من حرف، أو حذف وإثبات، ولكنه سمي إعلالاً لأنّه وقع في حرف العلة، وكذلك اختلّت

(٤) التفكير الصوتي عند العرب ص ٦٨.

(٥) دروس في علم الأصوات العربية ص ١٤٧.

(٦) الخصائص ٣ : ١٢٤.

(١) المنصف ١ : ٣٤٣.

(٢) سر الصناعة ١ : ٢٠.

(٣) المنصف ١ : ٢١٣.

اللهجات في امالة هذه الأصوات أو تركها على حالها. وكذلك اختلاسها في النطق وتحفيتها حتى لا يبقى منها سوى بعض صوتها وهو حركتها المجانسة.

الإعلال:

وهو تغيير يصيب حرف العلة بـإبداله حرفاً آخر معتلاً، أو بحذفه، أو بإسكانه. وقد اختلفت اللهجات العربية في عدد من الكلمات فقد مال بعضهم إلى تصحيح ما أعلمه جمهور العرب فقال في مثل أطّال: أطّول، وطّوبٌ: طبّي، وجاء بعض العرب بفعل من الأجوف اليائي والواوي بالواو وبعضاهم بالياء فيها فقال قوم: قيل وبيع وقال آخرون قول وبوع . وجاء بعضهم بفعل من الأجوف من غير إعلال بالحذف فقال: مصبوون ومقوود ومدووف في مصون ومقدّد ومدوف، وجاء جمع كبير من العرب بفعل من اليائي من غير حذف فقالوا: مبيوع ومديون . وغيرهم على الحذف يقولون: مبيع ومدين . وقد يقع العكس ، فقد قال جمهور العرب عور ، بالتصحيح مع وجود موجب الإعلال ، لشيء عارض ، إلا أن بعضهم قال: عار ، بالإعلال ، وقلب بعضهم الألف ياء فقال في قفّاي قفيّ وادغم ، وقلب بعضهم الواو ألفاً فقال في يوجل ياجل ، ويوتزن ياتزن ، والياء ألفاً فقال في ييأس ياءس . وفيما يلي إيضاح ما تقدم :

التصحيح والإعلال:

من قواعدهم في التصريف أن الواو إذا تحركت وهي في موضع العين وكان الحرف الذي قبلها صحيحاً ساكنة نقلت حركتها إلى الساكن الصحيح قبلها، فإذا كانت الحركة المنشورة ضمة بقيت الواو ساكنة، وإن كانت فتحة قلبت ألفاً، وإن كانت كسرة قلبت ياء . وقد قالوا على هذا القياس: أجاد يجيد، وأقام يقيم، وأقال يقيل، والأصل أقول يُقول . وأقوم يقوم وأجود يجود، وقالوا أيضاً على هذا: أطّال يطيل والأصل أطّول يُطّول، إلا أن بعض العرب قال:

صَدَدَتْ فَأَطْوَلَتْ الصَّدُودَ وَقَلَّمَا
وصَالَ عَلَى طَوْلِ الصَّدُودِ يَدُومُ⁽⁷⁾

ف جاء بأطول على الأصل غير معتلة .

وكأنني به قد أرجأته الضرورة إلى ذلك، فقد كان بين أمرين إذا أراد صيغة أفعال من الطول، إما أن يشبع فتحة الهمزة حتى يجعلها ألفاً ف تكون آطلت، وإما أن يعود بالكلمة إلى أصلها ويأتي بالواو لقبولها الفتحة فيتخلص من الحذف لالتقاء الساكنين الألف .

(7) المصنف 1: 191.

المنقلبة عن الواو، واللام لاتصالها ببناء الرفع.

وقد علل ابن جنی مجيء أمثال هذه الكلمات من غير إعلال بأنه شاهد على صحة ما يذهب إليه علماء التصريف من أن أصل هذه الكلمة كذا وأصل تلك كذا فهو كالتبنيه على أصول الكلمات وإن كان لقلته ومخالفته ما عليه لغة جمهور العرب مما لا يجوز القياس عليه قال: (ومن ذلك ما يخرج تبيها على أصل باهه .. صدقت فأطرولت الصدود . . .)^(٨) ولا أظن العربي الذي خرج بهذه اللفظة كان يريد التدليل على أصل الباب وإنما ألجأه إلى ذلك ما ألقى العلماء من ذلك ما ذكر.

ومن قواعدهم أيضاً أن الياء إذا سكتت وانضم ما قبلها قلبت واوا، وقد قالوا في مُفعِل من اليسار واليدين موسر وموقن والأصل مُيسِر ومُيَقِّن، وقالوا في فعل من الطيب: طوبى والأصل طُبِّي. إلا أن بعض العرب قال: طبِّي بكسر الطاء، روى ذلك أبو حاتم السجستاني، وقد علل ابن جنی ذلك بميل الاعرابي إلى الياء لخفتها، ولا جرم أن العرب تستخف الياء الاترى إلى كثرة فعل من الواوي بالباء وقلته بالواو فهم يقولون: قيل والأصل قول، وطيف والأصل طوف، وكذلك إذا اجتمعت الواو والباء والسابق منها ساكن قلبت الواوياء وأدغمت الياءان فقالوا: سيد وmitt وهما من ساد يسود ومات يموت، إلا أن الحكاية التي أوردها في النفس منها شيء، ومعاذ الله أن نتهم أبي حاتم فيما روى، بل نقول إنه أمر وقع له مع اعرابي رأى أن يسجله، فالشك لا يتعرض إلى أبي حاتم، وإنما إلى الأعرابي في هذه الحكاية، فإنه بعد أن قرأ: (طبِّي لهم وحسن مآب) صاححها له أبو حاتم فقال: طوبى، فأصر هذا على طبِّي، ولو وقف الأمر إلى هذا الحد لقلنا لم ينشأ أن يغير لهجته، إلا أن أبي حاتم يمضي في حديثه ويقول: (فلما طال عليَّ قلت: طو، طو، فقال: طي، طي)^(٩). ويبدو من الحكاية أن أبي حاتم كان في موضع المعلم أو الشيخ بالنسبة للأعرابي فقد بدأ الحكاية بقوله: (قرأ على أعرابي بالحرم . . .). فالاعرابي كان يقرأ على أبي حاتم، فما معنى أن يتظاهر بعدم القدرة على نطق الكلمة ويرفض نطق الواو المضوم ما قبلها، وكيف يصنع في مثل كلمة طول وبوم وبوق وسوق وغيرها، وكيف ارتضى ابن جنی ان يستنبط من هذه الحكاية أن الأعرابي قد نبه طبعه عن نقل الواو إلى الياء، فلم يؤثر فيه التلقين ولا ثني طبعه عن التماس الخفة هز ولا تمرين). أغلب الظن أن هذا الإعرابي قد قصد بهذا أن يحكى أبو حاتم قصته وأن يذكوه فيعرف فحكي أبو حاتم القصة إلا أنه لم يذكره فلم يعرف.

(٨) الخصائص ١: ١٤٣ ، ٢٥٧.

(٩) نفسه ١: ٧٦.

ومن قواعدهم أيضاً أن الواو إذا تحركت وانفتح ما قبلها قلبت. أثناً كما في قال وخاف والأصل قول وخوف، إلا أن العرب قد أبقيت الواو في عدد من الكلمات من غير إعلال على تحركها وافتتاح ما قبلها، فمن ذلك قولهم عور، وحول وذلك أن (عور في معنى اعور فلما كان اعور لا بد له من الصحة لسكون ما قبل الواو صحت العين في عور وحول ونحوهما لأنها صحت فيما هو بمعناها، فجعلت صحة العين في فعل إمارة لأنه في معنى افعل^(١١))، ييد أن بعض العرب قد أجري الإعلال في عور على القياس فقال عارت عينه: (قال الشاعر:

تسائل بابن احمر من رأه اعارت عينه ام لم تعارا^(١٢)

فهذا وإن جرى فيه على القياس في حركة الواو وافتتاح ما قبلها، إلا أنه مخالف لما عليه لغة الجمhour في مثل هذه الكلمات ولذلك نص على أن ما جاء من مثل ذلك (يحفظ ولا يقاس عليه لقلته، فلا تقول: حالت عينه فهي تحال)^(١٣):

المحذف والذكر في مفعول من الأجواف:

صيغة مفعول من الثلاثي كما هو معلوم تأتي على زنة مفعول نحو مكتوب من كتب ومدروس من درس وهكذا، إلا أن جمهور العرب قد حذف من الأجواف الواوي إحدى الواوين^(١٤)، فقالوا في صان يصون مصون والأصل مصون، ومن قال يقول: مقول، والأصل مقوول، وقد جاء به بعض العرب على الأصل فقال مصون، وقد نسب هذا إلى بنى تميم (ومع ذلك فبنو تميم على ما حكاه أبو عثمان عن الأصمعي يتهمون مفعولاً من الياء... وربما تخطوا الياء في هذا إلى الواو وأخرجوا مفعولاً على أصله وإن كان أثقل منه من الياء، وذلك قول بعضهم: ثوب مصون وفرس مقوود ورجل معود من مرضه وأنشدوا فيه:

والمسك في عنبره مَدْوُوفٌ

ولهذا نظائر كثيرة^(١٥)، وقد نص على أن هذا الذي ورد عنهم من إنعام مفعول من الواوي، شاذ في القياس والاستعمال جيعاً (فلا يسوغ القياس عليه، ولا رد غيره إليه، ولا

(١٠) المصنف ١: ٢٥٩.

(١١) نفسه ١: ٢٦٠.

(١٢) مذهب الخليل وسيبوه أن المحذف هو الواو مفعول، ومذهب الأخفش أن المحذف هو عين الفعل. وانظر المقتضب

للميرد ١: ١٠٠.

(١٣) المصادر ١: ٢٦١، ٢٦٣.

يحسن أيضاً استعماله فيها استعمله فيه إلا على وجه الحكاية) (١٤)

وظاهر أن الذين أتوا مفعولاً من الواوي كانوا من جفاء الطبع وثقل الحس بحيث استسلموا الجمع بين المشابهات الثلاث على ثقلها: الواو والضمة وواو مفعول، هذا الثقل الذي لم تسغه السن اللهجات العامية على حرصها على إتمام الصيغة فقلبت الواوياء في أكثر كلامها فقالوا كلام مكيل (مكيول)، ومديور من دار يدور، ويقولون راف القماش يروفه فهو مرروف (رفأ)، على انهم قد قالوا: شيء معروج من الإعوجاج إلا أن ذلك من القلة بالقياس إلى قلب الواوياء بحيث لا يحفل به.

أما إتمام مفعول من اليائي فهو لهجة تيم كما تقدم عن الأصمعي، فيقولون: خيوط ومكيول، ومنه قول العباس بن مرداس السلمي:

(قد كان قومك يزعمونك سيداً واحالْ أَنْكَ سَيِّدَ مُغْيَوْنَ

وأنشد أبو عمرو بن العلاء:

وكأنها تفاحة مطبوة

وقال علقة بن عبدة:

يُومُ رَذَادٍ عَلَيْهِ الدَّجْنُ مَغْبُومٌ (١٥)

وقال بعد أن ذكر شطر بيت علقة في المقتضب (١٦): (فأخرجه على أصله وهي لغة لبني تيم فاشية). وقال في المنصف (١٧): (طعام مزيت ومزيوت ورجل مدین ومديون وهو واسع فاش).

وكلام ابن جني كما ترى صريح بكثرة إتمام مفعول من الياء، وهو صريح أيضاً في المقتضب بأن ذلك لهجة تيم وأنها قد جاءت بهذه الصيغة على الأصل. ونحن نتفق في هذا معه، فالالأصل أن تأتي صيغة مفعول على مفعول في الواوي واليائي فيقال: مصوون ومبيوع ثم استشعر الثقل الزائد مع الواو فمحذف إحدى الواويين وبقي مصون ومقول، واستخسف البدوي الياء مع المحافظة على الصيغة وهو الأصل فأقرها وقال مبيوع ومسير به لأن الياء خفيفة ليست في ثقل الواو فاحتملت الضمة لذلك) (١٨)، ولهذا لا تتوافق على أن لهجة تيم قد جاءت نتيجة القياس الخاطئ من قبل الأطفال: (فاس الطفل التميي صيغة اسم المفعول من الأجوف على صيغته من الصحيح) (١٩).

(١٧) المنصف ١: ٢٨٧.

(١٤) نفسه ١: ٩٩.

(١٨) نفسه ١: ٢٨٤.

(١٥) المختصص ١: ٢٦١.

(١٩) في اللهجات ص ١٦٣.

(١٦) المقتضب لابن جني ص ٣١.

ولا شك أن مثل كلمة مبيع فيها من عناية الحضارة وتأنقتها في انسجام الأصوات ما لا نجده في مبيع على بساطتها في مجبيتها على صيغة الصحيح، فقد حذف في مبيع من مبيع عين الفعل أو واؤ و مفعول على أي من القولين المتقددين فبقي مبيع على رأي الخليل وسيويه، استثقلت الضمة على الياء فحذفت فاللتقي ساكنان فكسر الأول، وعلى رأي الأخفش بقى مبُوْع بسكون الباء والواو فكسرت الباء لالتقاء الساكنين وقلبت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها.

نعم يمكن أن نعمل بالقياس الخاطئ ما جاء عن بعض العرب بما فيه مخالفه لكتاب اللهجةين وذلك قوله : (رجل مهوب ، وبر مكول ، ورجل مسور به)^(٢٠) ، فهو على لهجة أهل الحجاز يتبغي أن يكون : مهيب ومكيل ومسير ، وعلى لهجة تميم : مهيب و McKool و مسيور به فهذا خالف اللهجةين جميعاً ، فلعل القائل قد علم أن الحجازيين يأتون بالكلمة بحرف واحد هو الياء فجاء بها بحرف واحد هو الواو لأن أهل البداوة أميل إلى (مقاييس الذين الخلقي المسمى بالضمة لأنه مظهر من مظاهر الخشونة البدوية)^(٢١) ، والضمة بعض الواو كما تقدم .

أما ابن جني فقد عمل ذلك بأنه على قياس قول الخليل مما قلبت فيه الياء واوا ، لأن الخليل يرى كما قدمتنا أن المحذوف من مفعول الواو لا العين ، وجعل ابن جني ذلك القلب (ساذجاً أو كالساذج ، لا لشيء أكثر من الانتقال من حال إلى حال فإن المحبوب إذا كثر مل)^(٢٢) .

وأرى أن القول بالقياس الخاطئ أولى من القول بالقلب الساذج لغير علة سوى أن المحبوب وهو الياء قد ملّ ه هنا فتحول القائل إلى الواو . ويعkin على قياس قول الأخفش بأن المحذوف العين ، أن يكون القائل قد حذف الياء ، ثم حرك الباء بالضم ب المناسبة واو مفعول ، ويكون قد اختار الواو لخشونته وبداوته .

الاعلال غير المقيس :

ورد عن بعض العرب قلب بعض حروف الذين على غير القياس المعروف فيها فمن ذلك : الألف والياء :

(٢٠) الخصائص ١ : ٨٧

(٢١) في اللهجات ص ٩١

(٢٢) الخصائص ١ : ٨٧

معلوم أن ياء المتكلم يكسر لها موضع الاعراب في الاسم الذي قبلها لمناسبة فقوله في نحو كتاب زيد، إذا أضيفت إلى نفسه: هذا كتاب يكسر الباء لمناسبة الياء، فإذا كان الحرف الذي قبلها الفاترك على حاله إلا فيما سندكره، لأن الألف لا يمكن اظهار الحركة عليه، فقالوا: عصايم وفتايم، إلا أن بعض العرب قد ابدل الألف ياء وادغمها في ياء المتكلم، وكان ذلك كما قال أبو علي إنما كان تعويضاً عن الكسرة قبل الياء التي للمتكلم، وهي لهجة فاشية فيهم كما ذكر ابن جنبي، وقد قرئ بهما في القرآن الكريم: يا بشرى: (قال أبو الفتاح: هذه لغة فاشية فيهم، ما رويتاه عن قطرب من قول الشاعر:

يُطَوْفُ بِي عَكْبٌ فِي مَعَدٍ
وَيَطْعَنُ بِالصُّمَلَةِ فِي قَفَيَا
فَلَا أَرَوْيَتَمَا أَبْدَا صَدَيَا
فَإِنْ لَمْ تَثَأِرْ لِي مِنْ عَكْبٍ

ونظائره كثيرة جداً، وقال لي أبو علي: إن قلب هذه الألف لوقع الياء بعدها ياء كأنها عوض مما كان يجب فيها من كسرها لـياء الاضافة بعدها) ^(٢٣).

والذى أراه في هذا أن توخي السرعة في النطق وهي من صفات البداؤة ^(٢٤) هو الذي جعل هؤلاء يقلبون الألف ياء ويدغمونها في ياء المتكلم، ليكون العمل والصوت من وجه واحد، وينتقل لسانهم نقلة واحدة، ولا شك في أن ذلك أخف عليهم وأسرع من ابقاء الألف وبعدها الياء مع ما في ذلك من تحول إلى نبر الشدة بالإدغام وهو ما يميل إليه البداوي. ويزداد بعد الكلمتين في الوقف، لأنك في الوقف تمد الألف باسترخاء لسكون الياء. بعده فتقول: قفای، أما مع قلبها ياء فتفقول قفی، ولا شك في أن هذه أسرع من سبقتها. والذي يدل على ذلك أن جهور العرب قد فعلوا ذلك مع لدى وإلى وعلى لكثرة استعمالهم إياها فقلبوا الألف في كل واحد منهن ياء وادغموا في ياء المتكلم فقالوا: لدى وإلى وعلى، وهم حين يكترون من استعمال لفظة ما يميلون إلى نطقها بصورة تجعلها خفيفة سريعة وإن أدى ذلك إلى أن يجذفوا منها أو يغيروا فيها، كما فعلوا في لم يك ومن لد.

الألف والواو والياء:

ذكر أن العرب تقول في بيس ياءس، وفي يوجل ياجل، وحکي أبو زيد تصغير دابة دوابة مكان دوبية، وقد بين أن هذا القلب إنما هو للتخفيف لأن الألف هنا أخف عليهم من نطق الياءين في بيس والياء والواو في يوجل، والواو والياء في دوبية، وإن كانت الواو أو

(٢٣) سر الصناعة (المتحف) ١٣٢: ٢، وانظر المصنف ١: ٢٠٤ - ٢٠٥.

(٢٤) نفسه ١٣٢: ٢، ١٣٣.

الياء ساكنة (وذلك انهم رأوا أن جمع الياء والألف اسهل عليهم من جمع الياءين والياء والواو)^(٢٥) وذكر ان طلب الخفة حملهم على أن أبدلوا الألف من الواو في غير هذا الموضع كما قال:

(تُبُتُ إِلَيْكَ فَتَقْبِلُ تَابِي
وَصَمَّتُ رَبِّي فَتَقْبِلُ صَامِتِي)

يريد توبتي وصومتي، وله نظائر، وقال الآخر:
ومن حديث يزيدني مقةً ما لحديث الماموق من ثمن
يريد الماموق، وقال رسول الله ﷺ: ارجعن مازورات غير ماجورات، وأصله:
ما لحديث الماموق من ثمن
مزورات فقلبت الواو الفا تحفيقا)^(٢٦).

ومن ذلك أيضا قول بعضهم: ياتزن في يوتزن، وبعض أهل الحجاز يقول: ايتزن، وفسر ابن جني ذلك أيضاً بطلب الخفة^(٢٧). وأرى أنه يمكن أن يقال إن البدال في ياتزن لم يكن من يوتزن، وإنما هو من يتنز بعد القلب والادغام، وكأن الذين قلبو الناء المنقلبة عن الواو قد فروا من نبر الشدة بنطق الحرف مضعفا إلى نبر الطول بالألف، ويغلب على العطن أنهم أهل خضارة، ولا شك في أن نطق الألف قبل الناء يعطي المتكلم قدرًا من الراحة والاسترخاء، لا يتأق في نطق تاءين مدغمتين.

وأما قول بعض أهل الحجاز ايتزن، فأرى أنه يمكن أن يقول فيه إنه جاء على أصل قلب الواو ياء، وذلك لسكنها وانكسار ما قبلها، كما قالوا في موزان ميزان، فاتزن افتعل من وزن والأصل إيتزن سكت الواو وانكسر ما قبلها فقلبت ياء، ويمكن أن يقال أيضاً إن الذين قلبو الواو وزن في يفتعل الفا وفي افتعل ياء إنما كانوا يفرون من الناء المشددة بعد قلب الواو تاء في الكلمتين وهو أهل الخضارة، فتحوا بالناء الأولى التي هي الواو في الأصل إلى حرفة يجنس حركة ما قبلها فكانت الألف في يفتعل لانفتاح الياء فصار ياتزن، والياء في افتعل لانكسار الهمزة فصارت ايتزن، كل ذلك ممكن، وجامعه طلب الخفة كما ذكر، وهذا الاخير احب الي واقرب لانه ليس فيه سوى حذف أحد الحرفين تحفيقا ومطرد الصوت بحركة ما قبله تعويضا عنه.

(٢٥) سر الصناعة (المصحف) ١٣٢: ٢، وانظر المصنف ١: ٢٠٤ - ٢٠٥.

(٢٦) نفسه ١٣٢: ٢، ١٣٣.

(٢٧) المصنف ١: ٢٠٥.

الإمالة:

حقيقةها

الإمالة عند ابن جني (إنما هي أن تتحو بالفتحة نحو الكسرة فتميل الألف التي بعدها نحو الياء لضرب من تجانس الصوت)^(٢٨)، (ألا تراك قربت فتحة العين في عالم من كسرة اللام منه بان نحوت نحو الكسرة فأمللت الألف نحو الياء)^(٢٩)، وسمى هذه الألف ألف الإمالة ووصفها بأنها (التي تجدها بين الألف والياء نحو قولك في عالم وخاتم عالم وخاتم)^(٣٠)، وفرق بينها وبين ألف أخرى سماها الف التفحيم^(٣١)، وتنص عبارته على أن الألف في التفحيم هي التي مالت نحو الواو، أما في الإمالة فإن الفتحة قبلها هي التي مالت نحو الكسرة: (وأما الف التفحيم فهي التي تجدها بين الألف وبين الواو، نحو قولهم: سلام عليكم وقام زيد، وعلى هذا كتبوا الصلة والزكورة والحياة بالواو، لأن الألف مالت نحو الواو. كما كتبوا: أهديهم وسونهن بالياء لمكان إمالة الفتحة قبل الألف إلى كسرة)^(٣٢).

فالإمالة في الأصل عنده نوع من الإنسجام الصوقي بين الحركات يؤدي إلى تغير في الألف (لأن الألف لا يكون ما قبلها أبدا إلا مفتوحا)^(٣٣)، (الألف المحسن لا يكون إلا بعد الفتح المحسن، ويميل إلى جانب الياء بقدر إمالة الفتحة إلى جانب الكسرة ضرورة)^(٣٤).

أما عبارة سيبويه فإنهما تؤكد على عكس هذا، وإن كانت النتيجة واحدة إذ يرى أن الإمالة إنما تكون في الألف بان ينحى بها نحو الياء ولأجل الألف المنحو بها هذا النحو تغير الحركة قبلها (فالألف تمال إذا كان بعدها حرف مكسور وذلك قوله عابد وعالم ومساجد ومفاتح وعداير وهابيل، وإنما امaloها للكسرة التي بعدها، أرادوا أن يقربوها منها كما قربوا في الادغام الصاد من الزاي حين قالوا صدر فجعلوها بين الصاد والزاي . . .)^(٣٥). فالألف عند سيبويه قد اميلت لأجل الكسرة التي بعدها، أما الحركة التي قبلها فإنهما تمال بسبب إمالة الألف (واعلم أن الألف إذا دخلت إمالة دخل الإمالة ما قبلها)^(٣٦)، ويندو

(٢٨) سر الصناعة ١: ٥٨: وبهذا عرفها أيضاً في اللمع، انظر شرح اللمع ورقة ٣٠٠.

(٢٩) الخصائص ٢: ١٤١.

(٣٠) سر الصناعة ١: ٥٥.

(٣١) نفسه ١: ٥٦.

(٣٢) سر الصناعة ١: ٥٦.

(٣٣) المحسن ١: ٢١٩.

(٣٤) شرح الشافية ٤: ٣.

(٣٥) الكتاب ٢: ٢٥٩.

(٣٦) نفسه ٢: ٢٦٣.

ان ابن جني قد درج إلى مذهب سيبويه في بعض اضرب الامالة حيث قال في امالة ما الالف فيه منقلبة عن ياء: (فاصطادوا). فتميل الألف بعد الطاء إذ كانت منقلبة عن ياء الصيد).^(٣٧)

والذى أراه أن الامالة فيها ذهب إليه سيبويه أصوب، لأن الحركة قبل الألف إنما كانت بسببيه ول المناسبة فتغير اذن بتغيره. بل ابني اذهب الى ابعد من هذا فأرى أن الحركة التي قبل الألف لا وجود لها، لا في الامالة ولا في غير الامالة، وما يقال لنا من أن ما قبل الألف مفتوح إن هو إلا تصور منطقى للحركات لا وجود له في الا صوات، فنحن نتكلف كثيراً اذا زعمنا وجود حركة هي الفتحة الممالة نحو الكسرة قبل الألف الممالة نحو الياء في مثل قولنا في هجة كثير من العراقيين: «(زين وشين) وفي قول أهل الموصل: (اميغع)، أي البارحة فصوت الألف الممالي وحده الذي يسمع سواء أكان الصوت ممطولاً أم مختلساً، فالنظر زين مثلاً يمكن أن يكتب هكذا Zane وصوت اللين يشبه صوت اللين المسموع في الكلمة فهو صوت واحد، وهو غير الصوت المسموع مع فتح الزاي، لانه حينئذ صوتان Name الفتاحة والياء ولا يعطيان صوت الامالة، وفي هجات بعض البدو في العراق نسمتهم يقولون: زين فهـا صوتان، أما مع كسر الزاي كما في نواحي جنوب العراق فهو صوت واحد طويل زين Seen مثل Zeen.

وهذا الرأي ههنا يجعلنا نتعجل القول الذي سيأتي في الكلام على حروف اللين في باب الأصوات ونقرر أنه ما دامت حروف اللين حركات مشبعة، فلا معنى للقول بأن قبلها حركات من جنسها سواء كان الحرف مملاً أم غير ممالي.

أنواعها:

يفهم من كلام ابن جني أن الامالة قد تكون بان تتحو بالفتحة نحو الكسرة وبعدها الف، وهذه هي الامالة المعروفة اذا اطلق لفظها جرى عليها كامالة فتحة العين من عابد لكان الكسرة بعد الألف والميل بالألف نحو الياء. ونوع ثالث يمكن أن يدخل في هذا وهو إمالة الألف نحو الواو وذلك ما أطلق عليه التفخيم كما في الف الصلوة والتزكوة. ونوع ثالث لا يكون مع الألف بل تكون الحركات فيه ممالة وموضعه في مبحث الحركات.

عملة الامالة:

على ابن جني الامالة بأنها إنما تكون لضرب من تجسس الصوت، وذلك أنه يرى

.٣٧) انظر الأصوات اللغوية ص ٣٩.

الامالة كما قدمت في الحركة أولاً فيكون الألف تابعاً للحركة الممالة كي يتم التجانس (فكما أن الحركة ليست فتحة محضة فكذلك الألف التي بعدها ليست الفا محضة، وهذا هو القياس لأن الألف تابعة للفتحة، فكما أن الفتحة مشوبة فكذلك الألف اللاحقة لها) ^(٣٨). هذا عن امالة الألف، أما لماذا اميلت الفتحة ابتداء حتى نضطر للتتجانس في الألف فإنه يرى أن ذلك إنما كان لضرب من الأدغام اطلق عليه الأدغام الأصغر ووصفه بأنه تقريب الصوت من الصوت من غير ادغام يكون هناك، ثم قال: (...) لا ترافق قربت فتحة العين من عالم إلى كسرة اللام منه بأن نحوت بالفتحة نحو الكسرة فأمللت الألف نحو الياء) ^(٣٩).

ولم أجده يذكر من من القبائل العربية كانت قليل ، وقد ذكر الدكتور إبراهيم أنيس أنه يمكن (أن تنسى الامالة إلى جميع القبائل الذين عاشوا في وسط الجزيرة العربية وشرقيها، وشهرها قيم وأسد وطيء وبكر بن وايل وعبد القيس وتغلب) ^(٤٠) وأن ينسى عدم الامالة إلى (جميع القبائل التي كانت مساكنها غربي الجزيرة بما في ذلك قبائل الحجاز أمثال قريش والأنصار وثقيف وهوازن وسعد بن بكر وكنانة) ^(٤١) فهي عنده من مظاهر البداوة وفقط عندها القبائل البدوية (ولم تتطور الامالة في المستهم إلى الفتح كما حدث عند الحجازيين) ^(٤٢).

والذى يفهم من كلام سيبويه الذى فصل اضراب الامالة فى الأفعال والأسماء، إنها لم تكن لازمة بكل انواعها فى كل القبائل بل قد يميل بعضهم ما يفتحه الآخرون ويفتح ما يميلونه: (واعلم أنه ليس كل من امال الالفات وافق غيره من العرب من يميل ولكن قد يخالف كل واحد من الفريقين صاحبه، فينصب بعض ما يميل صاحبه، ويميل بعض ما ينصب صاحبه...) فإذا رأيت عربياً كذلك فلا تربته خلط في لغته ولكن هذا من «أمرهم» ^(٤٣).

وذكر من اضراب الامالة ما ختمه بقوله: (وجميع هذا لا يميله أهل الحجاز) ^(٤٤) ومنها ما وصف الامالة فيه بأنها مستتبة ثم قال عنه: (وجميع هذا لا يميله ناس كثير من قيم وغيرهم) ^(٤٥)، ومنع الامالة في موضع آخر وقال: (ولا نعلم احداً يميل هذه الألف إلا من لا يؤخذ بلغته) ^(٤٦). وفي موضع آخر قال: (واعلم أن هذه الالفات لا يميلها أحد إلا من لا

^(٤٢) الكتاب ٢: ٢٦٣.

^(٣٨) سر الصناعة ١: ٥٨ - ٥٩.

^(٤٣) نفسه: ٢: ٢٥٩.

^(٣٩) المخصانص ٢: ١٤١.

^(٤٤) نفسه: ٢: ٢٦١.

^(٤٠) في اللهجات ص ٦٠.

^(٤٥) نفسه: ٢: ٢٦٥.

^(٤١) نفسه ص ٩٠.

يؤخذ بلغته^(٤٦)، وقال عن موضع تنازعه الامالة والفتح (وكلاهما عربي له مذهب)^(٤٧).

هذا القلق في الصوت الذي نسمعه في الامالة على السن القبائل العربية ، والتردد بين ظهوره احيانا في قبيلة وخفائه في اخرى ، وظهوره في بعض القبائل وخفائه في بعض ، واحتفائه في حاضرة الحجاز ، وظهوره في بعض صوره عند بعضهم ، وكثثرته في قبائل البداوة وخفائه في بعض صوره عندهم ، يجعلنا نميل إلى أن الصوت كان يمر بمرحلة اضطراب وقلق هي ارهادات تطور صوتي فيه تخلط بين الالف التي هي من اصل ياء والتي جاءت زائدة ابتداء والتي هي منقلبة عن واو ، فهو اذن صوت كان يمر بمرحلة انتقال ، ويرى الدكتور ابراهيم انيس أن الامالة فيها كان من الياء كانت مرحلة الانتقال الى الالف فباع عنده كانت (بعض ثم امالة ثم فتح ...) . ونستنبط من هذا ان قبائل الحجاز التي عرف عنها الفتح قد قطعت مرحلة اخرى في تطور لهجاتها^(٤٨) . أما ما لم يكن منقلبا عن ياء فقد عللها بالانسجام الصوتي (فليس هذا الا نوعا من الانسجام بين اصوات اللين ...) . ولا شك أن الانتقال من الكسر إلى الفتح وبالعكس يتطلب مجھودا عظيما أكبر مما لو انسجمت اصوات الذين بعضها مع بعض بان تصبح متشابهة لأن حركة الامالة اقرب إلى الكسرة منها إلى الفتحة^(٤٩) . وبين على ذلك (ان الكلمة كتاب كما ينطق بها بغير امالة اقدم في نسجها منها مع الامالة)^(٥٠) ، وأما ما كان من الامالة فيها أصله واو فقد ذكر انه من الصعب تبريره من الناحية الصوتية كلامالة في خاف لأن حق الامالة هنا أن تكون نحو الواوا لا الياء ، وذكر أن البرد انكر هذه الامالة ووصفها بالقيق (اذا كان هناك ما يبررها ككسرة تسبق الالف كما في امالة ربا التي قرأ بها الكسائي وحزة)^(٥١) .

والذي أراه ان ظاهرة صوتية واحدة لا ينبغي أن يتجرأ تفسيرها ومن الصعب أن نقتصر بأن الحجازيين كانت لغتهم متقدمة متطرفة في مثل لفظة سار بغير امالة وان التميميين قد تختلفت لغتهم لبقاء الامالة فيها ، ثم تكون لهجة الحجاز مختلفة عن التطور في لفظة كتاب بغير امالة بينما تكون لهجة البايدية أحدث في تطورها لأنها اامتل الالف فيها . إنه لا بد من تفسير واحد لكل اضرب الامالة وهو عندي يحتمل أن يقال إن ما نسمعه الفاً الآن كان في الأصل أحد صوتين : رقيق يقرب من الياء ، وفخم يقرب من الواو ، أما الرقيق الذي يقرب من الياء فجاءت عنه بعد تطوره الأفعال التي عينها ياء كسار يسير ، وأما الفخم الذي يقرب من الواو فجاءت عنه بعد تطوره الأفعال التي عينها واو ، وما الامالة

(٤٦) نفسه ص ٦٧ .

(٤٧) الكتاب ٢: ٢٦٤ .

(٤٨) في اللهجات ص ٦٨ .

(٤٩) نفسه ٢: ٢٦٥ .

(٥٠) نفسه ص ٦٩ .

(٥١) في اللهجات ص ٦٦ - ٦٧ .

والتفخيم إلا آثار هذين الصوتين، فالصوت الذي يسمع في الأملة هو صوت الألف قديماً حيث تطور صوت الأملة إلى صوت الألف المضمة - كما نسمعها اليوم. عند قبائل العرب المتحضررة وبقيت آثاره عند القبائل البدوية، وسجلت بعض آثاره عند بعض قبائل الحجاز ولعلها كانت على اطرافها بين الحضارة والبداءة، وهذا الرأي قريب مما فسر به الدكتور انيس الأملة في اليائى وإن لم يكن هو هو.

وهكذا نقول في مثل كاتب ما جاءت الألف فيه زائدة، حيث زيدت أولاً بصوت الأملة، الصوت القديم للالف ثم تطورت إلى الألف الحديثة، وكذلك فيها جاء مالاً من الوارى، وقد أثبته سيبويه وهو مشافه للعرب فلا عبرة بانكار البرد ايه، وقد قال سيبويه عن الأملة في الأسماء في مثل عصا وقفا (وهذا قليل يحفظ)^(٥٢)، أما في الأفعال فقد جعلها سائغة كثيرة: (والأملة في الفعل لا تنكسر إذا قلت غزا وصفا ودعا، وإنما كان في الفعل متلباً لأن الفعل لا يثبت على هذه الحال للمعنى، الا تراك تقول غزا ثم تقول غرى فتدخل الياء وتغلب عليه)^(٥٣)، وعلى أنه متلباً جائز فقد نص على أن ناساً كثيراً من تميم وغيرهم لا يميلونه. فهو إذن مما تنازعه الصوتان القديمان للألف الحديثة كما نرى فكان بعضهم يلطف بالأملة نحو الياء، وبعضهم بالأملة نحو الواو، وغلب عليه الواو والتفخيم، ولذا كان الذين يميلونه نحو الياء ليس فيهم الناس الكثير من تميم وغيرهم لأنهم قد مالوا فيه إلى النطق المفخم بالواو وعليه جاء قوله بالتفخيم: (الصلوة والزكوة ودعا وغزا وقام وصاغ وكما أن الحركة أيضاً هنا قبل الألف ليست فتحة مضمة بل هي مشوبة بشيء من الضمة فكذلك الألف التي بعدها ليست الفاء مضمة لأنها تابعة لحركة هذه صفتها فجرى عليها حكمها).^(٥٤) وكل الصوتين القدميين اعني صوت الأملة نحو الياء وصوت التفخيم نحو الواو ما تزال آثارهما باقية في بعض اللهجات المحلية اليوم فنسمع بعض العراقيين يقول في جاء البارحة مثلاً جا امييبح بالأملة المرققة نحو الياء كما في الموصل، ومن يقول في السلام عليكم: سلام عليكم بالأملة المفخمة نحو الواو كما في راوة.

الأملة مع حروف الاستعلاء:

الحروف المستعلية هي الخاء والعين والكاف والضاد والطاء والصاد والظاء (ومعنى الاستعلاء أن تصعد في الحنك الأعلى)^(٥٤)، وحروف الاستعلاء هذه تمنع الأملة لما بينها من تباين (فإذا كان واحد من هذه الحروف قبل الألف أو بعدها مفتوحاً أو مضموماً منع الأملة)^(٥٥)، وعلى هذا فإن الذي قال في (عابد عابد لم يقل في صالح صالح ولا في ضامن

(٥٤) سر الصناعة ٧١: ١.

(٥٢) الكتاب ٢: ٢٦٠.

(٥٥) شرح اللمع ورقة ٣٠٧.

(٥٣) سر الصناعة ١: ٥٩.

ضامن، وكذلك البقية)^(٥٦)، إلا أنه قد قرئ: (فاصطادو) بامالة الألف بعد الطاء، وقد علل ذلك بأن الذي شجع على الامالة مع وجود الطاء وهو من حروف الاستعلاء وكذلك الصاد كون الألف منقلبة عن ياء الصيد، وأمر آخر هو: (ان حروف الاستعلاء لا تمنع الامالة في الفعل إنما تمنعها في الإسم نحو طالب وظالم، فاما في الفعل فلا، ألا تراهم كيف امموا طغى وقضى وهناك حرفان مستعليان مفتوحان، وسبب ذلك ايجاب الافعال في الاعتلاء وإنما اقعد فيه من الأسماء).^(٥٧).

وهذا المعنى اعني منع الامالة في الاسم لا في الفعل لكثره تغير الأخير بالإعلال كان قد ذكره في المنصف وهو يستدل على أن (الأفعال موضوعة للتوجه والإعلال لنصرتها وإنما لا تتفاوت على حال واحد، فلذلك كثر فيها الإعلال، ألا تراهم امموا مثل صار وطاب مع أن فيهما حرفًا مستعلياً لأنها فعلان، ولم يحيزوا ذلك في صالح وخالد لأنها اسمان).^(٥٨)، وجعل سبب الامالة الفعلية حسب، ولم يعتد بأن اصل الألف ياء كما فعل في المحتبس حين ذكر قراءة فاصطادوا وقال: (فتتميل الألف بعد الطاء إذ كانت منقلبة عن ياء الصيد)، بل إنه أثار مسألة كون الألف منقلبة عن ياء وقدم ما يراه في نقض الامالة بسبب الأصل.

والذي أراه أنه لم يكن مصيّباً في المنصف، وإن الذي دعا إلى الامالة مع وجود حرف الاستعلاء إنما هو كون الألف اصلها ياء على ما ذكر في المحتبس وهو عندي مذهبة الأخير لأن تأليفه كان متاخرًا. وأما ما استدل به في المنصف ففيه وهن ظاهر فإنه بعد أن سأله (ما تذكر أن تكون الامالة إنما حسنت في مثل صار وطاب لأن الفها منقلبة عن ياء) أجاب بأنيهم (قد امموا خاف وأصل الفه من الواو) ثم أثار أمراً يتعلق بحركة الواو في خوف وإنما مكسورة فيما تذكر أن يكون الذي دعاهم إلى الامالة أنها مكسورة، وأجاب عن ذلك بأمرتين: الأول: إنهم امموا (طاب وأصله طيب بالفتح)، الثاني: (ان انكسار الحرف لا يحيز امالته وليس هذا مذكوراً في الاسباب الستة الحادثة عنها الامالة).^(٥٩).

والذي دعاني إلى توهين قوله أمران:

(٥٦) سر الصناعة ١: ٢١٨.

(٥٧) المحتبس ١: ٢٠٦.

(٥٨) المنصف ١: ٥٥، ٥٦.

(٥٩) المحتبس ١: ٢٠٦.

(٦٠) اسباب الامالة الستة كما في شرح الشافية ٣: ٥: ١- مناسبة صوت نطقك بالفتحة لصوت نطقك بالكسرة التي قبلها كعماد ٢- مناسبة ذلك لصوت الكسرة بعدها كعامد. ٣- مناسبة لصوت الياء قبلها كسيال وشيان ٤- مناسبة فاصلة لفاصلة عماله، كالضوحى لمناسبة قل. ٥- مناسبة مالة لامالة قبل الفتحة نحو: رأيت عمادا. ٦- مناسبة نطقك بالألف بصوت نطقك باصل تلك الألف كصار.

الأول: أن الامالة ظاهرة صوتية تناولت الأسماء كما تناولت الأفعال، ولم يخصوا الأسماء فيها بشيء للتفريق بينها وبين الأفعال، ولذا فلا نرى أي مبرر مقبول لأن يقال إنما كان هذا في الفعل لأنه فعل، ولا يكون في الاسم بسبب اسميته، إذ لا فرق من حيث الصوت بين قولنا: طالب، علم شخص، وطالب في الأمر من طالب إذا وقفتا عليهما.

الثاني: أنه لم يكن موفقاً في ما استدل به، فقد ذكر الامالة في خاف لينقض القول بأن ما أميل من الفعل إنما كان بسبب الياء وهذا من الواو. فظهرت أمامه مشكلة الكسرة في الواو التي يمكن أن يقال إنها سبب الامالة لأن الكسرة بعض الياء، فأجاب بما قدمناه، واستدلاله بطاب يعود إلى أصل المسألة لأنه من الياء فقد يقال إن الياء سبب الامالة فيعود ليقول أميلت خاف ولا ياء، ويقال له هناك كسرة فيقول أميلت طاب ولا كسر، وهذا دور. ونحن إنما نسأل عن الكسرة عند عدم الياء لأنها بعضها فاما إذا وجدناها فلا نظر إلى الفتحة فيها، وعلى هذا فاستدلاله بطاب ساقط.

وإما اتكاؤه على أسباب الامالة الستة وانه ليس بينها انكسار الحرف فيوقعه في اشكال، وذلك انه يقال له ليس من أسباب الامالة الستة الفعلية فما الذي سوغ الامالة في خاف وليس فيها من أسبابها شيء مع وجود حرف الاستعلاء أيضاً. إنه لا مفر من القول بأن الامالة إنما كانت مع وجود حرف الاستعلاء بسبب صوت الياء في الأصل سواء كانت تامة كما في طَيْب أم كان بعضها (كسرة) كما في خُوَف ، قال الرضي وهو يذكر أسباب الامالة: (أو قصد مناسبة صوت نطقك بالألف بصوت نطقك بأصل تلك الألف وذلك إذا كانت متقلبة عن ياء، أو واؤ مكسورة، كباع وخاف)^(٦١)، وبهذا نفس الامالة التي ذكرها أيضاً في طغى وقضى^(٦٢)، إذ أصل الألف فيها ياء.

الاختلاس والخذف:

إشاع الحركة يؤدي إلى حرف لين من جنسها كما سيأتي، ومعنى ذلك أن اختلاس حرف اللين والمد واضعافه يؤدي إلى حركة من جنسه لما نقدم من قوله إن الحركات البعض حروف المد واللين، وقد ذكر لذلك شواهد منها قوله تعالى: والليل إذا يسر، وقوله سبحانه: ذلك ما كنَّا نبغ، وقوله سبحانه: الكبير المتعال. ومن ذلك أيضاً قول الشاعر: سيفي وما كنَّا بنجد وما فَرَقَ قُمْرُ الوادِ بالشاهرق فانت ترى أن الياء قد اختلست في كل هذا واضعفت حتى لم يبق منها سوى

(٦١) شرح الشافية: ٣، ٥.

(٦٢) المحتسب: ١، ٢٠٦.

الكسرة التي قبلها، ولذا عبر عن ذلك بالحذف^(٦٣)، ووصفه بأنه (كثير في الكسرة)^(٦٤)

ومن اختلاس الواو واضعافها قول الأسود بن يعفر:
فالحقُّ أخراهمْ طرِيقُ الْأَهْمُ . . .

يريد: أولاً لهم، ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: يَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلُ، وقوله سبحانه: سندُ الزبانية، ولكي لا يقول قائل إن الواو قد حذفت في النطق بسبب التقاء الساكنيين هنا قال: (كتبت في المصحف بلا واو لتوقف عليها كذلك)^(٦٥). فلو أردت الوقف على يمح أو سند لوقفت عليها بغير واو على ما ذكر.

وقد حذفت الألف كما حذفت الواو والياء، فمن ذلك قول رؤبة:
وصَانِي العَجَاجُ فِيمَا وَصَنِي

(يريد: فيما وصاني . وذهب أبو عثمان في قوله عز اسمه: يا أَبَتْ، إلى أنه اراد يا ابناه وحذف الألف).^(٦٦)

وقد علل ابن جني اضعاف حرف اللين وحذفه بأنه كان للتحقيق: (وأما حاش الإله، فمحذوف من حاشا تخفيفاً).^(٦٧)، وشبهه بحذف الحركة للتحقيق قال عن الحروف: (وقد حذفت أيضاً استخفاً كما تمحذف الحركة)^(٦٨)، وأعاد ذكر عدد من الشواهد التي مر ذكرها.

والذى يتوجه لي في هذا أن الحذف في الشعر إنما كان في لهجة البداوة للضرورة،
لا ترى إلى رؤبة كيف قال أولاً وصاني وأثبتت الألف، ثم الجاء الوزن إلى أن حذف
وقال: فيما وصني ، ويبدو أن هذا الحذف كان مستساغاً في لهجة البدو لميلهم إلى
السرعة في النطق^(٦٩)، ولأنهم ليست لهم عنابة أهل الحضارة وولعهم في صحة
الكلام^(٧٠).

ولكن إذا صبح التعليل بالسرعة في لهجة البدو فكيف نفسر ما ذكر من آيات؟

يمكن أن نجعل الآيات التي أوردها ثلاثة أصناف:

الأول: حذف حرف اللين منه لأجل فواصل الآي كما في قوله تعالى:

(٦٧) المحتسب ١: ٣٤١.

(٦٣) الخصائص ٢: ٢٩٢.

(٦٨) الخصائص ٢: ٣١٦.

(٦٤) نفسه ٣.

(٦٩) في اللهجات ص ١٣٢.

(٦٥) نفسه ٢، ٢٩٣: ٢، ١٣٤: ٣.

(٧٠) اللغة ص ٨٠.

(٦٦) الخصائص ٢: ٢٩٣، ٣: ١٣٤.

والليل إذا يسر، فهي من سورة الفجر، وقبلها: (والفجر، وليل عشر، والشفع والوتر، والليل إذا يسر...) فالحذف هنا للمناسبة.

ويدخل في هذا قوله تعالى: (الكبير المتعال) إذ هي في سورة الرعد، والفاصل قبلها وبعدها: (بمقدار، المتعال، بالنهار، من وال، التقال، المحال، في ضلال، والأصال...).

الثاني: الحذف للسرعة، كمافي (ذلك ما كنَّا نبغ) وهذا النوع من الحذف وان كان من مظاهر البداءة، إلا أنه ورد في لغة الكتاب الكريم ليعطي السامع صورة السرعة في النطق وفي الحركة. إذ الآية تصور حرص موسى على مقابلة العبد الصالح الذي آتاه الله من لدنه علماً، وكان فتى موسى قد نسي أن يذكر له ذهاب سماتها في البحر قرب الصخرة، فلما أحس باجموع وأراد الغداء ذكر له ذلك، فكان الآية تسهم بهذا الحذف في تصوير شوق موسى لسرعة اللقاء بسرعة الارتداد نحو المكان، فكانت سرعة اللفظ في الكلمة: (ذلك ما كنَّا نبغ فارتَّا على آثارها قَصْصَا)، وأشبع النطق إن شئت بالألف من كنا والياء من نبغي لترى الفرق بين هفة المشتاق في النطق، وتراخي المتألق عن اللقاء.

الثالث: الحذف لإلتقاء الساكين، وذلك قوله تعالى **مُحَمَّدُ اللَّهُ الْبَاطِلُ**، فهو حذف في اللفظ لإلتقاء الواو الساكنة مع اللام الساكنة من اسم الجلالة، واما دعوه بأنها كتبت في المصحف من غير واو ليوقف عليها بلا واو أيضاً، فلا دليل عليها، ولنا أن نقول إنها اما كتبت بلا او لمنع الوقف عليها فهي صورة الصوت عند وصله ولا مجال للوقف على هذا الصوت وكيف يستقيم المعنى لوقف على يمحو، ثم استأنف القارئ: الله ما يشاء؟ وهذا عندها شيء يترك كتابة الثناء في (رحمت الله)، و (سنت الله)، بالباء حتى لا يوقف عليها. واما (سندع الزبانية) فانها من هذا أيضاً مع ما فيها من إشعار بالسرعة في الدعوة، ومقابلة ليدع التي قبلها في قوله سبحانه: (فليدع ناديه ، سندع الزبانية).

الاختلاف في الصوائت القصيرة:

تحتختلف اللهجات العربية في نطق الصوائت القصيرة اختلافاً بينا في بعض ألفاظها، فقد يحرك الحرف في لفظة بالكسر في هجة ويكون بالضم في هجة ثانية، وقد يكون الحرف ساكناً في هجة وهو متحرك في أخرى، وقد تمال الحركة في هذه ولا تمال في تلك، وقد تشيع الحركة حتى تكون حرف لين، أو يختلس حرف اللين حتى يعود حركة من جنسه، وقد ذكر ابن جني ذلك كلـه، إلا أنه قد يذكر اللهجة معزوة وقد يغفل عزوها وقد يعلل اختلاف الصوت وقد لا يعلله.

بين الضم والكسر:

ذكر ابن جنی ما اختلفت فيه هجات القبائل العربية بين الضم والكسر قوله: صنوان وصنوان، ونسب الكسر لأهل الحجاز، والضم لتميم وقيس^(٧١). ومن ذلك أيضا قراءة ربيون. (قال أبو الفتح: الضم في ربيون تميمية والكسر أيضا لغة)^(٧٢)، ولم يذكر الكسر لغة من هي. ومن ذلك أيضا قراءة بالعدوة والعيدة بالضم والكسر وقرأ بالفتح أيضا، وذكر أنها لغة (كثوهم في البنين رغوة ورغوة وهما نظائر)^(٧٣) وذكره الضم هنا في موضعين يقوى ما ذهب إليه الدكتور أنيس من أن القبائل البدوية قد مالت (بوجه عام) إلى مقياس اللين الخلفي المسمى بالضمة لأنه مظهر من مظاهر الخشونة البدوية، فحيث كسرت القبائل المتحضرة وجدنا القبائل البدوية تضم^(٧٤) إلا أن هذه القاعدة التي قررها نجدتها تهتز أمام نسبة الضم للحجازيين والكسر للتميميين في قول ابن جنی وهو يفسر قراءة: نؤته منها بكسر الثناء وضم الاء: (قال أبو الفتح هذا على لغة أهل الحجاز، ومثله قراءتهم: فخسننا بهو وبدارهو الأرض...)^(٧٥) فهل يمكن أن يفسر ذلك بحرص الحجازيين على إبقاء الضمير مبنيا على الضم حيث ورد حتى لا يتضطر إلى تغيير حركة المبني بسبب حركة ما قبله؟ وكيف ساغ في سمع الحجازي ورضي اجراءه على لسانه أن ينتقل من الكسر إلى الضم على ما فيه من قبح كما قرروا^(٧٦)، وهم الذين عرفوا برقة الحس ورهافة الشعور، نعم يمكن أن يقال إن الظاهرة الصوتية في اللهجات لا تعرف الاطراد (لأن نشوء اللغات ونموها لا يتم في تتابع منطقي ملتزما في سيره طريقا مستقيما)^(٧٧). كما قرر فندريس، ولكنه تناقض صوتي يتنافى مع طبيعة اللغة فضلا عن نسبته إلى أهل الحضارة من المتحدثين بها. ولعل المخرج أن يقال إن ذلك سمع من بعض جفاة أهل الحجاز الذين كانوا أقرب إلى موضع البداوة منهم إلى مواضع الحضارة.

وما ظهره انه إختلاف بين الكسر والضم قراءة (لا يضركم ولا يضركم) بضم الصاد وكسرها مع سكون الراء، وقد عزا ذلك إلى اختلاف العين بين الياء والواو فقراءة الضم جاءت على لهجة صاره يضوره، والكسر على لهجة صاره يضيره^(٧٨).

بين الفتح والكسر:

ذكر ابن جنی جملة صالحة من الألفاظ التي اختلفت فيها اللهجات العربية بين الفتح

(٧٥) المحتسب ٢ : ٢٤٩.

(٧١) المحتسب ١ : ٣٥١.

(٧٦) المصنف ١ : ٢٠.

(٧٢) نفسه ١ : ١٧٣.

(٧٧) اللغة ص ٤٠.

(٧٣) المحتسب ١ : ٢٨٠.

(٧٨) المحتسب ١ : ٢٢٠.

(٧٤) في اللهجات ص ٩١.

والكسر في الأسماء والأفعال والحرف، فمن ذلك مثلاً ما جاء عنهم من فتح الهمزة في ايـاكـ إذ قـرـئـ (ـوـأـيـاكـ) . . . فـاماـ فـتحـ الـهـمـزـةـ فـلـغـةـ فـيـهاـ . .)^(٧٩) وـمـنـهـ كـسـرـ الـهـمـزـةـ فـيـ أـيـانـ فـقـدـ قـرـىـءـ (ـإـيـانـ يـعـثـونـ ،ـقـالـ أـبـوـ الـفـتـحـ :ـفـيـ لـغـاتـ أـيـانـ وـأـيـانـ بـالـفـتـحـ وـالـكـسـرـ))^(٨٠) ،ـوـمـنـ ذـلـكـ أـيـضاـ أـنـ (ـتـحـرـفـ الصـيـغـةـ وـالـلـفـظـ وـاـحـدـ نـحـوـ قـوـلـهـ هـيـ رـغـوـةـ الـلـبـنـ وـرـغـوـتـهـ . . . روـيـناـ ذـلـكـ كـلـهـ))^(٨١) .

ويلاحظ أنه فيها أوردنـاهـ آنـفـاـ عـنـهـ لمـ يـنـسـبـ الـلـهـجـاتـ وـلـمـ يـقـوـ بـعـضـهـاـ أوـ يـصـفـ بـعـضـهـاـ بالـشـذـوذـ وـكـلـمـاـ مـسـتـوـيـهـ عـنـهـ ،ـوـلـمـ يـعـلـلـ ،ـلـمـ فـتـحـ هـذـاـ وـلـمـ كـسـرـ ذـاكـ .ـوـقـدـ ذـكـرـ الـدـكـتـورـ اـبـرـاهـيمـ أـنـيـسـ مـاـ أـطـلـقـ عـلـيـهـ قـانـونـ اـنـسـجـامـ أـصـواتـ الـلـيـنـ فـيـ الـكـلـمـةـ الـواـحـدـةـ وـذـهـبـ فـيـهـ إـلـىـ أـنـ الـكـلـمـةـ (ـالـتـيـ تـشـتـمـلـ عـلـىـ حـرـكـاتـ مـتـبـاـيـنـةـ تـمـيلـ فـيـ تـطـوـرـهـاـ إـلـىـ الـانـسـجـامـ بـيـنـ هـذـهـ الـحـرـكـاتـ))^(٨٢) .ـوـذـكـرـ اـنـهـ اـسـتـطـاعـ فـيـ ضـوءـ هـذـاـ الـقـانـونـ أـنـ يـفـسـرـ مـاـ وـرـدـ مـنـ اـخـتـلـافـ الـلـهـجـاتـ عـنـ الـعـربـ وـعـزـاـ الـانـسـجـامـ الصـوـتـيـ إـلـىـ الـبـدـوـ ،ـلـأـنـ لـهـجـاتـ الـحـضـرـ (ـتـحـقـقـ فـيـهـاـ الـأـصـواتـ نـتـيـجـةـ التـأـيـ وـالـتـؤـدـةـ فـيـ النـطقـ) وـاـنـ هـذـاـ الـانـسـجـامـ (ـقـدـ يـوـجـدـ أـيـضاـ فـيـ بـعـضـ الـلـهـجـاتـ الـحـضـرـ وـلـكـنـ بـنـسـبـةـ أـقـلـ) ،ـوـاـنـهـ فـيـ ضـوءـ ظـاهـرـةـ الـانـسـجـامـ هـذـهـ (ـنـسـطـطـعـ دـائـيـاـ أـنـ غـيـرـ الـأـصـلـ مـنـ الفـرعـ ،ـوـأـنـ نـتـبـينـ مـاـ كـانـ عـلـيـهـ الـكـلـمـةـ وـمـاـ صـارـتـ إـلـيـهـ))^(٨٣) .

وـأـرـىـ أـنـ حـدـيـثـ الـانـسـجـامـ بـيـنـ الـحـرـكـاتـ يـمـكـنـ أـنـ نـفـسـرـ فـيـ ضـوـئـهـ عـدـدـاـ مـنـ الـأـلـفـاظـ الـتـيـ وـرـدـتـ عـنـ الـعـربـ ،ـإـلـاـ أـنـهـ مـنـ الصـعـبـ أـنـ نـجـعـلـهـ قـانـونـاـ عـامـاـ تـفـسـرـ فـيـ ضـوـئـهـ جـمـيعـ الـأـلـفـاظـ الـتـيـ وـرـدـتـ عـنـهـمـ .ـمـنـ ذـلـكـ صـوتـ الـهـمـزـةـ قـبـلـ الـيـاءـ الـمـشـدـدـةـ الـمـتـلـوـةـ بـأـلـفـ (ـأـيـاـ)ـ أـيـكـونـ الـكـسـرـ فـيـ الـانـسـجـامـ أـمـ الـفـتـحـ؟ـلـقـدـ نـطـقـ جـهـوـرـ الـعـربـ بـهـذـاـ الصـوتـ مـعـ الـفـتـحـ إـذـ كـانـ بـعـدهـ الـنـونـ ،ـوـخـالـفـ بـعـضـهـمـ فـكـسـرـ ،ـوـكـسـرـ جـهـوـرـ الـعـربـ مـعـ الـكـافـ وـخـالـفـ بـعـضـهـمـ فـفـتـحـ ،ـفـقـالـ الـجـمـهـورـ:ـإـيـانـ بـالـفـتـحـ وـإـيـاكـ بـالـكـسـرـ ،ـفـهـلـ يـقـالـ حـرـصـواـ هـنـاـ عـلـىـ الـانـسـجـامـ وـهـنـاـ عـلـىـ ضـدـهـ ،ـوـالـصـوتـ وـاـحـدـ ،ـنـعـمـ يـرـدـ عـلـىـ الـخـاطـرـ أـنـ يـقـالـ إـنـ إـيـانـ لـمـ تـأـتـ إـلـاـ مـفـتوـحةـ الـنـونـ فـكـانـ فـتـحـ الـهـمـزـةـ هـوـ الـانـسـجـامـ ،ـأـمـ إـيـاكـ فـلـأـنـ الـكـافـ قـدـ تـأـيـ مـكـسـوـرـةـ أـحـيـاـنـ جـاءـ الـانـسـجـامـ عـلـىـ الـكـسـرـ ،ـأـوـ أـنـ يـقـالـ إـنـ الـأـصـلـ الـانـسـجـامـ بـالـكـسـرـ لـمـ كـانـ الـيـاءـ ،ـوـهـكـذـاـ جـاءـتـ إـيـاكـ ،ـوـخـالـفـتـ إـيـانـ لـمـ كـانـ شـبـهـاـ بـأـيـنـ ،ـوـلـاـ يـبـعـدـ أـنـ تـكـوـنـ تـلـكـ قـدـ تـفـرـعـتـ عـنـ هـذـهـ فـجـاءـتـ بـالـفـتـحـ لـذـلـكـ ،ـوـلـكـنـ هـلـ يـمـكـنـ أـنـ يـخـلـدـ إـلـىـ هـذـاـ الـوـارـدـ بـاـطـمـيـانـ؟ـ

وـمـنـ اـخـتـلـافـهـمـ فـيـ الـكـسـرـ وـالـفـتـحـ مـاـ وـرـدـ عـنـهـمـ فـيـ قـرـاءـةـ الـشـجـرـةـ بـكـسـرـ الشـيـنـ ،ـوـذـكـرـ

.٩٦) فـيـ الـلـهـجـاتـ صـ ٩٦ (ـ٨٢ـ)

.٩٧) فـيـ الـلـهـجـاتـ صـ ٩٧ (ـ٨٣ـ)

.٣٩) نـسـهـ ١:ـ

.٩٠) نـسـهـ ٢:ـ

.٣٧٣) الـحـصـاصـيـنـ ١:

أن أبا عمرو قد سئل عنها (ف Skinnerها وقال: يقرأ بها برابر مكة وسودانها) ^(٨٤)، ويبدو أن برابر مكة وسودانها قد أخذوا هذه اللهجة عن بعض العرب وهم بنو سليم على ما ذكره ابن أبي إسحاق (وقال هارون الأعور عن بعض العرب تقول الشجرة، وقال ابن أبي إسحاق: لغة بنى سليم الشجرة) ^(٨٥) والانسجام واضح مع الفتح، ولا يبعد عندي أن يكون هؤلاء قد نطقوا بالجيم ساكنة كما نفعل اليوم في لهجتنا العامية إذ نقول: شجرة ثم غلب صوت فتحة الراء على أذن السامع فظنَّ الجيم حركة بالفتح، لأن الساكن إذاجاور المتحرك كانت حركته كأنها فيه على ما ذكر ابن جني ^(٨٦).

ومن ذلك أيضا اختلافهم في حركات حروف المعاني (فاما ما حكاه الكسائي عن قضاعة من قولها مررت به والمال له، فإن هذا فاش في لغتها كلها لا في واحد من القبيلة) ^(٨٧).

وحدثني أبو علي قال: حكى أبو الحسن عن أبي عبيدة والأحمر ويونس أنهم سمعوا العرب تفتح اللام الجارة مع المظهر، قال: وقال أبو الحسن وقد سمعته أنا منهم أيضا. وقال أبو زيد: سمعت من يقول وما كان الله ليُعذبهم، بفتح اللام، وهذا من الشذوذ بحيث لا يقاس عليه) ^(٨٨).

فقضاعة إذن خالفت ما عليه لغة جمهور العرب في الباء واللام، ولا يسعنا هنا الانفاع من فكرة الانسجام الصوقي المارة، فلا بد من نظر آخر:

ذكر ابن جني (أن جميع الحروف التي تقع في أوائل الكلم حكمها الفتح أبداً نحوها و العطف وفائه وهمة الاستفهام ولام الابتداء، فأما الباء فيزيد فإنما كسرت لمضارعتها اللام الجارة في قولك المال لزيد.. ووجه المضارعة بينها احتماعها في الجر وفي الذلة ولزوم كل واحد منها الحرافية) ^(٨٩). وقد علل فتح الباء مع المضمر بأنهم لما حلوا الباء على اللام فكسروها مع المظهر (جاز لبعضهم أن شبه الباء باللام ففتحها مع المضمر كما يفتح اللام معه) ^(٩٠)، وهو من القياس الخاطيء وقد قال عنه انه الذي يقع شبهاً بالغلط.

ويمكن عندي أن يقال إن قضاعة قد جاءت بالباء مفتوحة على الأصل في فتح الحروف في أوائل الكلم، ويقوى ذلك أن الفتح إنما جاء مع المضمر وقد قرر (ان الإضماء يرد الأشياء إلى أصولها في كثير من الموضع) ^(٩١). فكان الأصل في الباء الفتح وردها

^(٨٤) سر الصناعة (الازهر) ٢: ١٢ - ١٣.

^(٨٤) المحتب ١: ٧٣.

^(٨٥) سر الصناعة ١: ١٦٠.

^(٨٥) نفسه ١: ٧٤.

^(٩٠) سر الصناعة (الازهر) ٢: ١٢ - ١٣.

^(٨٦) سر الصناعة ١: ٩١.

^(٩١) سر الصناعة ١: ١١٧.

^(٨٧) المخصائق ١: ٣٩٠.

الإضمار إليه . فإذا كان الأمر هكذا فما بالهم عكسوا مع اللام؟ ! يمكن أن يقال إنهم حملوا المصمر على المظهر ، فكما تكسر لام الجر مع الظاهر في قولنا المال زيد ، كسرت عندهم مع الضمير في قولهن المالي . فكأنه من القياس الخاطئ كما تقدم ، وقد وصف ذلك بالشذوذ وقال : (شيء المصمر بالظاهر في كسر لام الجر معه في هذه الحكاية الشاذة)^(٩٠) .

أما مجيء هذه اللام مفتوحة مع المظهر في ما حكاه عن أبي عبيدة، والأحرن ويونس وما سمعه أبو الحسن، فقد ذكر أن ذلك عود باللام إلى أصل حركتها وهي الفتح نقل ذلك عن ابن السراج عن المبرد: (واعلم أن هذه اللام الجاره قد تفتح مع المظهر في بعض اللغات فيقال المال لزيد بفتح اللام، ونقلت من خط أبي بكر محمد بن السري وقرأته بعد ذلك على أبي علي عن أبي العباس قال: كان سعيد بن جبير رحمة الله تعالى يقرأ: وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال، فيفتح اللام ويردها إلى أصلها، وذلك أن أصل اللام الجاره الفتح، انتهت الحكایة^(٩٢)).

ولا يبعد عندي أن تكون لام الجر المفتوحة، في الأصل لام إلى قطعت لكثرة استعمالها، كما نسمعها اليوم كثيراً من أهل سامراء، فيقولون مثلاً: راح للملوّة، يريدون إلى الملوّة ولبّاجر، يريدون إلى باكر، ثم لما شاع استعمالها وكثيراً أخذوا يستعملونها مفتوحة في موضع المكسورة ظناً منهم أنها هي كما نسمعهم اليوم يقولون: عاّفة للراوح والجاي، يريدون تركه للراوح والجائي، وقول أهل الجنوب: تعبت بـجـلـكـ أي لأجلـكـ.

ومن ذلك أيضاً إختلافهم في حركة العين أو الفتح بين الفتح والكسر في عدد من الألفاظ، منها قراءة (فِي وَهُنَا بَكْسُ الْهَاءِ)، قال أبو الفتح: فيه لغتان وهن هن، وهوهن يوهن.. وحدثنا أبو علي أن أبا زيد حكى فيها كسر الهاء في الماضي)^(٩٣)، ويبدو أن الذين فتحوا الهاء وهم جمهور العرب كانوا أميل إلى الانسجام الصوتي من الذين كسروا، ومادام أبو زيد قد حكى الكسر فيبنيغي أن يقبل، إلا أنه يقال هو قليل، والعمل إنما يكون على الكثير الشائع.

ومن ذلك قراءة (ينحتون بفتح الحاء، قال أبو الفتح: أجود اللغتين نحْت ينْجِت بكسر الحاء، وفتحها لأجل حرف الحلق الذي فيها كسر حسْر) ^(٤٤)، ويبدو أنه قد جعل الكسر أجود لما فيه من مخالفة بين حركة العين في الماضي والمضارع وهو ما حرصت عليه

(٩٢) سر الصناعة (الازهر) ٢ : ١١

١٧٤ : المحتسب ١ (٩٣)

٢٩٤) المحتسب

اللغة في الأعم الغالب من ألفاظها، ومعنى ذلك أنه إذا ورد لفظ بصورتين الأولى مخالفة للماضي والثانية موافقة كان التفضيل لما خالف الماضي لأنه جاء على وفق الكثرة لا القلة.

ومن ذلك قراءة رَدَفْ لكم بفتح الدال حيث ذكر انه (من قال رَدَفْ فهو في وزن تَبعَ ومن قال رَدَفْ فهو بمنزلة تَلا وشَفَعَ ، والكسر أَفْصَحُ وهو أَكْثَرُ اللغة)^(٩٥). وفي هذا تفضيل للكثرة على الانسجام الصوتي، وإلا فإن فتح الدال ينسجم مع فتح الراء أكثر من إنسجام الكسر مع الفتح.

ومنه أيضا قراءة (يَصِلُّ به الَّذِينَ كَفَرُوا بِفَتْحِ الْيَاءِ وَالضَّادِ، قَالَ أَبُو الْفَتْحِ هَذِهِ لُغَةٌ أَعْنِي ضَلَّلَتْ أَصْلَ وَاللُّغَةُ الْفَصْحِيُّ ضَلَّلَتْ أَصْلَ^(٩٦))، ولا شك أن أصل بفتح الضاد بعد الهمزة المفتوحة أكثر إنسجاما من أصل بالكسر بعدها، ولكن قد يقال إن هذا الانسجام يفقد في الماضي عند إتصال ضمير الرفع به فستوي اللتان في الإنسجام وعدمه، إذ تحرص إحداهما على الإنسجام في الماضي ضللت وتجاوزت في المضارع أصل وتعكس الأخرى فتحرص عليه في المضارع أصل وتجاوزه في الماضي ضللت، إلا أنه يمكن أن يجاب عن هذا بأن الأصل أن ينظر إلى الماضي، أما المضارع فيأتي بعده والغالب في حركته مخالفة الماضي .

ومن ذلك أيضا اختلافهم في بنية الكلمة بين فتح الفاء وكسرها وكسر العين وسكونها، أو كسرها وفتحها فقد نص على أن الحجازيين يقولون كَلِمَةً وَكَلِمَ بمنزلة نِبَقَةٍ وَنِبَقٍ (وبنوتيم يقولون كِلْمَةً وَكِلْمَ كِسْرَةً وَكِسَّ)^(٩٧)، ويبدو أن هذا الاختلاف بينهم إنما جرّه الاختلاف في قياس اللغة حيث نحا بها التميي نحو كِسْرَه وكسر، ونحا بها الحجازي نحو نِبَقَةٍ وَنِبَقٍ، فجعلت عند هذا من هذا القياس وعند ذلك من القياس الآخر، ولست أجد علة لهذا سوى الموافقة، لأن الحجازي لم يتخل عن صيغة فُعلَةٍ وَفُعلٍ بدلليل قوله كسرة وَكِسَّ لم يؤثر عنهم أنهم قالوا فيها كِسْرَةٍ وَكِسَّ مثل كلمة وَكِلْمَ، والتميي لم يهجر صيغة فُعلَةٍ وَفُعلٍ بدلليل قوله نِبَقَةٍ وَنِبَقٍ ولم يعرف عن التمييين أنهم يقولون فيها نِبَقَةٍ وَنِبَقٍ كقولهم كلمة وَكِلْمَ، فهي الموافقة إن جعلت هذه اللفظة على قياس هذه اللفظة عن الحجازي وعلى قياس تلك عن التميي .

الكسر مع حروف الحلق :

ومن ذلك أيضا ما اختلفت فيه اللهجات لأجل حرف الحلق، وحروف الحلق هي

(٩٥) نسخة ٢ : ١٤٣ .

(٩٦) نسخة ١ : ٢٨٨ .

(٩٧) الخصائص ١ : ٢٦ .

الهمزة والألف والهاء والعين والخاء والغين والخاء، والألف لا تظهر الحركة عليهَا ولا يكون ما قبلها إلا مفتوحاً ولا تكون أصلاً في فعل ولا في اسم متمنٍ وإنما تكون منقلة عن واو أو ياءٌ^(٩٨)، ولذا نجدهم في كلامهم على الحركة لأجل حرف الحلق لا يذكرون الألف.

فمن ذلك كسرهم فاء الكلمة التي عينها حرف حلق مكسور حيث قالوا في شعير ورغيف شِعير ورِغيف، وقد سمي ابن جني ذلك تقريب الصوت من الصوت قال: (ومن ذلك تقريب الصوت من الصوت مع حروف الحلق نحو شِعير ورِغيف، وسمعت الشجري غير مرة يقول زئير الأسد يريد الزئير وحكي أبو زيد عنهم: الجنة من خاف وعید الله)^(٩٩).

وهذا الذي عبر عنه ابن جني بتقريب الصوت من الصوت هو الذي عبر عنه الدكتور أنس بالإنسجام الصوقي، وظاهر أن الذين كسروا كانوا أميل إلى الإنسجام حيث كسرة العين والياء التي بعدها.

ويلاحظ أن الكلمات التي ذكرها جاءت كلها بالياء، مما يجعل الدارس يسأل أوجود الياء شرط في هذا الكسر أم أنه مجرد موافقة أن جاءت أمثلته بالياء . والذي ترجح عندي أنه موافقة ، لأمرین :

الأول: انه لم يشترط الياء في كلامه على الكسر لتقريب الصوت من الصوت.
الثاني: انه في غير هذا الموضع ذكر أن (كل ما كان على فعل وثانية حرف حلقى فلهem فيه أربع لغات وذلك نحو فخذ ومحك ونفر، بفتح الأول وكسر الثاني على الأصل، وإن شئت أسكنت الثاني وأقررت الأول على فتحه فقلت فخذ ومحك ونفر، وإن شئت أسكنت ونقلت الكسرة إلى الأول فقلت فخذ ومحك ونفر، وإن شئت اتبعت الكسر الكسر فقلت فخذ ومحك ونفر، وكذلك الفعل نحو ضَحْك وإن شئت ضَحْك وإن شئت ضَحْك وإن شئت ضِحْك)^(١٠٠)، وبهذا وجه قراءة فَنَعْمَ عَقْبَى الدار، في فَنَعْمَ عَقْبَى الدار . والصورة التي تعنينا كما ترى هي الصورة الرابعة التي قال عنها وإن شئت اتبعت الكسر الكسر . واشترط حرف الحلق لهذا الكسر صريحة عنده ردهه في أكثر من موضع، فمن ذلك قوله: (. . . كسروا فاء الفعل لكسرة عينه، وعلى هذا تقول في رغيف رِغيف . . .)^(١٠١) ومضى في هذا الموضع على أن هذا الاتباع والكسر لا يكون فيها ليس ثانية من حروف الحلق (ولا تقول في جَرِيب وَقَفِيزْ لأنَّه ليس ثانِي حروفهَا حرفاً من حروف الحلق .).

(٩٨) شرح الشافية ٣ : ٦٦ .

(٩٩) المصنف ١ : ١٤٣ .

(١٠٠) المختسب ١ : ٣٥٦ - ٣٥٧ .

فما شأن حروف الحلق بهذه الكسرة؟

ذكر الدكتور أنيس أنه (لا معنى لما يشترط بعض اللغويين من أن الحرف الثاني في مثل هذه الكلمات يجب أن يكون من حروف الحلق) ^(١٠٢) وعلل اشتراطهم ذلك كما تصوره بقوله: (ويظهر أن الراوي قد سمع من تقييم كلمات تصادف أن كانت مشتملة على حروف الحلق، ولن يست هذه الظاهرة التمييمية إلا انسجاماً بين الحركات يشبه ما نسمعه الآن في بعض اللهجات الحديثة من نطق: كبير بعيد، نظيف، بكسر أو لها).

والذى أراه أن اشتراط الحرف الحلقى لم يكن لأن الراوى قد سمع من تقييم كلمات اتفق أن جاءت بحرف الحلق. فهذا أمر لا تقره الرواية مع كثرة الكلمات الواردة عنهم في هذا، ولم يقل أحد إنها جمِيعاً جاءت عن راو واحد، ولا يعقل أن يسمع الرواية كل تلك الكلمات ثم لا يسمعوا كلمة واحدة من غير حرف الحلق. إنه لا بد أن يكون لهذا الحرف موضع في تعليل الكسر الوارد عنهم في هذا الباب، والذي عندي فيه أن يقال: إن ابن جني تناول ما يتصل بهذا من تحريك حرف الحلق الساكن بالفتح في قراءة جَهْرَة وَزَهْرَة بالفتح ^(١٠٣)، وتحريك الساكن قبله بالفتح أيضاً في قراءة فَرَحْ مما سنعرض له في موضعه ثم قال: (إن حرف الحلق يؤثر هنا من الفتح أثراً معتمداً... ويكون فتح الحاء من القرح لها ما قبلها كفتاحها لها عين الفعل المضارع نحو يسْنَح ويسْفَح ويسْمَح، ويؤنس بذلك أن هذه الحروف حلقة فصارعت بذلك الألف التي لا يكون ما قبلها إلا مفتوحاً) ^(١٠٤)، وفي موضع آخر قال وهو يعلل ما جاء من فعل بفتح العين في الماضي والمضارع بأنهم (صارعوا بفتحة العين في المضارع جنس حرف الحلق لما كان موضعاً منه خرج الألف التي منها الفتحة) ^(١٠٥).

فحرف الحلق إذاً، إذا كان ساكناً جاز تحريكه بالفتح عند بعض العرب لأنه من موضع منه الألف، والفتحة بعض الألف، وإذا كان الحرف الذي قبله ساكناً جاز فتحه أيضاً عند بعض العرب لكونه من خرج الألف التي يفتح لها ما قبلها، فالامر إذن مرتب بالألف عنده كما هو واضح من تعليله سواء في فتح الساكن قبل حرف الحلق أم في فتح حرف الحلق الساكن، فكان كل حروف الحلق عند هؤلاء لها أثر الألف، مما يستدعي أن يسبقها بعض الألف وهو الفتح، ومعنى ذلك أن ما قبل حرف الحلق يكون منسجهاً في حركته مع حرف الحلق، ويبدو أن هذا الانسجام لم يقف في لهجة هؤلاء عند الفتح وإنما

(١٠٤) نفسه ١ : ١٦٦ - ١٦٧.

(١٠٥) الخصائص ٢ : ١٤٣.

(١٠٢) في اللهجات ص ٩٨.

(١٠٣) المختب ١ : ٨٤.

تعدها إلى الكسر، فحين انكسر حرف الحلق في مثل شعير وبغير وفخذ وضمحك مال حرف الحلق إلى الياء أو بعض الياء، فلم يعد له ذلك القرب من الألف باتفاقه الذي استدعي بعض الألف قبله أو بسكنه الذي استدعي بعض الألف كونه من مخرجها من غير حركة معارضة، فمالوا مع الصوت الجديد بأن منحوه بعض الياء وهي الكسرة ليتم التاسب الصوتي بين الفتح والفتح، والكسر والكسر، وهؤلاء لم يطرد عندهم الفتح مع غير حروف الحلق، أو يفتح عندهم الساكن قبل غير حروف الحلق، حتى يقال لا شأن لحرف الحلق بهذا، فإذا قد ثبت هذا عنهم هكذا كان القول بأنهم ناسبو بالفتح مع حرف الحلق إذا كان ساكناً أو مفتوحاً، وبالكسر معه إذا كان مكسوراً، فهو إذن انسجام صوتي جر إليه حرف الحلق.

ولا يبعد عندي أن يكون شيوخ هذا الصوت بهذا الانسجام فعال هو الذي أدى إلى أن جعلته بعض اللهجات الحديثة قياساً ف قالوا في جَرِيب مثلاً جَرِيب، وقد نص ابن جني كما مرّ على أنك لا تكسر في هذه الكلمة مما يدل على أنها لم تكن تكسر في زمانه وإنما هو شيء حدث بعد ذلك، ونحن نقول في قَرِيبِ كَرِيب وفي بعيد بعيد وفي كبير كبير وغير ذلك كذلك من غير تفريق بين ما كان فيه حرف حلقي وما كان خالياً منه، ومرد ذلك كما ذكرت إلى الميل إلى الانسجام في الأصوات وكانت قد أنسنا بالصيغة الجديدة فعال فجرينا عليها بالقياس الخاطيء وإن خلت من حرف الحلق.

كسر أحرف المضارعة :

نسب ابن جني كسر أحرف المضارعة إلى تميم وهو يوجه قراءة فِتْسَكْمُ النَّارِ بـ كسر الناء : (فِتْسَكْمُ النَّارِ، قال أبو الفتح : هذه لغة تميم أن تكسر أول مضارع ما ثانٌ ماضيه مكسور نحو علمت تعلم وأنا أعلم وهي تعلم ونحن نركب، وتقل الكسرة في الياء نحو يعلم ويركب استثنائاً للكسرة في الياء، وكذلك ما في أول ماضيه همزة وصل مكسورة نحو تُنطَلَقُ، ويوم تُسْوَدُ وجوه وتبَيَّضُ وجوه، وكذلك فِتْسَكْمُ النَّارِ) ^(١٠٦).

وقد كان سيبويه رحمة الله تناول هذا الموضوع بتفصيل دونه كلام ابن جني المأثور لعل مرد ذلك إلى أن ابن جني لم يكن بسبيل الكلام على هذا الموضوع مفصلاً وإنما هو دعم لقراءة شاذة وردت بالكسر حتى لا يظن ظان إنها جاءت على خلاف لغة العرب فأوجز الحديث بخلاف سيبويه الذي كان يتكلّم على موضوع كسر أحرف المضارعة في باب وسمه

(١٠٦) المحتسب ٣٢٠ : ١

باب ما تكسر فيه أوائل الأفعال المضارعة للأسماء. وكلام ابن جني على اختصاره قد حوى خلاصة لمعظم ما ذكره سيبويه وإن قصر عنه في بعضه كما اسلفت، فقد نسب الكسر لتميم والذي عند سيبويه أن (ذلك في لغة جميع العرب إلا أهل الحجاز)^(١٠٧)، ولا شك في أن ما يرويه سيبويه عن العرب آثر ما يقوله ابن جني، ولعله اجتنأ بذلك تميم لشهرتها اختصاراً. وهولم يعلل كسر الحرف في مضارع ما ثانٍ ماضيه مكسور، وعلله سيبويه بأنهم (إنما) كسروا هذه الأوائل لأنهم أرادوا أن تكون أوائلها كثوابي فعل كما الزموا الفتح ما كان ثانية مفتوحاً في فعل... وإنما منهم أن يكسروا الثاني كما كسروا في فعل أنه لا يتحرك فجعل ذلك في الأول... وما فعل فإنه لا يضم منه ما كسر في فعل لأن الضم أتقل عندهم فكريهوا الضمتيين.^(١٠٨)، وأما قوله وتقل الكسرة في الياء فإن سيبويه لم يصفه بالقلة كما فعل وإنما قال: (وَجْعَيْ هَذَا إِذَا قَلْتَ فِيهِ يَفْعُلْ فَادْخَلْتَ الْيَاءَ فَتَحْتَ وَذَلِكَ أَنْهُمْ كَرْهُوا الْكَسْرَةَ فِي الْيَاءِ^(١٠٩)، ثم قال: (.. وَبِنَوْتِمِ لَا يَكْسِرُونَهُ فِي الْيَاءِ إِذَا قَالُوا يَفْعُلْ)^(١١٠)، مما قد يفهم منه أن غير بني تميم يكسرونه في الياء، فمن الذين يكسرون الياء؟ أيمكن أن يقال بناء على ظاهر عبارة سيبويه أنهم جميع العرب غير تميم، وإذا جاز هذا فما معنى قولهم ثلاثة بهراء ووصفهم اياها بأنها من مستحب اللهجات.

الذى أراه في هذا أنه يمكن أن يقال إن سيبويه سمع فتح الياء من تميم ولم يسمعها من غيرهم من يكسر الحروف فخصصهم بالفتح. كما يمكن أن يقال أيضاً إنه ذكر تميم اجتناء بهم عن الآخرين كما وجئنا عبارة ابن جني السابقة. ويضعف الاحتمال الأول أمران: الأول أنه ذكر الفتح مع الياء مطلقاً وإن اورده بصيغة التعليم (إذا قلت فيه يفعل فادخلت الياء فتحت) فذلك معروف في طرقهم في وصف اللغة يقوى ذلك تعليله بكراهة الكسرة في الياء عندهم أي عند العرب.

الثاني: ما جاء عن العلماء من نسبة الكسر في غير الياء لغير الحجازيين عامه فالباء إذن خارجة من الكسر، ففي شرح لامية الأفعال لابن الناظم (يكسر عند غير الحجازيين ما ليس باءً مما كان ماضية على فعل، أو أوله همزة وصل أو تاءً مزيدة...)^(١١١)، وفي شرح الشافية: (واعلم أن جميع العرب إلا أهل الحجاز يجوزون كسر حرف المضارعة سوى الياء

(١٠٧) الكتاب ٢: ٢٥٦.

(١٠٨) الكتاب ٢: ٢٥٦ - ٢٥٧.

(١٠٩) نفسه ٢: ٢٥٦.

(١١٠) نفسه ٢: ٢٥٧.

(١١١) شرح لامية الأفعال لابن الناظم نشرة مجلة كلية الدراسات الإسلامية العدد ٤ صفحة ٢٤١.

من الثلاثي المبني للفاعل إذا كان الماضي على فعل بكسر العين).^(١١٢)

فإذا كانت الياء مستثنية من الكسر عند جميع العرب، وبهاء وهي قبيلة من قضاياها كما ذكر سيبويه^(١١٣)، داخلة تحت الكلمة جميع العرب، فما معنى أن توصف هجتها بالتعجب، أو بأن لهجة فريش قد ارتفعت في فصاحتها عن تللة بهراء؟.

يقول الدكتور إبراهيم أنيس: (وبيدو من كلام اللغويين أن جميع العرب يلتزمون الفتح حين يكون حرف المضارعة ياء فيها عدا بهراء التي عرفت هجتها بكسر هذا الحرف مع الياء أيضاً وقد سميت هذه الظاهرة بتللة بهراء).^(١١٤)، ولم يرشد إلى الموضع الذي استقى منه هذا التفسير للتللة، والذي وجدته في كلام اللغويين القدماء والدارسين المحدثين ليس فيه أن التللة كسر الياء بل هم يفسرونها بكسر أولى الحروف.^(١١٥)، وقال السيوطي: (وقال ثعلب في إماميه ارتفعت فريش في الفصاحة عن عنعنة تميم وتللة بهراء... . وفسر تللة بهراء بكسر أولى الأفعال المضارعة).^(١١٦)، وقال يوهان فلك: (وتللة أي كسر حرف المضارعة).^(١١٧)، وقال الدكتور الراجحي: (ويذكر القدماء أن كسر حرف المضارعة هو ما يعرف بتللة وينسبونها إلى بهراء).^(١١٨) فإذا كانت التللة كسر أول حرف المضارعة فهي عامة عند غير الحجازيين ولا معنى لأن تضاف إلى بهراء وتحصر بها، وعلى هذا كان لا بد لها من أحد أمرين: اما التسليم بما ذكره الدكتور أنيس من أن المراد بها كسر الياء ويكون خاصاً ببهراء، وإما أن نبحث عن معنى آخر لها. فاختارنا الطريق الثاني لامرين: الأول ان الأسلوب الحديث في الدرس يستدعي الإشارة إلى المصدر الذي يستقى منه إذا كان الرأي لغير الكاتب وحين يقال إن ظاهرة كسر الياء سميت التللة فإنه لا بد من ذكر المصدر ليرجع إليه عند اصطدام النصوص، ولما لم نجد له يكن بوسعنا الركون إليه. الثاني: انه إذا كان رأياً رأه في معنى هذه الظاهرة فقد كان ينبغي أن يدلل له، وإذا لم يفعل كان على الذي يأخذ به أن يدلله، ولم أجده الدليل، ولهذا أخذت أنظر في النصوص التي بين يدي بحثاً عن معنى التللة فوجدت المخلص في ما ذكره ابن جنی حيث مثل لها بقوله: تعلمون وتتعلمون وتصنعون، وقد أجمع العلماء كما قدمت على أن الكسر في لهجة غير الحجازيين في الثلاثي إما هو في الباب الرابع وعلمه سيبويه بأنهم أرادوا أن تكون أولئك كثوابي فعل كما تقدم، ولم

(١١٢) شرح الشافية ١:١٤١.

(١١٣) الكتاب ٢:٦٩.

(١١٤) المزهر ١:٢١١.

(١١٧) العربية ص ٨.

(١١٨) اللهجات العربية في القراءات ص ١١٥.

(١١٤) في النهجات ص ١٣٩.

(١١٥) الخصائص ٢:١١، سر الصناعة ١:٢٣٥.

يدرك أحد منهم جواز الكسر في غير فعل من الثلاثي، قال سيبويه: (ولا يكسر في هذا الباب شيء كان ثانية مفتوحاً نحو ضرب وذهب واشباهها) ^(١١٩). فلما كسرت بهراء في فعل وفي فعل كان ذلك قبيحاً وهو الذي انفرد به، فتعلمون مكسور العين في الماضي وهو على ما جاءت عليه لهجة غير الحجازيين، أما تجعلون وتصنعون فإن ماضيهما مفتوح، وكسره لا علة له سوى حلهم غير المكسور على المكسور وبهذا فارقوا ما عليه لهجة الذين يكسرون والذين لا يكسرون في حروف المضارعة فوصفت لهجتهم لذلك بالقبع ولا يمتنع بعد هذا أن يكونوا قد كسروا الياء أيضاً وإن هجتهم هي المراد بقول ابن جني: (وتفعل الكسرة في الياء نحو يعلم ويركب استثنالاً للكسرة في الياء) ولذا عبر عنها بالقلة، وإنهم إنما فعلوا ذلك لنوع من الانسجام الصوتي حيث تكسر حروف المضارعة أي كانت وحيث وردت كما نفعل اليوم في هجتنا المحلية فنقول نسمع ويسمع ونكتب ويكتب كل ذلك بالكسر، إلا أن غير الممتنع هذا لا دليل عليه يقطع به وهو غير القول بأن معنى الثالثة كسر الياء.

الاختلاف في الحركة والسكنون:

الحرف إذا تحرك أدى إلى مقطوع مفتوح فإذا سكن قفل المقطوع ولذلك كان الغالب في الوقف عندهم السكون لأنه يؤدي إلى مقطوع مفقط، وبذلك يختصر المتكلم في الجهد الذي يبذله جهازه الصوتي، وهكذا الأمر في حشو الكلمة، وقد عبر ابن جني عن التحرير والإسكان بكلماتي التشكيل والتحفيف ^(١٢٠)، وهو ما يتفق تماماً مع الدراسة الحديثة للمقاطع المفتوحة والمقلدة، والمقطوع المقلد الذي يؤدي إلى اختصار الجهد يؤدي في الوقت نفسه إلى اختصار الزمن في نطق الكلمة، ولذلك كان إسكان المتحرك متفقاً مع طبيعة البداوة التي تميل إلى السرعة في النطق، وقد تكلم ابن جني على إسكان المتحرك في جملة مواضع، منها:

اسكان المفتوح:

وقد نص على أن هذا الإسكان إنما جاء للضرورة وهو شاذ وعمل ذلك بأن المفتوح خفيف فلا يحتاج إلى تخفيفه كما تخفف المكسور والمصموم (ألا ترى أن من قال فخذ ورجل وهو يريده فخذنا ورجل لم يقل في جمل جمل لخفة الفتحة، إلا أنهم قد انشدوا للاختلط: وما كل مبتاع ولو سلف صفةٌ براجع ما قد فاته بيرداد قالوا: أراد سلف ولكنه أضطر فخفف المفتوح، وهذا عندهم من الشاذ، فهذا ما قال أصحابنا فيه ويحمل عندي وجهاً آخر وهو أن يكون مخففاً من فعل مكسور العين،

^(١١٩) الكتاب ٢٥٦: ٢

^(١٢٠) المحتسب ١٠٩: ١

ولكنه فعل غير مستعمل إلا أنه في تقدير الإستعمال وإن لم ينطق به.)^(١٢١). ولو اكتفى بالوجه الذي قاله أصحابه، وضرب صفحًا عن الوجه الآخر لكان أجرد، إذ لا معنى لأن يدع الفعل المذكور المستعمل بالفتح ويزعم أنهم خففوا فعلاً مكسور العين لم يرد في لسانهم، ولا ورد له مضارع يدل عليه كما الرم نفسه بذلك حين قال: (إِنْ قَلْتُ . . . لَوْ كَانَ مَرَادًا عَنْهُمْ لَقَالُوا فِي مَضَارِعِهِ يَسْلُفُ . . . فَالْجُوابُ أَنَّهُمْ لَمْ يُنْطِقُوا بِالْمَكْسُورِ عَلَى وَجْهٍ وَاسْتَغْنُوا عَنْهُ بِالْمَفْتُوحِ صَارَ عَنْهُمْ كَالْمَرْفُوضِ الَّذِي لَا أَصْلُ لَهُ وَاجْتَمَعُوا عَلَى مَضَارِعِ الْمَفْتُوحِ).^(١٢٢) وهو تكلف اظهر من أن يتبه عليه ولكن سيف نبوة. وذكر في موضع آخر هذا البيت من غير أن يؤوله وجاء معه بشاهد للعجب فيما لم يكن ثالثياً، إلا أنه عبر عن ذلك بما يفهم منه القلة، قال: (وَقَدْ سَمِعْ شَيْءٌ مِّنْ هَذَا الْإِسْكَانِ مَعَ الْمَفْتُوحِ)، قال الشاعر:

وَمَا كُلَّ مَبْتَاعٍ وَلَوْ سَلْفُ صَفْقَهِ بِرَاجِعِ مَا قَدْ فَاتَهُ بِرَدَادِ

وقد جاء هذا فيما كان على أكثر من ثلاثة أحرف، قال العجاج:

فَبَاتْ مُتَضَبِّنًا وَمَا تَكْرُدُسًا)^(١٢٣)

وقال في موضع آخر: (. . . وَعَلَى ذَلِكَ قَالَ الرَّاعِي :

تَأْبِي قَضَاعَةً أَنْ تَعْرُفَ لَكُمْ نِسَابًا وَابْنًا نِزَارًا فَانْتَمْ يَبْيَضُّهُ الْبَلْدِ
فَإِنْ أَسْكَنَ الْمَفْتُوحَ . . . وَقَدْ كَثُرَ إِسْكَانُ الْيَاءِ فِي مَوْضِعِ النَّصْبِ كَقُولِهِ :

يَا دَارَ هَنِدِ عَفْتُ إِلَّا أَثَافِيهَا

وهو كثير جداً، وشبهت الواو في ذلك بالياء، كما شبهت الياء بالألف، قال

الأخطل:

إِذَا شَئْتَ أَنْ تَلْهُوْ بِعَضَ حَدِيثِهَا نَزَلْنَ وَأَنْزَلْنَ الْقَطِينَ الْمَوْلَدَا)^(١٢٤)

وعلى هذا فينبغي أن يقال إن بعض العرب قد خفف باسكن الحرف المفتوح، وهم وإن نصوا على أن الفتحة أخف الحركات إلا أن السكون أخف منها من غير شك، ويقوى القول باسكن المفتوح ما ورد في قراءة قوله تعالى: في قلوبهم مَرَضٌ حَيْثُ قَرَىءَ (مَرَضٌ سَاكِنَةٌ)، قال أبو الفتح: لا يجوز أن يكون مَرَضٌ مختلفاً من مَرَضٌ لأن المفتوح لا يخفف وإنما ذلك في المكسور والمضموم.. وما جاء عنهم من ذلك في المفتوح فشاذ لا يقاس عليه نحو قوله: وما كل مبتاع... وهذا ونحوه قد جاء في الضرورة، والقرآن يُتَخَيِّرُ له ولا يُتَخَيِّرُ

.٣٣٨: (١٢٣) الخصائص.

.٢١: (١٢١) المنصف.

.٣٤٢ - ٣٤١: (١٢٤) نفسه.

.٢٢: (١٢٢) المنصف.

عليه، وينبغي أن يكون مرض هذا الساكن لغة في مرض المتحرك كالخلب والخلب والطرد والطرد..^(١٣٥)، وهذا الذي ذكره حجة عليه لا له، فقد أثبت أن العوب قد نطقت بكلمات اختلقو فيها بين الفتح والسكون وجعلها لهجات وليس تخفيفاً، وهو تفريق لا نراه لأن التخفيف هو تعليل للهجة التي اسكنت المتحرك هننا وقد نص في موضع آخر على أن التخفيف هو لهجة قال: (اما نُشَرَا فَتَخْفِيْفُ نُشَرَا..) والتشقيل أفصح لأنه لغة الحجاز والتخفيف في نحو ذلك لتميم.^(١٣٦)

ويقوى القول بإسكان المفتح أيضاً قوله: (يقال لم فعلت كذا وكذا، ولم فعلته، ولما فعلته، وافصحها لم)، قال الله تعالى: لم تقولون ما لا تفعلون، قال الراجز:

يَا فَقْعَسِيْ لِمْ نَأِيْشَهُ لِمَهْ
لَوْ حَافِظَ اللَّهُ عَلَيْهِ حَرْمَهْ

ويرى لم قتله، فجاء باللغتين.^(١٣٧).

وإسكان الميم من لم قد أدى إلى اختصار مقطع مفتوح بأن حول المقطعين المفتوحين إلى مقطع مغلق واحد، وقد كانت الميم مفتوحة فهو من إسكان المفتح. ويقوى ذلك أيضاً كلامه على إسكان الياء من هي إذ قال: (وذلك أن الذي قال أذه من هوراك هو الذي يقول في الوصول هي قامت فيسكن الياء وهي لغة معروفة...) وإنما كان قوله أذه على لغة من أسكن الياء لا على لغة من حركها..^(١٣٨). والقول في إسكان الياء من هي في الاختصار كالقول في إسكان الميم من لم. من كل ما تقدم ننتهي إلى القول بأن بعض العرب قد أسكن المتحرك إذا كان مفتوحاً وإن كان ذلك قليلاً.

إسكان المتحرك الثاني من الثلاثي:

نص ابن جني على أن (المشهور عن الحجازيين تحريك الثاني من الثلاثي إذا كان مضموماً أو مكسوراً نحو الرُّسْلُ والطُّنْبُ والكُبْدُ والفُخْذُ، و نحو ظُرْفُ وعِلْمٍ وقِدْمٍ، وأما بـنـوـتـمـيـمـ فـيـسـكـنـونـ الثـانـيـ فـيـ هـذـاـ وـنـحـوـهـ فـيـقـولـونـ: رـسـلـ وـكـتبـ، وـكـبـدـ وـفـخـذـ، وـقـدـ ظـرـفـ وـقـدـ عـلـمـ).^(١٣٩).

وظاهر من تمثيله أن التحرير عند الحجازيين والإسكان عند التميميين في المضموم والمكسور كما ذكر قد كان في الأسماء والأفعال على حد سواء، وقد ذكر

.٨٩: (١٢٨) الخصائص.

.٥٤: (١٢٥) المحاسب.

.٢٦١: (١٢٩) المحاسب.

.٢٥٥: (١٢٦) نفسه.

.٣٢٩: (١٢٧) الفسر.

الإسكان ونسبة إلى تميم في أكثر من موضع ، ووردت به أكثر من قراءة ، فمن ذلك قراءة وأنت حرم بإسكان الراء حيث قال: (هذه اللغة تميمية يقولون في رسول رسل)^(١٣٠) ، وقراءة نُشراً ، وقد مر الاستشهاد بها . ومن ذلك قوله: (فاما الحُجُك فمحفف من الحُجُك وهي لغةبني تميم كرسُل وعَمْد في رسُل وعَمْد)^(١٣١) .

هذا هو المشهور من أمر اللهجتين أن يحرك الحجازي ويسكن التميمي ، إلا أنه ذكر موضعًا وصفه بالطرافة ، حيث عكست اللهجتان فسكن الحجازي وحرك التميمي وذلك في قراءة: (اثنتا عشرة) حيث قال: (اما عشرة بكسر الشين فتميمية ، وأما اسكتانها فحجازية ، واعلم أن هذا موضع طريف وذلك أن المشهور عن الحجازيين تحريك الثاني .. وأما بنو تميم فيسكنون الثاني .. لكن القبيلتين جمِيعاً فارقنا في هذا الموضع من العدد معتاد لغتهما . وأخذت كل واحدة منهمما لغة صاحبها وتركت مألف اللغة السائرة عليها).^(١٣٢) ، إنه حقاً موضع طريف به حاجة إلى تأمل وتعليل ، لماذا حدث هذه المفارقة؟ وهل فارقا في غير المركب أيضًا؟ .

الذى وجده فى كلامه أنهم لم يفارقوا فى المفرد وإن كان النص ليس صريحاً كما كنا نود أن يكون كأن يقول مثلاً وأقام الحجازي على التحرير فى عشرة ، والتميمي على الإسكان ، إلا أنها لا تستطيع أن نكتفى بما ذكره لنقرر أن المفرد عنده محرك فى لهجة الحجازيين ساكن عند التميميين ، وذلك قوله: (وذلك ان لغة أهل الحجاز في غير العدد نظير عشرة عشرة ، وأهل الحجاز يكسرون الثاني وبنو تميم يسكنونه .. فلما ركب الإسمان استحال الوضع فقال بنو تميم إحدى عشرة وثنتا عشرة إلى تسع عشرة بكسر الشين ، وقال أهل الحجاز عشرة بسكنونها).^(١٣٣) .

فقد استحال الوضع إذن عندما ركب الإسمان ومعنى ذلك انه قبل التركيب كان على حاله المشهور ، والمشهور كما ذكر الكسر عند الحجازيين والسكنون عند التميميين ، وهذا يقضى بأن يكون الحجازي قد قال في المفرد عشرة بكسر الشين ، وهذا ما لم أجده أحداً نسبه لحجازي . وفي القرآن الكريم: (تلك عشرة كاملة) (البقرة: ١٩٦) بفتح الشين ولم يذكر عنها شيئاً في موضعها في المحتسب أو في غيره مما رجعت إليه^(١٣٤) ، مما يدل على أنها هي اللهجة المشهورة فأين الكسر إذن؟ وفي اللسان:

. (١٣٠) نسخة ١: ٢٠٥.

. (١٣١) المحتسب: ٢: ٢٨٧.

. (١٣٢) نسخة ١: ٢٦٢ - ٢٦١.

. (١٣٣) نسخة ١: ٨٥.

. (١٣٤) انظر مثلاً المحتسب: ١: ١١٩ ، الحجة: ١: ٧١ ، املاء: ١: ٨٦.

(العشر عدد المؤنث والعشرة عدد المذكر). . . ثلاثة عشر إلى تسعه عشر وفتحت الشين. . فإذا صرت إلى المؤنث الحقن الهاء في العجز وحذفتها من الصدر واسكتت الشين من عشرة وإن شئت كسرتها). (١٣٥).

هل يمكن أن نعتذر له بأنه عندما قال (فلما ركب الإسمان إستحال الوضع) لم يكن يعني إستحال وضع اللفظ قبل التركيب وهي عشرة وإنما كان يعني استحال وضع التحرير والإسكان عندهم بصرف النظر عن نوعية الحركة فحرك هذا ما كان يسكن وسكن ذاك ما كان يحرك، ونستعين على هذا التوجيه بأنه لم يذكر العدد المفرد وإنما احتاط لذلك بأن قال (إن لغة أهل الحجاز في غير العدد نظير عشرة عشرة) فلو كان يريد الحركة في عشرة وعشرة لما قال: في غير العدد، ليبعد الكسر عن لفظ عشرة وكذلك بما ذكره في قراءة: ويقولون خمسة سادسهم كلهم، يفتح الميم من خمسة، ان ابن كثير (لم يحرك ميم خمسة إلا عن سماع وينبغي أن يكون اتبعت عشرة). (١٣٦).

إذاً كان هذا مراده فلم لم يذكر الحركة فيها هناء؟ يمكن أن يقال إنه فر من ذلك لأن الحركة لم تكن كسرة بل فتحة فإذا ذكرها كان عليه أن يعلل الفتح والسكون كما فعل في مثل مرض ومرض وكيف انتقل ذلك إلى الكسر في المركب نحو اثنتا عشرة وهو مشكل على اقيسته التي ذكرها فتجافي عن ايراد ذلك لأن المقام لم يكن مناسباً للتفصيل إذ هو في تفسير القراءات الشاذة فيخرجه هذا لو أراد الخوض فيه عن غايته؟ قد يكون هذا وقد يكون غيره ولا نستطيع القطع بشيء إذ لا دليل.

أما تعليله تحول الحجازي من الحركة إلى السكون والعكس عند التمييم فهو أن الفاظ العدد قد كثر فيها الانحرافات والتخلطات ونقتضت في كثير منها العادات. (١٣٧)، ومثل لذلك بكسر الأول من عشرين وهم قد فتحوا في عشر، وجمعهم في الفاظ العقود (بين لفظتين ضدين أحدهما يختص بالذكر والأخر بالتأنيث، أما المختص بالذكر فالواو والنون وأما المختص بالتأنيث فهو قولهم ثلاث وأربع وتسع في صدر ثلاثون وأربعون وتسعون، وكل واحد من ثلاث وأربع وخمس وست إلى تسعة هكذا بغير هاء مختص بالتأنيث) إلى غير ذلك، ومنه هذا، فهو إذن مما يتنااسب مع ما عرف عن الفاظ العدد من الانحراف والتخلط معها ونقض العادات. وهو تعليل غير مقبول عندي، جره إليه فيما أرى خطأ في التصور حيث قرن بين لفظة عشرة، وبين الثلاثي من غيرها في

. (١٣٥) اللسان ٢٤٤:٦ (مادة عشر).

. (١٣٦) المحتب ٢:٢٧.

. (١٣٧) المحتب ١:٨٥.

اللهجتين وما كان ينبغي له أن يقرن بيتهما وينظر إليهما نظرة واحدة مما جعله يضرب صفحأً عن صورة العدد في حالة الأفراد عشرة بفتح الشين إذ هو لم يرد بكسرها حتى يجعله من هذا الباب باب كبد وفخذ وكبد وفخذ.

والذى عندي في هذا أن يقال: إنه اسم للعدد المعروف جاء بهذا اللفظ مفتوح الشين في المفرد عند العرب جميعاً حجازيهم وتميمتهم كما اجمعوا على كلمة بقرا مثلاً، فلما ركب العدد مال الحجازي إلى إسكانه لكثره استعماله، وحاجته إلى العدد في أمور الحضارية، تخفيفاً، ولم يسكن في حال الأفراد على كثره استعماله لأنهم جعلوا السكون لعدد المؤنث، وأما التميي فكانه لما ركب العدد مال إلى المخالفه به عن المفرد فتحول عن الفتحة إلى الكسرة، ولم يسكن لأنه للمفرد المؤنث، ولم يضم لثلا يبالغ في ثقل الحركة إذ الضمة اثقل من الكسرة كما قرروا^(١٣٨) ، والعدد كثير الاستعمال يختار له الحركة الخفيفة.

اسكان حركة الاعراب:

نقل عن ابن مجاهد في قوله تعالى: (وَيَعْلَمُهُمُ الْكِتَاب) (البقرة: ١٢٩) قوله سبحانه: (اولئك يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ) (البقرة: ١٥٩) أن أبا عمرو سئل عنهما (فقال: أهل الحجاز يقولون يَعْلَمُهُمْ، و: يَلْعَنُهُمْ، و: يَتَعْلِمُهُمْ، و: يَلْعَنُهُمْ.)^(١٣٩).

وقد بين ابن جني أنه لا سؤال عن لهجة التثليل لأنها استوفت الاعراب الواجب، ولكن السؤال عن لهجة التخفيف، وأجاب عن ذلك بأن (علته تواли الحركات مع الضمات فيثقل ذلك عليهم فيخفون باسكان حركة الاعراب).^(١٤٠)

وجاء على ذلك بشواهد أخرى منها (قراءة أبي عمرو: فتوبيا إلى بارئكم، فيمن رواه بسكون الهمزة. وحكي أبو زيد: بلى ورسُلًا لدِيهِم يكتوبون، بسكون اللام، وانشدنا أبو علي لجرير:

سِيرُوا بْنِ الْعَمِ فَالاْهُوازْ مِنْزِلُكُمْ وَنَهْرُ تِيزِي فَلَا تَعْرُفُكُمُ الْعَرَبُ
بِرِيدْ تَعْرُفُكُمْ، وَمِنْ آيَاتِ الْكِتَابِ
فَالْبِلَوْمَ أَشْرَبْ غَيْرَ مُسْتَحِقِبْ إِنَّمَا مِنَ اللَّهِ لَا وَاغْلِبْ
أَيْ أَشْرَبْ... قَوْلُ الشَّاعِرِ:
وَقَدْ بَدَا هَنْكِ مِنَ الْمِئَزِرِ.

(١٣٨) سر الصناعة ٢١: ١

(١٣٩) المحتب ١: ١٠٩

قول لبيد:

ترَاك امكناة إذا لم أرضها أو يرتبط بعض التفوس حمامها

.. معناه إلا أن يرتبط فاسكن المفتوح لإقامة الوزن واتصال الحركات .. وهو كثير في الشعر فكذلك قولبني تميم يعلمهم ويلعنهم على ما ذكرنا. (١٤٠).

وقد تناول ابن جني هذا في أكثر من موضع من الخصائص (١٤١)، وزاد في شواهد الإسكان في المغرب، ويلاحظ على ما أورد هناك أمران:

الأول: انه حمل نسبة الإسكان في قراءة أبي عمرو: فنوبوا إلى بارئكم ، على أنه وهم من السامع ، وان أبيا عمرو لم يسكن وإنما احتلساً الحركة اختلاساً ، وذلك بناء على رواية سيبويه للاختلاس : (وكذلك قوله عزوجل: فنوبوا إلى بارئكم ، مختلساً غير ممكن كسر الهمزة ، حتى دعا ذلك من لطف عليه تحصيل اللفظ إلى أن ادعى أن أبيا عمرو كان يسكن الهمزة ، والذي رواه صاحب الكتاب اختلاس هذه الحركة لا حذفها البة ، وهو اضبط لهذا الأمر من غيره من القراء الذين روه ساكناً). (١٤٢) ، ورد الإسكان أيضاً مع آية أخرى بقوله: (أما إن الله يأمركم ، وفنبوبوا إلى بارئكم ، فرواها القراء عن أبي عمرو بالاسكان ، ورواها سيبويه بالاختلاس ، وإن لم يكن كان أذكي فقد كان أذكي ، ولا كان بحمد الله مُنَّا بربية ولا مغموراً في رواية). (١٤٣) .

وهو في المحتسب يثبتها قراءة لأبي عمرو، برواية من رواها بالسكون ، وكأنه قد رجع عما قاله في الخصائص وهو الحق لأنه لا يبعد أن يكون الرجل قدقرأ ساكناً ومختلساً، فحفظ عنه هذا قوم ، وذلك آخره وابن سيبويه القراءة بالاختلاس لا يرد رواية غيره بالاسكان ، وإن كان سيبويه ليس ممنا بربية فلعمري ان القراء كذلك. يقوى ذلك ان ابن جني نسب الإسكان إلى أبي عمرو في قراءة الآية التي وردت بالكاف (يأمركم) ونفي الإسكان عنه في قراءة ثلاثة لأن الهاء جاءت مكان الكاف قال: (قراءة أبي عمرو: يأمركم ... ولم يسكن أبو عمرو يأمرهم كما أسكن يأمركم وذلك لخفاء الهاء وخفتها وليست الكاف في يأمركم بخفة ولا خفيفة خفة الهاء ولا خفاءها). (١٤٤) . والقراءة التي تكلم عليها في الخصائص وهي بارئكم كانت بالكاف أيضاً.

(١٤٠) المحتسب ١١١ - ١٠٩.

(١٤١) الخصائص ٧٢:١ - ٧٧:٢ ، ٣١٧:٢ ، ٣٣٩ - ٣٤٢ ، ٩٥:٣ - ٩٦.

(١٤٢) نفسه ٧٧:١

(١٤٣) الخصائص ٣٤٠:٢

(١٤٤) المحتسب ٢٥٧:١

الثاني : انه أكد حذف الحركة للتخفيف ، إلا أنه حمله على إسكان نحو عَصْدٍ وعلم ، بأخذ الحرف المسكن وما قبله وما بعده قبل إسكانه ، وإن مكان ما بعده منفصلأ عنه ، وجعله من اجراء المنفصل مجرى المتصل ، قال : (وعليه قراءة بعضهم : إنه من يَتَّقُّ ويسْبِرُ فِيَنَ اللَّهُ ، وذلك أن قوله : (تق و) بوزن عَلِيم ، فاسْكُن كَمَا يقال : عَلِيم ، وانشدو :)

ومن يَتَّقُّ فِيَنَ اللَّهُ مَعْهُ وَرَزْقُ اللَّهِ مَؤْتَابٌ وَغَادِ

لأن (تق ف) بوزن عَلِيم ، وأنشد أبو زيد :

قالت سليمي أَشْتَرْ لَنَا سَوِيقَا

لأن (ترل) كعَلِيم . . .)^(١٤٥) وفي موضع آخر قال : (ومن اجراء المنفصل مجرى المتصل قوله :

وقد بـداهـنـكـ منـ المـئـزـ

فـشـبـهـ هـنـكـ بـعـضـ فـاسـكـنـ كـمـ يـسـكـنـ نـحـوـ ذـلـكـ وـمـنـهـ :

فـالـيـوـمـ اـشـرـبـ غـيرـ مـسـتـحـقـبـ

كـاـنـهـ شـبـهـ (رـبـ غـ، بـعـضـ)^(١٤٦) .

وهو كما ترى استدلال طريف يقوم على تتابع الأصوات مجردة . من غير نظر إلى كونها في كلمة واحدة أو في كلمتين ، ولكنه على ما فيه من طراقة لا يستقيم لصاحبه ولا ينقاد ، وكأنه أحـسـ بـهـذاـ فـلـمـ يـشـرـ إـلـىـ شـبـهـ عـدـدـ مـاـ سـكـنـ بـعـلـمـ أوـ بـعـضـ وإنـماـ اـكـتـفـيـ بـقـوـلـهـ : إنـهـ مـسـكـنـ ، أوـ حـاـوـلـ أـنـ يـجـدـ لـهـ تـأـوـيـلاـ إـعـرـاـبـاـ يـسـتـدـعـيـ إـسـكـانـهـ ، فـمـاـ اـكـتـفـيـ بـقـوـلـهـ لـهـ مـسـكـنـ قوله : (. . .) ولا تعرفكم العرب .)^(١٤٧) وصوته كـمـ هوـ وـاـضـعـ رـفـكـ ، فهوـ غـيرـ مـنـقادـ لماـ ذـكـرـ ، وـمـنـهـ (قـراءـةـ : بـلـ وـرـسـلـنـاـ لـدـيـهـمـ يـكـتـبـونـ ، وـعـلـىـ ذـلـكـ قـالـ الرـاعـيـ :

تـأـبـيـ قـضـاعـةـ أـنـ تـعـرـفـ لـكـمـ نـسـبـاـ وـابـنـاـ نـزارـ فـأـنـتـمـ بـيـضـةـ الـبـلـدـ

فـإـنـهـ أـسـكـنـ المـفـتوـحـ ، وـقـدـ رـوـيـ لـاـ تـعـرـفـ فـإـذـاـ كـانـ كـذـلـكـ فـهـوـ أـسـهـلـ لـاـسـتـقـالـ

الـضـمـةـ .)^(١٤٨)

وـواـضـعـ أـنـ : (سـلـدـ) ، وـ (رـفـلـ) لـيـسـ كـعـلـمـ أـوـ كـعـضـ .

.٣٤٠: ٢ (١٤٧) نـفـسـهـ

.٣٣٩: ٢ (١٤٥) الخـاصـصـ

.٣٤١: ٢ (١٤٨) نـفـسـهـ

.٩٥: ٣ (١٤٦) نـفـسـهـ

وأما ما حاول أن يجد له وجيهها من الإعراب فقوله: (ترَاكْ أَمْكَنَةٌ إِذَا لَمْ أُرْضِهَا أو يرتبط بعض النقوس حمامها

فقد قيل فيه إنه يريد أو يرتبط على معنى لالزمنه أو يعطيه حقّي، وقد يمكن عندي أن يكون يرتبط معطوفاً على أرضها، أي ما دمت حيا فإني لا أقيم. والأول أقوى معنى.

وأما قول أبي دجاد:

فأَبْلُونِي بِلَيْتَكُمْ لَعَلَى أَصَالِحُكُمْ وَأَسْتَدِرْجْ نَوَّيَا

فقد يمكن أن يكون أسكن المضموم تخفيفاً واضطراراً. ويمكن أيضاً أن يكون معطوفاً على موضع لعل لأنّه مجرّم جواب الأمر، كقولك: زرني فلن أضيعك حقك وأعطيك ألفاً، أي زرني أعرف حقك وأعطيك ألفاً).^(١٤٩)

وعلى هذا فلما لم يكن الشبيه بعلم وغضّه منقاداً مطراً كان الأولى أن يضرب عنه صحفاً، ويكتفي بأنّ الإسكان إنما كان للتخفيف في النثر وللحصورة في الشعر، لأنّ بها أشيء، وقد ذكر الضرورة في أكثر من موضع حيث قال في الإسكان الوارد في بيت جرير بعد أن علل الحذف بالتخفيف (فنظير حذف هذه الحروف للتخفيف حذف الحركات . . . أي ولا تعرفكم فأسكن مضطراً).^(١٥٠) وكذلك في كلامه على بيت أبي دجاد حيث قال: (فقد يمكن أن يكون أسكن المضموم تخفيفاً واضطراراً).^(١٤٩) والاضطرار لا موضع له في النثر فلم يبق إلا القول بالتخفيف.

ويمكن عندي أن يقال إن كل ما ورد من إسكان المتحرك بحركة الإعراب إنما كان من بدايات التوجه في اللهجات نحو طرح تلك الحركات، ذلك التوجه الذي أوقفه العلماء في العربية الفصحى ومضى في سبيله في اللهجات المحلية حتى انتهى إلى طرح حركات الإعراب فيها كما نراه اليوم.

ومن إسكان المتحرك بحركة الإعراب ما ورد من إسكان الياء والواو في حالة النصب (قوله):

يَا دَارَ هَنِدْ عَفْتُ الْأَشَافِيَّهَا

.٣٤١:٢ (١٤٩) الخصائص

.٣١٧:٢ (١٥٠) نفسه

وَكَوْلَهُ :

وَمَا سُوَدْتَنِي عَامِرٌ عَنْ وِرَاثَةٍ أَبِي اللَّهِ أَنْ أَسْمَرْ بَأْمٌ وَلَا أَبٌ^(١٥١)

وقد علل الحذف بالياء بأنهم شبهوها بالألف، إذ لا تظهر عليها الحركة في النصب، وفي الواو بأنها شبهت بالياء (وشبهت الواو في ذلك بالياء كما شبهت الياء بالألف). وفي موضع آخر جعل الفتحة مستقلة في الياء والواو لضعفها: (ولولم يعلم تمكّن هذه الحروف في الضعف إلا بتسميتهم إياها حروف العلة لكان كافياً). ولذلك ما نجد أخف الحركات الثلاث وهي الفتحة مستقلة فيهما حتى يجتمع لذلك ويستروح إلى إسکانها نحو قوله:

يَا دَارْ هَنْدَ عَفْتُ إِلَى أَثَافِهِا . . .^(١٥٢)

ولعل هذا التعلييل أفضل من سابقه لأنّه يخلصنا من سلسلة التعلق بحمل الياء على الألف، والواو على الياء. ولو ذهب إلى أنّهم حملوا النصب فيهما على الرفع والجر لكان قوله.

ومما يتصل بهذا ما ورد من إسکان الضمير في حال الوصل كقولهم مررت به أمس ونقل عن الأخفش أن ذلك لغة لازد السراة (كما أنّ منهم من يسكن الهاء المضمرة إذا وصلها فيقول مررت به أمس وذكر أبو الحسن أنها لغة لازد السراة وأشد هو وغيره: فظلتُ لَدِي الْبَيْتِ الْعَيْقَ أَخِيلُهُ وَمِطْوَائِي مِشْتَاقَانِ لَهُ أَرِقَانِ وروينا عن قطرب قول الآخر:

وأشربُ الماء ما يُنْهَى عَطَشًا إِلَّا لَأَنْ عَيْنَهُ سِيلٌ وَادِيهَا^(١٥٣)

وقد كان علل ذلك أول أمره بأنه مما أجرى في الوصل على حد الوقف، إلا أن حكاية الأخفش إنها لغة لازد السراة جعلته يرجع عن قوله ويكتفي بأنّها لغة فقد قال وهو يرد على أبي إسحاق ما رأه من إجراء الوصل مجرّى الوقف في كأنه من قوله: لَهُ زَجْلٌ كَائِنُ صَوْتٌ حَادٌ إِذَا طَلَبَ الْوَسِيقَةَ أَوْ زَمِيرَ (وقال أبو إسحاق في نحو هذا إنه أجرى الوصل مجرّى الوقف، وليس الأمر كذلك لما أريتك من أنه لا على حد الوصل ولا على حد الوقف، لكن ما أجرى من نحو هذا في

١٥١) الخصائص ٢: ٣٤٢ - ٣٤١ .

١٥٢) نفسه ٢: ٢٩١ .

١٥٣) المحتسب ١: ٢٤٤ ، الخصائص ١: ٣٧٠ - ٣٧١ .

الوصل على حد الوقف قول الآخر: فظلت لدِي . . . على أبا الحسن حكى أن سكون
الهاء في هذا التحوّل لغة لازد السراة .^(١٥٤)

فلولا أن أبا الحسن حكى هذا لبقي على رأيه، وعندى أنه يمكن أن يقال إن هذه
اللهجة قد أجرت الوصل مع الضمير على حد الوقف، ولا يمنع القول بأنها لهجة من
البحث عن تعليل لها.

تحريك حرف الحلق الساكن:

اختلّفت اللهجات العربية في حرف الحلق الساكن إذا وقع في موضع العين وكان
الحرف الذي قبله مفتوحاً، فقد ابقاء بعضهم ساكناً، وتحول به بعضهم إلى الفتح، وقد
تردد ابن جنّي بين نسبة الأمر إلى حرف الحلق وجعله مقيساً مطرداً فيما لم يسمع وبين
جعل ذلك من اللهجات والاكتفاء بالنطق بالمسموع وترك القياس عليه، وانتهى به التردد
إلى الأخذ برأي البغداديين الذي هو رأي الكوفيين، وهو ان الفتح إنما كان بسبب حرف
الحلق، ولذا جعلوه قياساً في ما لم يسمع، فقد قال في الخصائص: (وسمعت الشجري
أبا عبد الله غير دفعه يفتح الحرف الحلقى في نحو يَعْدُو وهو مَحْمُوم ولم اسمعها من غيره
من عقيل . . . وما اظن الشجري إلا استهواه كثرة ما جاء عنهم من تحريك الحرف
الحلقى بالفتح إذا افتح ما قبله في الإسم على مذهب البغداديين نحو قول كثير:
لَه نَعْلٌ لَا تَطْبِي الْكَلْبَ رِيحَهَا وإن جعلت وسْطَ المَجَالِسِ شُمُّتِ
وقول أبي النجم:

وجلا طال معداً فأشْمَخَر
أشْمَ لا يسطِّعُه الناسُ الدهر

وهذا قد قاسه الكوفيون، وإن كنا نحن لا نراه قياساً، ولكن مثل يَعْدُو وهو مَحْمُوم
لم يرد عنهم فيما علمت فيايك أن تخليد إلى كل ما تسمعه، بل تأمل حال مورده وكيف
موقعه من الفصاحة فالحكم له أو عليه .^(١٥٥)

ويبدو أنه على تقادم العهد قد سمع فتح حرف الحلق من عقيل بعد أن كان ذكر في
الخصائص انه سمعه من الشجري ولم يسمعه من غيره من عقيل وأدى به ذلك إلى
التحول عن مذهب أصحابه البصريين (قولهم في الصَّخْرِ الصَّخْرُ والنَّعْلُ النَّعْلُ، ولعمري
إن هذا عند أصحابنا ليس امراً راجعاً إلى حرف الحلق لكنها لغات، وأنا أرى في هذا

. (١٥٤) الخصائص ١: ١٢٨.

. (١٥٥) الخصائص ٢: ١٠.

رأي البغداديين في أن حرف الحلق يؤثر هنا من الفتح أثراً معتمداً فلقد رأيت كثيراً من عقيل لا أحصيهم يحرك من ذلك ما لا يتحرك أبداً لولا حرف الحلق . . . ولا قرابة بيني وبين البصريين لكنها بيني وبين الحق والحمد لله . . .^(١٥٦) وفي موضع آخر قال: (ومن ذلك قراءة سهل بن شعيب النهمي جهرة وزهرة، كل شيء في القرآن محركاً، قال أبو الفتح: مذهب أصحابنا . . أنه لا يحرك إلا على أنه لغة فيه . . ومذهب الكوفيين فيه أنه يحرك الثاني لكونه حرف حلقاً فيجيزون فيه الفتح وإن لم يسمعوا . . وما أرى القول من بعد إلا معهم والحق إلا في أيديهم وذلك أني سمعت عامة عقيل يقول ذاك . . .^(١٥٧)

ويبدو أن الذي جعلهم يحركون الحرف بالفتح طلب الإنسجام في الكلمة فقد وصف ابن جنبي ما يحرك في حرف الحلق بقوله: (مما فيه حرف حلقى ساكن بعد حرف مفتوح) فحرف الحلق بينه وبين الألف قرابة المخرج، والفتحة التي قبله بعض الألف فناسب ذلك تحريكه بالفتح، وقد فتحت العرب العين في الباب الثالث لمكان حرف الحلق فهذا قريب من ذاك.

ومن حديث تحريك الساكن ما ذكره من كسر الميم من هم إذا التقت ساكن، وكذلك الذال من مد، والوجه أن يحركها بالضم عوداً بها إلى الأصل (فقد أنشد قطرب: إلا إن أصحاب الكنيف وجذبُهم هُم الناس لما اخصبوا وتمولوا وقد أنشد الكوفيون:

فهمُ بطانتهم وهمُ وزراؤهم وهمُ القضاة ومنهم الحكام
ورويته عن القراء: ومنهم الحجاب، وحکى القراء هذه اللغة وأنه سمعها من بعض
بني سليم، وحکى أن العرب جميعاً تضم هذه الميم نحو: هم المفسدون، وهم الفائزون،
وحکى اللحياني: مذِ اليوم، ومذِ الليلة، بكسر الذال .^(١٥٨)

وقد علل الكسر في ذلك بأنه شبههما بنحو دال قد ولام هل مما جاء ساكناً وليس له أصل محرك يعود إليه عند الحاجة إلى تحريكه حيث يكسر لاتقاء الساكنين (ووجه جواز هذا عندي على ضعفه انه شبه ميم هم وذال مذ بذال قد ولام هل فكسرهما حين احتاج إلى حركتهما كما يكسرهما ونحوهما إذا احتاج إلى ذلك نحو قد انقطع وهل انطلق).^(١٥٩)

.٢٩٥) سر الصناعة (الأزهر) ٢: ٢٩٨)

.١٦٧) المحتب ١:

.٢٩٦) نفسه ٢: ٢٩٦)

.١٥٧) نفسه ١: ٨٤)

وقد بالغ في تضييف هذه اللهجة وردها بناء على قياسه في أن الحرف الساكن عند الحاجة إلى تحريكه يعود إلى حركته في لهجة أخرى إذا كان محركاً فيها فقال: (إن هذه اللغة اعني في هم القضاة ومنهم الحكام من القلة ومخالفة الجمهور على ما حكى عن الفراء، وما كانت هذه صفتة وجب أن يلغى ويطرح ولا يقاس عليه غيره، وأما حكاية المحياني فكذلك أيضاً وتكون كغيرها مما دفعه أصحابنا وعجبوا منه).^(١٥٩)

وأرى أن كلا الأمرين سائع مقبول ما دام قد ورد عن العرب ولهم ما يقويه في القياس فواعي اللهجة عند الاستعمال أنها ساكنة الآخر فإذا التقت بساكن جاز كسرها على الأصل في التقاء الساكين وقوى هذا الجواز مجيئه عن بعض العرب وإن كان قليلاً، وجاز العودة به إلى اللهجة التي تحركه بغير الكسر في غير التقاء الساكين.

الاختلاف في الإشباع والاختلاس:

ذكر ابن جني أن حروف اللين الألف والواو والياء متنشئة عن الحركات وانها توابع لها (وان الحركات أوائل لها واجزاء منها وان الألف فتحة مشبعة، والياء كسرة مشبعة، والواو ضمة مشبعة، يؤكد ذلك عنده أيضاً أن العرب ربما احتاجت في إقامة الوزن إلى حرف مجتلى ليس من لفظ البيت فتشبع الفتحة فتولد من بعدها الف، وتشبع الكسرة فتولد من بعدها ياء، وتشبع الضمة فتولد من بعدها واو).^(١٦٠)، وذكر من شواهد إشباع الحركة وإنشاء حرف من جنسها عنها قوله:

تنفي يداها الحصى في كل هاجرة نفي الدراريم تنقاد الصياريف
(اراد الصياريف، فاشبع الكسرة فتولد عنها ياء)^(١٦١).

وقوله:

وانت من الغوائل حين ترمى ومن ذم الرجال بمُنتزاح
(اراد بمنتزح فاشبع فتحة الراي).^(١٦٢)

وقوله:

وانني حوثما يشري الهوى بصرى من حيث ما سلكوا أدنو فأنظور
(يريد انظر فاشبع ضمة الظاء فتشأت عنها الواو).^(١٦٣)

ويلاحظ أنه جعل إشباع الحركة حاجة العرب إلى حرف مجتلى في الشعر لإقامة

(١٦٠) سر الصناعة ١: ٢٧.

(١٦١) نفسه ١: ٢٨.

.٢٩ (١٦٢) نفسه ١:

.٣٠ (١٦٣) سر الصناعة ١:

الوزن، ولم يستشهد إلا بالشعر وأشار إلى هذا الإشاعر في موضع آخر^(١٦٤)، وذكر قوله: فانظور، وزاد بيّنا لعترة هو قوله:

يَبْأَسُ مِنْ ذِفْرَى غُضْبُوبَ جَسْرَةِ زَيَافَةِ مُثْلِقِ الْفَنِيقِ الْمُكْرَمِ

وذكر انه (أراد ينبع فأشاعر فتحة الباء). وفي التنبية^(١٦٥)، قال: (واما قول أوس عندى وهو:

وَلَيْئَمُ مَأْوَى الْمُسْتَضِيفِ إِذَا دَعَا وَالْخَيْلُ خَارِجٌ مِنَ الْقَسْطَلِ

فإنه أراد القسطل فأشاعر فتحة الطاء ضرورة للردف فأنشأ عنها الفاء: (يَبْأَسُ مِنْ ذِفْرَى غُضْبُوبَ جَسْرَةِ . . .). وقد تناول هذا الموضوع بشيء من التفصيل في الخصائص في باب مضارعة المزدوج للحركات والحركات للحروف وقال: (إنك متى أشاعر ومتلت الحركة أنشأت بعدها حرفاً من جنسها وذلك قوله في إشاعر حركات ضرب ونحوها: ضوريا، وهذا إذا احتاج الشاعر إلى إقامة الوزن مطل الحركة وانشأ عنها حرفاً من جنسها).^(١٦٦)، وجاء بالشواهد التي أوردتها في سر الصناعة. ولم يذكر من النثر إلا قوله: ضوريا، وهو مثال تعليمي وليس شاهداً.

وقد كان يمكن أن يقال إن مطل الحركات وإشاعرها من الضرورات في الشعر وليس لهجة بناء على قوله: (إن العرب ربما احتاجت في إقامة الوزن إلى حرف مجتلى ليس من لفظ البيت فتشيع . . .) وقوله: (فأشاعر فتحة الطاء ضرورة للردف) وقوله: (ولهذا إذا احتاج الشاعر إلى إقامة الوزن مطل الحركة وأنشأ عنها حرفاً من جنسها). ويقوى ذلك أنه لم يأت بشاهد من النثر في هذه الموضع. بيد أنه قد عاد لتناول الموضوع في الخصائص^(١٦٧)، بتفصيل أكثر حيث يحثه تحت عنوان باب في مطل الحركات ويلاحظ على ما أورده هناك أنه زاد في الشواهد الشعرية لمطل الحركات وختمه بقوله: (فهذه هي الطريق فيما جاء منها قسه عليها).^(١٦٨)، وإنه لم يذكر شيئاً عن الضرورة في الشعر بل إنه أتي بشواهد من النثر هي قوله: (وحديثنا أبو علي أن أحمد بن يحيى حكى: خذه من حيث وليس، قال وهو إشاعر ليس. وذهب إلى مثل ذلك في قوله أمين، وقال: هو إشاعر فتحة الهمزة من أمين . . . وحکى الفراء عنهم: أكلت لها شاة، أراد خم شاة فمطل الفتحة فأنشأ عنها الفاء).^(١٦٩)، ويبدو أنه على تقادم العهد قد اجاز أن يكون هذا المطل في النثر أيضاً لا في الشعر حسب

(١٦٤) سر الصناعة (الأزهر) ٢: ٢٥، ٢٦ - ١٢٤ - ١٢١.

(١٦٥) سر الصناعة (الأزهر) ٢: ٢٥، ٢٦ - ٢٩٨.

(١٦٨) نفسه ص ٣: ١٢٤.

(١٦٩) نفسه ص ٣: ١٢٣.

(١٦٦) الخصائص ٢: ٣١٥.

وبذلك يخرج من باب الضرورة لأن ما أورده هنا عن ثعلب والفراء لا ضرورة فيه. وقد ذكر ما يفهم منه أن هذا الإشباع قد بدأ في الشعر للضرورة ثم شاع عن طريق القياس الخاطئ فصار مستعملاً في النثر، وذلك قوله بعد أن أورد قول عترة:

ينباع من ذفرى غضوب جسرة

(وقال أراد ينبع فأشبى عنها الفاً، قال الأصمي يقال: انباع الشجاع ينبع انباعاً إذا انخرط بين الصفين.. وقد يمكن عندي أن تكون هذه لغة تولدت، وذلك أنه لما سمع ينبع أشبه في اللفظ ينفعل فجاءوا منه بماض ومصدر).^(١٧٠) وهو تعليل مقبول عندنا، وعلى ذلك جاءت قراءة: سأوريكم دار الفاسقين: (أراد ساريكم ثم أشبع.. وقد جاء من هذا الإشباع الذي تنشأ عنه الحروف شيء صالح نظاماً وثرا).^(١٧١) وقد جعل الإشباع في هذا الموضوع مؤدياً إلىفائدة في المعنى: (وزاد في اعتماد الواو في هذا الموضوع وعید واغلاظ فمكّن الصوت فيه وزاد إشباعه واعتماده فالحقت الواو لما ذكرنا).^(١٧٢).

فالإشباع إذن قد ورد عن العرب في عدد من الشواهد الشعرية وفي النثر أيضاً، إلا أنه قليل، ولكنه على قلته يمثل مظهراً من مظاهر اللهجات مما خالفت فيه اللغة الأدبية المثلية.

أما اختلاس الحركات فهو اختفاءها حتى تقرب من السكون (ومن ذلك إضعاف الحركة حتى تقرب بذلك من السكون نحو حبي وأحبي وأعيي، فهو وإن كان مخفىً بوزنه محركاً.. فاما روم الحركة فهي وإن كانت من هذا فإنما هي كالاهابة بالساكن نحو الحركة.. وانهى منها الإشمام لأنه للعين لا للاذن).^(١٧٣) وقد ذكر أن اختلاس الحركة من اللطف بحيث ادعى بعضهم أن أبو عمرو كان يسكن الهمزة في قراءة، وأبو عمرو كان يختلس وقد تقدم ذلك، وعلل ابن جني الاختلاس في الحركة بأنه إنما كان لضرب من التخفيف عن المستهم (وخففوا عن المستهم بأن اختلسوا الحركات اختلاساً وانهفوها فلم يمكنوها في أماكن كثيرة ولم يشعروا بها إلا ترى إلى قراءة أبي عمرو: مالك لا تأممنا على يوسف، مختلاساً لا محققاً، وكذلك قوله عزوجل: اليس ذلك بقدار على أن يُخْبِيَ الموق، مخفياً لا مستوف، وكذلك قوله عزوجل: فتوبوا إلى بارئكم، مختلاساً غير ممكّن

. (١٧٢) نفسه ١: ٢٥٩.
. (١٧٣) المختص ٢: ١٤٤ - ١٤٥.

. (١٧٠) المختص ٣: ١٢٢.
. (١٧١) المحتب ١: ٢٥٨.

كسر المهمزة حتى دعا ذلك من لطف عليه تحصيل اللفظ إلى أن ادعى أن أبا عمرو كان يسكن المهمزة .^(١٧٤)

الاختلاف في الأشمام والالمالة :

ومما يدخل في هذا الباب أيضاً أشمام الحركة وذلك بأن يؤتى بالحرف ساكناً ويشار إلى حركته بأعمال الشفتين من غير إظهار صوت ، ولذلك قيل إن الأشمام للعين لا للأذن وذلك قول الراجز :

متى أنسام لا يؤرقني الكري
ليلا ولا اسمعُ أجراسَ المطي

(باشمام القاف من يؤرقني ، ومعلوم ان هذا الإشمام إنما هو للعين لا للأذن وليست هناك حركة البة ولو كانت فيه حركة لكسرت الوزن . . . فعوا من الحركة بأن يومئوا إليها بالألة التي من عادتها أن تستعمل في النطق بها من غير أن يخروا إلى حس السمع شيئاً من الحركة مشبعة ولا مختلسة ، أعني اعمالهم الشفتين للاشمام في المفهوم وغير صوت يسمع هناك .^(١٧٥))

ومن الإشمام أيضاً ما جاء عن بعض العرب في فعل من الأجواف حيث قيل (خيف وبيع وقيل . . . وأما من أشم فإنه أراد البيان وقد كان في الفاء ضمة فاشرم الكسرة فصارت الحركة في الفاء بين الضمة والكسرة بمنزلة الحركة في كافر وجابر لأنها بين الفتحة والكسرة .^(١٧٦)) ، وقد ورد الأشمام في الحركة أيضاً في فعل من المضاعف : (وقال لي أبو علي إنهم ينشدون بيت الفرزدق على ثلاثة أوجه :

وما حُلَّ من جَهْلٍ حُجِي حُلْمَائِنَا ولا قَائِلٌ المعروفٌ فِينَا يُعْنَفُ
حُلَّ وَحِلَّ وَحِلَّ فَمَنْ قَالَ حُلَّ فَهُوَ فِي الْكَثْرَةِ بِمَنْزِلَةِ مَنْ قَالَ قَيْلَ فَكَسْرٌ ، وَمَنْ كَسَرَ الْحَاءَ فَقَالَ حِلٌّ فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ اخْلَصَ الْضَّمَّةَ فَقَالَ بَوْعٌ وَقَوْلٌ وَمَنْ أَشَمَ فَقَالَ حُلٌّ فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ أَشَمَ أَيْضًا فَقَالَ قَيْلٌ .^(١٧٧)

وبعض العرب يتوجه إلى الأشمام لرفع اللبس ، وذلك (انهم يقولون كلت طعامي فيخلصون الكسرة في الكاف إذا كنت الفاعل ، ويقولون كلت طعامي فيشمون الكاف

(١٧٤) المصنف ١: ٢٤٩ .

(١٧٤) المصنف ١: ٧٢ .

(١٧٧) نفسه ١: ٢٥٠ .

(١٧٥) نفسه ١: ٧٣ .

الضم إذا كنت المفعول فرقا بين الفاعل والمفعول .)^(١٧٨)

وي بعض العرب يدع الكسرة على حالتها ولا يشم ولا يبالي الالتباس ، وقد قال ابن جني عنهم : (أهل هذه اللغة جروا على ضرب من القياس ولم يتلفتوا إلى الالتباس ، وذلك انهم اخذوا بأصل هذا الباب ، لأن أصله وأكثر ما جاءت به العرب إخلاص الكسرة وذلك بيع وخفيف)^(١٧٩) ، وعلل تجاوزهم العناية برفع اللبس بأن ذلك متاحصل عندهم من سياق الكلام (لأنهم قد يصلون إلى إبانة أغراضهم بما يصحبونه الكلام مما يتقدم قبله أو يتاخر بعده وما تدل عليه الحال)^(١٨٠) .

وأما اختلافهم في امالة الحركة فقد ذكر انك قد تجد الفتحة مشوبة بشيء من الكسرة أو الضمة ، وقد تجد الكسرة مشوبة بشيء من الضمة ، والضمة مشوبة بشيء من الكسرة ، فالفتحة المشوبة بشيء من الكسرة هي الفتحة (التي قبل الامالة نحو فتحة عين عابد)^(١٨١) ، وقد تكلمنا على هذا في مبحث الامالة وقد مر ، إلا أنه ذكر ان الفتحة قد تمال نحو الكسرة وإن لم يكن بعدها ألف)^(١٨٢) ، فقد قرئ : فإنهم لا يكذبونك ، و: وإنما إليه راجعون ، و: رأى القمر ، وقالوا: من عَسْمَرُو ، ورأيت خطيب رياح .

وقد تمال الفتحة نحو الواو وذلك إذا كانت (قبل ألف التفخيم وذلك نحو الصلاة والزكاة دعًا وغُرًا وقُأمَ وصُاغَ)^(١٨٣) .

وقد تكون الكسرة مشوبة بالضمة وذلك نحو : (قبل وبيع وغيره وسيق)^(١٨٤) ، وقد مر ذكر هذه اللهجة في كلامه على الاشمام ، وبيدو انها شيء واحد فلو حاولت النطق بقولي كما ذكر هنا مشوبة بالضمة فإنك ستؤدي إلى صوت قيل التي ذكرها في الاشمام من غير أن تستطيع التفريق بين الصوتيين .

وقد تكون الضمة مشوبة بالكسرة وذلك في نحو قولك في الامالة مررت بمذعور وهذا ابن بور)^(١٨٥) .

وبقى أن ينحى بالضمة أو الكسرة نحو الفتحة ، وقد ذكر ان ذلك ممتنع وعلله (بأن الفتحة أول الحركات وأدخلتها في الخلق ، والكسرة بعدها ، والضمة بعد الكسرة ، فإذا بدأت بالفتحة وتتصعدت تطلب صدر الفم والشفتين اجتازت في مرورها بخارج الياء والواو

.)^(١٨١) سر الصناعة ١: ٥٨.

.)^(١٧٨) نفسه ١: ٢٥٣.

.)^(١٨٢) نفسه ١: ٥٩.

.)^(١٧٩) نفسه ١: ٢٥٥.

.)^(١٨٠) نفسه .

فجاز أن تشمها شيئاً من الكسرة أو الضمة لتطرقها إياهما، ولو تكلفت أن تشم الكسرة أو الضمة رائحة من الفتحة لاحتتج إلى الرجوع إلى أول الحلق، فكان في ذلك انتقاض عادة الصوت بترابعه إلى ورائه.^(١٨٣)، ثم أثار اعترافاً بأن الكسرة قبل الضمة ومع ذلك رجعوا بالضمة نحو الكسرة في نحو مذعور، فهلاً جاز هناك ما جاز هنا، وأجاب عن ذلك بأن (بين الضمة والكسرة من القرب والمتناسب ما ليس بينها وبين الفتحة)^(١٨٤)، ومع ذلك فإن ما جاء من نحو مذعور (قليل مستكره)^(١٨٤).

والذي أراه أن امالة الفتحة نحو الكسرة وإن لم يكن بعدها ألف لا يختلف عن اماليتها مع الألف إذ نحن نأتي بالصوت الذي بين الكسرة والفتحة أو بين الألف والباء في الحالين فلو كسرنا الميم من عَمْر ونحن نميل فتحة العين نحو الكسرة لما وجدنا بينه وبين الامالة في عامر اختلافاً صوتيًا يذكر إذ في كلا الحالين سلبيات بين العين والميم بصوت عَ الذي يشبه صوت a في قوphem Name بين النون والميم، وقد ذكرنا رأينا في هذا وفي ألف التفحيم في بحث الامالة فلا ضرورة لاعادته.

وأما الكسرة المشوبة بالضمة والضمة المشوبة بالكسر فلا أرى بينها من فرق وأعتبر ذلك بنطق الكلمة بِعُ وَبُور، باتباع الباء في الكلمتين بصوت بين الكسرة والضمة أو بين الضمة والكسرة لا فرق.

(١٨٣) سر الصناعة ٦٠: ٦١ - ٦٢
(١٨٤) نفسه ٦١: ١

الفصل الرابع

الاختلاف في المعنى والاعراب

الاختلاف في المعنى :

اللغة كما ذكر ابن جني (أصوات يعبر بها كلّ قوم عن اغراضهم^(١) ، إلا أن هذه الأصوات قد تكون واحدة في اللهجات العربية ولكن ما ترمز إليه يكون مختلفاً ، وهذا من غير شك من مظاهر الخلاف بين اللهجات وهو ما ينبغي أن يقف عنده دارسها ليرى رأيه فيه . وقد تناول ابن جني موضوع اتفاق اللفظ واختلاف المعنى في أكثر من موضع من كتبه وبخاصة في كتابه الخصائص إلا أنه كان تناولاً بعيداً عن موضوع اللهجات واختلافها ، فقد كان المتوقع أن يبحث تحت هذا العنوان اختلاف اللهجات العربية في معنى اللفظ الواحد كما فعل في قراءة : (افلم يتبنّى الذين آمنوا . . .) كما سيأتي ، إلا أنه لم يفعل ، وأحال على ما سبقه من كتابات في هذا فقد نص في (باب في اتفاق اللفظين واختلاف المعنين في الحروف والحركات والسكنون)^(٢) ، على أن أضرب الكلام عنده على ثلاثة أقسام : اختلاف اللفظين لاختلاف المعنين ويليه اختلاف اللفظين واتفاق المعنين ، والضرب الثالث الذي قال عنه إنه ليس من غرضه في هذا الباب (نحو وجدت في الحزن ووجدت الضالة ووجدت في الغضب ووجدت أي علمت . . . الصدى : الطائر الذي يخرج من رأس المقتول إذا لم يدرك بثأره ، والصدى : العطش ، والصدى : ما يعارض الصوت في الأوعية الخالية ، والصدى : من قولهم : فلان صدى مال أي حسن الرعية له والقيام عليه .)^(٣) ، وواضح أنه يريد به ما اتفق لفظه واختلف معناه ، وقد قال عنه إنه ليس من غرضه في هذا الباب وهو (كثير في كتب العلماء وقد تناهيت أقوالهم وأحاطت بحقيقة اغراضهم .)^(٤) . وهذا الذي تجاوز

(١) الخصائص ١: ٣٣.

(٢) نفسه ٢: ٩٣.

الحديث عنه وذكر انه ليس من غرضه في هذا الباب هو الذي يعنيها في دراسة اللهجات إذ يمكن أن تعدد الظاهرة من ظواهر اختلاف اللهجات في التعبير عن المعانى المترفرفة بلفظ واحد، اما ما عقد عليه الباب ما هو وراء هذا (من القول على هذا النحو في الحروف والحرفات والسكنون المصوحة في نفس الكلم)^(٣)، فليس مما له علاقة باللهجات، إنما هو نظر صناعي في الفاظ العربية مما لم تختلف فيه لهجاتها. فمن ذلك مثلاً ما ذكره من أن الحروف قد يتفق لفظها ويختلف معناها (وذلك قولهم درع دلاص وادرع دلاص، وناقة هجان ونوق هجان، فالالف في دلاص في الواحد بمنزلة ألف في ناقة كنانز وامرأة ضناك، والألف في دلاص في الجمع بمنزلة ألف ظراف وشراف. وذلك لأن العرب كسرت فعلاً على فعل، كما كسرت فعيلاً على فعل نحو كريم وكرام ولثيم ولثام، وعذرها في ذلك ان فعلاً اخت فعل..).^(٤) ومضى في مثل هذا إلى آخر الباب، وهو كما ترى لا يتصل باللهجات.

وعقد في موضع آخر باباً بعنوان: (باب في توجيه اللفظ الواحد إلى معنيين اثنين).^(٥)، وذكر أن ذلك في الكلام على ضربين:

الأول: وهو الأكثر في كلام العرب أن يكون اللفظ متفقاً، ويختلف في تأويله، وذكر انه في غاية الانتشار، ولم يعقد الباب عليه. وذلك نحو قوله: هذا أمر لا ينادي ولديه (فقال قوم إن الإنسان يذهب عن ولده لشنته .. وقال آخرون وهم أصحاب المعاني : أي لا وليد فيه فينادي وإنما فيه الكفافة والبهضة).^(٦).

الثاني: وهو الباب (الاضيق الذي ترى لفظه على صورة ومحتمل أن يكون على غيرها كقوله: ،

نَطْعَنُهُمْ سُلْكَى وَمَخْلُوجَةً كَرَكَ لَا مِينَ عَلَى نَابِلٍ
فهذا يتشد على أنه ما تراه كرك لامين، أي ردى لامين وهو سهمان على نابل، وذلك أن تعترض من صاحب النبل شيئاً منها فتأمله ترده إليه فيقع بعضه كذا وبعضه كذا، فكذلك قوله: كرك لا مين، أي طعنا مختلفاً بعضه كذا وبعضه كذا. ويروى أيضاً: كرك كلامين، أي كرك كلامين على صاحب النبل، كما تقول له: ارم، ارم، تزيد السرعة والعجلة).^(٧)، ومضى على مثل هذا إلى آخر الباب، وحقيقةه كما ترى اختلاف في تأويل

(٣) المخصاص: ٢: ٩٣.

(٤) نفسه: ٢: ٩٤.

(٥) نفسه: ٣: ١٦٤.

(٦) نفسه: ٣: ١٦٤ - ١٦٥.

(٧) المخصاص: ٣: ١٦٦ - ١٦٧.

عبارة مجازية، أو اتفاق في صورة اللفظ بسبب التركيب، ولو أفرد اتصبح وبان، وهذا يتطرق للعربية في كلامه، ولا يمثل لهجة من اللهجات.

وقد أومأ في المحتسب إلى اتفاق اللفظ واختلاف المعنى بسبب اختلاف اللهجات في موضع واحد وذلك حين عرض لقوله تعالى: (أَفْلَمْ يَيَّأسُ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْيَاشَ اللَّهُ لَهُدِي النَّاسَ جَمِيعاً). (الرعد: ٣١) حيث ذكر فيها قراءة: (أَفْلَمْ يَتَبَيَّنَ الَّذِينَ)، قال أبو الفتح: هذه القراءة فيها تفسير معنى قوله تعالى: أَفْلَمْ يَيَّأسُ الَّذِينَ آمَنُوا، وروينا عن ابن عباس أنها لغة وهبيل، فخذ من التخوض، قال:

أَلَمْ يَيَّأسُ الْقَوْمُ أَنِّي أَنَا ابْنُهُ
وَإِنْ كُنْتُ عَنْ أَرْضِ الْعَشِيرَةِ نَائِيَا
وَرَوَيْنَا لِسْحِيمَ بْنَ وَثِيلَ:
أَقْوَلُ لِاهْلَ الشَّعْبِ إِذْ يَأْسِرُونِي
أَلَمْ تَنَسُوا أَنِّي أَبْنُ فَارِسٍ زَهْدِمٍ
أَيْ أَلَمْ تَعْلَمُوا.)^(٨).

فهذا قد نص فيه على مجيء لفظ في لهجة عربية بغير المعنى المعروف عند العرب جميعاً، إذ اليأس عندهم انقطاع الرجاء من الشيء، وأما وهبيل فقد استعملوه بمعنى العلم، والعلم غير انقطاع الرجاء. إلا أن ابن جني لم يدع الأمر على ظاهره وإنما حاول أن يتلمس سراطًا بين المعنين ما دام اللفظ واحداً. ودعا إلى ملاحظة النظر في اللغة حتى لا تبدو متفرقة متباudeة (ويشبه عندي أن يكون هذا راجعاً أيضاً إلى معنى اليأس، وذلك أن المتأمل للشيء المتطلب لعلمه ذاهب بفكه في جهات تعرفه إياه، فإذا ثبت يقينه على شيء من أمره اعتقاده وأصرّب عما سواه فلم ينصرف إليه كما ينصرف اليائس من الشيء عنه ولا يتلفت إليه. وهذه اللغة هكذا طريق صنعتها وملاءمة أجزائها وضم نشرها وشتتها، فإن لم تطبن لها وتلاق في بين منهاجراتها بدأ فرقاً، وكانت حرية لولاطفتها بالتعانق والالتقاء، فرفقاً رفقاً لا عنفاً ولا خرقاً).^(٩).

وما يتصل بهذا الباب حديث الأضداد، لأنه لفظ واحد يؤدي معنيين اثنين وإن كانا ضديين، وقد ذكر له مثلاً وهو يتكلّم على اختلاف لهجة العرب من ابناء نزار عن لهجة عرب حمير، وبعد بعضهما عن بعض وذكر انه يحتمل أن تكون الفاظ من لهجة حمير قد دخلت إلى لغتنا العربية قال: (ويكفي من هذا ما تعلمه من بعد لغة حمير من لغة ابني نزار، وروينا عن الأصممي ان رجلاً من العرب دخل على ملك ظفار.. فقال له الملك: ثب،

(٨) المحتسب ١: ٣٥٧.

(٩) نفسه ١: ٣٥٨، ٣٥٧.

وَثَبَ بِالْحُمِيرِيَّةِ أَجْلِسٌ . . . إِلَّا كَانَ كَذَلِكَ جَازَ جَوَازًا قَرِيبًا كَثِيرًا أَنْ يَدْخُلَ مِنْ هَذِهِ الْلُّغَةِ فِي لُغَتِنَا، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَّهَا فَصَاحَتَنَا، غَيْرَ أَنْهَا لُغَةُ عَرَبِيَّةِ قَدِيمَةٍ .)^{١٠}.

وَهَذِهِ الْلُّغَةُ الَّتِي وَصَفَهَا بِأَنَّهَا عَرَبِيَّةٌ قَدِيمَةٌ، قَدْ يَكُونُ وَجْدَ بَعْضِ الْفَاظِهَا فِي كَلَامِ الْعَرَبِ سَبِيلًا فِي إِسَاءَةِ الظَّنِّ بِفَصَاحَتِهِ، وَلَذَا دَعَا إِلَى جُنْسِ الظَّنِّ بِمَا يَرِدُ عَلَى لِسَانِ الْعَرَبِ مُخَالِفًا لِمَا عَلَيْهِ الْجَمِيعُ إِذَا كَانَ فَصِيحًا فِي جَمِيعِ مَا يَرِدُ عَلَى لِسَانِهِ عَدَا ذَلِكَ الْقَدْرِ الَّذِي اتَّفَقَ بِهِ: (وَبَعْدَ فَلَسْنَا نَشَكُ فِي بَعْدِ لُغَةِ حَمِيرٍ عَنْ لُغَةِ ابْنِ نَزَارٍ، فَقَدْ يَكُونُ أَنْ يَقْعُدْ شَيْءٌ مِنْ تَلْكَ الْلُّغَةِ فِي لُغَتِهِمْ فِي سَاءَةِ الظَّنِّ فِيهِ مَنْ سَمِعَ مِنْهُ، وَإِنَّمَا هُوَ مَنْقُولٌ مِنْ تَلْكَ الْلُّغَةِ .)^{١١}.

الاختلاف في الاعراب

أَمَا لِفَظِ الْأَعْرَابِ (فَإِنَّهُ مَصْدَرٌ أَعْرَبَتْ عَنِ الشَّيْءِ إِذَا أُوْضَحَتْ عَنْهُ، وَفَلَانَ مَعْرَبُ عَمَّا فِي نَفْسِهِ أَيْ مَبِينٌ لَّهِ .)^{١٢}، وَأَمَا مَعْنَاهُ فَهُوَ (الْإِبَانَةُ عَنِ الْمَعْنَى بِالْأَلْفَاظِ أَلَا تَرَى أَنَّكَ إِذَا سَمِعْتَ أَكْرَمَ سَعِيدَ أَبَاهُ وَشَكَرَ سَعِيدَ أَبَوهُ عَلِمْتَ بِرُفْعِ أَحَدِهِمَا وَنَصْبِ الْآخَرِ الْفَاعِلِ مِنَ الْمَفْعُولِ، وَلَوْ كَانَ الْكَلَامُ شَرْجًا وَاحِدًا لِاستِهْبَامِ أَحَدِهِمَا مِنْ صَاحِبِهِ .)^{١٣}، وَيَلَاحِظُ أَنَّهُ فِي تَفْسِيرِ مَعْنَى الْأَعْرَابِ لَمْ يَشُرِّرْ إِلَى فَكْرَةِ الْعَالِمِ الَّتِي دَأَبَ النَّحَاجَةُ عَلَى ذَكْرِهَا مَعَ التَّعْرِيفِ بِهِ (تَغْيِيرُ أَوْ أَخْرَى الْكَلِمَ لِاِخْتِلَافِ الْعَوْمَلِ الدَّاخِلَةِ عَلَيْهَا .)^{١٤}، وَإِنَّمَا هُوَ تَغْيِيرٌ فِي الْلَّفْظِ لِتَغْيِيرِهِ فِي الْمَعْنَى، وَكَأَنَّ الْأَسْتَاذَ إِبْرَاهِيمَ مَصْطَفِيَ كَانَ يُشَيرُ إِلَى عَبَارَةِ ابْنِ جَنِيِّ حِينَ رَأَى فِي عَلَامَاتِ الْأَعْرَابِ إِشَارَةً إِلَى مَعْنَى يَقْصِدُ إِلَيْهَا جَعَلَتْ تَلْكَ الْعَلَامَةَ دَوَالَ عَلَيْهَا .)^{١٥}.

وَلَا يَعْنِي أَنَّ ابْنَ جَنِيَّ لَمْ يَقْلِ بِنَظَرِيَّةِ الْعَالِمِ، بَلْ هُوَ قَدْ ذَكَرَ الْعَالِمَ وَلَكِنَّهُ شَرَحَ بِمَا يَوْحِي أَنَّهُ كَانَ رَأِيَ الْعُلَمَاءِ مِنْ قَبْلِهِ. مَا يَدْفَعُ كُلَّ كَلَامٍ حَوْلَ هَذِهِ النَّظَرِيَّةِ التَّعْلِيمِيَّةِ إِذَا قَالَ: (وَإِنَّمَا قَالَ النَّحْوَيُونَ عَاملٌ لِفَظِيٍّ وَعَاملٌ مَعْنَوِيٌّ لِبِرْوَكٍ أَنْ بَعْضَ الْعَمَلِ يَأْتِي مُسِيَّبًا عَنْ لِفَظِيٍّ يَصْبِحُهُ كَمْرَوْتٌ بِزِيَّدٍ . . . وَبَعْضُهُ يَأْتِي عَارِيًّا مِنْ مَصَاحِبَةِ لِفَظٍ يَتَعلَّقُ بِهِ كَرْفَعِ الْمُبْتَدَأِ بِالْأَبْتَدَاءِ . . . فَأَمَّا فِي الْحَقِيقَةِ وَمُحْصُولِ الْحَدِيثِ فَالْعَوْمَلُ مِنَ الرَّفْعِ وَالنَّصْبِ وَالْجَرِ وَالْجَزْمِ إِنَّمَا هُوَ لِلْمُتَكَلِّمِ نَفْسَهُ لَا لِشَيْءٍ غَيْرِهِ وَإِنَّمَا قَالُوا: لِفَظِيٌّ وَمَعْنَوِيٌّ لَمَّا ظَهَرَتْ آثارُ فَعْلِ الْمُتَكَلِّمِ بِعِصَامَةِ الْلِفَظِ الْلِفَظِ أَوْ بِاشْتِمَالِ الْمَعْنَى عَلَى الْلِفَظِ، وَهَذَا وَاضِحٌ .)^{١٦}.

(١٠) *الخصائص* ٢:٢٨.

(١١) *نفسه* ١:٣٨٦.

(١٢) *نفسه* ١:٣٦.

(١٣) *نفسه* ١:٣٥.

(١٤) الصياغ على الأشموني ٤٩ - ٤٨، التصريح على التوضيح ١:٦٠.

(١٥) *حيات النحو* ص ٤٨.

(١٦) *الخصائص* ١:١١٠ - ١٠٩.

وقد وصل ابن جني بين تغير أواخر الكلم وبين المعنى الذي يريده المتكلم إذ هو بهذه التغيير في اللفظ استطاع أن يعبر عن المعنى. إلا أن تغيير اللفظ الذي ذكره لم يغير على سنه واحد في كلام العرب جميعاً، فقد اختلفت اللهجات العربية في التحرير بين الضم والفتح في اللفظ والمعنى واحد، أو بين الفتح والكسر أو بين التنوين وتركه، إلى غير ذلك من مظاهر الخلاف الذي يندرج تحت كلمة الاعراب وهو خلاف نذر قليل كما ذكر^(١٧)، وهو (بين العلماء أعم منه بين العرب وذلك أن العلماء اختلفوا في الاعتلال لما اتفقت العرب عليه، كما اختلفوا أيضاً فيها اختلفت العرب فيه وكل ذهب مذهباً..)^(١٨).

فمن ذلك مثلاً اختلاف الحجازيين والتمييميين في خبر المبتدأ إذا دخلت ما عليها، فالحجازي ينصبه، والتميمي يرفعه، وذلك نحو قوله تعالى: (ما هذا بشرأ) (يوسف: ٣١) حيث جاء على لسان الحجازيين والتمييمي يرفعه إلا إذا عرف كيف هو في المصحف. وقد علل ابن جني هذا الخلاف بأن لكل من الفريقين قياساً فيها يخالد إليه^(١٩)، وفسر ذلك بأن أهل الحجاز كأنهم لما رأوها داخلة على المبتدأ والخبر، وأنها لنفي الحال، شبهاها بليس فاجرواها (في الرفع والنصب مجرأها إذ اجتمع فيها الشبهان بها)^(٢٠) وكانبني تميم لما رأوها (حرفاً داخلأً) معناه على الجملة المستقلة بنفسها، ومبشرة لكل واحد من جزأيها.. أجروها مجرى هل..^(٢١).

ومن ذلك أيضاً اختلاف العرب في ليتها حيث ينصب بعضهم المبتدأ بعدها، ويرفعه بعضهم (فمن ضم ما إلى ليت وكفها بها عن عملها الحقها بأخواتها.. ومن الغنى ما عنها وأقر عملها جعلها كحرف الجر في الغاء ما معه نحو قوله تعالى: فيما تقضهم ميثاقهم، قوله: عما قليل..^(٢٢)).

ومن ذلك أيضاً اختلاف الحجازيين والتمييميين في هلم حيث أجزاء الحجازيون (مجرى صه ومه ورويد ما سمي به الفعل والزم طريقاً واحداً، وبنو تميم يلحقونها علم الثنوية والثنائية والجمع، ويراعون أصل ما كانت عليه لم).^(٢٣) على أن هلم عند التمييميين (أيضاً اسم سمي به الفعل وليس مبقاء على ما كانت عليه قبل التركيب).^(٢٤)

. واضح أنه في هذه الأمثلة التي ذكرها هنا إنما يعلل الخلاف بين اللهجات بما يمكن أن يطلق عليه اختلاف اللهجات في تصورها لارتباط اللفظة بغيرها، فهي في (ما) ارتبطت

(٢١) نفسه: ١ - ١٦٧ . ١٦٨ - .

(٢٢) الخصائص: ١ - ١٦٧ . ١٦٨ - .

(٢٣) نفسه: ٣ - . ٣٦ .

(١٧) نفسه: ١ - . ٣٤٤ .

(١٨) الخصائص: ١ - . ١٦٨ .

(١٩) نفسه: ٢ - . ١٠ .

(٢٠) نفسه: ١ - . ١٦٧ .

في ذهن الحجازي بليس ولذلك حملها عليها، ولم ترتبط بها في ذهن التميمي وإنما جعلها كبقية الحروف التي لا يتغير الاسم معها مثل هل. وفي ليتها إذا ترك الاسم بعدها مرفوعاً ارتبطت اللفظة ببقية الحروف المشبهة بالفعل عندما تتصل بها (ما)، وأما عند من أبقى الاسم منصوباً بعدها، فقد ارتبطت في ذهنه بما لم تغيره ما عن عمله إذا دخلت عليه كالباء مثلاً. وفي هلم رأينا الحجازي يصلها بصلة ومه وما أشبه ذلك من أسماء الأفعال فيلزمها حالة واحدة، وقد انقطعت عنده عن معناها الأصلي ولم يعد يرى لل فعل المم معنى واضحأ في هلم، ولعل الذي أعنان على ذلك أن الصورة الجديدة للفظ ليست من لهجته لأن من لهجته في الطلب من المضعف أن يفكه فهو يقول المم ولا يقول لم فلما صارت الكلمة هام ثم هلم بعدت في تصوّره عن الأصل ورآها لفظاً جديداً سمي به الفعل، أما التميمي فكأنه ما يزال يرى شيئاً من صورة الفعل القديمة في هلم قبل التركيب، ولذا الحق بها الضمائر وأجرها بذلك مجرى الأفعال، لأن الصورة ما تزال من صور الطلب عنده إذ هو من المضعف لم فهو باق على صورته عنده بخلاف ما رأيناه عند الحجازي.

ومن ذلك أيضاً (قولهم هذا أبا ورأيت أبا ومررت بآبا)^(٤) يجريه مجرى الاسم المقصور، وقد ذكر أنه بهذه اللهجة قد جاء على الأصل واستدل على هذه الأصالة بقوله: (ويكون أخا اسم مقصوراً تماماً غير مضاف كقولك لا عصاك، ويدل على صحة هذا القول أنهم قد كسروه على أفعال وفاؤه مفتوحة فهو إذن فعل). فغير منكراً أن يخرج واحدها على أصله كما خرج واحد الآباء على أصله^(٥). فإذا صح أن الأصل أخا وأبا مقصوريين يمكن أن نعمل ما جاء عن ثعلب من أنه (يقال هذا أبوك وهذا أباك وهذا أباك)^(٦) بأن من قال هذا أباك كانت لهجته على قدمها لم تغير، ومن قال هذا أباك يكون حذف الألف لكثر الاستعمال وأجرى الألف مجرى يد ودم حيث حذفت لأهمها الكثرة الاستعمال وان من قال هذا أبوك إنما أشبع الحركة على الآباء، وهذا التعليل عندنا أولى من القول بأن كل قبيلة كانت تتلزم صورة من الصور الثلاث لهذه الأسماء ثم جمعها النحاة وزعموا أن الواو للرفع والألف للنصب والياء للجر من غير أن يقدم صاحب هذا الزعم^(٧) أي دليل على ذلك سوى الظن بأنها كانت هكذا، وسوء الظن بالعلماء.

ومن ذلك ما نسبه لبلحارث من قوله جاء أخواك ورأيت أخواك ومررت بأخواك فذكر أن أبا زيد قال: (سألت خليلاً عن الذين قالوا مررت بأخواك وضررت أخواك فقال

(٤) الخصائص ١: ٣٣٩.

(٥) نفسه ١: ٣٣٨ - ٣٣٩.

(٦) انظر من أسرار اللغة ص ٢٥٧ - ٢٥٨.

هؤلاء قولهم على قياس الذين قالوا في يأس ياءس، أبدلوا الياء لافتتاح ما قبلها^(٢٧). وقد علل ابن جني ذلك بقوله: (أبدلوا ياء أخويك في لغة غيرهم من يقوها بالياء وهم أكثر العرب فجعلوا مكانها ألفاً في لغتهم استخفافاً للألف)^(٢٨) ولا يبعد عندي أن يكون ما فعلته بلحارث من القياس الخاطيء، حيث قاسوا المنصوب وال مجرور على المرفوع وأجروا ثلاثة مجرى واحداً، ولا يبعد أيضاً أن تكون الألف أصلًا في المثنى في أوجه الاعراب الثلاثة ثم خالفوا بالياء في الجر والنصب للتفرير فيما بعد، يقوى ذلك قوله في لغة بلحارث (أبدلوا ياء أخويك في لغة غيرهم من يقوها بالياء... فاما في لغتهم هم فلا وذلك أنهم لم ينطقوها فقط بالياء في لغتهم فيبدلوها ألفاً ولا غيرها)^(٢٩). فإذا كانوا لم ينطقوها فقط بالياء فهذا معناه أنهم مقيمون على اللفظ القديم وهو الألف، ويكون القسم الأول مما أجزاءه الأخفش مرحلة تالية لهذه المرحلة وذلك قوله: (وأجاز أبو الحسن أن يكون كانت العرب قدماً تقول مرت باخويك وأخواك جميعاً إلا أن الياء كانت أقيس للفرق فكثر استعمالها وأقام الآخرون على الألف)^(٣٠). وهذه مرحلة تالية لمرحلة أسبق منها وهي النطق بلفظ واحد لأن الحاجة للتفرير لاحقة لا سابقة.

وأما القسم الثاني مما أجزاءه الأخفش فإنه يتعارض مع قول ابن جني أنهم لم ينطقوها قط بالياء في لغتهم، وذلك قوله: (أو أن يكون الأصل قبله الياء في الجر والنصب ثم قلبت للفتح قبلها ألفاً في لغة بلحارث بن كعب)^(٣١).

ومن ذلك إسكان ما حقه التحرير نحو قوله:

يا دار هند عفت إلا اثافيهَا

وقد مر الكلام عليه في بابه.

ومن ذلك الجر بعل مكسورة اللام كانت أو مفتوحة إذ قال: (وحكى أبو زيد أن لغة عقيل لعل زيد منطلق بكسر اللام الأخيرة من لعل وجر زيد)^(٣٢). (وقال أبو الحسن: ذكر أبو عبيدة أنه سمع لام لعل مفتوحة في لغة من يجر في قول الشاعر:

لعل الله يُمْكِنُني عليها جهارا من زهير أو أسيد)^(٣٣)

وقد ذكر ابن هشام أن الجر بعل لغة عقيل وأنهم أجازوا في لامها الأخيرة الفتح والكسر،

(٢٧) نفسه.

(٢٨) الخصائص ٢: ١٤.

(٣١) سر الصناعة (الازهر) ٢: ١٢٧.

(٢٩) الخصائص ٢: ١٤.

(٣٢) نفسه ٢: ١٢٨.

(٣٣) نفسه ٢: ١٦.

وعمل الفتح بالتخفيض، والكسر بأصل التخلص من القاء الساكنين^(٣٣)، وأورد المالقي هذا التعليل أيضاً وزاد بأن عمل الخفض بعمل حيث ذكر أن ما كان مختصاً بالأسماء (ولم يكن كجزء منها كالألف واللام حقه أن ينخفض)^(٣٤) فتكون لعمل الجارة على هذا قد جاءت في لغة عقيل على الأصل، أما النصب بها فهو فرع دعا إليه شبها بالفعل.

ومن ذلك صرف بعضهم جميع ما لا ينصرف فيقول: ضربت أحدها وكلمت عمرأ^(٣٥) وعليه قراءة: سلاسلاً وأغاللاً^(٣٦)، ولم يعلل الصرف هنا، وقد نقل السيوطي^(٣٧) حكاية الأخفش أن صرف ما لا ينصرف في الاحتياط لغة لبعض العرب، قال وكانتا لغة الشعراء لأنهم إذا اضطروا صرفاً في الشعر ما لا ينصرف، ثم جرت على ألسنتهم في النثر. وهو عندي رأي وجهه يدخل في باب القياس الخاطيء، سواء قاس الشعراء نثراً على شعرهم، أم قاسه غيرهم من سمعهم يصرفون في الشعر غير المنصرف فصرفه في النثر. وأما الآية فقد نصوا على أن الصرف إنما جاء للمناسبة^(٣٨) حيث صرفت كلمة سلاسل لمناسبة كلمة أغلال.

ومن العرب من يمنع نحو مسلمات على من الصرف (وعلى هذا ما حكاه سيبويه من قولهم هذه قرشيات غير مصروفة)^(٣٩) وقد عمل ذلك بأنهم شبهاً تاءها بتاء التائث في طلحة وحزنة، وشبهاً الألف التي قبلها بالفتحة التي قبل هاء التائث فمنعوها من الصرف^(٤٠)، ولست أدرى لم يقل أن الكلمة بعد أن سمى بها اجتمع فيها العلمية والتائث فمنعت من الصرف لذلك ولا داعي للقول حينئذ بالتشبيه.

ومن ذلك حركة نون المثنى حيث ذكر أن (من العرب من يفتحها في حال الجر والنصب تشبيهاً بأين وكيف ويحرري الياء وإن كانت غير لازمة مجرى اللازم...) وفتحها بعضهم في موضع الرفع، قرأت على أبي علي في نوادر أبي زيد:

أعرف منها الأنف والعينان ومنخرین أشبها ظبيانا^(٤١)

فأما الفتح مع الياء فقد عللها كما هو واضح وأما الفتح مع الألف فلم يعلله، والأشبه أنهم جعلوا النون مفتوحة في المثنى على كل حال إذ حلوا الألف فيه على الياء.

(٣٨) معه الهرام ١: ٣٧.

(٣٣) المعنى ١: ١٣٥.

(٣٩) سر الصناعة (الأزهر) ٢: ٢٢٧.

(٣٤) رصف المباني في شرح حروف المعاني ص ٣٧٤.

(٤٠) نفسه ٢: ٢٢٦.

(٣٥) سر الصناعة (الأزهر) ٢: ٢٠٠.

(٤١) نفسه ٢: ٢١٧.

(٣٦) الخصائص ٢: ٩٦.

(٣٧) معه الهرام ١: ٣٧.

ومن ذلك ما رواه من أنه (حكي أن منهم من يضم النون في قوله الزيدان والعمران) ^(٤٢) ولم يعلله والظاهر أن الذين فعلوا هذا قد أجروه مجرى المفرد مما في آخه ألف نون كسلمان وعثمان.

ومن ذلك اختلافهم في حركة الحرف الساكن إذا التقى ساكنان قال: (ومن العرب من يقرأ: اشتروا الضلالة، ومنهم من يكسر فيقول: اشتروا الضلالة، ومنهم من يفتح فيقول: اشتروا الضلالة.) ^(٤٣).

ولم يعلل الحركة في اللهجات، والظاهر أن الذين كسروا جاءوا بها على أصل التخلص من التقاء الساكنين، والذين ضموا، كانوا يحرضون على مناسبة صوت الواو، والذين فتحوا اختاروا الحركة الخفيفة.

ومن ذلك ما ورد من اختلافهم في أسماء الأفعال أَفْ وَأَوْهُ وهيئات حيث ذكر ثماني لهجات في أَفْ ^(٤٤)، وسبع لهجات في أَوْهُ ^(٤٥)، وعشر لهجات في هيئات ^(٤٦)، وذكر في لهجات أَفْ أن (الحركة في جميعها لالتقاء الساكنين فمن كسر فعلى أصل الباب، ومن ضم فللابتعاد، ومن فتح فللاستخفاف، ومن لم ينون أراد التعريف، ومن نون أراد التكير). ^(٤٧). ولعل كثرة استعمال هذه الكلمات هو الذي أكثر فيها اختلاف اللهجات.

ومن ذلك اختلافهم في الوقف حيث وقف بعضهم على المنصوب بلا ألف فقالوا: رأيت فرج، ومنهم من يهمز الألف في الوقف فيقول: رأيت رجلاً. وهذه حبلاً، ومنهم من يشدد عند الوقف فيقول جاء خالد وهو يفعل. ومنهم من يقف على التاء التي تقلب هاء في الوقف بالتاء فيقول عليك السلام والرحمت، ومنهم من يزيد على كاف المؤنث شيئاً فيقول في الوقف عليكش، ومنهم من يزيد شيئاً فيقول عليكش إذا وقف. وهذا كله خلاف اللغة المشهورة عنهم وقد مر الكلام عليه في مواضعه.

. (٤٢) نفسه : ٢١٨ .

. (٤٣) (الخصائص : ٣ : ١٣٢).

(٤٤) قال: (فقد مرت بنا المأطاط صالح جمعها طول التقرى بها وهي قولهم أَفْ، اسم الضجر وفيه ثماني لغات أَفْ وأَوْهُ وأَفْ وأَفْيَ مال.. وأَفْ خفيفه). (٤٥) (الخصائص : ٣ : ٣٧) (الخصائص : ٣ : ٣٤٨) مادة (أَفْ) ان فيها عشر لغات جمعها ابن مالك يقول:

فَأَفْ ثُلَّ وَنِسُونَ إِنْ أَرْدَتْ وَقْلَ أَفْيَ وَأَفْيَ وَأَفْيَهَ تَصْبَ

(٤٦) قال: (ومنها آتونه وهي اسم آتونه وفيها لغات آتونه وأَفْ وَأَوْهُ وأَفْ وَأَوْهُ وأَفْ). (الخصائص : ٣ : ٣٨).

(٤٧) قال: (وفي هيئات لغات: هيبةً وهيئهً وهيئات وهيئات وأَيَّهات وأَيَّهات وأَيَّهات وأَيَّهات.. وأَيَّهات..). (الخصائص : ٣ : ٤٢).

. (٤٨) (الخصائص : ٣ : ٣٨).

الفصل الخامس

شذوذ اللهجات والمقاييس بينها

شذوذ اللهجات :

تكلم ابن جني على الشذوذ والاطراد، ومادة شذوذ، وطرد. في باب عقده بعنوان باب القول على الاطراد والشذوذ، وذكر ان (أصل مواضع طرد في كلامهم التتابع والاستمرار.. وأما مواضع شذوذ في كلامهم فهو التفرق والتفرد.. هذا اصل هذين الاصلين في اللغة. ثم قيل ذلك في الكلام والأصوات على سنته وطريقه في غيرها، فجعل أهل علم العرب ما استمر من الكلام في الاعراب وغيره من مواضع الصناعة مطرداً، وجعلوا ما فارق ما عليه بقية بابه وانفرد عن ذلك إلى غيره شاذًا^(١)).

ثم فصل القول في الشاذ والمطرد في اللغة وذكر ان الكلام في ذلك يتناول أربعة أضرب^(٢) :

الأول: ما كان مطرداً في الاستعمال مطرداً في القياس. ووصفه بأنه الغاية المطلوبة، ومثل له بنحو: قام زيد.

الثاني: ما كان مطرداً في القياس شاذًا في الاستعمال. ومثل له بالماضي من يدع ويذر.

الثالث: ما كان مطرداً في الإستعمال شاذًا في القياس، ومثل له باستصوب واستحوذ.

(١) الخصائص ٩٦: ٩٧ - ٩٨.

(٢) نفسه ٩٧: ٩٨ - ٩٩، وانظر المنصف ٢٧٨: ١ - ٢٧٩.

الرابع: ما كان شاذًا في القياس شاذًا في الاستعمال، ومثل له بقول بعضهم: ثوب مصوون ومسك مدووف.

وقد ذكر أن الحكم في ما كان مطرداً في القياس ولكنه شاذ في الاستعمال وهو الضرب الثاني أن يتتجنب المتكلم ما تجنبه العرب، إلا أن ذلك لا يدعون إلى تجنب ما لم يرد عن العرب أنها حكمت عليه بالترك مما كان مشبهاً لهذا المتروك، وذلك لأن تداع الماضي من يذر فلا تقول وذر لأن العرب قد تركت ذلك واستغفت عنه بتراً إلا أن هذا لا يدعوك إلى ترك الماضي من يجد حلاً له على يذر إذا لم تكن قد سمعت وجده، لأنه لم يبلغك أن العرب قد تحمّلت الماضي من يجد كما تحمّلت الماضي من يذر، فالشيء إذا كان (شاذًا في السماع مطرداً في القياس تحمّلت العرب من ذلك وجرت في نظيره على الواجب في أمثاله).^(٣)، وبهذا نرى أن اطراد الكلمة في القياس لا يشفع للمتكلم في استعمالها مادامت العرب قد استغفت بغيرها عنها، فالقياس أبداً وراء الاستعمال لا إمامه، وهو من الأدلة القوية على أن العلماء كانوا يسيرون وراء كلام العرب الوارد إليهم يستبطون منه القواعد ولم يكونوا يقدّعون أولاً ثم يبحثون بعد ذلك عن شواهد تؤيد ما أوصلتهم إليه القواعد.

وما الحكم في ما كان مطرداً في القياس وهو الضرب الثالث فهو أن يتبع المتكلم ما قالته العرب، ولكنه لا يقيس عليه غيره (فلا بد من اتباع السمع الوارد به فيه نفسه، لكنه لا يتخذ أصلًا يقياس عليه غيره).^(٤)، فشنوذ الشيء في القياس إذن لا يضعف استعماله نفسه إذا كان مطرداً في الاستعمال، وإنما يمنع القياس عليه، لأن القياس كما تقدم إنما يكون على أكثر اللغة لا على أقلها، وأكثر اللغة فيها مثل به يقلب الواو الفاء بعد نقل حركتها وهي الفتحة إلى الساكن الصحيح قبلها نحو استقام واستعاد، والأصل استقوم واستعود بوزن است فعل، فقولهم استصوبت الشيء واستحوذ عليه، بالتصحيح من القلة بالقياس إلى كثرة ما ورد بالأعلال بحيث لا يكون من الصواب القياس عليه وترك القياس على الكثير في اللغة.

وما الضرب الرابع وهو ما كان شاذًا في الاستعمال شاذًا في القياس فحكمه أنه لا يجوز أن يقاس عليه كالضرب الثالث فلا يجوز أن تقول هذا رأي مقول مثلاً قياساً على قولهم هذا ثوب مصوون، بل إن إحدى نسخ الخصائص^(٥)، التي اعتمد عليها في التحقيق

(٣) الخصائص ١: ٩٩.

(٤) نفسه.

(٥) هي النسخة جـ التي كتبت سنة ١٣٢٥ هـ. وذكر ناسخها أنه نقلها عن نسخة قديمة كتبت سنة ٥٧٩ هـ. ووصفها المحقق بأنها (تختلف عن النسخ الأخرى اختلافاً كبيراً). ففيها اختصار وطرح لكثير من الشواهد التي في غيرها. . ٧١: ١ من المقدمة.

وأثبت نصها في المتن^(٦)، قد ذهبت إلى أبعد من هذا حيث منعت استعمال ما ورد عن العرب من الألفاظ التي حكم عليها بأنها شاذة في القياس والاستعمال إلا على سبيل الحكاية، فليس للمتكلم أن يستعمل كلمة مصورون مثلاً إلا إذا أراد أن يذكر أن بعض العرب قد أتم مفعولاً من الأجوف الواوي ويحكي قولهم ثوب مصورون. وكأن ما انفردت به هذه النسخة قد نظر إلى رأيه في ما كان شاداً في الاستعمال من الضرب الثاني وإلى رأيه في ما كان شاداً في القياس من الضرب الثالث، ومع ذلك ففي النفس شيء مما أورده هذه النسخة وذلك أن ما أورده في الضرب الثاني هو من المتروك الذي لم يثبت أن قوماً من العرب تكلموا به وهم من الكثرة بحيث يصلح أن يقال إنه من لهجةبني فلان فكان أن حكم عليه بالترك، إلا أن الذي أورده في الضرب الرابع من اقسام مفعول من الأجوف الواوي هو لهجة لقوم من تميم فمنع استعماله على هذا لا يتفق ومذهب ابن جني في اللهجات حين قال: (وكيف تصرفت الحال فالناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير محظى وإن كان غير ما جاء به خيراً منه)^(٧)، فإذا كان يحيى القياس على اللهجة الضعيفة إذا وردت عن فصحاء العرب فكيف يمنع استعمال اللفظة التي وردت عنهم نفسها، أغلبظن أنها زيادة مقصومة من حاشية إحدى النسخ وضعها بعض المعلقين بحسب فهمه إعتماداً على رأيه الوارد في الضرب الثاني والثالث فأثبتتها في المتن ناسخ ثان، والأولى أن تخرج منه.

وقد جعل من الضرب الرابع أيضاً ما تنازعه قياسان وهو شاذ في الاستعمال وذلك في ما حكاه بعضهم في الأمر من قتل حيث قيل اقتل بكسر المهمزة وضم التاء فهذا له وجه ضعيف في القياس وذلك أنه جاء بهمزة الطلب مكسورة على الأصل ولم يراع كراهية الخروج من الكسر إلى الضم اللازم واعتذر الساكن حاجزاً بينها لأنه حرف على كل حال وإن كان ساكناً لا حرفة فيه، والوجه القوي في القياس ضم المهمزة لمناسبة ضمة التاء وترك اعتداد الساكن حاجزاً، وقد وصف قولهم اقتل بكسر المهمزة بأنه (من الشاذ وإن كان له وجيه في القياس، فهو شاذ عن القياس والاستعمال جهيناً).^(٨).

هذا هو الإطار العام الذي ذكره لمعنى الشذوذ في اللغة وحكم الشاذ في الاستعمال وفي القياس، وبقيت مسائل أخرى يمكن أن نراها مبنية في مواضع أخرى مما كتب، فمن ذلك الكلمة المفردة تسمع من العرب لا نظير لها هل تعد شاذة؟ ومتى يقبل ما يرد من الألفاظ مخالفًا للغة الجمهور وللقياس وما علتَه؟ وهل ينتقل لسان العربي ويغلط فيكون

(٦) الخصائص: ١ .٩٩

(٧) الخصائص: ٢ .١٢

(٨) المنصف: ١ .٥٤ - ٥٥

ذلك مداعة لاتيانه بما يخالف قياس لغة العرب، وللاتيان بهمجة ثلاثة تداخلت من هجته واللهجة التي انتقل لسانه إليها وهل يعد ذلك في الشذوذ؟ وما الفرق بين شذوذ اللغة وشذوذ القراءة؟ وما أثر هذا الشذوذ في القراءات وهل كل القراءات الشاذة جاءت من لهجات شاذة؟ وفيما يلي بيان ذلك:

ما لا نظير له:

كان ابن جني يتحدث عن جزئية خالف الاخفش فيها مذهب الخليل وسيبوه، ورجح مذهبها على مذهب الاخفش، مستدلاً لها بأن الشاذ إنما يكون إذا ورد عن العرب كثير غيره على خلافه فاما إذا لم يرد عن العرب ما يخالفه ولا كان له عندهم نظير فلا يجوز أن يعد شاذًا . والمسألة التي تناولها هي الجمع الذي يأتي على مقاصل هل تهمز عينه إذا لم يكتتف الألف واوan . فذهب الخليل وسيبوه إلى أنها تهمز ، وذهب الاخفش إلى أنها لا تهمز إلا بشرط أن يكتتف ألف مقاصل واوan ، فإن اختفتا واوا وباء لم تهمز العين ، وكذلك إذا اكتتفت ياءان . واستدل ابن جني على صحة مذهب الخليل وسيبوه وأن القياس همز العين في هذا بما حكاه المازني من أنه سأله الأصممي عن عيّل كيف تكسره العرب فقال عيائل بالهمزة (إإن قال قائل متصرراً لابي الحسن إن همزهم عيائل من الشاذ فلا ينبغي أن يقاس عليه. قيل : إنما كان يكون هذا شاذًا لو كنت سمعتهم لم يهمزوا نظيره في كثير من الموضع ثم رأيتهم قد همزا عيائل فبهذا كان يمكن أن يقال إن همز شاذ ، فاما ولم نرهم صاححوا نظيره ، وفي الياء ما في الواو من الاستثناء فليس لك أن تحكم بشذوذها .)^(٩) ، بهذه الكلمة واحدة ، اكتتف الألف فيها ياءان همزت العين فيها على ما ذكر الأصممي لم يجعل الاستدلال الأول لها بمحاجة نظيرها مهمز وإنما جعل الاستدلال أنها سمعت مهموزة ولم يسمع نظيرها غير مهموز في كثير من الموضع حتى تجعل شاذة .

ولم يقف ابن جني عند هذا الاستدلال وإن كان هو الذي يعنيها هنا بل زاد عليه محاجة كلامتين عن أبي زيد بالالف يكتتفها ياءان وقد همزت العين فيها وكان ذلك تقوية بالنظير للاستدلال الأول (نعم وقد حكى أبو زيد عنهم سيقنة وسيائق وسيدة وسيائد بالهمز أيضاً^(١٠)).

ما خالف لغة الجمهور:

ذكر أنه إذا ورد عن عربي ما يخالف اللغة التي عليها جمهور العرب فإنه ينظر في حاله

(٩) المصنف ٤٥:٢ - ٤٦.

(١٠) المصنف ٤٦:٢ .

وحال ما سمع منه مخالفًا للغة الجمهور، أما حاله فإنه ينظر أهوم من عرف بفصاحته في غير ذلك الأمر الذي خالف فيه، فإذا كان فصيحاً في كل ما نقل عنه، وكان ما انفرد به مما يقبله القياس وإن كان الاستعمال لم يرد به إلا من جهة هو فإن الأولى أن يقبل منه ما أورده ولا يتهم بالخروج من الفصاحة في ذلك، ويخسن الظن به^(١١)، وعلل حسن الظن بأمرتين:

الأول: انه من الجائز أن يكون ذلك اللفظ قد وقع إليه من لهجة قدية بعد العهد بها فلم يبق منها أثر معلوم^(١٢).

الثاني: أن يكون شيئاً ارتجله، فقد ذهب ابن جني إلى أن الاعراب يمكن أن يتصرف ويرتجل ما لم يسبقه أحد إليه إذا قويت فصاحتته^(١٣).

وقد مثل للشيء يسمع من العربي الفصيح لا يسمع من غيره بما ورد عن ابن أحمر من كلام انفرد به^(١٤)، ثم ذكر ان الرأي في ذلك وجوب قبوله لأن العلماء قد شهدوا لابن أحمر هذا بالفصاحة. والقاعدة التي وضعها فيها ورد غير مخالف للقياس هي (لم نقطع على الفصيح يسمع منه ما يخالف الجمهور بالخطأ).^(١٥)

فإن جاء ما خالف الجمهور عن متهم في فصاحتته، أو عنمن لم يعرف العلماء فصاحتته، ولم يسبق لهم أن وثقوا فيها بمجرى على لسانه فإنه يرد حينئذ ولا يقبل منه^(١٦). وما يدخل في النظر إلى حال الفصيح انتقال لسانه من لهجته إلى لهجة أخرى، وقد ذكر أنه ينظر فيها انتقل لسانه إليه فإن كانت لهجة فصيحة أيضاً قبلت منه وإلا ردت عليه ولم تقبل منه ولا يشفع له أنه فصيح في غير تلك اللفظة التي عرفت ببعدها عن الفصاحة، وينظر إليه فيها كأنه من أهل تلك اللهجة الفاسدة فيها انتقل لسانه إليه قال: (فإن كان إنما انتقل من لغته إلى أخرى مثلها فصيحة وجب أن يؤخذ بلغته التي انتقل إليها كما يؤخذ بها قبل انتقال لسانه إليها حتى كأنه إنما حضر غائب من أهل اللغة التي صار إليها أو نطق ساكت من أهلها، فإن كانت اللغة التي انتقل لسانه إليها فاسدة لم يؤخذ بها)^(١٧)، حتى كأنه لم يزل من

(١١) المصنص ١: ٣٨٥.

(١٢) نفسه ١: ٣٨٦.

(١٣) المصنص ٢: ٥٥.

(١٤) نفسه ٢: ٢١ - ٢٤.

(١٥) نفسه ١: ٣٨٧.

(١٦) نفسه ٢: ٢٥ وانظر ١: ٣٩٠ أيضاً.

(١٧) زاد المحقق بعد هذه الكلمة (ويؤخذ بالأولى) من المزهر والاقتراح للسيوطى، وهي زيادة لا أراها صواباً، وليست في النسخ المتمدة في التحقيق، وتغير المعنى، وعندى أن المعنى الذي يريد ابن جني طرح اللفظة التي انتقل إليها ولا يلتفت إلى فصاحتها قبل ذلك، فكأنه لم يزل من أهل هذه اللفظة الفاسدة، فلا يشفع للحقيقة إن استعملها فصيحة من العرب، عرف قبل ذلك بفصاحتها.

أهلها وهذا واضح .^(١٨)

هذا بالنظر إلى حال من ورد عنه ما خالف الجمهور، فاما النظر إلى ما اورده مخالفًا فإنه إن كان موافقاً للقياس قبل منه كما تقدم وإن انفرد به، فاما إن كان ما انفرد به مخالفًا للقياس فإنه يرد عليه ولا يقبل منه وإن كان فصيحاً مشهوداً له بالفصاحة ذلك لأنه حينئذ سيكون قد خالف السماع والقياس جميعاً^(١٩)، ولا تكون فصاحته حينئذ شفيعاً له في قبول ما خالف السماع والقياس، ولا يقنع في اللفظ المخالف بوروده من الواحد أو العدد القليل من العرب الفصحاء، فإن كثر عدد قائليه وهو مع ذلك مخالف للقياس ومخالف لما عليه لغة الجمهور من العرب فإن ابن جني قد أجاز قوله، ويفسره بأنه إما أن يكون الذين نطقوا به لم يحكموا قياسه على لغة آبائهم، وإما أن يكون الدارس لم يتبيّن فيه وجه القياس^(٢٠)، وزاد على ذلك أنه لا يمنع أن يجد الفساد طريقه إلى لسان العربي الفصيح إذا كثر سماعه لما ليس فصيحاً فيجري ذلك في كلامه، ولم يلبث أن تدارك هذا الأخير ذاكراً أنه يكاد يكون متذرر الوقوع لأن العربي الفصيح إذا تحولت به عن لغته التي هو عليها إلى أخرى ضعيفة رفضها ولم يبدأ بها^(٢١).

وما يدخل في هذا الباب أيضاً ما أطلق عليه لفظ الغلط في باب عقده بعنوان باب في اغلاط العرب، ويبدو أنه كان يريد بالغلط مخالفة القياس بسبب توهם العربي في اللفظة، مما يجعله داخلاً في القياس الخاطيء وتسرى عليه احكامه من حيث كثرة الناطقين به او قلتهم، وذلك واضح من تعليمه ومتسلله في الباب قال: (كان أبو علي رحمه الله يرى وجه ذلك ويقول إنما دخل هذا النحو في كلامهم لأنهم ليست لهم أصول يراجعونها ولا قوانين يعتضمون بها، وإنما تهجم بهم طباعهم على ما ينطقون به، فربما استهواهم الشيء فزاغوا به عن القصد).^(٢٢)، فهم إذن قد يزيفون عن القصد لأن الشيء يستهواهم ولم تكن القواعد التي هي القياس معروفة لديهم حتى تعصّمهم من الرأي في الكلام، وقد مثل لذلك بقول الشاعر:

غداً مالكٌ يرمي نسائيٍ كأنما
نسائيٌ لسهميٍ مالكٌ غرضان
فياربَ فاترك لي جهنمةً أعمراً
فمالكُ موتٌ بالقضاءِ دهاني
وذكر أن هذا الرجل الذي مات نسوته الواحدة بعد الأخرى، لكثره سماعه كلمة
ملك الموت ظن أنه فعل مثل ذلك فأخذ منها على مثال فاعل فقال مالك (وحقيقة لفظ غلط

(١٨) المخصاص ١٢: ٢ .

(١٩) نفسه ١: ٣٨٧ .

(٢١) نفسة ٢: ٢٦ .

(٢٢) المخصاص ٣: ٢٧٣ . وانظر المصف ٣١١: ١ .

(٢٠) نفسه ٢: ٢٥ - ٢٦ .

وفساد^(٢٣)، ذلك أن أصل اللفظ من لأك فعل وملاك مفعول منه الزمت همزته التخفيف فقيل ملك فهو بزنة مفل ، إلا أن هذا الاعراب قد بنى على ظاهر اللفظ فهو إذن قد أحطاًقياس وتوهم وهذا معنى نسبة الغلط إليه . ومثل ذلك أيضاً في التوهم ما جاء عنهم من همز مصائب (وهو غلط منهم)^(٢٤)، حيث جعلوا مصيبة كصحيفة فكما قالوا صحائف وهزوا قالوا مصائب بالهمز أيضاً ، والحق أن ياء مصيبة ليست زائدة كياء صحيفة حتى يصح همزها ، لكنهم توهموا في القياس أيضاً.

تداخل اللغات وتركيبها :

ذكر ابن جني في باب تركيب اللغات أنه موضع (دعا اقواماً ضعف نظرهم .. إن جعوا أشياء على وجه الشذوذ عندهم وأدعوا أنها موضوعة في أصل اللغة على ما سمعوه باخرة من أصحابها .. لا تراهم كيف ذكروا في الشذوذ ما جاء على فعل يفعل نحو نعم ينعم .. وقالوا أيضاً فيما جاء من فعل يفعل وليس عينه ولا لامه حرفاً حلقياً نحو قل يقل .. وما عدوه شاذًاً ما ذكروه من فعل فهو فاعل نحو طهر فهو طاهر .. واعلم ان أكثر ذلك وعامته إنما هو لغات تداخلت فتركت .. هكذا ينبغي أن يعتقد وهو أشبه بحكمة العرب^(٢٥)، ويبدو ان الأقوام الذين وصفهم ابن جني بضعف النظر هم في بعض ما ذكره جمهور العلماء ، فإننا نجد القول بشذوذ ما جاء مفتوح العين في الماضي والمضارع من غير حرف حلق في كثير من كتبهم ، قال سيبويه في أبي يابي : (ولا نعلم إلا هذا الحرف واما غير هذا فجاء على القياس .. وأما جبى يحبى وقل يقل فغير معروفي إلا من وجه ضعيف)^(٢٦)، وقد قال السيرافي في ما نقل عنه ملخصاً في هامش الصفحة المذكورة : (قوله ولا نعلم إلا هذا الحرف ، قال السيرافي الإشارة إلى أبي يابي وأما جبى يحبى وقل يقل فلم يصحا عنده كصحة أبي يابي .. ومثله عضضت بعض أي كمنع يمنع الذي حكاه ، وهو شاذ) ، وقال ابن الحاجب : (وشذ أبي يابي)^(٢٧) ، بل إن ابن جني نفسه وصف فعلًا من هذا بالشذوذ ، وإن ذكر بعده أنه من باب التداخل (واما يهلك بفتح الياء واللام جميعًا فشادة ومرغوب عنها لأن الماضي هلك فعل مفتوح العين ولا يأتي بفعل مفتوح العين فيها جميعًا إلا الشاذ ، وإنما هو أيضاً لغات تداخلت).^(٢٨).

(٢٣) نفسه ٣٧٤:٣

(٢٤) نفسه ٣٧٧:٣

(٢٥) الخصائص ١: ٣٧٤ - ٣٧٥

(٢٦) الكتاب ٢: ٢٥٤

(٢٧) شرح الشافية ١: ١١٤، وانظر اوزان الفعل ومعانيها ص ١٩

(٢٨) المحتسب ٢: ٢٦٨

وقد اعتل لما جاء مفتوحاً وأخره الف كجبي بحسب بأنه مثل أبي يابي (وذلك أنهم شبهوا الألف في آخرة بالهمزة في قرأ يقرأ وهذا يهدأ)^(٣٩)، وهذا التعليل ذكره سيبويه في الموضع الذي تقدم ولكنه لم يخرجه من خالفة القياس، فهو شاذ وإن وجد له وجه من التعليل.

وتدخل اللغات وتركها أمر تحيزه كثرة اللقاء بين العرب واحتلاطهم وسماع بعضهم من بعض فهم وإن كانوا متشرين على أرض الجزيرة الواسعة إلا أنهم يحرون بجرى الجماعة الواحدة في تلقيهم وتزاورهم^(٤٠)، وقد ذكر ابن جني أن العرب يختلفون في الاستعداد للاخذ من اللهجات الأخرى غير اللهجة التي هم عليها، إذ هم في ذلك ثلاثة أقسام: قسم يأخذ ما يسمعه من غير تردد أو إبطاء، وقسم يقيم على لهجته فلا يؤثر فيه سماعه غيرها من الألفاظ، وقسم بين هذا وذاك، حيث يظهر عليه أثر ما سمع إذا طال تكرار لهجة غيره عليه فترى في كلامه بمرور الوقت^(٤١).

وإذا أخذ بعضهم من بعض فإنه لا يتشرط أن يأخذ منه الصيغة في كل أحوالها المتغيرة، إذ قد يقتصر الأخذ على صورة من صورها (لأن آخذاً إلى لغته لغة غيره قد يجوز أن يقتصر على بعض اللغة التي اضافها إلى لغته دون بعض)^(٤٢)، وقد تؤثر كل من اللهجتين في الأخرى على حد سواء بحيث تأخذ هذه من تلك شيئاً وتأخذ تلك من هذه شيئاً غيره فيؤدي ذلك إلى تركب لهجة ثالثة^(٤٣)، وقد يسمع الماضي من قوم ويسمع المضارع من غيرهم فيؤدي ذلك أيضاً إلى تركب لهجة ثالثة وذلك كان يسمع الماضي من لهجة من يقول مث مثات فيحفظ مث ثم يسمع المضارع من يقول مث ثوت فيحفظ، فتكون عندنا مث ثوت^(٤٤). وقد أجاز أن يكون في القبيلة الواحدة صيغتان للفظ الواحد فيسمع منهم الماضي من صيغة والمضارع من الأخرى فتتركب لهجة ثالثة كأن يكون في القبيلة الواحدة نعم ينعم ونعم ينعم فيسمع الماضي من الأولى والمضارع من الثانية فيكون لدينا نعم ينعم^(٤٥).

وقد نقل ابن جني القول بتدخل اللغات إلى القراءات، فوجدنا عنده ما أطلق عليه تداخل القراءتين، وذلك حين عرض لقراءة: الحُبُك بكسر الحاء وضم الباء حيث ذكر أنه يجوز أن يكون الذي قرأ بها قد تداخلت عليه القراءاتان الحُبُك والحبُك فكأنما أراد قراءة الحُبُك بكسرتين فلما كسر الحاء تحول إلى قراءة الضم فضم الباء، وهذا التحول نوع من

(٤٩) الخصائص ١: ٣٨٢.

(٤٠) نفسه ١: ٣٨١.

(٤١) نفسه ١: ٣٨٣.

(٤٢) الخصائص ١: ٣٨٠.

(٣٣) نفسه ١: ٣٨١.

(٣٤) نفسه ١: ٣٥٦.

(٣٥) نفسه ١: ٣٥٧.

التخلط عنده وقد شبهه بقول بلال بن جرير:
 إذا جئتُم أو سَأَلْتُمْ وَجَدْتُ بِهِمْ عَلَّةً حَاضِرَةً
 وَذَلِكَ أَنَّهُ أَرْدَحَتْ عَلَيْهِ سَأْلَتْهُمْ وَسَاءَلَتْهُمْ وَسَأَلْتَهُمْ (فَخَلَطَ فَقَالَ سَأَلْتُهُمْ) ^(٣٦)،
 فَكَذَلِكَ الْأَمْرُ فِي قِرَاءَةِ الْحِلْكَ.

ومن ذلك أيضاً قراءة: سأّلتُمْ، مكسورة السين مهموزة، حيث وصفها بأنها غريبة ثم قال: (والصنعة في ذلك أن في سأّل لغتين سلت تسال كخفت تخفّاف، وسألت تسأل كسبحت تسبح.. فاما قراءة سأّلت فعلى انه كسر الفاء على قول من قال سأّلت كخفّاف، ثم تنبه بعد ذلك للهمزة فهمز العين بعدما سبق الكسر في الفاء فقال سأّلت فصار ذلك في تركب اللغات) ^(٣٧)، وقد شبه هذا أيضاً بقول بلال المقدم.

شذوذ القراءة:

قد عرفنا آنفًا ما المراد باللغة الشاذة وعلينا أن نبين الآن المراد بالقراءة الشاذة وهل يراد بها القراءة بلغة شاذة؟

ذكر ابن جني في أول كتابه المحتسب المراد بالقراءة الشاذة وقد جعل الكتاب مكرساً للتوجيه القراءات التي وصفت بأنها شاذة والاحتياج لها، فكل ما فيه من القراءات هو من الشاذ، وتفسيره لهذا الشاذ كما ورد عنده هو ما جاء خارجاً عن قراءة القراء السبعة الذين جمع ابن مجاهد قراءاتهم في كتابه الموسوم بقراءات السبعة (فسماه أهل زمانه شاذًا أي خارجاً عن قراءة القراء السبعة المتقدم ذكره) ^(٣٨)، ولذلك فإن قولهم قراءة شاذة لا يعني عنده أنها قائمة على طهجة شاذة وإنما هي ما لم يذكره ابن مجاهد للقراء السبعة، فقد تكون بلهجة شاذة وقد لا تكون، وعلى أيه حال فقد قرر أن ما يسمى في زمانه شاذًا (ضارب في صحة الرواية بجرانه آخذ من سمت العربية مهلة ميدانه.. والرواية تنمية إلى رسول الله ﷺ.. فإن قصر شيء منه عن بلوغه إلى رسول الله ﷺ فلن يقصر عن وجهه من الأعراب.. فانا نعتقد قوة هذا المسمى شاذًا.. وأكثر ما فيه أن يكون غيره من المجتمع عندهم عليه أقوى منه اعراباً وانهض قياساً، إذ هما جميعاً مرويان مستنداً إلى السلف رضي الله عنه) ^(٣٩).

(٣٦) المحتسب ٢٨٧: ٢

(٣٧) نفسه ١: ٨٩

(٣٨) المحتسب ١: ٣٢، وانظر في تطور معنى الشذوذ في القراءات التحقيق الذي كتبه د. عبد الصبور شاهين في تاريخ القرآن من ٢٠٠ وما بعدها.

(٣٩) نفسه ١: ٣٢ - ٣٣

ولكن إلى أي مدى التزم ابن جني بهذا التفسير في تعليل القراءات الشاذة؟ لقد وجدت القراءات الشاذة معللة عنده بأنها لغات أحياناً ويحاول بيان سرها، وقد لا تكون لغة فحينما يجهد في أن يجد لها وجهاً ما في القياس، فإن أعجزه ذلك الصق بها وصفاً ما من أوصاف التضييف، فمما رده إلى اللهجات وسمى اللهجات التي رده إليها قوله في قراءة: نؤته منها، بضم الهاء أنها (على لغة أهل الحجاز، ومثله قراءتهم: فخشنا به وبدار هو الأرض)، وقوله في قراءة: الحُبْك باسكنان الباء (وهي لغةبني تميم كرسُل وعَمْدَ في رُسُل وعَمْدَ)، وقوله في قراءة رِبُون بضم الراء (الضم في ربيون تميمية) (٤٢).

وقد يذكر أن القراءة التي يتناولها بالحديث لغة ولكنه لا يسمى القبيلة التي تعود إليها، بل يكتفي بذكر المنطقة التي توجد فيها قبائل كثيرة، فمن ذلك مثلاً كلامه على ضم اللام من الله في قوله تعالى الحمد لله حيث ذكر أنها (قراءة أهل الباذية) (٤٣)، وقد لا يذكر منطقة ويكتفي بالقول إن فيها أكثر من لغة كقوله في قراءة وهنوا بكسر الهاء (فيه لغتان وهن بين ووهن يوهن) (٤٤)، وقد يذكر أنها لغة على سبيل الظن أو الاحتمال الراجح كقوله في قراءة الضم في شوب (الشوب الخلط بفتح الشين ولم يمرر بنا الضم ولعله لغة فيه كالفقر والفقير) (٤٥).

وقد يتعدد بين حل القراءة على الصناعة أو اللهجة التي لم تصل إليه فمن ذلك قوله في قراءة ولبيسوا عليهم بفتح الباء (المعروف في هذا لبس الثوب البسي ولبسه ولبس عليهم الأمر البسي، فإذا ما أن تكون هذه لغة لم تتأد إلينا، لبس عليهم الأمر البسي في معنى لبسه البسي، وإنما أن تكون غير هذا وهو أن يراد به شدة المخالطة لهم في دينهم) (٤٦)، ومن ذلك أيضاً قوله في قراءة ونزل الملائكة بتخفيف الزاي، وبينه الفعل للمجهول (هذا غير معروف لأن نزل لا يتعدي إلى مفعول فيبني هنا للملائكة). فإذا ما يكون ذلك لغة طارقة لم تقع علينا، وأما أن يكون على حذف المضاف يزيد ونزل نزول الملائكة) (٤٧)، وهو في غالبية أمره يحسن الظن بالقراءة ويرى أنه لم يقرأوا برأي رأوه من أنفسهم وإنما رووا ذلك رواية وإن كان ماقرأ به القارئ منهم لم يسمع إلا من جهته هو فمن ذلك كلامه على قراءة الأاعمش: اثنتا عشرة بفتح الشين حيث وصفها بالشذوذ، وذكر أن القراءة المشهورة بسكونها، ولغة تميم تكسر الشين ثم قال: (وينبغي أن يكون قد روى ذلك رواية ولم يره رأياً لنفسه) (٤٨).

(٤٥) نفسه: ٢٢١.

(٤٠) نفسه: ٢٤٩.

(٤٦) نفسه: ٢٣١.

(٤١) نفسه: ٢٨٧.

(٤٧) المحاسب: ١٢١.

(٤٢) المحاسب: ١٧٣.

(٤٨) نفسه: ٨٦.

(٤٣) نفسه: ٣٧.

(٤٤) نفسه: ١٧٤.

ومنه أيضاً قراءة قاتدة فيظلن حيث ذكر أن مجيء هذا الفعل بهذه الصيغة لم يمرر به ومع ذلك قال: (ولم يقرأ قاتدة إن شاء الله إلا بما رواه وأقل ما في ذلك أن يكون سمعه لغة.)^(٤٩)، ومن ذلك أيضاً قراءة ابن كثير: خمسة بفتح الميم ولم يقرأ بها أحد سواه كما ذكر ومع ذلك فقد صرخ بحسن الظن به فيها قرأ بقوله: (لم يحرك ميم خمسة إلا عن سماع)^(٥٠).

إلا أن هذه الثقة بالقراء لم تقنعه أحياناً من رد بعض ما يقرأون به، لا من اتهامهم بضعف الرواية ولكن بضعف الدرائية، كما فعل في القراءة المنسوبة إلى أبي عمرو في قوله تعالى فتوبوا إلى بارئكم باسكان المهمزة حيث ذكر رواية سيبويه اياها مختلسة لا مخدوفة، وسبويه عنده أضبط لأمر اللغة من القراء الذين ذكروا ان المهمزة ساكنة، وهو لا يتهم القوم في اماتهم في ما ينقلون إلا أن ذلك عنده من ضعف الدرائية^(٥١)، وقد تقدم الكلام على هذه القراءة وأوضحنا رأينا فيه.

واتهامه بعض القراء أحياناً بضعف الدرائية جعله يبالغ في إساءة وصف بعض القراءات التي لا تتفق والقياس عنده ولم يجد لها وجهاً يوجهها فيه، ولا يمكن أن يجتمع عليه بأنه اثبت لهم الأمانة في النقل فكيف لا يقبل ما قرأوا به، لأن الذي يتهم في درايته لا يبعد أن يتورّم في ما يروي أو يخطيء فيه.

فمن ذلك وصفه قراءة بالضعف والفساد حيث ذكر أن أبي جعفر قرأ: ثم قلنا للملائكة اسجدوا بضم تاء الملائكة، وقال عنه إنه (مذهب ضعيف جداً) وذلك ان الملائكة مجرورة ولا يجوز أن يكون حذف همزة اسجدوا والتي حركتها على الهاء... فهذا كله وما تركناه يشهد بفساد قراءة أبي جعفر للملائكة اسجدوا)^(٥٢).

وقد يصف القراءة بالخطأ أو الغلط كقوله: (وقد قرأ بعض القراء خطأه، فحرك الياء للتخفيف. وهذا خطأ.)^(٥٣)، وقوله في قراءة الحسن البصري: وما تنزلت به الشياطون (هذا ما يعرض مثله للفصيح لتدخل الجميين عليه وتشابهها عنده.. وعلى كل حال فالشياطون غلط)^(٥٤).

وقد يصفها بأنها سهو أو كالسهو كما فعل في قراءة ابن عيسى من سندس واستبرق بهمزة وصل بدل همزة القطع في استبرق (قال أبو الفتاح هذا عندنا سهو أو

^(٤٩) المحتب: ١ - ٢٤٣ - ٢٤٣.

^(٤٩) نفسه: ٢ - ٢٥٢.

^(٥٠) المنصف: ١ - ٣٢٨.

^(٥٠) نفسه: ٢ - ٢٧.

^(٥١) المحتب: ٢ - ١٣٣: ١٣٣ وانظر المنصف: ١ - ٣١١.

^(٥١) الحصائص: ١ - ٧٣ - ٧٧.

كالسهور).^(٥٥)، بل لقد بلغ به الأمر إلى أن تجافي عن قراءة سبعة مشهورة وهي التي عليها القراءة اليوم فقال: (فَلَمَّا قرأتُ عاصم: وَقِيلَ مِنْ راقٍ، بِبَيْانِ التُّونِ مِنْ مِنْ فَعِيبٍ فِي الْأَعْرَابِ مَعِيفٍ فِي الْأَسْمَاعِ).^(٥٦)

ووصف بعض القراءات الشاذة بالتحريف والتتشبث باللغة السريانية واليهودية فقال: (اعلم أن أقوى القراءات في هذا الحرف هو ما عليه العامة وهو صلوات، وبلي، ذلك صلوات وصلوات وصلوات، فلما بقيت القراءات فيه، فتحريف وتتشبث باللغة السريانية واليهودية).^(٥٧)

وهذا كله إذا لم تأت القراءة على لهجة من لهجات العرب، ولم يمكنه أن يخرجها بوجه من وجوده الصناعة، فإن كان لها وجه في الصناعة قال به حينئذ، وإن طالت صنته وظهر فيها التخلف كما فعل في قراءة الزهرى: لكل باب منهم جزء مقصوم، حيث ذكر أن أصل الكلمة جزء وهي فعل من جزأ الشيء، والقراءة به هي قراءة الجمهور، إلا أنه خفف الممزقة بحذفها والتي حركتها على الزاي قبلها فصار اللفظ جُز، ثم انه قوى الوقف على لهجة من يقف بالتشديد فيقول جاء خالد وهو يجعل فقال: جز، ثم وصل وهو يزيد نية الوقف فأقر التشديد فقال: جز مقصوم^(٥٨). ومثل ذلك أيضاً ما أورده في قراءة المسلمي والحسن وابن حيمصن وسلم وقتادة: يوَقَدْ، حيث ذكر أنه مشكل ثم حاول أن يجد له وجهاً في الصناعة بأن قال إن الأصل يتوقف فكان ينبغي الا يحذف منه شيء لأن الحذف إنما يكون إذا كان حرف المضارعة تاء نحو تتفكرُون وتذكرون فيحذف الثاني منها كراهة توالي المثلين، لغرض التخفيف، وليس في لفظ يتوقف مثلاً حتى يحذف التاء فيقال يوَقَدْ، ثم لم يثبت أن اعتذر لذلك. بأن الياء حرف مضارعة وكذلك التاء في نحو تتفكرُون حرف مضارعة، فشبه الياء بالتاء لاستواهما في كونهما من حروف المضارعة وأنها زائدتان، فحذف التاء في يتوقف لأجل الياء المضارعة كما حذفت في تتفكرُون لأجل تاء المضارعة، وحمل الياء على التاء له نظير في لغة العرب حيث حملوا التاء والنون على الياء في قولهم تعد ونعد فحذفت لها الواو كما حذفت لأجل الياء في يعد فكذلك هنا شبهت الياء بالتاء فحذفت لها التاء كما حذفت مع التاء).^(٥٩).

(٥٥) نفسه: ٢٩: ٢.

(٥٦) الخصائص: ١: ٩٤.

(٥٧) المحتب: ٢: ٨٣ - ٨٤، وهذه النصوص من المحتب كافية كما أرى في دفع الوهم الذي وقع فيه الاستاذ عضيمة حين ذكر أن من المقارنات العجيبة موقف ابن جني من القراء في الخصائص والمتصف ودفعه عن القراءات الشاذة وعن القراء في المحتب فموقعه كما رأينا من الذي خالف القويس ولم يكن له وجه، هو هو. وانظر دراسات لأسلوب القرآن: ١: ٣٢ - ٣٣.

(٥٨) المحتب: ٢: ٤.

(٥٩) المحتب: ٢: ١١٠ - ١١١.

المقايسة بين اللهجات:

قرروا ابن جني كما تقدم ان المتكلم على وفق لهجة من لهجات العرب يكون مصيباً كلام العرب غير مخطيء له وإن كانت اللهجة ضعيفة، إلا أنه يكون حينئذ قد أخذ بما هو خلاف الأولى^(٦٠). وهذا الاتجاه للكلام على اللهجات ووصفها بالضعف والقوة أو بالاولى وخلاف الأولى نجده يتردد كثيراً فيها كتب، ووجدناه يفضل بين اللهجات ويقاس بينها، فهذه اللهجة هي القياس وتلك ضعيفة في القياس، واقيس اللهجتين كذا والثانية لها وجه في القياس، وهكذا.

وقد مر أيضاً حد اللغة عنده وانها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم^(٦١)، وجمهور العلماء ومنهم ابن جني كانوا يستعملون كلمة لغة فيها نعبر عنه الآن بلفظ لهجة فيقولون لغة تميم ولغة الحجاز ولغة بلحارات ولغة طيء... الخ، وسواء اخذنا بعبارة القدامى في اطلاق لفظ اللغة على اللهجات أم اخذنا بما عليه جمهور كتاب اللغة اليوم من جعل لفظ اللغة لام كاللغة العربية، واللهجات لفروعها كاللهجة الحجازية والتيممية، أو لغة العراقيين واللهجة أهل الشام، فإننا نصل إلى نتيجة واحدة من حيث النظر إلى أن اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، فاللهجة التيممية لغة لأنها الأصوات التي يعبر بها التيمميين عن أغراضهم، وهكذا، وقد ذكر بعض المحدثين أنه (لا يفرق علم اللغة بين لهجة dislect ولغة Literary Language كل لهجة هي لغة قائمة بذاتها بنظامها الصوقي وبنحوها وبترابيقها ويمقدرها على التعبير)^(٦٢).

وإذا كان الأمر هكذا فعل أي أساس كان ابن جني يستعمل كلمة الأقياس، ويقاس بين اللهجات العربية؟ الذي انتهت إليه أنه لم يكن يفضل بين اللهجات بقياس واحد، وإنما كان هناك أكثر من سبب يدعوه إلى تقوية لهجة أو تضييف أخرى، فقد يكون السبب أن إحدى اللهجتين هي لغة القرآن أو لقریش أو للحجاج، وقد تكون احدهما أكثر استعمالاً، أو قد تكون أكثر اتفاقاً مع القواعد العقلية التي استنبطها العلماء من كلام العرب، وقد يجتمع في إحداهما أكثر من سبب.

على أنه قد يفضل لهجة على أخرى من غير ذكر لسبب التفضيل فمن ذلك مثلاً كلامه على لفظ (القنية) حيث ذكر أنه يجب على ظاهر لفظها أن تكون من الياء، إلا أن البصريين

(٦٠) الحصائر ١٢: ٢.

(٦١) الحصائر ٣٣: ١.

(٦٢) نحو عربية مسيرة ص ٩١.

يرون أنها من الواو، والأصل عندهم قنوة وقد أبدلت الواو ياء لانكسار ما قبلها ولم يعتد النون حاجزاً لأنه ساكن فهو حاجز ضعيف (على أن أعلى اللغتين قنوت)^(٦٣)، ولم يبين لم كانت قنوت أعلى من قنیت، ومنه أيضاً قوله: (ومن ذلك قراءة أبي رجاء: يصل به الذين كفروا. بفتح الياء والضاد، قال أبو الفتح: هذه لغة اعني ضللت أصل وللغة الفصحى ضللت أصل)^(٦٤)، ومنه أيضاً (يتحتون بفتح الحاء، قال أبو الفتح: أجود اللغتين نحت يتحت بكسر الحاء، وفتحها لأجل حرف الخلق الذي فيها كسر يسحر)^(٦٥).

الراجح أنه يريد بكلمة أعلى اللغتين أو أجودهما أو الفصحى، فيما تقدم اللغة الأكثر استعمالاً أو لغة القرآن أو الحجازية، وقد ينضاف إلى هذا قوة القياس، فالكلمة الأولى ظاهر أمرها كما ذكر أنها من الياء، وما دام الفعل قد ورد بالياء في هجنة فحمله عليها أولى من الاعتلال الذي ذكره، إلا أن الذي قوى ذلك الاعتلال أن أعلى اللغتين بالواو، فمن أين جاءها العلو إن لم يكن من كثرة الاستعمال. وكذلك في ضل يضل ويضل إنما كانت يصل اللغة الفصحى لكثرتها وقوتها في القياس لأن الكثير في المضعف اللازم أن يكون من الباب الثاني كما هو معلوم. وفي يتحت نراه يعتل للفتح بأنه لأجل حرف الخلق مما يدل على أن الكثير في الاستعمال إنما هو الكسر.

وقد يصف اللغة بالضعف والقبح لأنها جاءت بأصوات لم تؤلف في القرآن ولا في الشعر، وهو وإن أطلق عليها كلمة لغة إلا أن الراجح أنها من تأثير الناطقين بها من جاورهم أو خالطهم من غير العرب، ولذا لا نراه يرخص فيها كما فعل في بقية اللهجات بقوله إن الناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطيء، بل منع الأخذ بها في القرآن وفي الشعر، قال: (وقد تلحق بعد ذلك ثمانية أحرف وهي فروع غير مستحسنة ولا يؤخذ بها في القرآن ولا في الشعر، ولا تكاد توجد إلا في لغة ضعيفة مرذولة، غير مقبولة وهي الكاف التي بين الكاف والجيم، والجيم التي كالفاكاف..)^(٦٦).

وعلى أية حال فإن ما ذكره من تضييف للهجات أو مفاضلة بينها لا يعدو ما ذكرناه آنفاً من الكثرة والقلة، أو لغة القرآن وغيرها، أو موافقة المقاييس المستتبطة من كلام العرب ومخالفتها (وذلك أننا بكلامهم ننطق فينبغي أن يكون على ما استكثروا منه يحمل، هذا هو قياس مذهبهم وطريق اتفاقائهم).^(٦٧)، وفيما يلي تفصيل ذلك:

نقل عن عمر رضي الله عنه أن القرآن نزل بلغة قريش وذلك في رسالته التي بعث بها

(٦٦) سر الصناعة: ١: ٥١.

(٦٣) الخصائص: ٣: ٩٥.

(٦٧) الخصائص: ٢: ٢٦٠.

(٦٤) المحاسب: ١: ٢٨٨.

(٦٥) نفسه: ٢: ٥.

إلى ابن مسعود رضي الله عنه وفيها: (إن الله عز وجل أنزل هذا القرآن فجعله عربياً، وأنزله بلغة قريش، فاقرء الناس بلغة قريش، ولا تقرئهم بلغة هذيل، والسلام .) ^(٦٨) وقد ذكر أن هذا الذي نهى عنه عمر رضي الله عنه جائز وليس خطأ، لكن الأخذ بما أمر بها وهو الأكثر في الاستعمال، ولغة القرآن التي هي لغة قريش هي الفصحى عنده ويسمى بها لغة الحجاز كثيراً قال: (واللغة الأولى أكثر واقيس وهي لغة أهل الحجاز وبها نزل القرآن) ^(٦٩) ، وقال: (لأن القرآن بهذه اللغة نزل، ولعنه أفصح اللغات) ^(٧٠) ، وقال: (وأعلى اللغتين الحجازية وبها نزل القرآن) ^(٧١) . ولذا فإن الحجازية مفضلة إذا اختلفت مع غيرها إذ هي الفصحى والأكثر في الاستعمال بذلك على هذه الفصاحة والكثرة إن القرآن نزل بها (فالوجه أن تحمله على ما كثر استعماله وهو اللغة الحجازية ألا ترى أن القرآن بها نزل) ^(٧٢) .

وقد وجده يعلل الفصاحة في اللقطة بأنها لغة الحجازيين من غير أن يذكر أي دليل على الفصاحة سواه قال: (أما نُشرًا فتحنفِّي نُشرًا في قراءة العامة، والنشر جمع نشور لأنها تنشر السحاب وتستدره، والتثليل أفصح لأنَّه لغة الحجازيين، والتحنفيف في نحو ذلك لتعيم) ^(٧٣) . وقد يكتفي بالكثرة علة لتفضيل اللهجة من غير إشارة إلى نسبة فمن ذلك نظره في قوله أديم مؤرطى حيث أجاز أن يكون وزنه مفعلي وتكون المهمزة فاء كما قالوا مسلقى ومجعبي، ويجوز أن يكون وزنه مؤفعلاً ويكون قد أظهر المهمزة كما قال:

فإنه أهل لأن يؤكرما

إلا أن الوجه الأول أقيس وذلك لأنك تجعل المهمزة فاء وذلك أقيس لأن مأروطاً أفشى في اللغة من مرطى .) ^(٧٤) ، ومنه أيضاً حديثه عن ردف بالكسر وردف بالفتح حيث ذكر أن (الكسر أفعى وهو أكثر اللغة) ^(٧٥) .

وقد يجعل الكثرة في اللغة مسيبة عن موافقة الأقوية العقلية المستنبطة من جمهور كلام العرب كما فعل في كلامه على لهجات العرب في بناء الأجواف للمفعول إذ بعضهم يقول قبل وتحنف وبيع بخلاص الكسر من غير اشمام وجعل ذلك أقيس وعلله بأن المكسور إذا سكنْ وكان الحرف الذي قبله مضموماً نقلت كسرته إلى المضموم فيكسر كما قالوا للمرأة أغزي بكسر الزاي وأصله أغزو بضم الزاي وكسر الواو مثل اكتبي فلما سكتت الواو استثناؤاً

. (٧٢) نفسه: ١: ١٢٥.

. (٦٨) المحاسب: ١: ٣٤٣.

. (٧٣) المحاسب: ١: ٢٥٥.

. (٦٩) سر الصناعة: ١: ١٦٥.

. (٧٤) المصنف: ١: ٣٨ - ٣٧.

. (٧٠) نفسه: ١: ٣١٨.

. (٧٥) نفسه: ٢: ١٤٣.

. (٧١) الخصائص: ٣: ٣٦.

للكسرة عليها نقلت كسرتها إلى الزاي المضمومة قبلها فكسرت وهكذا قياس هذه الأفعال في البناء للمفعول (فلذلك كان قيل وبع اكثـر في اللغة وهو اللغة الجيدة).^(٧٦)، فكان موافقة القياس عنده هي التي ادت إلى هذه الكثرة في الاستعمال.

وقد يوازن بين هجتين اعتماداً على تلك الأقيسـة ويفضل أحدهما على الآخر من حيث القياس ذاكراً ما يحضره من دليل، وإن كان رد الأمر بعد كل ذلك إلى الاستعمال وإن كانت اللهجة الكثيرة في الاستعمال دون الأخرى في القياس إذ إن (استعمال ما كثر استعمالـه أولـي وإن لم ينتهـي قياسـه إلى ما انتـهى إليه استعملـه).^(٧٧)، فمن ذلك كلامـه على ما النافية، وهـلمـ، عند الحجازـيين والتميمـيين:

ما النافية :

تعمل ما النافية عند الحجازـيين عمل ليس بشروط معلومـة^(٧٨)، وهي لا ت العمل شيئاً عند التميمـيين، وفي القرآن جاء قوله تعالى (ما هذا بشـرا) قوله سبحانه (ماهنـاهـتهمـ) على الحجازـية، وقد نص ابن جـنيـ على أن التميمـية أقوىـ في القياس وإنـ كانتـ الحجازـية أـسـيرـ لها وجـهـ في القياسـ أيضـاًـ، واستدلـ على ذلكـ بأنـ (ما) حـرفـ يـاـشـرـ الـاسـماءـ والأـفـعـالـ جـيـعاًـ وـماـ كانـ هـذـاـ شـائـنـهـ فيـ لـغـةـ العـرـبـ لاـ يـعـملـ شـيـئـاًـ فـيـهـماـ فـلـذـلـكـ كانـ التـمـيمـيةـ أـقـيسـ (منـ حـيثـ كـانـ عـنـهـمـ كـهـلـ فيـ دـخـولـهـ عـلـىـ الـكـلـامـ مـباـشـرـةـ كـلـ مـنـ صـدـريـ الـجـمـلـيـنـ الفـعلـ وـالـمـبـدـأـ كـمـاـ أـنـ هـلـ كـذـلـكـ).^(٧٩)، وقد عـرضـ لـلـمـوـضـوعـ فيـ مـكـانـ آخـرـ وـزـادـهـ إـيـضاـحـاـ بـأنـ أـشـارـ إـلـىـ أـنـ الـحـرـفـ لـاـ يـكـونـ عـاـمـلاـ فيـ الـفـعـلـ وـالـأـسـمـ إـلـاـ إـذـاـ كـانـ مـخـتـصـاـ بـاـحـدـهـمـ بـلـ أـنـ مـنـ الـحـرـوفـ الـمـخـتـصـةـ مـاـ لـاـ يـعـملـ فـيـهـاـ اـخـتـصـ بـهـ شـيـئـاـ كـلـامـ التـعـرـيفـ وـهـيـ مـخـتـصـ بـالـأـسـماءـ وـلـاـ تـعـملـ فـيـهـاـ شـيـئـاـ، وـكـفـ وـسـوـفـ وـهـاـ مـخـصـانـ بـالـأـفـعـالـ وـلـاـ يـعـملـانـ فـيـهـاـ شـيـئـاـ (فـيـ يـشـيعـ فـيـهـماـ وـلـاـ يـخـتـصـ بـاـحـدـهـمـ أـحـرـىـ أـلـاـ يـكـونـ لـهـ عـملـ فـيـ شـيـئـهـمـ).^(٨٠).

وهو على تقريرـهـ بـأنـ التـمـيمـيةـ أـقـيسـ قدـ قـرـرـ أمرـينـ:

الأولـ: انـ الاستـعملـ يـنـبـغـيـ أـنـ يـكـونـ عـلـىـ الـحـجازـيةـ لـأـنـاـ أـكـثـرـ إـسـتـعملـاـ، وـالـذـيـ يـتـبعـ كـلـامـ الـعـرـبـ يـنـبـغـيـ أـنـ يـصـيرـ إـلـىـ مـاـ كـثـرـ إـسـتـعملـهـ لـاـ إـلـىـ مـاـ قـويـ قـيـاسـهـ.^(٨١).
الثانـيـ: انـ الـحـجازـيةـ لهاـ وجـهـ يـقـبـلـ الـقـيـاسـ أـيـضاـ (أـلـاـ تـرىـ انـ لـغـةـ التـمـيمـيينـ فـيـ تـركـ).

.^(٧٩) (الخصائص ١: ١٢٥).

.^(٧٦) نفسه ١: ٢٥١.

.^(٧٧) (الخصائص ١: ١٢٤).

.^(٨٠) سـرـ الصـنـاعـةـ ١: ١٤٦.

.^(٨١) (الخصائص ١: ١٢٥).

.^(٧٨) انـظـرـ مـثـلـاـ شـرـحـ ابنـ عـقـيلـ ١: ٣٠٣ـ وـمـاـ بـعـدـهـ.

اعمال (ما) يقبلها القياس، ولغة الحجازيين في اعمالها كذلك.)^(٨٢)

ووجه القياس في الحجازية عنده دخولها على المبدأ والخبر وكونها لنفي الحال^(٨٣)، والذي عند سيبويه أن أهل الحجاز يشبهونها بليس (إذ كان معناها كمعناها، كما شبهوا بها لات في بعض الموضع)^(٨٤)، وفي شرح الكافية أن أهل الحجاز اعملوها وإن لم تكن مخصوصة لأنها أشباهت ليس من حيث المعنى وذلك أن (معنى ليس في الأصل ما كان ثم تجردت عن الدلالة على الزمان فبقي مفيدةً نفي الكون، ومعنى (ما) مجرد النفي، ومعلوم أن نفي الشيء يعني نفي كونه)^(٨٥).

وقول ابن جني ومن قبله ومن جاء بعده بأن التمييمية أقيس، في النفس منه شيء، وذلك أنه قد أثبت القياس للحجازية كما قدمنا ، وهو موضع عند سيبويه والرضي وغيرهما من العلماء بأنه شبهها بليس في المعنى، ومن قواعدهم أن الشيء قد يحمل على الشيء ويعطى حكمه إذا أشبهه في معناه أو في لفظ أو فيهما^(٨٦)، وهذا قياس ، والقول بأن الحرف لكي يكون عاملاً ينبغي أن يكون مخصوصاً كما نقلنا عنه آنفأ^(٨٧)، قياس آخر، فعل أي أساس يفضل هذا القياس على ذاك؟ .

هلم :

اسم الفعل في لهجة الحجازيين والتيميين على حد سواء يلزم حالة واحدة في الكلام مهما اختلف الإسم الذي يسند إليه من حيث العدد والجنس فهم يقولون مثلاً صه للواحد المخاطب والواحدة والاثنين والثلاثين وجاءة الذكر وجاءة الإناث لا فرق عندهم في ذلك، إلا أنهم اختلفوا في هلم (فأهل الحجاز يجرونها مجرى صه وهو ورويد ونحو ذلك مما سمي به الفعل والزم طريقاً واحداً) . . . وبنو تميم يلحقونها علم الثنوية والثانوث والجمع ويراعون أصل ما كانت عليه لم^(٨٨)، وعلى أن مراعاة الأصل من القياس إلا أنه نص في موضع آخر على أن الحجازية أعلى، وعمل ذلك بامررين : الأول: أنها اللغة التي نزل بها القرآن قال تعالى : (والقاتلين لأخوانهم هلم الينا) ، الثاني: أن النقطة قد خرجت من الفعلية ، وتحولت اسم فعل فهي ليست على حالها قبل تركيبها من ها ولم وإنما تحولت إلى لفظ جديد هو اسم

(٨٢) الخصائص ٢: ١٠.

(٨٣) الخصائص ١: ١٦٧.

(٨٤) الكتاب ٢٨: ١.

(٨٥) شرح الكافية ١: ٢٤٦.

(٨٦) نفي الليب ١: ١١٨ وانظر الآشيه والناظار ١: ٢١٧ وما بعدها.

(٨٧) انظر أيضاً الاصناف ١: ٩٨.

(٨٨) الخصائص ١: ١٦٨.

للفعل وقد استدل على أنه عند التمييدين أيضاً اسم للفعل وليس فعلاً كما كان قبل التركيب باهتم يختلفون في حركة آخر الضعف في الأمر بعض التمييدين يفتح الآخر لاتقاء الساكنين . فيقول مثلاً مدد وبعضهم يكسر فيقول: مدد، وبعض يتبع فيقول: مدد ولكنهم جميعاً يفتحون في هلم، فلو كان باقياً على فعليته لضم الميم من يتبع أو كسرها من يكسر، فلما أجمعوا على الفتح دل هذا على أنها قد خرجت من الفعلية إلى اسم الفعل^(٨٩).

وقد عرضنا للكلام على هلم في اللهجتين في موضع مضى من هذه الرسالة وذكرنا هناك أن اللفظ عند الحجازي قد ارتبط في ذهنه بصلة وهو وما أشبه من أسماء الأفعال، وانقطع عنده عن المعنى الأول وهو الفعل لم، وأغان على ذلك تغير المعنى وإن صورة الأمر عنده المم لا لم، وإن التميي كان يرى فيه صورة الأمر القديمة عنده لم فالحق به الضمائر، وزيد هنا أن الذين كانوا يتبعون في الأول أو يكسرون من التمييدين لم يفعلوا ذلك في هلم لما وجدوه من اختلاف في معنى الكلمة بين ما هي عليه الآن وما كانت عليه في الأصل، فكأنهم راعوا الصورة الجديدة للكلمة فالزموها الفتح، وراغعوا أصلها فالحقوا بها الضمائر. ولكن على أية حال فما دامت الفظة قد خرجت من الفعلية وصارت اسم للفعل عند الجميع كما قرر ابن جني فإن هذا يجعل ترك الحال الضمائر بها أقيس بناء على قاعدة اطراد الباب أولى من شذوذه وهي قاعدة معتبرة عندهم^(٩٠).

هذا على مذهب ابن جني في المقايسة بين اللهجات، والذي نراه ان هذه المقايسة لا تتفق والمنهج المعاصر في النظر إلى اللهجات العربية، إذ هي جميعاً على ما عبر ابن جني وغيره لغات من حيث كانت كل واحدة منها اصوات يعبر بها أهلها عن اعراضهم، ومعالجة هذه اللغات بطريقة المنطق وما ينبغي لا تتفق وطبيعة اللغات التي تجري على السن الناس من غير مؤتمر سابق يقرر كيف ينبغي أن تجري، وهذا لا تتفق مع ابن جني في اخضاع اللهجات للمقايسة، وإنما تتفق معه في ذكر أن هذه اللهجة أسرى من تلك في ما ورد من شعر أوثر، أو هي التي عليها القرآن الكريم وينبغي أن يصار إليها إذا أراد المتكلم أن يأتي باللغة الأدبية المثالية، فيكون القياس كما قرره ما وافق لغة القرآن وما كثُر في الشعر والنثر.

أما الأقيسة العقلية فنرى أن يتبعها دارس اللغة، ولن يحدث ذلك أي أثر سيء في هذه اللغة بل على العكس من ذلك سيرجع الأذهان من كدها في ما لا طائل وراءه ولافائدة لغوية فيه.

(٨٩) نفسه: ٣ - ٣٦: ٣

(٩٠) انظر الاشباء والنظراء: ١: ٢٣٢

البَابُ الثَّالِثُ
دِرَاسَاتُهُ الصَّوْتِيَّةُ فِي ضَوْءِ عِلْمِ
اللُّغَةِ الْحَدِيثِ

الفصل الأول

النظرية الصوتية في نشأة اللغة

اللغة ظاهرة إنسانية عامة يستطيع الماء بها أن ينقل إلى الآخرين المعاني التي تدور في رأسه، وهي أصوات ملفوظة ينبعها الفم مرتبة^(١) ترتيباً ما يفهم السامع المراد، فإذا تغير الترتيب اختل الفهم، فلو طرق سمعنا هذه الأصوات: (كَتْ بَ ، زَيْادَ ، دَرْسَ هُ) لفهمنا ما دار في خلد المتكلم وهو يطلقها من فمه، ولكنها لو خرجت هكذا مثلاً: (هُسْ بْ كَ دَرْتَ بَ رَدْ) لما فهمنا شيئاً، على أن الأصوات هي هي لم تتغير في ذاتها، ولكن الذي تغير هو ترتيبها في النطق، فلم فهمنا ما رمزت إليه الأصوات بذلك النظم ولم نفهم شيئاً من الأصوات نفسها حين اختلف نظمها؟ ما الذي جعل هذه الأصوات (كَتْ بَ) تعني شيئاً وهي بهذه الصورة ولا تعني شيئاً إذا نطقت (تْ كَ بَ)، ولماذا يكون لهذه الأصوات معنى وهي تقع في سمع عربي ولا يكون لها أي معنى وهي تقع في سمع رجل من الصين مثلاً، ولم يكون للأصوات التي يلفظها الصيني معنى عند صيني آخر ولا يكون لها أي معنى عند العربي؟ كيف نشأت اللغة الإنسانية، ولم تعددت؟ سؤال يرد على ذهن دارس اللغة وهو يتأمل هذه الظاهرة الإنسانية الرائعة.

كان العلماء فريقين وهم ينظرون إلى نشأة اللغة وتعددتها، فمنهم من آثر لا يقسم نفسه في تتبع أمر غيبي لا طائل تخته، ولا يمكن الوصول إلى رأي قاطع فيه إذ (ليس في استطاعتنا أن نصل إلى نتائج نهائية في هذا الشأن^(٢) ، فالباحث في نشأة اللغة لا فائدة فيه (قال - يعني السبكي- في رفع الحاجب: الصحيح عندي أنه لا فائدة لهذه المسألة، وهو ما صححه ابن الانباري وغيره، ولذلك قيل: ذكرها في الأصول فضول).^(٣) ، وقال فندريس: (يثير

(١) انظر ما قاله الجرجاني في النظم في اسرار البلاغة ص ٣.

(٢) دور الكلمة في اللغة من ٨٨.

(٣) المزهر ١: ٢٦٩.

الإنسان دهشة السامع كلما قال بأن مسألة أصل الكلام ليست من مسائل علم اللغة، ومع ذلك فليس هذا القول إلا الحقيقة بعينها، فغالبية أولئك الذين كتبوا عن أصل الكلام منذ مائة عام يبسمون في تيه من الضلال.^(٤)، وقال الدكتور صبحي الصالح : (لقد بات لزاماً علينا تحديد البحث في فقه اللغة فليس يعنيها أن نقصى أصل اللغة الغامض المجهول).^(٥)

أما الفريق الثاني فيبدو أنه وجد أن دراسة نشأة اللغة أمر لا يخلو منفائدة ، وإن يقدم عالم اللغة تفسيراً نظرياً لنشأتها خير من أن يدع الدارس في حيرة من أمره، وهكذا كتب في نشأة اللغات عدد من العلماء القدماء والمحدثين^(٦)، وكان ابن جني من الذين كتبوا في نشأة اللغة فذكر نظرية الاهام ونظرية التواضع والاصطلاح وتردد بينها، وأورد ما أطلق عليه فيها بعد النظرية الصوتية.

ولست هنا بقصد تفصيل القول في تلك النظريات فهو أمر يبعد عما الزمان افتسنا به من الدراسات الصوتية، إلا أنه لا مندوحة من الوقوف عند النظرية الصوتية في نشأة اللغات لنرى ما قاله ابن جني في ذلك وما يراه كتاب اللغة المحدثون.

لم يفرد ابن جني النظرية الصوتية بالبحث، وإنما ذكرها عرضاً وهو يتكلّم على نظرية التواضع والاصطلاح، فهي كما يدلو برأيه، إنما هي من التواضع والاصطلاح، وكأن أمر اللغة عنده في الأصل لا يدعو أحذرين: فاما أن تكون اللغة اهاماً من الله سبحانه، وأما أن تكون من الإنسان، وليس منها بعد ذلك الطريقة التي تكون بها، هذه واحدة، الثانية: انه لم يعز القول بالنشأة الصوتية إلى نفسه على أنه مبتكر ذلك الرأي، ولم يذكر من صاحبه الذي اخذه عنه إنما قال: (وذهب بعضهم . . .)^(٧)، الثالثة: انه أبدى رضاه عن هذا المذهب في نشأة اللغة بعبارة صريحة: (. . وهذا عندي وجه صالح ومذهب مقبل)، الرابعة: انه أورد قاعدة عامة نسبها للاختلاف أوردها بصورة قاطعة لا نرى فيها تردد الذي نراه في كلامه على المختار من الرأيين في نشأة اللغة: (وكيف تصرفت الحال وعلى أي الأمرين كان ابتدأها فإنها لا بد أن يكون وقع أول الأمر بعضها ثم احتاج فيها بعد إلى

(٤) اللغة ص . ٢٩

(٥) دراسات في فقه اللغة ص . ٣٥

(٦) انظر في القدماء مثلًا: الصاحبي ص . ٥، الحصائص ١: ٤٠ - ٤٧، المزهر ١: ٨ - ٣٠، وانظر من المحدثين غير ما سيره ذكره في هذا الفصل: البلعة في أصول اللغة ص . ١٣ - ٢٢، دراسات في فلسفة التحווص ص . ٧٤ - ٧٩، فقه اللغة المقارن ص . ٩ - ٧، محاضرات في اللغة ص . ١٠ - ١٩، الرجيز في فقه اللغة ص . ٥٥ - ٦٧.

(٧) سيأتي النص كاملاً.

الزيادة عليه لحضور الداعي إليه فزید فيها شيئاً فشيئاً^(٨). الخامسة: إن ابن جني قد أبدى استعداده لاستقطاب كل رأي سوى الإلحاد إذا ورد الخبر الصحيح بذلك، وعبارته واضحة في أنه لم يقف على خبر صحيح في نشأة اللغة وإن لم يذكر ذلك صراحة (وإذا كان الخبر الصحيح قد ورد بهذا وجب تلقيه باعتقاده والانبطاء على القول به).^(٩) ولكنه لم يعتقد ولم ينطوي على القول به، أي أن الخبر الصحيح لم يرده في هذا الأمر. وقد ذكر السيوطي جلة أخبار في الجزء الأول من المزهر سطرها من الصفحة الثامنة والعشرين إلى الخامسة والثلاثين في تفسير قوله تعالى: (وَعَلِمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلُّهَا)، ولا يطمئن القلب إليها إذ ليس فيها خبر صحيح واحد في نشأة اللغة، مع ما فيها من تناقض يتعدى على الجموع.

في ضوء ما مرّ أحسب أنه يمكن أن نورد كلمة ابن جني في النشأة الصوتية للغة، قال: (وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات إنما هو من الأصوات المسموعات، كدوى الربيع، وحنين الرعد، وخرير الماء، وشحيج الحمار، ونعيق الغراب، وصهيل الفرس او نزيب الظبي ونحو ذلك. ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد، وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبل)^(١٠)، وقد بحثت عن صاحب الرأي الذي أشار إليه ابن جني بكلمة: بعضهم، فلم اقف على شيء يذكر، وقد لفت نظرني كلمة لبعض المحدثين في هذا جعلني اطبع أول الأمر في أن أجده ما يمكن أن يقال عن هذا الرأي قبل ابن جني، ثم لم تثبت العبارة أن أوقعتني في خيبة أمل بعد أن ظهر لي أنها لم تكن كما ينبغي من حيث الدقة العلمية، فقد قال وهو يتحدث عن نظرية الأصوات الطبيعية: (وقد ذهب إلى هذا الرأي معظم المحدثين من علماء اللغة وعلى رأسهم العلامة وتنى Whitney، وذهب إلى مثله من قبل هؤلاء كثير من فلاسفة العصور القديمة ومن مؤلفي العرب بالعصور الوسطى ، فقد تحدث ابن جني المتوفى عام ٣٩٢هـ، أي من نحو ألف عام في كتابه الخصائص في أسلوب يدل على قدمه وكثرة القائلين به من قبله).^(١١)

لقد وجدت الأمل وأنا أقرأ قوله: (. . . كثیر من فلاسفة العصور القديمة ومن مؤلفي العرب بالعصور الوسطى) فقللت لعله سيذکر أحداً من علماء العرب قبل ابن جني، إلا أنه لم يفعل ولم يشر إلى الموضع الذي أخذ منه رأيه في (مؤلفي العرب في القرون الوسطى)، وقوله عن الكلمة ابن جني في الخصائص انه أوردها (بأسلوب يدل على قدمه وكثرة القائلين به

(٨) الخصائص ٢ : ٢٨ وانظر المزهر ١: ٥٥.

(٩) الخصائص ١: ٤١.

(١٠) نفسه ١: ٤٦ - ٤٧.

(١١) علم اللغة لوافي ص ٩٥، وردد الانطاكي في الوجيز عبارة وافي فقال في ص: ٥٩ (كلام ابن جني يشعر بقدمها وبكثرة القائلين بها).

من قبل) مع أنه أورد النص كاملاً في هامش الصفحة المذكورة فيه نظر، فالعبارة لا تتحمل المعنى الذي ذكره بأي وجه، وقد بدأها بقوله: (وذهب بعضهم)، والصواب أن تحمل (بعض) هنا على أنها واحد من العلماء على ما حقيقة الدكتور مصطفى جواد^(١٢)، وإذا تسامحنا فيها على خلاف اللغة فيمكن أن نحملها على: وذهب عدد أو قسم من العلماء، فain معنى الكثرة في العبارة؟.

وقد ذهب د. المخزومي إلى أن صاحب الرأي الذي تقدم ابن جني هو الخليل حيث قال: (واستطيع أن أقول ممثئاً انه هو صاحب الرأي بين علماء العربية)، ثم لم يلبث أن جعلها فكرة مائلة في رأي الخليل لم تنضج، (ولست أزعم أن للخليل في هذا نظرية تامة التكوين، ولكني ازعم أنها كانت مائلة في ذهنه فكرة لم يتم لها النضج بعد).^(١٣)، وعندي أن الفرق كبير بين الفكرة التي لم يتم لها النضج، وقول ابن جني: وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات.

الراجح ان الكلمة نقلت إلى ابن جني ولم يليست من ابتكاره، لأنه لو كان قد ابتكرها لصرح بذلك على عادته في الاشياء التي يأتي بها غير مسبوق اليها في ظنه كما قدمتنا ذلك في الباب الأول، إلا أنه لم يذكر القائل بها، أما لأن الذي سمعها منه لم يكن من يعتد برأيه من العلماء، أو أنه وجدها في كتاب لم يعرف نسبته، أو أن الذي نقلها إليه لم ينسبها، أو أن الكلمة وصلته منسوبة لغير العرب، كالفرس أو اليونان، فلم يشاً أن يصرح بنسبيتها واكتفى بكلمة (بعضهم)، وعلى أية حال فعلل احياء التراث ونشر المخطوطات يكشف لنا في يوم من الأيام حقيقة المسألة ويعين العالم الذي سبق ابن جني في كلمته تلك، وتبقى الكلمة حتى ذلك الحين مقرونة باسمه لا تحول عنه.

إنه بامكاننا أن نصوغ النظرية الصوتية عند ابن جني وفق التصور التالي اعتماداً على الجمع بين كلمته في الأصوات وقد ختمها بقوله: (وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبل) وبين القاعدة التي قرر فيها أن اللغة لا بد أن يكون قد وقع أول الأمر بعضها ثم زيد عليها للحاجة إليها فنقول: إن الإنسان بدأ بمحاكاة الأصوات الطبيعية أول الأمر (دوى الريح، خرير الماء نعيق الغراب صهيل الفرس...) وأخذ يعبر عن تلك الظواهر الطبيعية بمحاكاة أصواتها، وكانت تلك بداية انتباهه إلى استعمال جهازه الصوتي وفترض أنه وجد راحة في ذلك إذ استطاع أن يعبر عنها يدور في فكره وينقله إلى الآخرين ولو بصورة بدائية، وفترض

(١٢) قل ولا تقل ج ١ ص ١٨٥ وما بعدها.

(١٣) الخليل بن أحد الفراهيدي ص ٨٦.

أيضاً أنه مر زمناً لا ندرى مقداره حاول الإنسان فيه أن يطور استفادته من جهازه الصوتي ليعبر عن أمور الحياة الأخرى التي لا علاقة لها بالآصوات الطبيعية بحسب تجده حاجته إلى التعبير ونحو قدراته العقلية بما استجد عنده من تجارب (لقد نشأ الكلام بالتدرج).^(١٤)، المهم أن حماكاته تلك الآصوات التي أشرنا إليها وغيرها من الآصوات الطبيعية، أو أقل من محاولة المحاكاة قد أثارت فيه الشعور بإمكان الاستفادة من جهازه الصوتي في الرمز إلى الأشياء، وهل اللغة إلا هذه الآصوات التي ترمز إلى المعانى، أو كما قال ابن جنى : (آصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم).^(١٥).

اما علماء اللغة الغربيون فلهم في نشأة الكلام أربع نظريات^(١٦):

الأولى: نظرية الالهام: ومن أشهر القائلين بها^(١٧) ، الأب لامي في كتابه: فن الكلام والفاليسوف دوبونالد في كتابه: التشريع القديم.

الثانية: التواضع والارتفاع والمن أشهر القائلين بها سمث ، وريد ، وجлер ستيلوارت وهم من الفلاسفة الانجليز.

الثالثة: نظرية الغريرة الكلامية التي ادعت وجود غريرة خاصة للتعبير عن المدركات الحسية أو المعنوية عندما تدعى الحاجة إليها، وقد انقرضت هذه الغريرة بالتدرج بعد أن تكونت اللغة الإنسانية الأولى ، وعلى رأس القائلين بها مكس مولر من المانيا ، ورينان من فرنسا.

الرابعة: نظرية الآصوات الطبيعية، وقد وصفها الدكتور واي باتها (ادنى نظريات هذا البحث إلى الصحة، وأقربها إلى المعقول، وأكثرها اتفاقاً مع طبيعة الأمور...) .^(١٨)

وقد اتجه فريق من دارسي اللغة في الغرب إلى التفكير الصوتي المحس في نشأة اللغة فكانت لهم بذلك أربعة آراء^(١٩):

الأول: رأى القائلين بمحاكاة الآصوات الطبيعية، و الواقع اللغات (بيرهن على أن كثيراً من كلمات اللغات الإنسانية قد انحدرت من تلك الآصوات).

الثاني: رأى القائلين بأن بداية استخدام الإنسان لجهازه الصوتي بصورة أولية كان

(١٤) اللغة ص ٣١.

(١٥) المخصاص ص ٣٣:

(١٦) انظر تفصيل ذلك في علم اللغة لروفي ص ٨٨ - ص ٩٧.

(١٧) ذكر الدكتور حسن عون أنه لم يقل من قدامى الغربين بنظرية الإلهام والتوقيف غير أفلاطون. ص ٩ اللغة والتحول.

(١٨) علم اللغة - روافي ص ٩٦.

(١٩) دلالة الالفاظ من ص ٢٠ إلى ص ٣٧ ، وانظر أيضاً دور الكلمة في اللغة من ٨٨ ، و نحو عربية ميسرة ص ٤٢ - ٤٦ .

عن طريق التأوهات والتشهقات التي صدرت عنه بصورة غريزية وهو يعبر عن فرح أو ألم أو ما شابه ذلك.

الثالث: يرى أن هناك صلة حتمية بين المؤثرات الخارجية التي يراها الإنسان من حوادث وأشياء تؤثر فيه وبين إصدار الأصوات للتعبير عن تلك المؤثرات . فالآصوات الصادرة من الإنسان للتعبير عن المؤثرات الخارجية ليست سوى صدى لتلك المؤثرات ، وبين هذه وتلك صلة وثيقة ، إلا أن ادراك كنه تلك الصلة أمر عسير على اذهاننا ، وأهم نقد وجه إلى هذا الرأي أنه مبني على اسرار غامضة وأسس غير مدركة وكان أصحابه قد احاطوا أنفسهم أو احاطوا رأيهم بضباب كثيف من الألغاز والسحر ، وقد جعل ذلك معظم علماء اللغة المحدثين لا يقفون عند هذا الرأي وفقة جادة .

الرابع: يرى أن الآصوات لم تصدر من الإنسان وهو منفرد ، وإنما صدرت عنه وهو يقوم بعمل جماعي شاق تعاونت مجموعة من الناس على ادائه كما يحدث الآن لعمال البناء أو السفن وهم يقومون بعملهم . والذي أراه ان اشتراط هذا المذهب للجماعات كي تصدر عنها الآصوات لا موجب له ، فالإنسان المنفرد إذا أراد أن يقوم لوحده بعمل شاق مضن قد تصدر عنه آصوات لا معنى لها سوى التعبير عن الجهد المبذول ، كالصوت الذي يخرجه الإنسان وهو يحاول رفع ثقل من الأرض بجهد ومشقة أو محاولة تخريكه من موضعه بدفعه ، ويمكن أن نعبر عنه بهذه مضغوطة بعدها همسة ساكنة أو بيمزة مضغوطة بعدها هاء أو حاء .

أما أحدث الآراء في دراسة نشأة اللغة فيتمثل بما قام به عدد من اللغويين المحدثين وعلى رأسهم (جسبرسن) من دراسة مراحل غلو اللغة عند الأطفال ، ودراسة اللغة في الأمم البدائية ، ودراسة التطور اللغوي دراسة تاريخية ، ويستنتج من هذه الدراسة^(٢٠) ، أن اللغات الإنسانية كانت أول أمرها كثيرة الآصوات قليلة المعاني ، تكتوي على الآصوات المتنافرة في كلماتها التي تميزت بكثرة الحروف ، وكانت اشبه بالغناء منها بالكلام الذي نالقه الآن ، وكانت تستفيد في اظهار الصوت بالشهيق والزفير ، فدخول الهواء إلى الرئتين له آصوات وخروجه له آصوات . وقد وصف د. أنيس هذه النظرية القائمة على تلك الدراسات بأنها يمكن الاطمئنان إليها بعض الشيء ، لأنها استطاعت أن تجمع بين كل النظريات الصوتية التي تقدم ذكرها وأثبتت دراستها على قواعد علمية واضحة المعالم خاضعة للعلم التجريبي الحديث .

وبعد فإن الدراسات الحديثة لم تنه كلامها حتى اليوم في نشأة اللغات إلا أن الاتجاه في

(٢٠) دلالة الالفاظ من ص ٢٨ - ٣٥

عمومه سائر نحو الدراسات الصوتية فيها، ولذا يبقى كلام ابن جني في الأصوات طرياً جديداً على تقادم العهد به، وله بذلك فضل السبق في ايراده وإن لم يكن قد عزاه لنفسه، أو جعله رأياً قائماً برأسه. وهكذا يتبيّن لنا أن الكلام الذي أورده في النظرية الصوتية كان قفزة زمنية يطل بها من خلف أكثر من ألف عام على علماء اللغة المحدثين ليتّقدّل لهم ومضة فكر لم يجدوا في هذا العصر على تقادم الزمان إلا أن يروا رأياً أورده مع شيء من التغيير الطفيف بما يناسب التقدّم الحضاري ، واجهزة الدراسات الصوتية التي امدهم بها العلم الحديث.

الفصل الثاني

الصوت والمعنى

كنا قد تناولنا في كلامنا على اللهجات اختلاف الكلمتين في حرف واحد، واتفاقهما في المعنى الذي تؤديانه كالجذب والجذف والثوم والفوم. وهذا الفصل يتناول شيئاً ظاهراً قسم منه شبيه بما جاء في باب الإبدال في اللهجات ولكنه ليس منه لأن المعنى لم يكن واحداً بين الكلمتين وإن تقاربتا في أصل ما تؤديانه كقولهم نضع الماء ونضخ، فالفعلان وإن تقارباً في أصل المعنى إلا أن بينها فرقاً هو ان النضخ بالمعجمة أشد من النضح، فإذا قيل إن هذه العين تنضح أدى ذلك إلى معنى خروج الماء من العين من غير معنى الغزاره والشدة الذي يفهم من قولهم هذه العين تنضخ.

وقد لاحظ ابن جني ان اختلاف الحرف الواحد في اللفظتين أو الحرفين أو الثلاثة، في مثل ما تقدم يؤدي إلى اختلاف دقيق في المعنى المراد من اللفظ، وان دقة المعنى تتفق مع جرس الحرف المختار، فكان هناك اختيارة مقصوداً للصوت ليؤدي المعنى المغاير لما يؤدي به الصوت الآخر. وهذه الظاهرة ليست محدودة في الفاظ قليلة في العربية (فإن كثيراً من هذه اللغة وجدته مضاهياً بجرائم حروفه أصوات الأفعال التي عبر بها عنها لا تراهم قالوا قضم في الياس وضم في الرطب).^(١) وقد ذكر انه لو جمع ما مرّ به من مثل هذا (لكان أكثر من ألف موضع)^(٢)، وقال: (هذا مع انتلا لا نطالبه ولا نتقرى مواضعه فكيف لو قصدناه وانتحيانا وجهه وحراء..)^(٣).

وذكر انه هم غير مرة بتصنيف كتاب في هذا الباب يكشف فيه عن معانيه ويظهر وجه الحكمة المعجزة الدالة على قوة الصنعة فيه، ولكن الوقت لضيقه مانع منه.^(٤)

(١) الخصائص ٦٥:١

(٢) المحتسب ٥٥:٢

(٣) نفسه ٥٦:٢

(٤) التمام ص ١٣١

وأثار ابن جني السؤال الذي يخطر على بال أكثر الدارسين لهذا، عن احتمال أن يكون الذي يذكره من مناسبة الحرف للمعنى قد وقع لهم اتفاقاً لا عن قصد، وأجاب عن ذلك بأن في هذا ابطالاً لحكمة العرب في لغتها، تلك الحكمة التي تشهد بها عقول ذوي التحصيل، والآخرى (أن يتهم الإنسان نظره ولا يخفى إلى إدعاء النقص فيها قد ثبت الله اطناهه، وأحصف بالحكمة أسبابه).^(٥)

واستدل على عنابة العرب بالاصوات بما سمي بصوته عندهم كالبط لصوته، والواق للصرد لصوته أيضاً، وغاق للغراب وهكذا^(٦)، وفي موضع آخر ذكر انه من المحال أن تكون هذه الالفاظ التي اختلفت في اصوات بعض حروفها لتؤدي المعانى الموقفة ل تلك الاصوات قد خرج لفظها إلى الوجود واطرد في الاستعمال (من غير قصد فاقصد حكيم إليه وارادة مرید عادل له).^(٧)

على أنه في بعض الأحيان يلاحظ ابعاد المعنى عن الصوت حتى انك لو ذهبت تلتئم الجامع بينها لأدى بك ذلك إلى التعسف في التأليف والتوفيق، ومرد ذلك عنده الى خفاء العلاقة بسبب بعدها في الزمن (لأن هذه اللغة اصولاً واوائل قد تخفي عنا وتقتصر اسبابها دوننا)^(٨)، ومثل خفاء التسمية بقوتهم في الإنسان الذي يرفع صوته: قد رفع عقيرته، فالجامع بين معنى الصوت ومعنى (عق) غير متيسر ولو حاولته لتتكلفت وتتعسف لأن أصله (ان رجلاً قطعت إحدى رجليه فرفتها ووضعها على الآخرى ثم صرخ باعلى صوته فقال الناس رفع عقيرته...)^(٩)، كما يجوز أن يكون البعد الذي نراه بين الصوت والمعنى آتياً من ضعف في نظر الدارس وقعود بفكره عن أن ينال الجمع بينها^(١٠).

ويبدو ان ابن جني كان من العلماء القلائل الذين يذهبون إلى وجود مناسبة بين اللفظ والمعنى، فقد أشار السعد التفتازاني إلى مذهب بعض العلماء في وجود المناسبة الطبيعية بين اللفظ والمعنى وقال: (وافق الجمهور على أن هذا القول فاسد)^(١١)، وذكر جملة أدلة على فساده.

ويمكن أن تبحث الموضوعات التي تناولها في علاقة الصوت بالمعنى تحت ثلاثة أضرب:

الأول: التقديم والتأخير في الأصل الواحد. الثاني: تقارب الأصلين.

الثالث: تقارب الحروف لتقارب المعانى :

(٨) المخصائق ٢: ٦٦.

(٥) المخصائق ٢: ١٦٥.

(٩) نفسه ٢: ١٦٤.

(٦) النتبه ص ٣٢٠.

(١٠) المطلول على التلخيص ص ٣٥٢.

(٧) المخصائق ٢: ١٦٤.

التقديم والتأخير في الأصل الواحد:

جعل ابن جني التقديم والتأخير في الأصل الواحد من باب تصاصب الألفاظ لتصاصب المعانى^(١١). وكان الحروف الأصول تشتراك أصواتها في التعبير عن معنى بعينه، وحين تقلب هذه الحروف تكون معانيها متقاربة، وإن لم يكن النظم واحداً (الأجل التقديم والتأخير في الحروف ولكنه قريب من لفظه قريب في معناه، وليس على نظمه، وهذا نظائر في كلام العرب ولو قلت إن أكثر لغائهم على هذا المنهاج لكان قوله... فالحروف واحدة واللفظ متفق والنظم مختلف، وهذا باب واسع يعم أكثر اللغة).^(١٢) فالمادة الواحدة تقلب إلى صور مختلفة إلا أنها صور (يختلطها كلها معنى واحد).^(١٣) ولكنكي لا يفهم من كلامه أن اللغة كلها جاءت على هذا نص صراحة على نفي ذلك بقوله: (واعلم أنا لا ندعني ان هذا مستمر في جميع اللغة).^(١٤) ولكنه نبه أيضاً إلى أن تقلب الأصل الواحد على وجوده واشتراك الأصول في معنى جامع ليس قليلاً (بل لو صح من هذا النحو وهذه الصنعة المادة الواحدة تقلب على ضروب التقلب كان غريباً معجباً فكيف به وهو يكاد يساوق الاشتراق الأصغر ويجاريه إلى المدى الأبعد).^(١٥)

ومما ذكره من المعانى الجامعة لتقليبات الأصول وعبر عنه بالاشتقاق الأكبر^(١٦): القوة والشدة في تقلبات (ك ل)^(١٧)، (و ج ب ر)^(١٨).

القوة والاجتماع في تقلبات (ق س و)^(١٩).

الشدة والضيق في تقلبات (ح ج ر)^(٢٠).

الخفوف والحركة في تقلبات (ق ول)^(٢١).

الاصحاب والملاية في تقلبات (س م ل)^(٢٢).

ويرد على كلامه في الاشتراق الأكبر فيما يتعلق بالأصوات أمران:

الأول: أننا نجد صعوبة في تطبيقه على كثير من الأصول فضلاً عن أننا نحس بالتكلف ظاهراً في بعض الأصول مما اختاره هو كمعنى الشدة والضيق في لفظ رجع مثلاً، هذا على أنه قد تنبه إلى مثل هذا الاحساس بالتكلف وعالجه بقوله: (إنك إن انعمت النظر

(١١) الخصائص ١٤٦:٢.

(١٢) المنصف ٣٩:١.

(١٣) المحاسب ٢٣١:١.

(١٤) الخصائص ١٣٨:٢.

(١٥) نفسه ١٣٩:٢.

(١٦) نفسه ١٣٤:٢.

(١٧) نفسه ١٣:١.

(١٨) نفسه ١٣٥:٢.

(١٩) نفسه ١٣٦:٢.

(٢٠) المحاسب ٢٣٢:١.

(٢١) الخصائص ٥:١.

(٢٢) نفسه ١٣٧:٢.

ولأطفته وترك الضجر وتحميته لم تكدر عدم قرب بعض من بعض وإذا تأملت ذاك وجده
بإذن الله .^(٢٣)

وقد ذكر ابن عصفور ان هذا الضرب من الاشتقاق لم يقل به أحد من العلماء إلا ابن جني ، وقال : (والصحيح ان هذا النحو من الاشتقاق غير مأمور به لعدم اطراوه ولما يلحق فيه من التكليف لمن رامه .)^(٢٤)

الثاني : من العسير أن ثبت العلاقة بين المعنى الجامع للاصول المختلفة والصوت المسموع من الحروف ، فمعنى الشدة مثلاً ورد في (ك ل م) وفي (ج ب ر) وفي (ح ج ر) ، والكاف حرف شديد مهموس ، وهو من اقصى الحنك وليس هناك ما يقابلها في (ج ب ر) أو في (ح ج ر) ، كما ان الباء في (ج ب ر) لا يمكن أن تقابل بالحاء في (ح ج ر) لاختلافها في المخرج والصفة .

لذا نرى ان الأولى إخراج ما اطلق عليه الاشتقاق الأكبر من باب التصاقب ، ويعكن أن يقال إن ما يرى من معنى جامع أحياناً في الأصول المتفقة في الحروف المختلفة في النظم بعضه آت من نوع من الاشتقاق كان قد استعمل نتيجة قرب المعنى ثم بعد شيئاً فشيئاً ، حيث دخله تقديم وتأخير في الحروف ، وبعضه آت من الموافقة المحسنة ، ولا نرى انه يمكن الان أن يحكم على أية لفظة بأنها جاءت بسبب التقديم والتأخير في الاشتقاق أو أنها جاءت من الموافقة بل كلاهما ممكن في ما يعرض في هذا الباب . والذي نسعى إليه عدم اعطاء اليد في أن الاشتقاق الأكبر داخل في باب التصاقب .

تقارب الأصلين :

ذكر ان الأصلين قد يتقاربان والمعنى واحد حتى يتوضّم كثير من الناس أنها من أصل واحد ، وجعل ذلك في باب تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني^(٢٥) ، وأنه يريد بجعله في هذا الباب ان الأصوات الحروف إذا اتفقت دخلاً في تقارب المعنى ، وهو على ثلاثة أضروب ، منها ما يتقارب فيه الأصلان الثلاثيان ، ومنها ما يتقارب فيه الثلاثي والرباعي ، ومنها ما يتقارب فيه الرباعي والخمساني .

أما ما تقارب فيه الرباعي والخمساني فقد ذكر انه قليل لأن هذين الأصلين يقلان في

. ١٣:١ (٢٣)

. ٤٠:١ (٢٤) المعن في التصريف

. ١٤٥:٢ (٢٥) الخصائص

اللغة، إلا انه ورد عنهم قوله: ضبغطى وضبغطرى، وقولهم:
قد دردت والشيخ دردبيس.
(فردربت رباعي ودردبيس خاصي) ^(٢٦).

أما الضبغطى فقد فسرها في اللسان بالاحق وذكر أنها (كلمة أو شيء يفزع بها الصبيان... وقال أبو عمرو: الضبغطى ليس شيء يعرف ولكنها كلمة تستعمل في التخويف). ^(٢٧) ولا يبعد عندي أن يكون الذي ارتجلها للتخويف قد أحسن بما في معنى (ضغط) من الشدة وزاد الأحرف الأخرى، وقد وردت اللفظة بالعين المهملة ولعلها هي الأصل وإن المعجمة تصحيف ويكون أراد التخويف بالطبع واردها بالطاء والألف لتهويل الصوت على الصبيان بما في الطاء من اطباق وما في الألف من مد، وجاء غيره فالبالغ في ذلك بأن زاد الراء لما فيها من تكرير، ولا أرى فيها ما يدعوه إلى جعلها أصلين رباعي وخاصي، بل بما إلى الثلاثي أقرب.

أما درب ودردبيس فقد ذكر ابن جني أنه يجوز أن يكون قد بني من الخامسى فعلًا حذف خامسه (كما أنه لو بني من سفرجل فعلًا عن ضرورة لقال سفرج) ^(٢٨). ولم يذكر غير هذين. ولذا لا أرى لتدخل الرباعي والخامسى في هذا الباب موضعًا.

ومثل للأصلين الثلاثيين بقوله: «شيء رخو ورخود فهـا كما ترى شديدا التدخل لفظاً وكذلك هـما معنى» ^(٢٩)، إلا أن الأصل في الأول (رخ و) وفي الثاني (رخ د)، ومنه قوله: رجل ضيـاط وضيـطار، والأولى من (ضـى طـ)، والثانية من (ضـ طـ) ومنه قوله: لوعة وألـوة، وصوص وأصوص، وينجـوج وأنجـوج ويلـنجـوج ^(٣٠).

ومثل لتدخل الثلاثي والرباعي بقولهم: سـيط وسـيطـر، ودمـث ودمـثـ وحبـجـ وحبـجـر ^(٣١)، ومنه أيضـاً: زـرمـ وازـرـأمـ وخـضـلـ وـاخـضـالـ وأـزـهـرـ وـاـزـهـارـ وـضـفـدـ وـاضـفـادـ وـزـلـمـ القـومـ وـاـزـلـامـواـ، ومنه أيضـاً مـبلـعـ وـبـلـعـومـ وـحـلـقـ وـحـلـقـومـ وـشـيـءـ صـلـادـ وـصـلـادـمـ وـبـعـيرـ أـشـدـقـ وـشـدـقـ، ومنه دـلاـصـ وـدـلـامـصـ وـدـمـالـصـ ^(٣٢). ومنه قوله: سـلسـ وـسـلـسـلـ وـقـلـقـ وـقـلـقـلـ وـصـلـ وـصـلـصـلـ وـعـجـ وـعـجـعـ وـعـيـنـ ثـرـةـ وـثـرـثـارـةـ، وـحـثـثـتـ وـرـقـرـقـتـ وـرـقـقـتـ ^(٣٣). (وينبغي أن يكون جميع هذا من أصلين ثلاثي ورباعي) ^(٣٤).

(٢٦) الخصانص ٢: ٥٥.

(٢٧) اللسان ٩: ٢١٥ مادة (ضبغط).

(٢٨) الخصانص ٢: ٤٤.

(٢٩) الخصانص ٢: ٤٥.

(٣٠) نفسه ٢: ٤٩.

(٣١) نفسه ٢: ٥٠.

(٣٢) نفسه ٢: ٥٢.

والذى نراه أن كل ما ذكره من التقاء الأصلين يمكن رده إلى أصل واحد، وإن اختلفت سبل الرد في بعضها عن بعضها الآخر، فمن ذلك مثلاً ما ذكره في الأصلين الثلاثيين، إذ يمكن جعل الدال في رخد زائدة لتأكيد معنى الرخاوة فيه وكأنهم أرادوا موضع الناء لارباطها بالتأنيث للبالغة وتحولوا إلى الحرف الشديد المجهور إمعاناً في زيادة المعنى، نعم قد يقال إن الدال ليست من أحرف الزيادة فكيف تجعل زائدة، والجواب عن ذلك أننا نرى أن جمعهم أحرف الزيادة في سائلتهمونها يدل على الحروف التي تزداد بشكل كثير أو مقياس في كلام العرب. ولا يمنع هذا من القول بزيادة نادرة تشد عنها لغرض مراد كما في هذا المثال. وأما ضياط وضيطة فأرى ردهما إلى لفظ (ض رط) لأنهما بهأشبه. فالضياط: المتمايل في مشيته الضخم الجبني العظيم الاست مع كثرة لحم ورخاوة^(٣٣). والضيطة: الضخم الجبني العظيم الاست اللثيم الذي لا غاء عنده^(٣٤) فكأنهم قلبا في ضيطة والأصل فيعال ، وأبدلوا الياء من الراء في ضياط. أما الهمزة في الوقفة وأصوص فيمكن أن تكون همزة آل التي للتعريف خفف الحرف الذي بعدها فظن السامع أنها أصل وأجرأها مجرى الأصل وتكون الوقفة أصلها اللوقة وأصوص أصلها الصوص.

أما النجوج وينجوج وينجوج، وفي اللسان أيضاً ينجيج، وينجوجي فهو (عود طيب الريح وقال ابن السكيت هو الذي يتبعه)^(٣٥) فالغالب على الظن أن يكون أصل اللفظ هندياً لأن البخور كان يأتيهم من هناك، ثم تصرفوا في اللفظ.

وأما سبط ودمث وحبجر فيلاحظ فيها جميعاً زيادة الراء على الأصل الثلاثي، والراء ليست من أحرف الزيادة، ولذا ذهب إلى أن الكلمة بالراء رباعية، وأرى أن القول بزيادة الراء أولى من القول بأن ما جاء بالراء من هذه الأصول أصل على حدة.

وأما ما جاء بالهمزة من مضعن اللام كاخضآل وازهار وازلام فهو ثلثي مزيد، وزنه افعال والأصل خضل وزهر وزم، زيدت فيه الهمزة والألف والتضييف فصار افعال: اخضآل وازهار وازلام ثم عدل عن نبر التوتر^(٣٦) فصار اخضآل وازهار وازلام.

أما بلعوم وحلقوم ونحوهما فقد أشار ابن فارس إلى أنه ثلثي في الأصل (إلا أنه زيد عليه ما زيد لجنس من المبالغة في معناه)^(٣٧). وذهب الدكتور إبراهيم السامرائي إلى أن الميم في مثل هذا هي ميم اللهجات الجنوبية في آخر الكلمة التي (تؤدي وظيفة النون)^(٣٨) في لهجات

(٣٦) القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة ص ١٢٨.

(٣٣) اللسان ٩: ٢١٩ مادة (ضيطة).

(٣٧) مقاييس اللغة ١: ٣٢٩

(٣٤) نفسه ٦: ١٥٩ - ١٦٠ مادة (ضطر).

(٣٨) فقه اللغة المقارن ص ١٣٦

(٣٥) نفسه ٣: ١٨٣ مادة (نج).

العرب الشمالية، أما الواو فهي زيادة للتصغير، وعلى هذا يكون الاسم مصغرًا منوناً، والقول بالتصغير ينافق رأي ابن فارس في المبالغة في المعنى.

أما ما لم يرد فيه أو كصلد وصلادم فلا إشكال فيه ويكون مانون بهجة العرب الجنوبية.
ولا يبعد أن يكون العرب قد أخذوا الكلمات التي بالميمن من الجنوب مع وجود الأصول عندهم من غير ميم ثم استعملوها على أنها كلمات جديدة فنونوا الميم التي فيها أيضًا.

وأما دلائل صد ولام ص فقد نقل ابن جني عن الخليل فيها وفيها سبق ذكره ما ورد بالميم القول بأن الميم فيه زائدة ولم يعترض عليه^(٣٩).

وأما نحو سلسل وقلقل فقد ذكر أن الزجاج ذهب (إلى أنه فعقل وأن الكلمة لذلك ثلاثة)^(٤٠)، ولم يزد في الاعتراض عليه على أن ذكر بعض ما سبق أن أورده مما ادعى فيه أنه أصلان فقال: (كان أبي إسحاق لم يسمع في هذه اللغة الفاشية المنتشرة بزغد وزغد وبسيط وبسيط ودمث ودمث، وإلى قول العجاج:

ركبت أخشاه إذا ما أحبجا

هذا مع قولهم: وترحبجر للقوى الممتلىء، نعم وذهب إلى مذهب شاذ غريب في أصل منقاد عجيب...^(٤١) ونحن قد ملنا إلى أن أصل ما أورده هنا ثلاثي أيضًا، لذانرى أن مذهب أبي إسحاق صواب لا يوصف بمثل ما وصفه به.

أما ما جاء من المضعف نحو حَث وحَثَث ورَقَ ورَقَّ، فالرأي فيه ما أورده الدكتور مصطفى جواد من أن الصرفين (لم يقفوا على قلب أحد المضعفين نونًا أو راءً أو حاءً أو هاءً أو لاماً أو خاءً أو هزةً أو عيناً، فرأوا الحروف غريبة وطنوها من كلمات أخرى)^(٤٢)، فقد أبدلت الثناء الثانية في حَثَ حاءً فصارت حَثَثَ وأبدلت القاف الثانية في رَقَ راءً فصار ررقفت كما (أن بحتر مأخوذ من مادة بت المضافة الناء ثم قلب أحد المضعفين حاء)^(٤٣)، وهو في اللهجات العامية كثير كقولهم في خط خربط وصقر صقر وشحط شحط وكبس كبس وهكذا.

تقارب الحروف لتقريب المعاني:

وصف ابن جني هذا التقارب بأنه (باب واسع)^(٤٤) ويبحث فيه بعض معاني الصيغ

(٤٢) المباحث اللغوية في العراق ص ٩٥.

(٤٣) الخصائص ٢ : ٥١.

(٤٤) الخصائص ٢ : ١٤٦.

(٤٥) نفسه ٢ : ٥٢.

(٤٦) الخصائص ٢ : ٥٢.

والتضعيف، وترتيب الحروف بما يضاهي الأحداث، وحكاية الأصوات، والتفريق بين المعاني بحركة الحرف الذي في بنية الكلمة، والمضارعة في الأصول:

معاني الصيغة والتضعيف:

ذكر سيبويه عدداً (من المصادر التي جاءت على مثال واحد حين تقارب المعاني) (٤٤) منها التزوّان والتقرّان والتفزان والغليان والغثيان واللّمعان، والجامِع بينها ما تجده فيها من (اضطراب وتحرك). (٤٤)، وأشار ابن جنّي إلى مذهب سيبويه هذا وقال: (فَقَابْلُوا بِتَوْالِي حِرَكَاتِ الْمَثَالِ تَوَالِي حِرَكَاتِ الْأَفْعَالِ). (٤٥). فقد ناسب العرب بالصيغة وحركاتها واقع الفعل الذي يعبرون عنه وما فيه من حركة واضطراب، وهذه الإشارة من سيبويه جعلت ابن جنّي يلتفت إلى صيغة أخرى هي صيغة (الفعل) في المصادر والصفات حيث وجد أنها تأتي للسرعة كالبشكى والجمزى والولقى، قال رؤبه:

أَوْ بَشَكَىٰ وَحْدَ الظَّلِيمِ النَّزَ

وقال الهذلي:

كَائِنٌ وَرَحِيلٍ إِذَا هَجَرْتُ
عَلَى جَمَزَىٰ جَازَىٰ بِالرَّمَالِ
أَوْ أَصْحَمَ حَامٍ جَرَامِيَّةَ حَيَّدَى بِالدَّحَالِ
حَزَابِيَّةَ حَيَّدَى بِالدَّحَالِ
فَجَعَلُوا (المثال الذي توالّت حركاته للأفعال التي توالّت الحركات فيها). (٤٦) ومن ذلك أنهم
جعلوا المصادر الرباعية المضيفة للمعنى المكرر كالزعزعة والقلقة والجرجة (فجعلوا المثال
المكرر للمعنى المكرر) (٤٧).

وقد جعلوا أيضاً تكرير العين في الثلاثي (دللاً على تكرير الفعل) (٤٨)، فالأشواط
(تابعة للمعنى فمّا قويت قويت ومتى ضعفت ضعفت ويكفيك من ذلك قولهم قطع وقطع
وكسر وكسر، زادوا في الصوت لزيادة المعنى، واقتاصدوا فيه لاقتاصدهم فيه). (٤٩).
ومن ذلك ما جاء على أفعوّل كقولهم خشن وخشوشن وحلاً وأحلولٍ وخلقٍ وأخللٍ
(فمعنى خشن دون معنى اخشوشن لما فيه من تكرير العين وزيادة الواو). (٥٠).

ومنه أيضاً باب فعل وافتuel، فافتعل أقوى معنى من فعل نحو قدر واقتدار ومنه قوله تعالى:

(٤٤) الكتاب ٢: ٢١٨.

(٤٥) الخصائص ٢: ١٥٢.

(٤٦) نفسه ٢: ١٥٣.

(٤٧) الخصائص ٢: ١٥٣.

(٤٨) نفسه ٢: ١٥٥.

(٤٩) المحاسب ٢: ٢١٠.

(٥٠) الخصائص ٢: ٢٦٤.

(أخذ عزيز مقتدر) وهي أوفق هننا من قادر لأن الموضع موضع تفخيم الأمر وإظهاره شدة الأخذ، ومنه قوله سبحانه : (لَمَا كَسِبْتُ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبْتُ) لأن (كسب الحسنة بالإضافة إلى اكتساب السيئة أمر يسير).^(٥١)

ومنه أيضاً ما جاء على فعال كقوفهم في المبالغة من جميل ووضي ، جمال ووضاء (فزادوا في اللفظ هذه الزيادة لزيادة معناه).^(٥٢)

ومن ذلك أن يعدل بفعال عن فعل فيكون من باب تكثير اللفظ لتكثير المعنى كقوفهم : (طوال فهو أبلغ معنى من طويل)^(٥٣) ، وكذلك عراض وخفاف وقلائل وسراع.

ترتيب الحروف بما يضاهي الأحداث :

ذكر ابن جني أن العرب حين جعلت صيغة استفعل للطلب كاستسقى واستطعم واستوهب كانت قد (ربت في هذا الباب الحروف على ترتيب الأفعال).^(٥٤) وذلك أن الهمزة والسين والتاء جاءت زوائد قبل الأصل لتعبير عن معنى الطلب ، وطلب الفعل والمعي إليه عادة يتقدمه ثم تقع الإجابة له ، والفعل من غيرها يؤدي معنى الإجابة كقولك طعم (فكما تبعت أفعال الإجابة أفعال الطلب كذلك تبع حروف الأصل الحروف الزائدة التي وضعت للالتماس والمسألة).^(٥٥)

وقد ظهرت عنایتهم أحياناً في نظم الحروف في الكلمة الواحدة حيث لم يكتفوا باختيار الحروف المناسبة لأصواتها للمعاني التي تعبّر عنها وإنما أضافوا إليها العناية بترتيبها (وتقدير ما يضاهي أول الحديث وتأخير ما يضاهي آخره وتوسيط ما يضاهي أو سطه ، سوق للحروف على سمت المعنى المقصود).^(٥٦) ومثل لذلك بقوفهم : بحث ، فصوت الباء يشبه صوت الكف حين تتحقق على الأرض (فالباء للحقيقة بما يبحث به على التراب)^(٥٧) ، وصوت الحاء يشبه صوت مخالب الأسد أو براش الذئب وهي تغور في الأرض^(٥٧) ، أو هو (كصوت رسوب الحديد ونحوها إذا ساخت في الأرض).^(٥٨) ، والثاء بما فيها من نفث تشبه بث التراب^(٥٧) ،^(٥٨) .

وقال بعد أن ذكر ما تقدم : (وهذا أمر تراه محسوساً محصلاً فاي شبهة تبقى بعده).^(٥٩)

ومن ذلك أيضاً قوفهم : شد الجبل ، فالشين المتشيشة جاءت أولاً وهي تشبه بصوت الجبل

. (٥٦) نفسه : ٢ : ١٦٢.

. (٥١) نفسه : ٣ : ٢٦٥.

. (٥٧) نفسه : ٢ : ١٦٣.

. (٥٢) نفسه : ٣ : ٢٦٦.

. (٥٨) التمام ص : ١٣٠.

. (٥٣) نفسه : ٣ : ٢٦٧.

. (٥٩) الخصائص : ٢ : ١٦٣.

. (٥٤) الخصائص : ٢ : ١٥٣.

. (٥٥) نفسه : ٢ : ١٥٤.

أول انجدابه قبل أن تحكم عقدته ثم جاءت الدال لتعبر عن استحکام العقد بما فيها من ادغام^(٥٩).

ومن ذلك أيضاً قولهم: جر الشيء، فجعلت الجيم الشديدة أولًا لأن في أول الجر مشقة، ثم جاءت الراء المكررة في نفسها مع ذلك ضعفت لأن الشيء إذا جر على الأرض يهتز ويضطرب في الغالب فعبروا عن هذا الاهتزاز والصعود والتزول في الشيء المجرور باختيار حرف الراء لما فيها من تكرير وهي (أوفى لهذا المعنى من جميع الحروف غيرها).^(٦٠)

حكایة الأصوات:

ورد عن العرب تسميتهم أشياء بأصواتها فمن ذلك تسميتهم الذباب الخازبار، والصرد الواق، والغراب غاق، والبط سمي بطا حكاية لصوته أيضاً، ومنه تسميتهم صوت مشافر الإبل عند شرب الماء بشيب، ومنه قوله:

بینما نحن مرتعون بفلج قالت الدلّح الرواء أنيه
(فهذه حكاية لرزمة السحاب وحنين الرعد)^(٦١)، ومنه حكاية صوت البحر في قوله:

كالبحر يدعو هيّقاً وهيقما

وقالوا: (صر الجندي فكرروا الراء لما هناك من استطالة صوته وقالوا: صر صر
البازي فقطعوه لما هناك من تقطيع صوته).^(٦٢)

ولم يكتفوا بحكایة أصوات الحيوان والبحر والسحاب وإنما تجاوزوا ذلك إلى أن حكوا الأصوات بالجمل ودعاء الحيوان، فقالوا: حاحت وعايت وهو هيـت لقوهم حاء وعاء وفاء في دعائهم الحيوان^(٦٣)، وكذلك قالوا بسملت وهيللت وحولقت في حكاية قولهم باسم الله الرحمن الرحيم، ولا إله إلا الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله (كل ذلك واشباهه إنما يرجع اشتقاء إلى الأصوات والأمر أوسع).^(٦٤)

حركة الحرف في البنية:

قد تفرق العرب بين المعنين بتغير حركة الحرف في بنية الكلمة ويختارون صوت

(٦٠) نفسه: ٢: ١٦٤.

(٦١) نفسه: ٢: ١٦٥.

(٦٢) الخصائص: ١: ٦٥.

(٦٣) ذكر ابن السراج أن غاق حكاية صوت الغراب، وعاء وجاء زجر، الأصول: ٢: ١٤٣.

(٦٤) الخصائص: ٢: ١٦٥.

الحركة الأقوى للمعنى الأقوى والصوت الأضعف للمعنى الأضعف. فمن ذلك أنهم وضعوا الذال واللام للتعبير عن وصف في الدابة ووصف في الإنسان، فكسروا الذال للدابة إذا أرادوا ضد الصعوبة فقالوا: ذل، وضعوا الذال للإنسان إذا أرادوا ضد العزف قالوا: ذل، ولا شك أن الذي ينال الإنسان من الذال أكبر خطراً مما ينال الدابة فكان أن اختاروا الضمة لقوتها للكسرة لضعفها للدابة.)^(٦٥).

ومن ذلك أنهم يقولون في الشيء الحلو: حلا في فمي، يحلو، وحلي في عيني، فجعلوا بناء فعل لما يذاق بحاسة الذوق كي تظهر الواو وهي قوية وبناء فعل بالكسر لما كان غير تلك الخاصة كي تظهر الياء وهي أخف وأضعف من الواو^(٦٦).

ومن ذلك قولهم: عندي جمام المكوح دقيقاً، وجام القدح ماء، الأولى بالضم لأن الدقيق يمكن أن يعلو على سطح الإناء، وجعلوا الكسرة للثانية لأن الماء لا يعلو على سطح الإناء (يجعلوا الضمة لقوتها فيها يكثر حجمة والكسرة لضعفها فيها يقل بل ي عدم ارتفاعه).^(٦٦)

المضارعة في الأصول:

قد يتقارب المعاني فتتقارب الحروف لذلك ويكون الصوت واحداً في حرفين ويختلف في الثالث لغرض يتطلبه المعنى وقد يتفرق الأصلان في حرف واحد ويختلفان في حرفين بما يناسب المعنى المراد وقد يختلف الأصلان في الحروف الثلاثة ويكون هذا الاختلاف أيضاً اختلافاً مقصوداً تتناسب فيه حروف كل أصل مع المعنى الذي يراد من الفاظها أن تؤديه. وقد أربى ما أحصيته من الأصول التي أوردها ابن جني في هذا التقارب على التسعين^(٦٧)، اتفقت كلها في كون الحرفين المختلفين المتقابلين في الأصلين من خرج واحد أو من مخرجين متقاربين. ولم يلزم الاختلاف موضوعاً واحداً في الأصل. فقد تختلف الفاء مع الفاء أو العين مع اللام مع اللام، وقد يتفرق الأصلان في اللام ويختلفان في الفاء والعين، او يتفرقان في العين ويختلفان في الفاء واللام او يتفرقان في الفاء ويختلفان في العين واللام. وقد يعم الخلاف الفاء والعين واللام في الأصلين.

الاختلاف في حرف واحد:

الهمزة اخت الهاء فكلاهما من الحلق وقد قالت العرب أز الشيء وهزه، قال تعالى:

(٦٥) المحتسب ١٨: ٢

(٦٦) المحتسب ١٩: ٢

(٦٧) منها قولهم: سعد وصعد، والعصر والعسر، وقبض وبقض، وأفل وغيبر، وسحل وصهل، وزأر وسعل، وسلب وصرف، وستاني الإشارة إلى مواضع هذه وغيرها.

(ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين توزهم أَنَا) والمعنى أنها تزعجهم وتقلّلهم فهو في معنى (تهزّهم هزاً والمهمزة اخت الماء فتقابض اللفظان لتقابض المعنين وكأنهم خصوا هذا المعنى بالهمزة لأنها أقوى من الماء) ^(٧٨)، والمعنى الذي يؤديه الاز أعظم في النقوس من الماء لأن هذا الاخير قد يتناول ما لا قيمة له كالجلد وساق الشجرة. ومن ذلك أيضاً الحضم والقضم، فقد جعل القضم لكل يابس وجعل الخضم لكل رطب، وبين ما كان رطباً وما كان يابساً (ما بين الماء والكاف من الرخاوة والصلابة). ^(٧٩)، وعلل هذا الاختيار بأنه كان حذوا لسموع الأصوات على محسوس الاحداث. ^(٧٠)، وما اختلفت فيه الأصول في الفاء أيضاً التهكم والتحكم، وفي معنى الثاني قوة على الأول فاعطي الحرف الأقوى وذلك (إن الماء أحصر للصوت من الماء). ^(٧١).

و قبل أن نمضي في هذا الموضوع نرى أن نقف عند وصف الأقوى والمراد به، لأنه سوف يتعدد فيما يجيء من نماذج، فقد ذكر الدكتور أنيس ابن جني لم يكن واضحاً حين استعمل لفظ الحرف الأقوى، ومضى على أن (التبير بالآقوى في كلام ابن جني غامض لا مفهوم له عند علماء الأصوات) ^(٧٢)، وقد تتبع النماذج التي أوردها ابن جني وحاول أن يجد تفسيراً للفظ الأقوى لا ينتقض بنموذج آخر عنده فلم يوفق، وانتهى إلى التصرير بأن مراد ابن جني بالحرف الأقوى (غامض لا تستطيع تفسيره في ضوء الفوائز الصوتية الحديثة). ^(٧٣).

وقد ذهبت أتلمس ما يريد ابن جني بالحرف الأقوى مستفيداً مما طرحته الدكتورة أنيس في ذلك فظاهر له أنه لا يريد بلفظ الحرف الأقوى صفة مطلقة فيه تصح في كل موضع، وإنما يكون الحرف أقوى من الثاني بصفة من الصفات في موضع، ويكون غيره أقوى في موضع آخر بصفة أخرى، ففي الموضع الذي وقف عنه الدكتور أنيس ذكر ابن جني هذه الكلمات ^(٧٤): أهل واحد وأوح وعهد، وكذلك أرل ووت وولد، وأشار إلى أن المهمزة أقوى من كل من الماء والماء والخاء، وأن العين أقوى من الماء، وأن الراء أقوى من اللام، وأن الثناء والطاء أقوى من الدال، ولم يعلل القوة إلا في الراء وفي الطاء والثاء، ومع ذلك لم يكن التعليل واحداً، فالراء أقوى من اللام لأن (القطع عليها أقوى من القطع على اللام) ^(٧٥)، واللام ضفت لما فيها من غنة، والثناء والطاء أقوى من

(٧٢) موسقى الشعر ص ٢٣.

(٦٨) الخصائص ٢: ١٤٦.

(٧٣) موسقى الشعر ص ٢٤.

(٦٩) التمام ص ١٣٠، وانظر: التبيه ص ٣١٩.

(٧٤) الخصائص ١: ٥٤.

(٧٠) الخصائص ٢: ١٥٨.

(٧٥) نفسه ١: ٥٥.

(٧١) التبيه ص ٣٢٠.

الدال لأن جرس الصوت بها عند الوقف (أقوى منه واظهر عند الوقف على الدال).^(٧٥) فالقوة إذن نسبية عنده، وقد وجدها أحياناً بحصر الصوت الذي في الحرف^(٧٦)، وأحياناً بالاستعلاء الذي فيه^(٧٧)، وأحياناً بأنه حرف صلب^(٧٨)، ويكون الحرف الثاني يحمل الصفة المعاكسة. واحسب إننا بهذا نستطيع أن نقول إن مراد ابن جني من لفظ الحرف الأقوى قد أصبح واضحاً.

ومن اختلاف الحرف الواحد في الأصلين اختلاف العين فيها كقوفهم: القضم والقضم، والصاد أقوى من السين فجعلت للمعنى الأقوى لأن القضم (يكون معه الدق، وقد يقسم بين الشيئين فلا ينكر أحدهما).^(٧٩) فخصت الصاد بالمعنى الأقوى والسين بالمعنى الأضعف.

ومنه قوفهم قطع وقوع، والقدع قطع الإنسان عن فعله (والطاء أضعف من الدال، والقطع بالسيف ونحوه أضعفاً وانصر فعلاً من القدع الذي إنما هو كلام، وبين الطاء والدال ما بين الفعل والقول).^(٨٠)

ومنه القرمة وهي الجلدة التي تسلخ من على انف البعير وتجمع فوق انهه لتكون علامه له، ويقرب من هذا الأصل قوفهم قلمت اظفارى، فاللتقريرم انتقاد للجلد والتقليم انتقاد للظفر (والراء اخت اللام والعملان متقاربان).^(٨١)

وما اختلفت فيه اللام في الأصلين قوفهم؛ قض وقض، والقبض يكون باليد كلها والقبض يكون باطراف الاصابع، وقد جعلت الصاد للأكثر (لتفشيها واستطالتها)^(٨٢) والصاد للأقل (لصفائها وانحصار مخرجها وضيق محلها)..^(٨٣)

ومنه أيضاً قوفهم: جفا الشيء يجفو، وجفا الوادي بعثائه، وكلتا اللفظتين فيها معنى الجفاء وهو الارتفاع، إلا أن العرب استعملت (المهمزة في الوادي لما هناك من حفزة وقوة دفعه).^(٨٤)

(٧٦) التبيه ص ٣٢٠.

(٧٧) الخصائص ٢: ١٦٠.

(٧٨) التمام ص ١٣٠، وانظر: التبيه ص ٣١٩.

(٧٩) الخصائص ٢: ١٦١.

(٨٠) التمام ٢: ١٤٧.

(٨١) المحتسب ٢: ٥٥، وذكر ابن دريد أنه قريء قضت وقضت ولم يشر إلى فرق بينها، وانظر: الاشتغال ص ١٩٤.

(٨٢) الخصائص ٢: ١٦٠.

(٨٣) الخصائص ٢: ١٦٠.

(٨٤) التبيه ص ٣٢٠.

ومن أيضاً قولهم: النسخ والنضح للماء ولغيره. والنضح بالباء أقوى من النضح.
قال الله تعالى: (فيهما عينان نضاختان) فجعلت (الباء لرقتها للماء الضعيف والباء لغاظتها
لما هو أقوى منه).^(٨٤)

وما اختلف فيه الاصلان في حرفين قولهم: الصهيل والسبيل، قال زهير:
كأن سبيله في كل فجر على أحباء يمود دعاء
وال الأول من (ص هـ ل) والثاني من (س ح ل)، (والصاد أخت السين كما ان الباء
اخت الباء).^(٨٥) فهذا قد اختلفا في الفاء والعين.

ومنه أيضاً وقد اختلف الاصلان في الفاء واللام قولهم: الجدل أو المجادلة وأصل
معناه في الكلام القوة لأنه من (ج دل)، ويقرب منه في اللفظ وصف الظبي بأنه شادن (أي
قد قوي واشتد، والشين أخت الجيم والنون أخت اللام).^(٨٦)

وهذا من (ش د ن) وذلك من (ج دل).

ومنه وقد اختلف الاصلان في العين واللام قولهم: جلف، للقشر، وقالوا: جرم
للقطع (وهما متقاربان لفظاً متقاربان معنى)^(٨٧)، والأول من (ج ل ف) والثاني من (ج ر م)
واللام أخت الراء والفاء أخت الميم.

وما اختلف فيه الاصلان في الحروف الثلاثة الفاء والعين واللام قولهم: الغدر
والختل (والمعنىان متقاربان واللفظان متراضيان)^(٨٨)، والأول من (غ در) والثاني من (خ ث
ل) والباء أخت العين، والناء أخت الدال، واللام أخت الراء.

ومنه قولهم: أفل، وغير وكلها بمعنى الغياب، لأنه الأفل غائب، والغابر غائب
أيضاً، وأفل من (أ ف ل) و غير من (غ ب ر) والمهمزة أخت العين والفاء أخت الباء واللام
أخت الراء.^(٨٩)

ومنه قولهم: عطوت الشيء بمعنى تناولته، وقولهم: أتيت عليه أي ملكته واشتملت
عليه، والأول من (ع ط و) والثاني من (أ ت ي) والعين أخت المهمزة والباء أخت الناء
والواو أخت الياء.^(٩٠)

(٨٤) نفسه: ٢: ١٥٠.

(٨٥) نفسه: ٢: ١٤٩.

(٨٦) المحتسب: ١ - ٣٢٢ - ٣٢١: ١.

(٨٧) المختار: ٢: ١٤٩.

(٨٨) نفسه: ٢: ١٥٠.

(٨٩) المختار: ٢: ١٥٢.

(٩٠) المحتسب: ١: ٣٢٢.

الفاء وحروف الذلقة والنطع :

وما جعله متصلةً بباب المضارعة في الأصول ووصفه بأنه من طريف ما مرّ به ان الفاء إذا ثلثت أي حرفين من حروف الذلقة والنطع في التقديم والتأخير: (فأكثر أحواها ومجموع معانيها أنها للوهن والضعف ونحوهما)^(٩١)، والأصول التي تتحصل من ذلك إثنا عشر أصلًا إذا قلبت على وجهها كانت اثنين وسبعين، وقد ذكر ابن جني أمثلة تسعة من الأصول الثانية عشر مع بعض التقليبات لبعضها، أكفي بايراد مثال واحد لكل أصل من غير تقليل فمن ذلك ط ل ف: الشيء الطليف الذي ليس له عصمة الشدين، طرف: الطرف: لأنه أضعف من الوسط، ط ن ف: الطنف: لما بُرِزَ خارج البناء وهو أضعف مما استند على الأساس، ت ل ف: ومنه قوله للشيء: تالفة، ت ر ف: منه الترفة لأنها إلى اللين والضعف ، ت ن ف: منه التنوفة للفلاء وهي مهلكة، د ل ف: منه قوله للشيخ الضعيف دالفاً، ف رد: منه الفرد: والمفرد ضعيف ، د ن ف: منه الدنف للمريض . وقد أغفل ابن جني التمثيل لثلاثة أصول هي : (ن فر) ويمكن أن غُثِلَ له بالغزال النافر ولو لا ضعفه ما فر، و(ر ف ل) ومنه الترفيل وهي الزيادة وما زاد على الأصل لم تكن له قوته، و(ن ف ل) ومنه النافلة، وهي ما زاد على الفرض وليس لها قوته ووجوهه .

رأي المحدثين :

ذكر عدد من المحدثين فكرة الرابط بين أصوات الحروف في نظم الكلمة والمعنى الذي تؤديه . والاتجاه السائد في هذا هو إنكار هذه الصلة في الفاظ اللغة بشكل عام مع إعطاء اليد يوجد عدد ضئيل من الكلمات تظهر فيها هذه المناسبة بوجه أو بأخر ، وهي في الغالب تمثل التعبير عن الأصوات الطبيعية وأصوات الحيوانات ، ولكنها من الندرة والقلة بحيث لا تصلح لأن يعقد عليها باب^(٩٢) .

وذكر فنديس محاولة دي برس الفرنسي في القرن الثامن عشر لتفسير الصورة الخارجية للكلمات بالمعاني التي تعبّر عنها، أي أن يرى في الأصوات نوعاً من الرمزية، ثم أشـقـعـ عـلـيـهـ مـنـ ذـلـكـ التـفـكـيرـ وـقـالـ: (هـذـاـ شـرـوـعـ لـاـ شـيـرـ فـيـ أـيـامـنـاـ هـذـهـ إـلـاـ الـبـسـامـ).^(٩٣) كذلك نفى أولان أن تكون (هـنـاكـ عـلـاقـةـ طـبـيعـةـ بـيـنـ الصـيـغـةـ وـالـمـعـنـىـ)^(٩٤) واستثنى من ذلك

(٩١) المخاضن ١٦٦:٢.

(٩٢) انظر مثلاً: دلالة الألفاظ ص ٧١، عاضرات في اللغة ص ١٣ ، كلام العرب ص ٤٦ - ٥١ .

(٩٣) اللغة ص ٤٠ .

(٩٤) دور الكلمة في اللغة ص ٢٣ .

ما عبر عنه بمحاكاة الأصوات كالقمهة^(٩٥)، وحين تناول الدكتور قام حسان بالشرح نظرية دي سوسر التي تتحدث عن العلاقة بين الرمز والمقصد ونقل عنه ما يؤكّد الابتعاد عن تكليف علاقة مقصودة بين الصوت والمعنى قال: (وليس في الفكر ما يفرض شكلاً معيناً للرموز الصوتية، فهذه الرموز موضوعة وضعياً اعتباطياً).^(٩٦) . وذكر الدكتور إبراهيم أنيس أن فكرة المناسبة بين الصوت والمعنى بدأت عند اليونان ثم انتقلت عدواها إلى العلماء العرب الذين حلّ لهم على الربط بين اللفظ ومدلوله اعتزازهم بالفاظ العربية وإعجابهم بها وحرصهم على الكشف عن أسرارها وخيالها^(٩٧).

على أن بعض المحدثين كان ميالاً إلى القول بالمناسبة بين الألفاظ والدلالة، فقد ذكر الدكتور أنيس (أن جسبرسن كان من يتصرّرون لأصحاب المناسبة بين الألفاظ ودلاليتها، غير أنه حذرنا من المغالاة في هذا).^(٩٨)

والدكتور أنيس يرى في حديث المناسبة وجوب التفريق بين الصلة المكتسبة والصلة الذاتية، وهو يرى أن الصلة بين اللفظ ومدلوله لم تنشأ مع ذلك اللفظ أو تولد بهلهلته، وإنما اكتسبت بمرور الوقت، فالمتكلّم الذي تصادف أن اعتنى بلفظ من الألفاظ لا يلبث نتيجة انتباهه له أكثر من غيره وعانتيه به أن يعقد الصلة بينه وبين دلالته (ويتصور نوعاً من المناسبة بين تلك الأصوات وما تدل عليه).^(٩٩) . وأشدق على ابن جني وغيره من علماء العربية من اعتنوا بتلمس الربط بين اللفظ ومدلوله أو حاولوا الربط في تقليل الأصول (بين دلالات تلك الصور واستنبطوا معاني عامة مشتركة بينها كلفهم هذا الصنيع من العنت والمشقة قدرأً كبيراً).^(١٠٠) . وعندما عرض لذكر الاشتراق الأكبر عند ابن جني نبه إلى أن ابن جني كان من المؤمنين بالرابطة المنطقية العقلية (بين الأصوات والمدلولات أو ما يسمى بعض المحدثين بالرمزيّة الصوتية، بل لقد غالى ابن جني في هذا)^(١٠١) ، ووصف مذهبـه في الاشتراق وتقليل الأصول بأن فيه (قدراً كبيراً من التكليف والتّعسـف).^(١٠٢) ، ولا يكفي ما ساقه من مواد تكـلف فيها وتعـسـف لاثبات ما يـسمـى بالاشـتقـاقـ الأـكـبـرـ لـقـلـةـ تـلـكـ المـوـادـ وـضـالـلـهـاـ بـالـقـيـاسـ

(٩٥) نفسه ص ٧٤.

(٩٦) مناهج البحث في اللغة ص ٢٤٤.

(٩٧) دلالة الألفاظ ص ٦٤.

(٩٨) نفسه ص ٦٨.

(٩٩) دلالة الألفاظ ص ٧١، وانظر أيضاً: وهي الأصوات في اللغة ص ١٢٧.

(١٠٠) نفسه ص ٦٧.

(١٠١) من أسرار اللغة ص ٥٠ - ٥١.

(١٠٢) نفسه ص ٥٢.

إلى كل مواد اللغة التي تكاد تصل في معجم لسان العرب إلى ثمانين ألفاً^(١٠٧).
وأرى أن ما ورد في هذا الفصل من تقارب الصوت والمعنى لم يقصد به أنه شامل لكل
مفردات اللغة بل إن ابن جنبي نفسه قد صرخ بذلك حين قال عن الاشتقاء الأكبر: (واعلم
أنا لا ندعني أن هذا مستمر في جميع اللغة)^(١٠٨).

ولكنه من غير شك مظهر عجيب من مظاهر اللغة العربية يلفت نظر الدارس
ويستحق الوقوف عنده وتأمله.

(١٠٣) الخصائص ٢ : ١٣٨.

الفصل الثالث

أصوات الحروف

أعضاء النطق.

درس علم اللغة الحديث أعضاء النطق دراسة تشريحية مفصلة وانتهى إلى تحديدها، وبيان الأصوات التي يصدرها الإنسان عن طريق هذه الأعضاء والماوضع التي تبدأ بها تلك الأصوات أو تختت بها أو تحصر عندها.

وقد استفاد العلماء في ذلك من أجهزة الصوت الحديثة الحساسة الدقيقة ومن علم تشريع الأعضاء^(١) مما لم يكن ميسراً للعلمائنا القدامى ومنهم ابن جنی . فلدى هذا الفارق في وسائل العلم إلى ظهور فوارق في الكلام على مخارج الحروف وصفاتها بين الفريقين ، ولكنها فوارق قليلة كما ظهر من البحث والمقارنة . وقد رأيت أن أوجز الكلام على أعضاء النطق بالقدر الذي يحتاج إليه هذا الفصل ، والشرح المفصل مثبت في مظانه من كتب اللغة الحديثة^(٢) .

١ - القصبة الهوائية :

وهي القصبة التي يمرّ الهواء فيها من الرئتين نحو الحنجرة والوترين ، وكان علماء الأصوات لا يرون فيها سوى طريق للهواء ، فهي عندهم لا أثر لها في الصوت ، إلا أن

(١) انظر : الدراسة الصوتية الآلية والتشريحية في أصوات اللغة ص ٢٦ - ص ٩١ وفي دراسة الصوت اللغوي ص ٧٩ وما بعدها.

(٢) انظر مثلاً: اللغة ص ٤٤ وما بعدها، دروس في علم أصوات العربية ص ١٧ وما بعدها الأصوات اللغوية ص ١٦ وما بعدها، علم اللغة للسعراي ص ١٤٢ وما بعدها علم اللغة العام - الأصوات - ص ٦٥ وما بعدها، عماضرات في اللغة ص ٨٥ وما بعدها.

البحوث الحديثة^(٣) قد برهنت على أنَّ لها أثراً في درجة الصوت حيث تستغل كالفراغ الرنان وبخاصة إذا كان الصوت عميقاً.

٢ - الحنجرة والوتران :

وتكون الحنجرة الجزء الأعلى من القصبة الهوائية، وفيها الوتران الصوتيان وهما أشبه بشفتين معدتتين أفقياً من الخلف إلى الأمام ويلقيان عند البروز الذي يرى واضحاً في ظاهر الحنجرة من الأمام. والفراغ الذي بين الوترتين يسمى المزمار، ويغطي هذا الفراغ ما يسمى بلسان المزمار، وهذا اللسان لا أثر له في الصوت.

٣ - الحلقة :

وهو الفراغ الذي يقع بين الحنجرة والفم.

ويلاحظ أنَّ كلمة الحلقة عند القدماء غيرها عند المحدثين، فهي تشمل عند أولئك موضع الوترتين الصوتيتين من الحنجرة أيضاً ولا تقتصر على الفراغ الذي بين الحنجرة والفم، جاء في اللسان مادة حلقة: (الحلقة مساغ الطعام والشراب في المريء.. مخرج النفس من الحلقوم، وموضع الذبحة هو أيضاً من الحلقة، وقال أبو زيد: الحلقة موضع الغلصمة والمذبحة^(٤)). وجاء في مادة حنجرة: (الحنجرة، والحنجرة طباقان من أطباقي الحلقوم مما يلي الغلصمة، وقيل الحنجرة: رأس الغلصمة حيث يحدد، وقيل هو جوف الحلقوم وهو الحنجرة^(٥)). وجاء في مادة غلصم: (الغلصمة: رأس الحلقوم.. وهو الموضع الناقِي في الحلقة^(٦)). فالبروز الذي يتلقى عنده الوتران الصوتيان داخل عندهم كما هو واضح في لفظ الحلقة على ما فسره أبو زيد من أنَّ الحلقة موضع الغلصمة، والغلصمة فسرت بأنَّها الموضع الناقِي في الحلقة الذي هو موضع الوترتين. فعل هذا يتبين أنَّ فهم من كلمة الحلقة عند القدماء المنطقة المشتملة على أقصى الحنك والحنجرة والفراغ الذي بينها ذلك الفراغ الذي اصطلاح على تسميته وحده عند المحدثين بالحلقة^(٧).

٤ - اللسان :

وهو في أدائه الوظيفية الصوتية ثلاثة أقسام: -

أول اللسان، ويدخل في ذلك طرفه، ووسط اللسان، ومؤخر اللسان أو أقصاه.

(٦) نفسه : ١٥ : ٣٣٧

(٣) الأصوات اللغوية ص ١٧

(٧) أنظر علم اللغة العام - الأصوات - ص ١٢٣

(٤) اللسان : ١١ : ٣٤٣

(٥) نفسه : ٥ : ٢٩٥

٥ - الحنك الأعلى :

وهو ثلاثة أقسام أيضاً:

مقدم الحنك أو اللثة ويدخل في ذلك أصول الأسنان العليا، ووسط الحنك أو الحنك الصلب، وأقصى الحنك، أو الحنك اللين، وفي نهاية القسم الثالث من الحنك تقع اللهاة.

٦ - الفراغ الأنفي.

٧ - الشفتان.

٨ - الأسنان.

وأعضاء النطق عند الخليل وسيبوه على ما جاء في كتاب سيبوه^(٨) هي: - الحلق، واللسان، والحنك الأعلى، والخياشيم، والشفتان، والأسنان. وإنما اعتمدنا على ما جاء في كتاب سيبوه لبيان أراء الخليل في الحروف ومحارجها لا العين لما قدمناه من رأي ابن جني فيه، ولقوله أيضاً: (فهذا هو ترتيب الحروف على مذاقها وتصعدها وهو الصحيح. فاما ترتيبها في كتاب العين فهو خطأ واضطراب، ومخالفة لما قدمناه آنفاً مما رتبه سيبوه وتلاه أصحابه عليه وهو الصواب الذي يشهد التأمل له بصحته)^(٩).

وأعضاء النطق الواردة في الكتاب هي نفسها التي وردت عند ابن جني^(١٠).

ويلاحظ أن أهم فارق بين القدامي والمحدثين سوى المراد بلفظ الحلق، هو إغفال القدامي دور الورتين الصوتين، بل إغفال ذكرهما أساساً، ويبدو أنهما لم يعرفوهما^(١١). وقد أدى ذلك إلى اختلاف بين الفريقين. في صفات بعض الحروف بين الهمس والجلهر مما سألي بيانه في الكلام على صفات الحروف.

الدرج الصوتي:

تبدأ الحروف عند الخليل وسيبوه وعند ابن جني أيضاً وبقية علماء العربية من أقصى الحلق وتنتهي بالشفتين، ومعنى ذلك أنهما لم يذكروا في الأصوات الخنجرة والورتين الصوتين كما نجد ذلك عند المحدثين ويمكن تقرير الأمر بين الاثنين بما قدمناه من أن المراد بلفظ الحلق عند القدامي أوسع مما يراد به عند المحدثين حيث تدخل فيه الخنجرة والورتان. والذي يلاحظ على ترتيب الحروف في كتاب سيبوه أنه مختلف لما في كتاب العين، ولم يذكر سيبوه أن ترتيب الحروف عنده هو ترتيب الخليل، فلا يبعد أن يكون قد خالف استاذه، أو

(٨) الكتاب ٢: ٤٠٥.

(١٠) نفسه ١/ ٥٢ - ٥٣.

(٩) سر الصناعة ١: ٥٠ - ٥١.

(١١) دروس في علم أصوات العربية ص ١٨.

أن يكون التغيير قد دخل كتاب العين فاختلف الكتابان لذلك، وفيما يلي ترتيب الحروف في الكتابين^(١٢) لسهولة المقارنة:

كتاب سيبويه	كتاب العين
أ	ع
(١٣) أ	ح
ه	ه
ع	خ
ح	غ
غ	ق
خ	ك
ف	ج
ك	ض
ح	ش
ش	ص
ي	س
ض	ز
ل	ط
ن	د
ر	ت
ط	ظ
د	ذ
ت	ث
ز	ر
س	ل
ص	ن
ظ	ف
ذ	ب

(١٢) العين ص ٦٥، الكتاب ٢: ٤٠٥.

(١٣) تقديم ألف على الماء من ص ٤٠٤ في الكتاب وهو المافق لما ذكره ابن جي عن سيبويه كهما سياني.

كتاب العين

م

و

ا

ي

ء

النون الحقيقة

ويلاحظ أن المجموعات الصوتية لم يحدث فيها تغير كبير، فقد اقتصر الفرق على إسقاط كتاب العين حرف المهمزة من حروف الحلق ومعها الألف وتأخيرها إلى آخر الحروف، وإسقاط الياء من الحروف الشجيرية ووضعها بين الألف والمهمزة.

ويلاحظ أيضاً أن وضع الحروف داخل المجموعة الواحدة قد أصابه تغير أيضاً حيث تقدم حرف وسط الحلق على حرف أقصى الحلق إذ ذكر الحاء بعد العين والباء، وإن حرفي أدنى الحلق تقدم الباء منها على العين، وحروف الصفير جاءت بهذا الترتيب الصاد والسين والزاي وهي عند سيبويه الزاي والسين والصاد. وحروف الذلالة تقدمت فيها الراء وجاء بعدها اللام والنون، والراء مؤخرة عليها عند سيبويه.

كذلك نلاحظ اختلافاً واحداً في ترتيب المجموعات الصوتية بالنظر إلى تقدمها أو تأخرها، فقد جاءت حروف الصفير في كتاب العين بعد الضاد وهو حرف حافة اللسان، والذي عند سيبويه بعد الضاد حروف الذلالة، ونتيجة لتقدير حروف الصفير فقد وضع مكانها حروف الذلالة، ومعنى ذلك أنه في العين حدث تبادل أماكن بين حروف الصفير وحروف الذلالة.

ويلاحظ أيضاً أن صاحب العين لم يورد في أول كتابه النون الحقيقة أو الحقيقة التي مخرجها الخيشيم، وهو كما أرى أمر طبيعي لأنها إنما يذكر الحرف الداخل في بناء الكلمة، وقد ذكر النون مع اللام والراء فلا معنى لذكرها ثانية، وإن كانت في النطق على ما رأى سيبويه نوناً ثانية يختلف صوتها عن الأولى.

ترتيب الأصوات الذي أورده عن سيبويه هو ترتيبها عند ابن جني الذي نص على ذلك معرضاً بترتيب كتاب العين في عبارته التي أوردتها في (أعضاء النطق) والذي لاحظته أن حروف الصفير عند ابن جني يختلف ترتيبها عما ورد في أحد موضعين ذكر الحروف في الكتاب، فقدرتبها ابن جني هكذا (ص. ز. س) وفي نسخة (ص. س. ز) أما عند سيبويه فقد

وود ترتيبها مرة (ص. ز. س) وهو متوافق لما في سر الصناعة، وفي موضع ثان (ز. س. ص) والذي اعتمد عليه في ذكر الحروف عن سيبويه الموضع الثاني لأنه لا يقوم على الذكر المجرد للحروف وإنما هو في وصف مخارجها مما يبعد احتمال خطأ النسخ في الترتيب الذي يمكن أن يتعرض له الذكر المجرد للحروف من غير وصف كما في الموضع الأول، وقد حدث تباين في وضع الحروف بين الموضعين في الكتاب وفيها يلي وضع الحروف في المكابين ليرى الفرق بينها وفي سر الصناعة ليرى الاتفاق:

الكتاب ٤٠٤:٢ الكتاب ٤٠٥:٢ سر الصناعة ٥٧١ - ٥٣

أ	أ	أ
ا	هـ	ا
هـ	ا	هـ
ع	ع	ع
حـ	حـ	حـ
غـ	غـ	غـ
خـ	خـ	خـ
قـ	قـ	(ك) ^(١٤)
كـ	كـ	قـ
جـ	جـ	ضـ
شـ	شـ	جـ
يـ	يـ	شـ
ضـ	ضـ	يـ
لـ	(ل) ^(١٥)	لـ
نـ	نـ	رـ
رـ	رـ	نـ
طـ	طـ	طـ
دـ	دـ	دـ
تـ	تـ	تـ
صـ	صـ	

(١٤) في الكتاب طبعة هارون ج ٤ ص ٤٣١ ذكر في الخامس أن الترتيب في نسخة أ، ب (والكاف، والكاف).

(١٥) سقط ذكر اللام ووصفها من طبعة هارون ج ٤ ص ٤٣٢.

ز	س	ز
س	ص	س
ظ	ظ	ظ
ذ	ذ	ذ
ث	ث	ث
ف	ف	ف
ب	ب	ب
م	م	م
و	و	و

اللون الخفيفة

ويلاحظ أن ابن جني قد وافق ما ورد في ص ٤٠٥ من الكتاب أكثر من موافقته لما في ص ٤٠٤ فقد وافقه في ذكر الحروف جميعاً إلا تقديم الهاء على الألف وترتيب حروف الصغير، أما تقدم الهاء على الألف في الكتاب فالراجح أنه من عمل النساخ لأن ابن جني نص على أن الألف مقدمة على الهاء عند سبيوه وهي معها عند الأخفش^(١٦)، أما الاختلاف في ترتيب حروف الصغير فناتج من أحد أمرين:

الأول: أن يكون أيضاً من عمل النساخ.

الثاني: أن يكون سبيوه أو ابن جني قد احس بأن الثلاثة من مخرج واحد لا يتقدم أي منها على الآخرين والفرق بينها في الصفة فالزاي من مخرج السين إلا أنها مجهرة والسين مهموس والصاد من مخرج السين وهي مهمومة أيضاً إلا أنها تختلف عن السين بالاطلاق^(١٧)، فلم يبال التقديم والتأخير بينها لذلك.

خارج الحروف

ذكر ابن جني أن الصوت (يخرج مع النفس مستطلياً متصلأً، حتى يعرض له في الحلق والقلم والشفتين مقاطع تثنية عن امتداده واستطالته، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفاً وتختلف اجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها)^(١٨). وقد شبه هذه المقاطع التي

(١٦) سر الصناعة ٥٢:١

(١٧) الأصوات اللغوية ص ٧٧

(١٨) سر الصناعة ٦:١

نقطع النفس لتخرج أصوات الحروف المختلفة بالي الناي والعود فكما أن الهواء يجري في الناي بصوت فإذا وضع العازف أنماه على الثقوب ورواح بينها سمع لكل منها صوت مختلف عن الآخر (فكذلك إذا قطع الصوت في الحلقة أو الفم)^(١٩). وكما أن الضارب على أوتار العود إذا ضرب من غير أن يضغط على وتر سمع له صوت، فإذا ضغط على أول وتر سمع صوت آخر، وهكذا مختلف الصوت (كلما أدنى أصبعه من أول الوتر تشكلت لك أصوات مختلفة)^(٢٠). وذكر إنك إذا أردت أن تعرف صدى الحرف أتيت به ساكناً لا متراكماً لأن الحركة تجذب الحرف إلى صوت الحرف الذي هي بعضه، ولما كان الابتداء بالساكن غير ممكن فإنك تأتي بهمزة الوصول قبله^(٢١). وقد حذرت الدراسة الحديثة من الآيات بهمزة الوصول لمعرفة مخرج الحرف، لأن الحرف حينئذ لا يتحقق فيه الاستقلال الذي هو أساس التجربة الصحيحة^(٢٢). والمخارج التي ذكرها ابن جني للحروف ستة عشر مخرجاً وهو بهذا متابع لسيبوه^(٢٣)، قال^(٢٤).

١ - (واعلم ان مخارج هذه الحروف ستة عشر، ثلاثة منها في الحلقة: فأولها من أسفله واقصاه مخرج المهمزة والألف والهاء).

ويلاحظ أن الهاء عنده بعد الألف وهو كما ذكر مذهب سيبوه، وذكر أن الأخفش يرها مع الألف لا قبلها ولا بعدها، ونقض رأي الأخفش بأن الألف إذا تحركت اعتمد بها على أقرب الحروف منها إلى أسفل فقلبت همزة ولو صبح ان الهاء معها لقلبت هاء^(٢٥)، فلما قلبتها العرب همزة دل هذا على أنها بعد المهمزة وقبل الهاء لا معها. والذي عليه الدراسة الحديثة ان الألف صائب مجهور يحدث نتيجة اندفاع الهواء في مجراه المستمر خلال الحلقة والضم دون أن يعرضه مقطع يثنيه أو يضيق مجراه^(٢٦)، أو كما عبر ابن جني (تجدد الحلقة والضم معها منفتحين غير متعرضين على الصوت بضغط أو حصر)^(٢٧)، ومن ثم لا يجوز أن يجعل من حروف الحلقة لأنه ليس له مقطع في الحلقة أو في غيره.

وقد اجتهد الدكتور ابراهيم أنيس في الاعتذار عن سيبوه ومن تابعه لذكرهم للألف في حروف الحلقة، وأورد عبارة لابن جني وفسرها على ما رأى وهي قوله: (إن الألف التي في أول حروف المجمع هي صورة المهمزة، وإنما كتبت المهمزة واواً مرة وياً أخرى على مذهب أهل الحجاز في التخفيف. ولو أريد تحقيقها لو جب أن تكتب الفاء على كل حال).^(٢٨)

(١٩) نفسه .٩:١

(٢٠) نفسه .١٠:١

(٢١) نفسه .٧:١

(٢٢) الأصوات اللغوية ص .٢٠

(٢٣) الكتاب :٤٠٤ ، ٤٠٥

(٢٤) سر الصناعة :١٥٢ - ٥٣

(٢٥) سر الصناعة :١٥٢

(٢٦) علم اللغة - السعران - ص .١٦٠

(٢٧) سر الصناعة :١٨

(٢٨) نفسه .٤٦:١

وعقب على ذلك بقوله: (ويبدو ان ابن جني كان يعتبر كلمة الألف إسماً للصوت المنطوق به همزة، فالألف في رأيه رمز للمكتوب، والهمزة رمز للمنطوق، ومقتضى هذا انه ما كان يصح في تعداد أصوات الحلق أن تذكر الهمزة والألف معاً، بل كان الواجب الاكتفاء بكلمة الهمزة التي هي رمز للصوت).^(٢٩)، اثم اعتذر عن سببويه بأنه ربما أراد بذكر الألف إيضاح المراد من الكلمة الهمزة التي كانت مصطليحاً صوتياً غير مألوف في زمانه -على رأيه-. واعتذر للذين اقحموا الألف مع حروف الحلق بعد سببويه بأنهم كانوا متابعين ولم يدركوا السبب في ذكر سببويه للألف.^(٣٠).

ولست مع الدكتور أنيس فيما ذهب إليه من تفسير عبارة ابن جني هذه، لأن كلامه لم يكن يتناول صوت الهمزة والألف، بل هو في رسم الهمزة، وهو يعلل رسماًها على الواو أو الياء كما تقول مؤمن وبئر بأنه على مذهب أهل الحجاز في التخفيف إذ يقولون مومن ووير. ولو أجمع العرب على تحقيقها بان ترك الحجازيون تخفيفها لما صرح على رأي ابن جني أن تكتب على الواو أو الياء بل كان الواجب أن تكتب بصورة الألف على كل حال. يؤكّد ذلك انه في نص آخر نقله أيضاً الدكتور أنيس شاهداً على غير هذه المسألة تحدث عن صورة الألف والهمزة بقوله: (فاما المدة التي في نحو قام وسار وكتاب وحار فصورتها أيضاً صورة الهمزة المحققة التي في أحد وإبراهيم واترجة، إلا أن هذه الألف لا تكون إلا ساكنة فصورتها وصورة الهمزة المترحكة واحدة وإن اختلف مخرجاهما)^(٣١). ويدفع ما اعتذر به عن سببويه في انه ذكر الألف إضاحاً لمراده بالهمزة أمور:

الأول: قول سببويه: (فأصل حروف العربية تسعة وعشرون حرفاً: الهمزة والألف والماء...).^(٣٢)، ولو جعلنا الألف إضاحاً لكان ثمانية وعشرين.

(٢٩) الأصوات اللغوية ص ١١٦ - ١١٦.

(٣٠) فهم الدكتور عبد الرحمن أيوب من عبارة الدكتور إبراهيم أنيس أنه قد اعتذر لسببويه بغير ما أوردته آنفـاً إذ قال عنه: (لم يبرر سلوك سببويه هذا بأنه تعذر عن تمهيل الهمزة لدى قريش، وبهذا تكون الهمزة هي همزة القطع أما الألف فهي الهمزة المسهلة) (محاضرات في اللغة ص ١٢٥) وجعل هذا المهم حقيقة حين قال: (يقول الدكتور أنيس إن الهمزة التي ذكرها سببويه هي همزة القطع أما الألف فهي اهمزة المسهلة، ونحن لا نقبل دفاع الدكتور أنيس هذا لأن الهمزة المسهلة حرفة وبهذا يكون سببويه قد وقع في نفس الخطأ.).

(محاضرات في اللغة ص ١٢٦ - ١٢٧) وعبارة الدكتور أنيس هي: (ولكن ابن جني نفسه -مع الأسف- ذكر الألف مع الهمزة حين تحدث عن أصوات الحلق، على أنه يمكن أن يقال: إن الذين يقللوا عن سببويه قد حلووا كلاماً أمراً لم يقصدوه حين ذكر الألف بعد الهمزة، فربما أراد بكلمة الألف تفسير المقصود من الكلمة الهمزة التي -فيما يبدي-. كانت مصطليحاً صوتياً غير مألوف في أيامه، أو حدثت المهد بين الدارسين فثارت توضيحة بذلك مراده له أكثر شهرة وألقه، وهو كلمة الألف).

(الأصوات اللغوية ص ١١٦) ولم استطع ان افهم من هذا الكلام ما فهمه الدكتور أيوب منه.

(٣١) سر الصناعة ١: ٤٨.

(٣٢) الكتاب ٢: ٤٠٤.

الثاني: ان سيبويه لم يذكر الألف مرة اخرى وهو يتكلم على مخارج الحروف، فلو أنه ذكرها أولاً لإيضاح معنى الهمزة لذكرها بعد ذلك في الموضع الذي يراها فيه، فلما لم يرد لها ذكر إلا في موضع واحد دل على أنه كان يريدها لذاتها لا لإيضاح غيرها بها.

الثالث: ما ذكره ابن جني من مخالفة الأخفش سيبويه في موضع الهاء - ودعوه بأنها مع الألف لا بعدها واستدلال ابن جني لسيبويه بأنها لو كانت مع الألف لقلبت الألف هاء عند تحركها فلما قلبت همزة دل هذا على أن الهاء بعد الألف والهمزة قبلها وكأن ابن جني في تأكيده على أن الألف عند سيبويه بين الهمزة والهاء كان معتمداً على قول سيبويه: (أن الهمزة أقصى الحروف وأشدتها سفولاً وكذلك الهاء... وإنما الألف بينها)^(٣٣)، وهذا صريح في أن الألف بين الهمزة والهاء. فقد أراد سيبويه الألف اذن حين ذكرها، وابن جني متتابع له في ذلك.

أما مخرج الهمزة عند المحدثين فقد جعله بعضهم من أقصى الخلق^(٣٤)، موافقاً لما عليه العلماء العرب، وعبر عنه بعضهم بأنه من المزمار نفسه^(٣٥)، وبعضهم بأنه من الخنجرة^(٣٦)، والمزمار كما هو معلوم في أعلى الخنجرة، وسبق أن ذكرنا إمكان شمول لفظ الخلق عند القدامى الخنجرة أيضاً، وعلى هذا فلا خلاف في وصف مخرج الهمزة.

وأما الهاء فهو عند المحدثين أيضاً من حروف أقصى الخلق^(٣٧)، وعبر عنه بعضهم بأنه من أقصى الخلق أو داخل المزمار^(٣٨)، وبعضهم انه من الخنجرة^(٣٩)، فهو بهذا الوصف لا يختلف عن وصف القدامى له لما ذكرنا من دخول الخنجرة في لفظ الخلق عندهم.

٢- (ومن وسط الخلق مخرج العين والباء)

وهما عند المحدثين حرفان حلقيان وإن اختللت عباراتهم في ذلك، فقد ذكر بعضهم أنها أدنى- حلقيان^(٤٠)، وذكر بعضهم أنها من وسط الخلق^(٤١)، وأنها يحدثن في الفراغ

(٣٣) الكتاب: ٢٥٣.

(٣٤) دروس في علم الأصوات العربية ص ١٢٣.

(٣٥) الأصوات اللغوية ص ٩٠.

(٣٦) علم اللغة للسعريان ص ١٧١، وانظر أيضاً علم اللغة العام - الأصوات - ص ١١٢.

(٣٧) دروس في علم أصوات العربية ص ١١٩.

(٣٨) الأصوات اللغوية ص ٨٩.

(٣٩) علم اللغة للسعريان ص ١٩٦.

(٤٠) دروس في علم أصوات العربية ص ٣١.

(٤١) علم اللغة للسعريان ص ١٩٤.

الخلقي أعلى الحنجرة فهما حرفان حلقيان^(٤١)، أو أنهما يمثلان في البلعوم الحنجري^(٤٢)، وهو عين الموضع الذي عبروا عنه بالخلق أو أعلى الحنجرة^(٤٣).

وخرجها واحد إلا أن الحاء لا يتحرك معه الوتران الصوتيان فهو مهموس ونظيره المجهور هو العين^(٣٨).

٣ - (وما فوق ذلك مع أول الفم خرج الغين والخاء).

فهما حرفان أدنى الحلق عنده، وقد ضم إليهما بعضهم القاف وسمى الثلاثة الأحرف اللهوية^(٤٤)، ووصف بعضهم خرج الغين بأنه أدنى الحلق إلى الفم والخاء من مخرجها غير أن الغين مجهور نظيره المهموس الخاء^(٤٥)، ووصف بعضهم الخاء بأنه من حروف أقصى الحنك حيث يتكون من احتكاك الهواء في الفراغ الضيق الذي يولده اقتراب أقصى اللسان من أقصى الحنك وهو مهموس والغين من مخرجها إلا أنه مجهور فهما حرفان حنكيان قصيانيان^(٤٦). وهذا الاختلاف ليس في الموضع كما أرى إنما هو خلاف لفظي . إذ اللهاة تقع في أقصى الحنك، أو أدنى الحلق إلى الفم، فمن عبر باللهاة فهي ، ومن عبر بأدنى الحلق فقد أرادها، ومن عبر بأقصى الحنك فقد أرادها أيضاً، وعلى هذا يحمل رأي ابن جنی ومن تابعه من المحدثين من أن الغين والخاء من أدنى الحلق، ورأى من قال بأنهما من أقصى الحنك.

٤ - (وما فوق ذلك من أقصى اللسان مخرج القاف):

والقاف كما نلفظها اليوم في الفصيح تخرج بآن يتصل أقصى اللسان بأدنى الحلق بما في ذلك اللهاة ثم ينفصل العضوان فجأة ليحدث الهواء المحبوس باتصالهما صوتاً انفجارياً شديداً فهي صوت هوى^(٤٠)، ولا يبعد هذا عما أوردته ابن جنی فهو وإن لم يذكر اللهاة فقد ذكر أنه فوق الغين والخاء من أقصى اللسان، وقد ذهب بعضهم^(٤٧) إلى أنها ينبغي أن توزد قبل الخاء والغين لا بعدهما، واعتذر لذكر العلماء العرب إياها قبلهما بأحد أمرين:

الأول: احتمال خطأ القدامي في تعين موضع القاف في النطق.

الثاني: ورجحه، أن الصوت الآن مختلف عنه قدماً وإن ما نلفظه الآن قافاً كان يلفظ

(٤٢) محاضرات في اللغة ص ٩٨.

(٤٣) نفسه، أنظر الموضع فيه ص ٨٨.

(٤٤) دروس في علم أصوات العربية ص ٣١، وانظر محاضرات في اللغة ص ٩٨.

(٤٥) أصوات اللغة ص ٨٨.

(٤٦) علم اللغة للسعراي ص ١٩٤ وانظر علم اللغة العام - الأصوات - ص ١٢٣.

(٤٧) علم اللغة العام - الأصوات - ص ١٠٩ - ١١١.

ما يشبه الكاف الفارسية، أو لفظ القاف في لهجتنا العامية في العراق نحو كوال في قال، وهي بهذا الوصف تكون حقاً بعد الخاء والغين ولكنها تكون حينئذ من موضع الكاف إلا أنها مجهرة والكاف مهموسة، وتكون حينئذ من حروف أقصى الحنك، كما أنه أجاز أن يكون الخليل أو سببيوه قد وصف القاف كما هي في اللهجات العربية، فيكون الوصف مطابقاً للنطق الذي سمعه أو تعلمه في زمانه ثم جاء من بعده وقلدوه في الوصف مع شيوخ القاف الحالية في الفصيح.

وأرى أن نسبة الخطأ إليهم في تعين القاف، أو القول بأنهم وصفوا القاف من لهجات معينة غير ما شهر فيها بعد في الفصيح، أقرب من القول باختلاف الصوت، لأنه لا يتصور أن يجمع العرب في الفصيح اليوم على صوت القاف المألوف، مع اختلافهم في نطقه في العاميات ويكون هذا الذي أجمعوا عليه مخالفًا لما أخذوه من أسلافهم مع وجود الصوت الذي يدعى أنه صوت القاف القديم في مناطق واسعة من العالم العربي كالعراق والجزيرة والخليج مما يدل على أنه أثر من آثار اللهجات العربية القديمة. هذا فضلاً عن أن قراء القرآن الذين أخذوا القراءة عن قبلهم حفظاً وتلقينا في كل بلاد الإسلام يلفظونها قافاً بهذا الصوت المعروف في الفصيح مع أنهم إذا تكلموا بلهجاتهم قد يلفظونها بصوت آخر مختلف في هذا البلد عن ذاك^(٤٨) فبعضهم يجعلها هزة وبعضهم يجعلها كافاً فارسية وبعضهم يلفظها كالقف الفصيحة.

ولا يعني هذا أننا لا نقبل القول بتغير الصوت بين القديم والحديث، وإنما الذي يجعلنا نميل إلى هذا أو نرده قوة الدليل أو ضعفه، فالضاد مثلاً تغير نطقه عما كان عند العرب قديماً، وذلك إنما لا نجد واحداً في نطق العربية الفصحى اليوم أو في قراءات القراء فمنهم من يجعله ظاء كما في العراق ومنهم من يجعله دالاً مفخمة كما في مصر، ويفعلون ذلك في لهجاتهم العامية أيضاً بخلاف القاف التي أجمعوا على نطق واحد لها في الفصيح واختلفوا في نطقها في لهجاتهم.

وقد اتفق بعض المحدثين^(٤٩) مع ابن جنی في جعل مخرج القاف فوق مخرج الغين والخاء، أي أنها أعمق عنده من القاف حيث ذكر مخرجهما من أدنى الحلق إلى الفم ومخرج القاف من اللهاة، والحلق بأقسامه عنده قبل اللهاة^(٥٠). وذهب بعضهم^(٥١) إلى أن مخرج

(٤٨) انظر دروس في علم أصوات العربية ص ١٠٨ وما بعدها.

(٤٩) الدكتور أنيس في أصوات اللغة ص ٨٨ وانظر عماصرات في اللغة للدكتور أبواب ص ٩٨.

(٥٠) أصوات اللغة ص ١٨.

(٥١) كان يتنوّي دروس في علم أصوات العربية ص ٣٢.

القاف والخاء والغين من اللهاة ثم ذكر رأي العلماء العرب في المخارج وفيها العين والخاء من أدنى الخلق، والقاف من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى وقال عنه: (وترتيب المخارج هكذا ترتيب صحيح بصفة جلية ملحوظة ومما يتفق تقريباً لترتيبنا نحن) ^(٥١). ووصف القاف في موضع آخر بقوله: (إنه هو أكثـر منه أقصى حنكي) ^(٥٢) ووافـقه بعضهم في إخراج القاف من اللهاة (بأن يرفع أقصى اللسان حتى يلتقي بأدنى الخلق بما في ذلك اللهاة) ^(٥٣) واللهاة عنده نهاية الحنك الـلـين ^(٥٤)، ولكـنه وصف العين والخاء بأنـهما حـنـكيـان قصـيان ^(٥٥).

ويبدو أن العين والخاء يمكن أن ينطقا من اللهاة قريـبين من موضع القاف وهو ما عليه نطقـنا اليـوم ويـكونـان بـعيـدـها أو قـبـيلـها، كـلاـهـما مـمـكـنـ، مما يـؤـدي إـلـى الاـشـتـهـاـ في تعـيـنـ المـخـرـجـ، وـقـدـ جـرـبـتـ ذـلـكـ بـنـسـيـ، وـعـكـنـ أنـ يـخـلـصـ نـطـقـهـاـ مـنـ أـدـنـىـ الخـلـقـ في مـوـضـعـ أـعـقـمـ مـنـ مـوـضـعـ القـافـ وـجـبـتـ لـمـاجـالـ لـلـبـسـ فـيـ تعـيـنـ المـوـضـعـ وـيـكـونـانـ حـيـثـنـ أـفـخـمـ مـنـهـاـ فـيـ نـطـقـناـ اليـومـ، وـهـوـ الصـوتـ الذـيـ أـرـىـ أـنـ العـرـبـ كـانـواـ عـلـيـهـ حـيـنـ وـصـفـتـ الـحـرـوفـ، يـقـوـيـ ذـلـكـ مـاـ ذـكـرـوهـ مـنـ أـنـ التـونـ لـاـ تـنـطـقـ نـوـنـاـ خـالـصـةـ مـظـهـرـةـ لـاـ تـشـوـهـشـاـ شـائـيـةـ الـاخـفـاءـ اوـ الـادـعـامـ إـلـاـ مـعـ حـرـوفـ الـخـلـقـ السـتـةـ الـهـمـزـةـ وـالـاهـاءـ وـالـخـاءـ وـالـعـيـنـ وـالـخـاءـ وـالـغـيـنـ) ^(٥٦). وـلـوـ حـاـوـلـاـ إـخـفـاءـهـاـ مـعـ الـهـمـزـةـ اوـ الـاهـاءـ اوـ الـعـيـنـ لـاـ مـمـكـنـاـ ذـلـكـ بـعـنـيـ أـنـ لـيـسـ مـنـ الـأـصـوـاتـ الـمـأـلـوـفـةـ فـيـ الـقـرـاءـةـ اليـوـمـ فـلـاـ نـقـرـأـ: مـنـ أـتـىـ، بـالـاخـفـاءـ مـثـلـاـ كـمـاـ نـخـفـيـ فـيـ: مـنـ جاءـ، وـمـنـ كـانـ، وـلـكـنـاـ أـلـفـنـاـ الـاخـفـاءـ مـعـ الـخـاءـ وـالـغـيـنـ كـمـاـ نـلـفـظـهـاـ اليـوـمـ، فـنـقـولـ: مـنـ غـادـرـ، اوـ مـنـ خـالـفـ، بـالـاخـفـاءـ فـيـهـاـ، وـلـوـ رـدـدـنـاهـاـ إـلـىـ أـدـنـىـ الـخـلـقـ وـرـاءـ مـوـضـعـ القـافـ لـاـ وـجـدـنـاـ الـاخـفـاءـ مـعـهـاـ سـائـعاـ. وـلـعـلـ هـذـاـ الـاـخـتـلـافـ فـيـ مـوـضـعـ إـخـرـاجـ هـذـيـنـ الـحـرـفـيـنـ هـوـ الذـيـ جـعـلـ بـعـضـ الـقـرـاءـ يـخـفـونـ مـعـهـاـ) ^(٥٧) وـإـنـ كـانـ جـمـهـورـ الـقـرـاءـ لـاـ يـرـوـنـهـاـ مـنـ حـرـوفـ الـاخـفـاءـ) ^(٥٨).

٥ - (ومن أـسـفـلـ مـنـ ذـلـكـ وـأـدـنـىـ إـلـىـ مـقـدـمـ الـفـمـ مـخـرـجـ الـكـافـ):

وـقـدـ أـجـمـعـ الـمـحـدـثـوـنـ عـلـىـ وـصـفـ الـكـافـ بـأـنـهـ مـنـ حـرـوفـ أـقصـىـ الـحـنـكـ) ^(٥٩)، وـهـوـ لـاـ

^(٥٢) دروس في علم أصوات العربية ص ١٠٠.

^(٥٣) علم اللغة، للسعـرانـ - ص ١٧٠.

^(٥٤) نفسه ص ١٤٤.

^(٥٥) نفسه ص ١٩٤.

^(٥٦) أنظر دروس في علم أصوات العربية ص ٦٠، وأصوات اللغة ص ٦٩.

^(٥٧) أصوات اللغة ص ٧٠.

^(٥٨) قواعد النـلـاوـةـ وـعـلـمـ التـجوـيدـ ص ٨٢.

^(٥٩) أنظر مثـلـاـ دروس في علم أصوات العربية ص ١٠١، وأصوات اللغة ص ٨٥ علم اللغة للسعـرانـ ص ١٦٩.

يختلف عما ذكره ابن جني إذا أخذنا بنظر الأعتبار وصفه لوضع القاف، فقد ربط صفة الكاف بها حين وصفها بأنها أدنى من القاف إلى مقدم الفم، وهي كذلك.

٦ - (ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى خرج الجيم والشين والياء):

وقد أطلق بعض المحدثين على الثلاثة: الخروف الأدنى حنكية^(٦٠) وفسر الأدنى حنكية بأنها التي تكون من وسط اللسان ووسط الحنك الأعلى^(٦١). وفضل بعضهم فوصف الجيم بأنه لثوي حنكية^(٦٢) وكذلك الشين^(٦٣)، أما الياء فذكر أنه من وسط اللسان ووسط الحنك فهو حنكية - وسيط^(٦٤) ووصف بعضهم الشين بأنه صوت لثوي حنكية، ثم ذكر أن علماء العربية أطلقوا لفظ أصوات وسط الحنك على الشين والجيم والياء وقال: (وهو تقدير جيد سليم)^(٦٥) وهو تناقض كما أراه لأنه فسر اللثة بعقم الحنك ووصف مقدم الحنك بأنه الجزء المحدب والمحرز الواقع خلف الاسنان العليا مباشرة، أما وسط الحنك فقد أطلق عليه الحنك الصلب أو الغار^(٦٦)، فكيف يكون التقدير جيداً سليماً وهو يذهب إلى خلاف ما ذكره من خرج الشين. وواضح أن وصف لثوي حنكية قد جاء نتيجة النظر إلى موضعه في نطق الشين إذ ان طرف اللسان يرتفع نحو مؤخر اللثة والجزء الأساس منه يكون في الوقت نفسه مرتفعاً نحو الحنك الأعلى^(٦٧)، الذي هو وسط الحنك أو الغار.

٧ - (ومن أول حافة اللسان وما يليها من الأض aras خرج الضاد. إلا أنك إن شئت تكلفتها من الجانب الأيمن وإن شئت من الجانب الأيسر).

وقد قال بعض المحدثين عن وصف القديامي للضاد إنه كان (وصفاً حسناً كافياً نوعاً ما)^(٦٨)، وأرى أنه لا مناص من التسليم بوصف القديامي لمخرج الضاد لأننا اليوم قد فقدنا نطقه تماماً، ويمكن القول بأن الضاد قد خرج من الألسن العربية المعاصرة وأضمحل منها^(٦٩)، فتحول إلى ظاء عند قوم وإلى دال مفخمة عند آخرين، وإلى طاء كافي بعض لهجات المغرب^(٧٠)، فوصف الضاد بأنه أدنى حنكية^(٧١) أو أنه سفي مطبق انفجاري^(٧٢) إنما هو مبني على نطق بعض العرب اليوم لا جميعهم، وهو لا يوافق نطق العرب يوم وصفت المرووف.

(٦٦) نفسه ص ٧٠.

(٦٠) دروس في علم أصوات العربية ص ٣٠، ٨٨.

(٦٧) علم اللغة للسعريان ص ١٩٣.

(٦١) نفسه ص ٩٨.

(٦٨) دروس في علم أصوات العربية ص ٨٥.

(٦٢) علم اللغة للسعريان ص ١٩٤.

(٦٩) نفسه ص ٨٧.

(٦٣) نفسه ص ٢٠٠.

(٧٠) نفسه ص ٣٠.

(٦٤) نفسه ص ١٩٨.

(٧١) علم اللغة العام - الأصوات - ص ١٢١.

(٦٥) دروس في علم أصوات العربية ص ١٦٥.

٨ - (ومن حافة اللسان من أدنىها إلى متهى طرف اللسان من بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى مما فوق الضاحك والناب والرباعية والثنية خرج اللام).

وهو بهذا الوصف عند المحدثين أيضاً^(٧٢) وإن اختلفوا في التسمية فجعله بعضهم من حروف أدنى الحنك^(٧٣)، وعبر عنه بعضهم بأنه سفي - جانبي^(٧٤). ولا أرى أهمية لهذا الاختلاف في التسمية ما دام الوصف واحداً.

٩ - (ومن طرف اللسان بينه وبين ما فوق الثناء خرج النون):

ويكاد يكون بهذا الوصف عند المحدثين أيضاً^(٧٥) إلا أن اتصال اللسان بأصول الثناء وما فوقها جعلهم يعطون الحرف صفة الاستانية. وعندى أن النون يمكن إخراجه باتصال طرف اللسان بأسفل اللثة وهو ما عبر عنه ابن جني بلفظ فوق الثناء، ويمكن إخراجه أيضاً بأن يتصل طرف اللسان بأصول الثناء وما اتصل بها من اللثة وهذا هو الذي نظر إليه المحدثون.

١٠ - (ومن خرج النون غير أنه دخل في ظهر اللسان قليلاً لانحرافه إلى اللام خرج الراء).

وقد عبر بعض المحدثين عن ذلك باستعماله لفظ فوق مغارز الثناء^(٧٦) وهو يشير إلى اللثة وبعضهم صرخ بها بلفظ طرقات طرف اللسان على اللثة^(٧٧) والمعنى واحد.

١١ - (وما بين طرف اللسان وأصول الثناء خرج الطاء والدال والناء):

وهي كذلك عند المحدثين وقد ذكروا أن الدال هو النظير المجهور للناء وان الطاء يتكون كما يتكون الناء إلا أنه يخالفه في الاطباقي^(٧٨). فالثلاثة خرجها واحد

١٢ - (وما بين الثناء وطرف اللسان خرج الصاد والزاي والسين):

وقد أطلق عليها بعضهم الأحرف الاستانية^(٧٩)، والتزم رأي العلماء العرب في

(٧٢) انظر مثلاً: دروس في علم أصوات العربية ص ٨٧، علم اللغة للسعري من ١٨٥.

(٧٣) دروس في علم أصوات العربية ص ٣٠.

(٧٤) علم اللغة للسعري ص ١٨٦.

(٧٥) انظر مثلاً: دروس في علم أصوات العربية ص ٦٠، الأصوات اللغوية ص ٦٨، علم اللغة للسعري ص ١٨٥.

(٧٦) دروس في علم أصوات العربية ص ٧٤.

(٧٧) علم اللغة للسعري ص ١٨٧.

(٧٨) الأصوات اللغوية ص ٦٢، علم اللغة للسعري ص ١٦٨، علم اللغة العام - الأصوات - ص ١٠١ - ١٠٢.

(٧٩) دروس في علم أصوات العربية ص ٣٠.

تعين مخرجها، وفسره بأنها حروف ألسانية أو مغارزية^(٨٠) إشارة إلى مغارز الثناء وإن لم يرد في النص لفظ مغارز الثناء أو أصول الثناء، وعبر عنها بعضهم بأنها تحدث نتيجة اعتماد طرف اللسان على اللثة^(٨١)، ومغارز الثناء في اللثة، فالمراد واحد وإن اختلفت العبارة وبين الصاد والزاي والسين من الشبه ما بين الطاء والذال والباء، فهي من مخرج واحد والزاي فيها هو النظير المجهور للسين، أما الصاد فلا يختلف عن السين إلا في كونه حرفًا مطبقاً والسين ليس فيها إطباق^(٨٢).

١٣ - (وما بين طرف اللسان وأطراف الثناء مخرج الظاء والذال والباء):

وقد أطلق عليها المحدثون اسم حروف ما بين الأسنان^(٨٣)، ولا فرق بين الذال والباء سوى أن الأول مجهور والثاني مهموس، أما الظاء فهو مجهور كالذال إلا أنه يختلف عنه في الأطباقي فالظاء من حروف الأطباقي بخلاف الذال^(٨٤) فالثلاثة إذن من مخرج واحد وهو ما ذكره ابن جني.

١٤ - (ومن باطن الشفة السفل وأطراف الثناء العليا مخرج الفاء):

وهو كذلك عند المحدثين وأطلقوا عليه وصف شفوي ألساني^(٨٥).

١٥ - (وما بين الشفتين مخرج الباء والميم والواو):

وهي جيئاً عند بعض المحدثين شفوية^(٨٦)، وعند بعضهم الباء والميم شفويان^(٨٧)، أما الواو فإنه شفوي - حنكى قصي^(٨٨)، وقد ذكر بعضهم أن وصف الواو بأنه شفوي ليس خطأ لأن الشفتين لها دخل كبير في نطقه، ولكن الوصف الدقيق له أن يقال: إنه من أقصى الحنك لأن اللسان يقترب من هذا الموضع عند النطق بالواو^(٨٩)، ويبدو أن العلماء العرب قد شغلتهم وضع الشفتين في النطق بالواو عن تحسس موضع اللسان مع الحنك ولعل الذي

(٨٠) نفسه ص ٧٢.

(٨١) علم اللغة للسعريان ص ١٩١.

(٨٢) الأصوات اللغوية ص ٧٧.

(٨٣) دروس في علم أصوات العربية ص ٣٠، ٦٤، علم اللغة للسعريان ص ١٩٠.
(٨٤) الأصوات اللغوية ص ٤٧.

(٨٥) دروس في علم أصوات العربية ص ٣٠ - الأصوات اللغوية - ص ٤٦.

(٨٦) دروس في علم أصوات العربية ص ٣٠.

(٨٧) علم اللغة للسعريان ص ١٦٧، ١٨٥.

(٨٨) نفسه ص ١٩١.

(٨٩) علم اللغة العام - الأصوات - ص ٨٩.

أعان على إغفالهم دور أقصى الحنك واللسان أن حركة الشفتين واضحة جداً وأن اللسان لا يقترب بصورة واضحة من الحنك.

١٦ - (ومن الخواشيم مخرج النون الخفية ، ويقال الخفيفة ، أي الساكنة) : وينبغي أن يلاحظ أنه لا يريد بوصف الساكنة التي تسكن بعد حركة أو التي يمكن تحرיקها فتلت سبق الكلام عليها بين اللام والراء ، وإنما يريد بها النون التي تسمع خفية من غير ادغام أو اظهار ، ووصفها بالساكنة، إنما حينئذ لا تكون متحركة البتة ويكون خفاؤها إذا جاءت متبوعة بحرف من خمسة عشر حرفاً^(٩٠) . وقد ذكر تجربة للتفريق بين النونين فقال: (ويذلك على أن النون الساكنة إنما هي من الألف والخواشيم إنك لو امسكت بالفك ثم نطقت بها لوجدها مختلفة ، وأما النون المتحركة ، فمن حروف الفم كما قدمنا ، إلا أن فيها بعض الغنة من الأنف)^(٩١) ، والحرف التي تكون النون خفية إذا كانت متبوعة بآحدتها هي : القاف والكاف ، والجيم والشين ، والضاد ، والصاد والزاي والسين ، والظاء والذال والثاء ، والهاء والدال والناء ، والفاء ، سواء في الكلمة واحدة نحو ينقاد أو في كلمتين متتاليتين نحو: من قال ، وحينئذ (تصير مجرد غنة في الخيشوم لا علاج على الفم في النطق بها)^(٩٢) .

ويمكن أن نلحظ الفرق بين الصوتين بوضوح في قولنا: من عاد ، ومن قال ، فبعد أن نفتح الشفتين بالليم في الأولى يتصل طرف اللسان باللثة فوق الثانيا أو بأصول الثانيا وينخرج الهواء بغنة من الأنف بعد أن ينخفض الحنك اللين ليقفل طريق الفم أمامه^(٩٣) ، أما في الثانية فإن اللسان لا يمس اللثة أو أصول الثانيا بعد افتتاح الشفتين بالليم بل يبقى طرفه مستسلقاً في الفم وكأنه يستعد لنطق القاف وينخفض الحنك اللين ليخرج الهواء بغنة من الأنف ، واستعداد اللسان لنطق الحرف الذي بعد النون يمكن ملاحظته بوضوح بأن تتنوع الحروف في التجربة لأن يستعمل بعدها الجيم ، والذال ، والناء ، والفاء في مثل من جاء ، من ذاك ، ومن فاز.

فالصوت في النونين وإن كان واحداً في الأصل إلا أن خفاء هذه النون وتحول اللسان عن موضعه في الضغط على أصول الثانيا أو اللثة ، جعل العلماء يذكرون نونين ويشيرون إلى مخرجين .

(٩٠) الأصوات اللغوية ص ٧٢.

(٩١) سر الصناعة ٥٢: ١

(٩٢) دروس في علم أصوات العربية ص ٦١.

(٩٣) علم اللغة للسعريان ص ١٨٥.

وقد ذهب بعضهم إلى حدوث ابدال في النون المخفأة (فيبدو ان النون في هذه الحال كانت تبدل تقريباً في نفس الوقت، فيصير مخرجها الحرف الذي بعدها) ^(٩٤). والذي أراه ان الابدال غير واقع حقيقة لأن صوتها باق وإن كان خفياً أو خفيفاً، وما دام صوت النون باقياً فلا يمكن أن ننطق أي حرف آخر سوى الميم الذي يشارك النون في خروج الهواء من الأنف، لأنه مع النطق بالنون يكون طريق الهواء إلى الفم مغلقاً فلا يتائق نطق أي حرف يكون بخروج الهواء من الفم وهي جميع الحروف سوى النون والميم. وبينما ان ما اسميناه باستعداد اللسان لنطق الحرف الذي بعدها هو الذي أوهمه فظن وقوع الابدال.

وعلى هذا يبقى مخرج هذه النون الخيشوم وحده مع وضع اللسان في حالة تهيؤ لنطق الحرف الذي بعدها.

صفات الحروف:

ذكر ابن جني صفات الحروف وهو في ذلك متابع لسيبوه ^(٩٥)، فذكر أن من الحروف حروف مهمسة وتقابلاً لها الحروف المجهورة، ومنها الشديدة وتقابلاً لها الرخوة، وبينها حروف توصف بأنها بين الشدة والرخاوة، ومنها المطبة وتقابلاً لها المفتحة، ومنها الحروف المستعملة وتقابلاً لها المتخضضة، ومنها حروف الذلة وتقابلاً لها الحروف المصمتة، ومنها الحروف المشربة أو حروف القلقة، ومنها الحرف المترافق والحرف المكرر والحرف المهوتوت.

المهمس والمجهور:

الحروف المهمسة على ما أورد عشرة هي الماء والخاء والخاء والكاف والشين والصاد والتاء والسين والثاء والفاء وقد جمعها في لفظ: ستشحذك خصنه ^(٩٦)، والحروف الباقية مجهورة، أما الدراسة الحديثة فتذهب إلى أن الحروف المهمسة هي: التاء والثاء والخاء والخاء والسين والشين والصاد والطاء والفاء والكاف والكاف والماء ^(٩٧)، أي أنها زادت على المهمسة الطاء والكاف وهما مجهوران عند القدامي، وقد أخرجت الدراسة الحديثة المهمزة من المجهورة وادخلتها بعضهم في المهمسة وجعلها آخرهن لا مهمسة ولا مجهورة ^(٩٨).

وبنفي أن يلاحظ أن مصطلح مجهور ومهموس وإن كان بلفظ واحد عند القدامي

(٩٤) دروس في علم أصوات العربية ص ٦١.

(٩٥) الكتاب ٢: ٤٠٦، ٤٠٥.

(٩٦) سر الصناعة ١: ٦٩.

(٩٧) علم اللغة العام - الاصوات. ص ٨٧.

(٩٨) دروس في علم أصوات العربية ص ٢٥، ٣٥.

(٩٩) علم اللغة العام - الاصوات. ص ٨٨.

والمحدين إلا أن معناه مختلف فالمجهور في الدراسة الحديثة: هو الحرف الذي يتحرك الوتران الصوتيان عند النطق به، والمهوس هو الحرف الذي لا يحرك الوترين الصوتين في خروجه^(١٠٠)). والعلماء العرب لم يكونوا يعرفون دور هذين الوترين في صفة الحروف، ومن ثم لم يشيروا اليهما، وقد حاول بعضهم بناء على عدم المعرفة هذه أن يرفض استعمال مصطلح الجهر والمهوس الوارد عن العلماء العرب بالمعنى الجديد، فذكر كاتينيو (ان الجواب على هذا الاعتراض يشير إلى أنه يمكن التقطن إلى المقابلة بين المجهورة والمهوسية (Somore) تفطناً دقيقاً جداً بدون معرفة سببها الحقيقي)^(١٠١).

أما القدامى فالمجهور عندهم على ما أورد ابن جنى هو (حرف أشيع الاعتماد من موضعه، ومنع النفس أن يجري معه حتى يتضى الاعتماد ويجري الصوت.. وأما المهموس فحرف أضعف الاعتماد من موضعه حتى جرى معه النفس، وأنت تعتبر ذلك بأنه قد يمكنك تكرير الحرف مع جري الصوت نحو سيس ككك هبه، ولو تكلفت مثل ذلك في المجهور لما امكنك)^(١٠٢).

و واضح من تعريف ابن جنى للمجهور والمهوس ان ضابط الجهر والمهوس إنما هو جريان النفس مع الحرف أو توقفه، فإذا جرى النفس مع النطق بالحرف كان مهموساً وإذا منع النفس من الجريان حتى يتنهي النطق بالحرف كان مجهوراً. والطريقة التي ذكرها في التمييز بين المجهور والمهوس تعتمد على الاستمرار في دفع الهواء من الرئتين ومحاولة النطق بالحرف بصورة خافتة.

ولا شك ان جريان النفس يؤدي إلى تباعد الوترين الصوتين وإخراج ما يشبه الهاء وقد جربت ذلك في كل الحروف المهموسة فامكنني اخراجها مع جري النفس واحفاء الصوت، وفهمها السامع، وجربته مع الطاء فسمعت تاء، ومع القاف فسمعت خاء، أما المهمزة فلا يمكن إجراء النفس معها ابتداء لإنها لا تكون إلا بغلق الوترين وحصر الهواء وراءهما.

وبهذا الضابط الأولى الذي لم يكونوا يملكون غيره فرقوا بين المهموس والمجهور، وحين تعرف المحدين على وترى الحنجرة يجعلوا المجهور ما يحرك هذا الوتران معه، حكم على القدامى بأنهم لم يوفقا في وصف القاف والطاء.

(١٠٠) دروس في علم أصوات العربية ص ٢٥.

(١٠١) دروس في علم أصوات العربية ص ٣٤.

(١٠٢) سر الصناعة ٦٩: ١.

أما ما ذهب إليه بعضهم من أن القاف التي وصفوها يمكن أن تكون غير هذه القاف التي نلفظها اليوم والطاء غير الطاء وانه ربما كان الحرفان مجهورين قديماً^(١٠٣)، فقد تناولنا الكلام على القاف في خارج المحرف ورجحنا أن يكون القدامي قد وصفوا قافاً من اللهجات العربية هي أشبه بالقاف في لهجتنا العراقية، أو أن يكونوا قد أخطأوا وصف المخرج، فإن كان الذي وصفوه كالقاف في اللهجة العراقية فهو صوت مجهور (مثل الصوت الأول في الكلمة العراقية (كلب) بمعنى قلب)^(١٠٤)، ولاشكال حيئن، وإن كانوا قد أخطأوا المخرج والصوت هو هو لم يتغير فهو وإن كان مهموساً بالنظر إلى الوترين الصوتيين إلا أنه بالنظر إلى الضابط الذي ذكروه للجهر والهمس والتجربة التي مارستها بنفسها مجهور أيضاً، وكذلك القول في الطاء بناء على ضابطهم والتجربة التي قمت بها. هذا على أنه من المحتمل أن يكون قد دخلها التغيير فتحولت من صوت يتحرك معه الورتان إلى صوت لا يحرك الوترين، وقدلاحظ بعضهم وجود طاء في بعض لهجات اليمن تنطق كالدال المفخمة مجهورة لعلها تمثل الطاء القديمة. وكذلك وجدت هذه الطاء في بعض اللهجات العربية شرقي بحيرة تشناد^(١٠٥). وعلى أية حال سواء كان الحرفان قد دخلهما التغيير أم لا فإنها بحسب نطقنا اليوم مهموسين بضابط المحدثين ولكنها مجهوران بضابط القدامي ، وما دام الضابط للصفيتين مختلفاً فلا غرابة في أن يختلف وصفها للصوت الواحد.

أما الهمزة فقد اختلف المحدثون في وصفها، إذ وصفها بعضهم بأنها مهمومة لأن الوترين لا يتذبذبان حين النطق بها إذ إنها تخرج بانطباق الوترين الصوتيين (ويحول هذا الاطلاق طبعاً دون ارتعاش الاوتار الصوتية . ولذا كانت الهمزة مهمومة بالطبع)^(١٠٦)، .. ووصفها آخرون بأنها ليست مجهورة ولا مهمومة (لأن فتحة المزمار معها مغلقة أغلقاً تماماً فلا تسمع لهذا ذبذبة الوترين الصوتيين ولا يسمع للهواء بالمرور إلى الحال إلا حين تفوج فتحة المزمار ذلك الانفراج الفجائي الذي يتبع الهمزة)^(١٠٧). وجنس الهواء وراء المزمار ثم فتحه فجأة لنطق الهمزة يمنع جريان النفس معها، وهو الضابط الذي وضعه العلماء العرب لمعنى الجهر والهمس، فهي بهذا الضابط مجهورة لأن النفس لا يمكن أن يجري معها، أما بضابط ارتعاش الوترين الصوتيين فهي مهمومة لأنها لا يتحركات معها بل لا يمكن أن يتحركا معها ولست أرى موجباً لجعل الهمزة في وصف الجهر والهمس متزلة بين المترلين،

(١٠٣) دروس في علم أصوات العربية ص ٣٥ وانظر الأصوات اللغوية ص ٦٣، ٨٥.

(١٠٤) محاضرات في اللغة ص ٩٨.

(١٠٥) دروس في علم أصوات العربية ص ٥٠، ٥١.

(١٠٦) دروس في علم أصوات العربية ص ١٢٣.

(١٠٧) الأصوات اللغوية ص ٩١، وانظر أيضاً علم اللغة للسعراي ص ١٧١، وعلم اللغة العام - الأصوات - ص ٨٨.

والذي يلفت النظر ان الذين ذكروا وصف القدامي للقاف والطاء حاولوا أن يجدوا تبريراً لاختلاف الوصف القديم عن الحديث في الحرفين باحتمال أن يكون الصوت قد اختلف، وانهم كانوا يصفون بالجهر صوتاً غير الذي تألفه في نطقنا الفصيح اليوم للقاف والطاء، ولكنهم حين جاءوا إلى ذكر المهمزة لم يذهبوا فيها هذا المذهب وإنما اكتفوا بنسبة الخطأ إلى القدامي في الوصف. مع ان بالامكان جمع الحروف الثلاثة تحت حكم واحد هو حكم القدامي كما ذهبنا إليه وتعليل ذلك باختلاف الضابط للجهر والمهمس بين الفريقين.

الشديد والرخوة:

ذكر ابن جنبي ان من الحروف ما هو شديد ومنها ما هو رخو ومنها ما هو بين الشدة والرخواة، وقد ذكر ان الحروف الشديدة هي : المهمزة والقاف والكاف والجيم والطاء والدال والتاء والباء، ويجمعها لفظ ، أجدت طبتك^(١٠٨).

والحروف التي بين الشدة والرخواة هي : الألف والعين والياء واللام والنون والراء والميم والواو، ويجمعها لفظ : لم يرو عنـا^(١٠٩).

والحروف الرخوة ما سوى هذين^(١١٠)، أي إن الحروف الرخوة هي : الهاء والخاء والغين والخاء والشين والصاد والزاي والسين والضاد والطاء والدال والثاء والفاء.

فالرخوة ثلاثة عشر، والشديدة ثمانية، والتي بين الشديدة والرخوة ثمانية أيضاً، ومعنى الشديد كما ذكر، هو: (الحرف الذي يمنع الصوت من أن يجري فيه)^(١١١)، وفسر ذلك بأنك لو أردت مد الصوت في القاف أو الطاء من قولك الحق، أو الشط لكان ذلك ممتنعاً.

أما الرخوه فهو (الذي يجري فيه الصوت)^(١١٢) . ومثل له بالمس ، والرش ، والشح ، وذكر انك تمد الصوت جارياً مع السين والشين والخاء.

وقد ذكر بعض المحدثين أن الحروف التي ذكرها العلماء العرب تحت وصف الشديدة، والتي ذكروها تحت وصف الرخوة، تتوافق تماماً ما أطلق عليه occlusives أي الآنية Spirantes أي المتواصلة^(١١٣) . وبين ان الحروف المذكورة على أنها بين الشدة والرخواة لها وضع خاص إذ (النون والميم خيشوميان ، واللام والراء يمتازان بكيفية خاصة في

(١٠٨) سر الصناعة ١:٦٩.

(١٠٩) سر الصناعة ١:٦٩.

(١١٠) نفسه ١:٧٠.

(١١١) دروس في علم أصوات العربية ص ٣٥.

النطق، والألف والواو والياء هي حروف المد)، وعقب على ذلك كله بقوله: (فلا يبقى مجال للشك في صحة هذا الترتيب إلا فيها يتعلق بحرف العين، وما عدا ذلك فإن الترتيب مطابق لترتيب علماء الأصوات العصريين)^(١١٢). ووصف العين في موضع آخر بأنه حرف رخو^(١١٣). وذكر بعضهم أن ما اطلق عليه القدامي لفظ الصوت الشديد يسميه بعض المحدثين الصوت الانفجاري phositive والصوت الرخو يسمى الاحتكمي Fricative^(١١٤). وفسر بعضهم المراد بالانفجارية بأن الهواء الخارج من الرئتين عند النطق بأي من تلك الحروف في موضع من مواضع النطق يحبس حسباً تماماً ثم يفتح مجرياً الهواء فجأة مكوناً صوتاً انفجاريّاً، وانخرج الجيم من قائمة الحروف الانفجارية وادخل الضاد كما ينطق بها في مصر^(١١٥)، وذلك بناء على أنه يصف الحروف كما ينطق بها اليوم لا كما كانت في زمن سبيويه ومن تبعه، وعبر عن الحروف الرخوة بالاحتكمية آخذًا اللفظ من احتكاك الهواء الخارج من الرئتين في موضع من مواضع النطق بسبب تضيق المجرى في ذلك الموضع^(١١٦)، وقد اخرج الضاد من الاحتكمية وادخل العين ووصفه بأنه مجهر حلقي احتكمي^(١١٧).

والجيم كما يصفه القدامي وكما نطقه اليوم في العراق داخل في الحروف الشديدة أو الانفجارية، لأنه إذا وقف عليه لا يجري النفس به نحو: الحج، وقد نص على أنه انفجاري في لغة العراقيين وفي الفصيح الدكتور أيوب الذي عاش في العراق مدة من الزمن فقال: (الصوت الصلب الانفجاري المجهور، ويوجد في أول الكلمة العراقية «جيكارا» وأول الكلمة الفصحى : جل)^(١١٨). ووصفه بعضهم بأنه انفجاري -احتكمي-. آخذ بذلك من صوت الجيم الشامي، وذلك لأن حبس الهواء كما يرى لا ينفجر فجأة كما في بقية الحروف الانفجارية وإنما يتعد اللسان عن الحنك بيضاء يسمح للهواء بالاحتكماك فهو إذن انفجاري -احتكمي^(١١٩)، وقطع بعضهم بأن الأصوات العربية اليوم ليس فيها أصوات انفجارية احتكمية في الفصيح^(١٢٠). ويبدو أن الذي جعل الجيم مع الحروف الاحتكمية، والذي جعلها انفجارية -احتكمية لم يكن

(١١٢) نفسه ص ٣٦.

(١١٣) نفسه ص ١١٦.

(١١٤) الأصوات اللغوية ص ١٤٢.

(١١٥) علم اللغة للسعريان ص ١٦٦.

(١١٦) نفسه ص ١٨٩.

(١١٧) نفسه ص ١٩٥.

(١١٨) عناصرات في اللغة ص ١٠٠، وانظر اللغة لمندريس ص ٥١ حيث ذكر الجيم على أنه انفجاري .

(١١٩) مانع البحث في اللغة ص ١٠٣ - ١٠٤ .

(١٢٠) علم اللغة للسعريان ص ١٨٣ .

يصف الجيم الفصيحة كما وصفها القدامى وكما نطقها في العراق وإنما كان يصف الجيم السورى
الشربة صوت الشين بصورة مشبعة أو مختلسة وهي في الحالين مختلف عن وصف العلماء
العرب لها.

وأما الضاد فليس في العرب اليوم من ينطق بها كما كان العرب يفعلون وكما وصفت لنافي
كتبهم، فلا موضع للكلام عليها.

أما العين فإنها وإن كانت احتكاكية بحسب النظر الحديث إلا أن وضع العلماء العرب
إياها بين الشديدة والرخوة وضع صحيح إذا حكمنا عليها على وفق الضابط الذي ذكره، وذلك
انها يمكن أن يجري الصوت معها عند الوقف عليها إلا أن في ذلك مشقة وكفة، ويمكن معرفة ذلك
بنطقها في كلمة ارجع مثلاً ومقارنتها بتصوّر الهمزة والخاء في كلمتي أرجىء، وارجع، إذ يمكن أن
نحس بوقفة الهمزة الأخيرة في أرجىء أو شدتها أو انفجارها كما عبروا ولا يمكن إجراء الصوت
بها، ونحس بسهولة جريان الصوت في جاءه أرجح الاحتكاكية أو الرخوة، أما عين ارجع فيمكن
أن يجري النفس بها ولكن ليس بسهولة جريه في جاءه، فهي بين الهمزة الشديدة والخاء الرخوة،
ولذا عبروا عنها بأنها بين الشدة والرخاوة، أي إن العين لا هي بالحرف الشديد ولا هي بالحرف
الرخو ويدوّن العلماء العرب قد اطلقوا الفظ بين الشدة والرخاوة على الأصوات التي لا ينطبق
عليها وصف الشدة أو وصف الرخاوة. وقد أخرج المحدثون من الأصوات الاحتكاكية ومن
الانفجارية أيضاً مجموعة من الحروف هي: الميم والنون واللام والراء والألف والواو
والباء^(١٢١)، وهذه الأصوات إذن ليست انفجارية ولا احتكاكية أي أنها بمصطلح القدامى
ليست شديدة ولا رخوة فرأى القدامى، أن يصفوها بأنها بين الشدة والرخاوة. ويمكن أن
يقال^(١٢٢)، إن الميم والنون يجري النفس بهما فيمكن أن يوصفا على هذا بأنهما رخوان، ولكن
النفس لا يجري بهما من الفم وإنما من الأنف على شكل غنة وهو خلاف ما يجري به النفس مع بقية
الأحرف فحقيقة الأمر أن النفس لم يجري بهما مجرأه في بقية الحروف فيصبح على هذا وصفهما بأنهما
شديدان، فلما تردد النظر فيها بين هذا وذاك جعلان بين الشدة والرخاوة، كذلك اللام والراء إذ
لولا انحراف اللسان باللام، وتردده بالراء ما جرى بهما النفس فهما بين الشدة والرخاوة. أما
الألف فإن اتساع مخرجها لا يسمح بوقوف الهواء عنده ليرى المجرى به أم لا حتى يحكم عليه بهذا أو
بذاك، ولذا كان الوصف المناسب أنه بين الشدة والرخاوة، وأما الباء والواو فإن كلامتين صدق
عليهما ما قيل في الألف، وإن لم يكونا مذكنتين كان النفس معهما ضعيفاً^(١٢٣)، وكان من العسير

(١٢١) نفسه ص ١٨٥ - ١٨٧ - ٢٠١ - ٢٠٢.

(١٢٢) انظر الكتاب ٤٠٦: ٢.

(١٢٣) علم اللغة للسعوان ص ١٩٧.

جريان الصوت بها عند الوقف، كما ان الهواء لا يحبس عند النطق بها فهـا إذن بين الشدة والرخوة.

الاطباق والانفتاح:

ذكر ابن جني ان الحروف المطبقة أربعة هي الضاء والطاء والصاد والظاء، وقال: (والاطباق: أن ترفع ظهر لسانك إلى الحنك الأعلى مطبقاً له)^(١٢٤)، ووصف ماسوي ذلك من الحروف بأنه مفتوح، وواضح أن معنى الأطباق عنده يتصل بظهور اللسان والحنك الأعلى، وقد وصف بعض المحدثين هذا التحديد بأنه بعيد عن الوضوح^(١٢٥)، وهو حقيقة كذلك لوقفنا عند عبارة ابن جني لأنها لم توضح المراد بالاطباق على وجه الدقة، وقد فصل سيبويه الكلام على الاطباق فقال: (وهذه الحروف الأربع إذا وضعت لسانك في مواضعهن انطبق لسانك من مواضعهن إلى ما حاذى الحنك الأعلى من اللسان، ترفعه إلى الحنك، فإذا وضعت اللسان فالصوت محصور فيها بين اللسان والحنك إلى موضع الحروف، أما الدال والزاي ونحوهما فإيما ينحصر الصوت إذا وضعت لسانك في مواضعهن، فهذه الأربع لها موضعان من اللسان وقد يبن ذلك بحصر الصوت)^(١٢٦). فهل يمكن أن نفهم من عبارة سيبويه المراد بالاطباق بصورة واضحة؟ أرى أنه يمكن أن نستفيد من قوله: (فالصوت محصور فيها بين اللسان والحنك إلى موضع الحرف) لنفس الاطباق بأنه إسهام طبق اللسان أو إن شئت ظهره من أقصاه وأدناءه مع الحنك من أقصاه وأدناءه في اخراج الحرف، وهذا معنى قوله (لها موضعان من اللسان). فكان اشتراك أقصى اللسان وطرفه سوغ لهم استعمال لفظ الاطباق. ولعل عبارة سيبويه هذه هي التي سوّغت لبعض المحدثين أن يقول (ففي حالة النطق بالطاء يرتفع طرف اللسان وأقصاه نحو الحنك ويقترب وسطه، وهذا ما أراده نحاة العرب بالاطباق)^(١٢٧). وتكون العبارة على قدم عهدها الموضح لمن يرى في كلام القدامى عن الاطباق البعد عن الوضوح.

الاستعلاء والانخفاض:

ذكر ابن جني ان المستعملة سبعة احرف، أربعة منها حروف الاطباق، والثلاثة الباقية هي الخاء والغين والقاف، وأما غير هذه فمنخفض، وفسر الاستعلاء بقوله: (ومعنى الاستعلاء أن تصعد في الحنك الأعلى)^(١٢٨).

(١٢٤) سر الصناعة ١: ٧٠.

(١٢٥) دروس في علم أصوات العربية ص ٣٦.

(١٢٦) الكتاب ٤٠٦: ٢.

(١٢٧) علم اللغة للسعراـن ص ١٦٨.

(١٢٨) سر الصناعة ١: ٧١.

ووصف الحروف بالاستعلاط والانخفاض لم أجده عند سيبويه^(١٢٩)، وبيدو ان اتصال أقصى اللسان بأدنى الحلق أو بآخر القاف بالاستعلاط، وهو وصف دقيق كما أرى، لأن أقصى اللسان لا يسهم في إخراج أي صوت قبل هذه الثلاثة، إذ قبل الحاء والغين، الحاء والعين، وخروجهما لا شأن لاقصى اللسان به، وأقصى الحنك اللين (اللهاء) لا يسهم في إخراج أي صوت بعدها، إذ بعد القاف الكاف ولا شأن لاقصى الحنك اللين في إخراجه وإنما هو من أقصى الحنك الصلب.

ولم استطع أن أدرك على وجه الدقة لم ضمت حروف الاطباق خاصة إلى هذه الثلاثة، ولكن يمكن أن نتصور انهم فعلوا ذلك لأن ارتفاع أقصى اللسان فيها نحو أقصى الحنك وعدم اتصاله بجزء منه لا يكون في إخراج أي حرف آخر، فهي بهذا المعنى من حروف الاستعلاط، ولم تجعل القاف والباء والغين من حروف الاطباق لأن طرف اللسان لا شأن له في إخراجها كما كان في حروف الاطباق أي ان هذه الحروف المستعملة لها موضع واحد من اللسان أما حروف الاطباق فلها موضعان.

حروف القلقلة:

وصف ابن جني القاف والجيم والطاء والدال والباء بانها حروف (مشربة تحفظ في الوقف وتضغط عن مواضعها وهي حروف القلقلة.. لأنك لا تستطيع أن تقف عليها إلا بصوت)^(١٣٠). ومثل لها باربعة أفعال بصيغة الطلب هي : الحق ، واذهب ، واخلط ، واخرج .
وبيدوأن ابن جني قد ادرك ان هذه الحروف مجهرة وذكر الصوت معها في الوقف قد يفهم منه انها تحولت إلى الهمس ، أو أن ضابط الجهر قد اختل معها لأن المجهور كما ضبطه لا يجري النفس معه ، فاحتاط لذلك بامرین :

الأول : انه فرق بين الصوت الذي يخرج في الوقف على بعض الحروف المجهورة ، والذي يخرج مع الحروف المهموسة بأن الذي يخرج مع المهموسة إنما هو نفس يخرج منسلاً (وليس من صوت الصدر)^(١٣٠) ، وكان صوت الصدر الذي يشير إليه مع المجهور هو ما أحسه من تزيز الوترین معها.

الثاني : انه تناول موقف الأحرف المجهورة جميعاً من هذا الضغط أو الحفظ أو القلقلة ، عند الوقف ، إلا حروف الـين إذ بيدوا انه ترك ذكرها في المجهور لما يدخلها من اعتلال ، أو أنه أحسن

(١٢٩) وصف سيبويه حروف الحلق بانها حروف سفلت في الحلق ، ووصف ماسوها بالحروف المرتفعة (انظر الكتاب ٢: ٢٥٢) وهذه غير ما نحن بسيله.

(١٣٠) سر الصناعة ١: ٧٣.

بأنها حركات مشبعة فيبني إلا تذكر من الحروف، كما فعل المحدثون حين بحثوها تحت الصوات لا الصوات.

والمجهورة عنده على ثلاثة أقسام :

أـ-الحروف المشربة التي تحفرو وتضغط عن مواضعها وهي حروف القلقة : (القاف والجيم والطاء والدال والباء).

بـ-الحروف المشربة التي لم تضغط ضغط الأولى، وإنما يسمع معها عند الوقف عليها كالنفخ وهي : الزاي والطاء والذال والصاد.

وذكر أن التصويت بحروف هذين القسمين عند الوقف مختلف، فبعض العرب أشد تصويتاً بها من غيرهم.

وقد جعل الراء مع حروف القسم الثاني (ب) بعد ذكرها بسطرين وبلفظ مقتضب هو قوله : (والراء شبيهة بالضاد)^(١٣١). ولعل هذا آت من أنه كان قد تناول الكلام على الوقف على الراء قبيل كلامه على حروف القلقة وقال عنه : (إنك إذا وقفت عليه رأيت طرف اللسان يتعرّج بما فيه من التكثير، ولذلك احتسب في الامالة بحروفين)^(١٣١).

جـ-الحروف التي لا يسمع معها شيء ماذكر آنفاً، أي أنها لم تضغط ولم تجد منفذًا، وهي : الهمزة والعين والغين واللام والتون والميم.

ويلاحظ أن حروف القسم الأول تجمع بين صفتى الجهر والشدة، وليس في الحروف الباقية ما يجمع بين الصفتين على مذهبهم سوى الهمزة وقد جعلوها في القسم الثالث الذي لا يسمع بعده صويت عند الوقف. أما حروف القسم الثاني فهي جميعاً حروف مجهرة أيضاً إلا أنه ليس فيها حرف شديد واحد فهي جميعاً حروف رخوة. وأما حروف القسم الثالث عدا الهمزة التي جمعت بين الجهر والشدة على رأيهم، فإنها مجهرة جميعاً إلا أن الغين منها حرف رخو، والحقيقة بين الشديدة والرخوة.

وعلى هذا تكون العرب قد تركت إظهار صويت في الوقف مع حرف مجهر شديد هو الهمزة، وحرف مجهر رخوه الغين، وأربعة أحرف مجهرة ولكنها بين الشدة والرخواة وهي العين واللام والميم والتون.

وهنا سؤال يتفرع منه آخر وهو: لماذا خصت الحروف المجهرة الشديدة بهذا الحفز أو

^(١٣١) سر الصناعة ١: ٧٢.

الضغط حتى سمع بعدها صوتيت في الوقف، ثم لماذا اخرجت المهمزة من هذا وهي عندهم حرف شديد مجھور أيضًا؟

وللإجابة عن هذا ينبغي أن نذكر أن الحرف المجھور هو الذي اشبع الاعتماد من موضعه ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضى الاعتماد وينجري الصوت^(١٣٢)، وإن الحرف الشديد هو الذي يمنع الصوت من أن يجري فيه^(١٣٣)، أو كما يعبر المحدثون عن المجھور بأنه الصوت الذي تصحبه نغمة تذبذب الوترتين الصوتين^(١٣٤)، وقد ظهر لنا في كلامنا على المجھور والمهموس ان هذين الوترتين يتذبذبان مع الأصوات التي وصفها العرب بالجهير غير المهمزة، والشديد عبر عنه المحدثون بالانفجاري هو الذي يتبع من حبس الهواء جبًا تمامًا ثم اطلاقه^(١٣٥)، ويلاحظ ان صفة الجھير فيها من النفس، والشدة فيها هذا أيضًا، فكأن اجتماع المعين على الصوت الواحد، مع الوقف الذي يسكن معه الحرف، يؤدى إلى خفائه في السمع. فحين تقف على الباء مثلاً في مثل المآب، تكون قد جمعت عليها مع حبس الهواء وراء الشفتين وال الحاجة إلى هواء الصدر لتزيز الوترتين، استمرار انطباق الشفتين بسبب سكون الوقف، وبهذا لا يسمع تزيز الوترتين ولا انفجار الصوت، فيختفي صوت الباء حتى لا تكاد تتبينه، ولذا كان فتح مكان حصر الصوت باظهار صوتيت عند الوقف يسمح للوترتين بالتزيز لازماً لبيان الصوت المجھور الانفجاري أو الشديد.

اما المهموس الشديد وهو حرفان كما ورد عند ابن جني النساء والكاف^(١٣٦)، فلا يحتاج إلى هواء الصدر في الوقف لاظهاره لأن استغناه عن تذبذب الوترتين يجعل بالامكان الاستفادة من هواء الفم في ذلك، ويبدو ان انتفاء الحاجة إلى هواء الصدر هو الذي جعلهم يخرون هذين الحرفين من الحاجة إلى صوتيت في اظهارهما وإن كان واقع الحال في النطق يؤكدا أنها بحاجة إلى انفراج موضع حصر الهواء لكي يظهر في الوقف.

اما المهمزة فإنها بناء على وصفها في الدراسة الحديثة لا اشكال فيها بذلك لأنها عند المحدثين ليست حرفًا مجھوراً بمعنى انه لا يصحبه تذبذب الوترتين الصوتين، وإن وصفه بعضهم بأنه مهموس، وبعضهم بأنه لا مهموس ولا مجھور، إذ هو على الرأيين ليس مجھوراً، وبهذا لا يسأل عنه في حروف القلقة. إلا أن السؤال يرد على القدامى الذين وصفوه بأنه مجھور شديد. الذي يتوجه لي في هذا ان جل همهم كان منصراً إلى وضوح الصوت في الوقف أو خفائه،

(١٣٢) سر الصناعة ٦٩:١.

(١٣٥) نفسه ص ١٦٦.

(١٣٣) سر الصناعة ٧٠:١.

(١٣٦) نفسه ١:١.

(١٣٤) علم اللغة للسعراي ص ١٤٧.

وقد وجدوا ان القاف والطاء والباء والجيم والدال يختفت صوتها ولا يظهر إلا بضغطها عن مواضعها باظهار صوتها بعدها، أما صوت الهمزة فإنه يسمع بشكل مميز في الوقف من غير حاجة إلى ضغطه عن موضعه، وهذا واضح في الوقف على الهمزة في نحو: السماء أو أبداء، وذلك لأن الصوتيات سواء كانت طويلة أو قصيرة أصوات مجهرة واسعة المخرج يتذبذب معها الوتران الصوتيان، فإذا أغلق الوتران لنطق الهمزة سمع بسبب انقطاع الماء المستمر في الحلق فجأة صوت الهمزة وإن كان خافتًا، والراجح عندي أن العلماء عندما أخرجوا الهمزة من حروف القلقة المتضافة بالشدة والجهر عندهم كانوا ينظرون إليها حرف متحرك قبلها قياساً على تمثيل ابن جني بالفعال الحق واذهب واخلط وآخر.

ويلاحظ أنه جعل الهمزة مع الحروف التي لم تضغط ولم تجده منفذًا، ونفيه الضغط عن الهمزة يجعلنا نبعد عن اذهاننا أن يكون ابن جني قد ربط بين لفظ الهمزة والمعنى اللغوي للهمز الذي هو الضغط أو النبر على ما حققه بعض المحدثين^(١٣٧).

والتسمية التي شاعت للحروف التي وصفها بالمشربة التي تحفر وتضغط عن مواضعها في الوقف هي حروف القلقة، ويبدو أن اللفظ أخذ من معنى ضغط هذه الحروف عن مواضعها فكأنها تقلقل عن تلك الموضع وقد استعمل ابن جني هذا الوصف كما تقدم. أما وصفها بالمشربة فيبدو أنه من كونها قد أشربت الصوت الذي قال عنه (لا تستطيع الوقف عليها إلا بصوت)^(١٣٨).

وقد علل بعض المحدثين اختصاص هذه الحروف بالقلقة بكونها جمعت بين صفين هما الجهر والشدة^(١٣٩)، وذكر أن القلقة نوعان كبرى وهي التي تكون عند الوقف على الحرف، وصغرى وهي التي تكون في أي من هذه الحروف إذا وقع وسطاً^(١٤٠)، ولللاحظ أن ابن جني لم يذكر ما عبر عنه بالقلقة الصغرى بل إنه نص على ذهاب الصوت الذي يسمع في الوقف عند الدرج (وجميع هذه الحروف التي تسمع معها في الوقف صوتاً متى أدرجتها ووصلتها زال ذلك الصوت)^(١٣٨)، إلا أنه ذكر ما يمكن أن يفهم منه انه قلقة صغرى حين قال: (إلا إنك مع ذلك لا تحصر الصوت عندها حصرك إياه مع الهمزة والعين . . .)^(١٤٠)، فعدم الحصر هذا يستدعي وجود شيء من الصوت وإلا ما فرق بين الاثنين.

(١٣٧) القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ص ٢٢.
سر الصناعة ١: ٧٣: (١٣٨).

(١٣٩) دروس في علم أصوات العربية ص ٣٧، وانظر علم اللغة للسعريان ص ١٧٤.
(١٤٠) دروس في علم أصوات العربية ص ٣٨.

حروف الذلقة:

ستة حرف اطلق عليها لفظ حروف الذلقة وهي : اللام والراء والنون ، والفاء والباء والميم ، وقد ذكر ابن جنی أنها سميت بذلك (لأنه يعتمد عليها بذلك اللسان ، وهو صدره وطرفه)^(١٤١) . وواضح أن ثلاثة منها يعتمد عليها حقاً بطرق اللسان أما الثلاثة الباقيه فهي حروف شفوية لا شأن لطرف اللسان على الاطلاق في اخراجها^(١٤٢) ، ويعبد عندي أن يكون ابن جنی قد غفل عن هذا ، وارى أنه أراد التغليب ، فكانهم حين وجدوا اللام والراء والنون من طرف اللسان جعلوا الاسم لها وضمو إليها الفاء والميم والباء ، أما لم غلبو بذلك اللسان على الشفة في التسمية فيبدو لي أن معنى الذلقة في الأصل هو الذي دعا إلى ذلك فقد جاء في اللسان : (إنما سميت هذه الحروف ذلقاً لأن الذلقة في المنطق إنما هي بطرف أسلة اللسان والشفتين وما مدرجتا هذه الحروف الستة)^(١٤٣) .

وقد ذكر بعض المحدثين أن معنى الذلقة في هذه الحروف لا يراد به سوى المعنى الشائع لهذه الكلمة وهو (القدرة على انتلاق في الكلام بالعربية دون تعثر وتلعم)^(١٤٤) ، وذلك لأنها أكثر الحروف شيوعاً في كلام العرب^(١٤٥) ، ولم ينظروا في تسميتها (إلى خرجها أو صفاتها أو أي ناحية من نواحي الدراسة الصوتية)^(١٤٦) ، وهو كما أرى لا يتفق مع ما ذهب إليه من أن ابن جنی هو الذي وضع مصطلح الذلقة^(١٤٧) ، إذ أن واضح المصطلح هو الذي يفسره ، وقد فسره ابن جنی بما تقدم فينبغي أن يؤول تفسيره ويحمل على أحسن الوجوه لا أن يرد.

أما الحروف الأخرى غير الستة المذكورة فهي المصممة وفسر ذلك بأنه قد (صمت عنها أن تبني منها كلمة رباعية أو خماسية معراة من حروف الذلقة)^(١٤٨) . وجعل هذا المعنى ضابطاً من ضوابط معرفة الدخيل في كلام العرب ، فإذا وجدت كلمة رباعية أو خماسية عارية من أحد حروف الذلقة فاحكم بأنها من الدخيل^(١٤٩) ، على أنه قد جاء من الرباعي في كلام العرب ما هو عار من أحد هذه الأحرف الستة إلا أنه (قليل جداً ، منه العسجد والعسطوس والدهدقة والزهزقة)^(١٤٩) ، ولم يعدم ابن جنی تعليلأً لهذه الكلمات فذكر أن الذي حسن الحال فيه انصاعة

(١٤١) سر الصناعة : ١٧٤.

(١٤٢) انظر علم اللغة للسعراو ص ١٦٧ ، ١٨٤ ، ١٩٠.

(١٤٣) اللسان : ١١ : ٤٠٠ مادة ذلق.

(١٤٤) الأصوات اللغوية ص ١١٠ لم أجده هذا المعنى في اللسان : ١١ : ٤٠٠ ، أو الناج : ٦ : ٣٥٢ مادة ذلق.

(١٤٥) لم يذكر الدكتور أنيس من أين أخذ هذا ، ولم أجده ، وبخات إلى احصاء.

(١٤٦) نفسه ص ١١١.

(١٤٧) سر الصناعة : ١٧٥.

(١٤٨) نفسه : ١ : ٧٣.

(١٤٩) سر الصناعة : ١٧٤.

العين وقوه القاف، واعان على ذلك وجود البال التي لانت عن صلاحة الطاء وارتقت عن خفوت النساء، والسين التي لانت عن استعلاء الصاد ورقت عن جهر الراء، وأرى أنه لا يكفي بالقول أنها كلمات شدت عن جمهور كلام العرب لكن خيراً من هذا التفسير الذي لا يخلو من التكلف والتعسف^(١٥٠)، إذ اللغة لا تعرف الاطراد المطلق في عنايتها بالا صوات.

صفات مفردة:

ذكر ابن جني من صفات الحروف ما لا يكون إلا في حرف واحد وذلك:

١ - المنحرف:

وهو اللام وذلك لأن اللسان ينحرف فيه مع الصوت^(١٥١).

٢ - المكرر:

وهو الراء، وعلل هذا الوصف بأن طرف اللسان عند الوقف على الراء يتغير^(١٥٢).

٣ - المهتوت:

وهو الأباء، وقال عنه سمي بذلك (ما فيه من الضعف والخلفاء)^(١٥٣)، وقد نسبت هذه العبارة في اللسان^(١٥٤)، إلى سيبويه ولم أجدها في الكتاب.

٤ - المهاوي:

وهو الألف، وقد ذكر أنه أحد حروف المدواة والستالة وهي : الألف والواو والياء، (إلا أن الألف أشد امتداداً وأوسع مخرجاً)^(١٥٥). وعبارة سيبويه : (ومنها المهاوي وهو حرف لين اتسع لهواء الصوت مخرجه أشد من اتساع مخرج الياء والواو)^(١٥٦)، فكان اتساع مجرى الصوت فيه وامتداده في الفم جعلهم يرونه كالذى يهوى في الفضاء، لا يستند اللسان معه إلى شيء ولا يتحرك نحو شيء ولا يحتك الهواء معه بشيء، وهو مختلف عن الواو والياء في هذا (لأنك قد تضم شفتيك في الواو، وترفع في الياء لسانك قبل الحنك)^(١٥٧).

١٥٠) الأصوات المنقوية ص ١١٠

١٥١) سر الصناعة ١: ٧٢، وانظر دروس في علم أصوات العربية ص ٣٨.

١٥٢) المصدر السابق نفسه.

١٥٣) سر الصناعة ١: ٧٤.

١٥٤) اللسان ٢: ٤٠٨ مادة هنت.

١٥٥) سر الصناعة ١: ٧١.

١٥٦) الكتاب ٢: ٤٠٦.

الفصل الرابع

الحرف والحركة

تكلم ابن جني على حروف المد واللين الألف والياء والواو، والحركات الفتحة والكسرة والضمة، والعلاقة بين هذه الأحرف والحركات وأوجه الشبه بينها، ومعنى الحركة وأصلها، وموضع الحركة من الحرف الصامت، تناول ذلك في سر الصناعة وفي الحصائص^(١)، في أكثر من موضع كما سيأتي.

الحركات وعلاقتها بحروف المد:

يرى ابن جني ان الحركات أصوات ناقصة، وأنها سميت حركات لأنها تحرك الحرف وتقلقه عن موضعه^(٢)، باجتذابه إلى الحرف الذي هي بعضه فإذا كان الحرف ساكناً وحركته بالفتح اجتذبته الفتحة نحو الألف، وإذا حركته بالكسر اجتذبته الكسرة نحو الياء، وإذا حركته بالضم اجتذبته الضمة نحو الواو. فلما فعلت تلك الأصوات الناقصة بالحرف ذلك سميت حركات.

وهذا الذي ذكره ابن جني من افلاقاتها الحرف عن موضعه باجتذابه إلى الصوت الذي هي بعضه، قريب منه ما ذكره الدكتور فليش في كلامه على الحركة حيث ذكر أنها (ليست سوى تكيف في خرج الصامت مع الصوت التالي له، والذي سوف ينطلق معه)^(٣). والذي يعنينا من النص هنا أن خرج الصامت يتكيف مع الصائت فهو إذن في وضع غير وضعه وهو خال من صائب يتبعه فقد أدى هذا الصائب إلى إحداث نوع من التغيير، أو إلى اتخاذ وضع لم يكن ليتخد لولاه، وهو

(١) انظر البحث الذي كتبه الدكتور فليش (التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الاعراب) حيث حصر الدراسة في الحركات وحروف المد. مجلة جمعية اللغة العربية بمصر ج ٢٣ سنة ١٩٦٨ - ١٩٦٩ م من ص ٥٣ إلى ص ٨٩.

(٢) سر الصناعة ١: ٣٠.

(٣) التفكير الصوتي عند العرب ص ٦٦.

وضع يتناسب مع المصوت التالي له، أي أنه يتناسب مع الفتحة والكسرة والضمة، وهذا الذي عبر عنه ابن جي بأنها تقلق الحرف وتجذبه إلى الحرف الذي هي بعضه.

والحركات ابعاض حروف المدوالين فالفتحة بعض الألف والكسرة بعض الياء والضمة بعض الواو، بل إن متقدمي النحوين كما ذكر ابن جنبي كانوا يسمون الفتحة الألف الصغيرة والكسرة الياء الصغيرة والضمة الواو الصغيرة، ويرى أنهم كانوا على صواب لأنك تجد في هذه الحروف طولاً وامتداداً إذا قلت يخاف وسير ويقوم فإذا جاء بعدهن الفمزة نحو شاء ويفيء ويسوء (ازددين طولاً وامتداداً)^(٤)، وكذلك إذا وقع بعدهن الحرف المشدّ تحوّداته وشابة وقعد الثوب وقوص زيد بما عليه، ويطفيء بكر وسير راشد في قول من اجرى الوصل مجرى الوقف، والعلماء يسمونهن حروفَاً كواهل سواء كن على طوهن وامتدادهن أَم في حالة ازدياد الطول والامتداد فيهن، ولذا كان القیاس يقتضي أن يسمين حروفَاً إذا جاء الصوت ببعضهن، فتسمية الحركات إذن وهي ابعاض حروف المد حروفاً صغاراً ليس بعيداً في القیاس.

وقد فصل الاستدلال بهذه الأصوات بانها ابعاض حروف المدوالين ، فكان أن استدل على ذلك باشیاع الحركة ، وبحيء حروف المعجم غير المدادات بعدها ، وإجرائهما مجرى الحرف وإجراء الحرف مجراهما .

أشباع الحركة:

وانت من الغوايل حين ترمى ومن ذم الرجال بمنتازح
(اراد بمنتازح فاشيع فتحة الزاي)^(٣). وتشبع الكسرة لتولد الياء كقوله:
تنفي يداها الحصى في كل هاجرة نفي الدراريم تنقاد الصياريف

٢٠ : الصناعة سر (٤)

(٥) سر الصناعة ١: ٢٧ وانظر الخصائص ٣: ١٢١ وما يبعدها باب في مطابع الحكبات.

(٦) نفسه ٢٩:١ وانظر الخصائص ٢/٣١٦.

وهو يريد الصيروف (فأشيع الكسرة فتولد عنها ياء)^(٧). وتشبع الضمة فتولد الواو
كتقوله:

الله يعلم أَنَا في تلفتنا يوم الفراق إلى أحبابنا صُورْ
وأَنني حَوْثِمَا يُشْرِي الْهَوَى بَصَرِي من حيث ما سلَكُوا أَثْرِي فَانْظُرْ

فقال انظور وهو يريد انظر (فأشيع ضمة الطاء فتشئت عنها واوا)^(٨).

فلولم تكن الحركات ابعاضاً لحروف المد هذه (واوئل لها لما تشتئت عنها ولا كانت تابعة لها)^(٩).

ومما يدخل في هذا أيضاً الوقف على الحركات عند التذكر فيؤدي ذلك إلى أن (يمطلن حتى يفين حروفاً)^(١٠)، كقولك في التذكر لما بعد الفاعل في جملة قمت يوم الجمعة مثلاً ووقفك على تاء قمت قبل ذكر يوم الجمعة: قمتا، فتمطل الفتحة وتكون الفاء، ومع الكسرة في نحوانت عاقلة فتقول: أنتي.. ، ومع الضمة في نحو قمت إلى زيد فتقول: قمتوا^(١١) ..

مع حروف المعجم:

ومما يدل على أن الحركات ابعاض حروف المد أنك لوأخذت أي حرف من حروف المعجم غير الألف والواو والياء فستجد أنك تستطيع أن تأتي قبله بأية حركة شئت، ولا تخس في ذلك بأي ثقل في اللفظ أو استكراه، سواء أكان الحرف ساكناً كاللام من سَلْمٍ وسَلِمٍ وسُلْمٍ أم متحركاً كالعين في سعاد وسعید وسعود^(١٢)؛ ولو حارت ذلك مع حروف المد لوجدت الكسرة والضمة قبل الألف غير مستطاعة البتة، ولوجدت الكسرة قبل الواو والضمة قبل الياء ممكنة ولكنها تجشمك من المشقة والكلفة ما لا تجده مثله في الحروف الصراح وذلك كان تبني من القول والطول مثلاً على زنة فعل فينبغي أن تقول على الأصل: قُولٌ وطُولٌ ولكنك ستجد ذلك ثقيراً فتتحول به إلى الياء فتقول: قيل وطيل، وهكذا فعلت العرب حيث قلبوا الواو باء لأجل الكسرة قبلها فقالت: ميزان وميعاد وهم من الواو، وكذلك فعلوا مع الياء إذا أضض ما قبلها حيث قلبوا الواوا ف قالوا في مثال مُفْعِلٍ من اليقين واليسار: موْقَنٌ وموْسَرٌ. وتحولوا بالألف إلى الياء لمناسبة الكسرة فقالوا في جمع قرطاس: قراطيس ، بالياء، وتحولوا بها إلى الواو لمناسبة الضمة فقالوا في تصغير ضارب: ضويرب بالواو.

(١٠) الخصائص: ٣: ١٢٩.

(٧) نفسه: ٢٨: ٢ وانظر الخصائص: ٢: ٣١٥ / ٤: ٣١٥.

(١١) نفسه: ٣: ٣ وانظر الخصائص: ٢: ٣١٦.

(١٢) سر الصناعة: ١: ٢١.

(٨) سر الصناعة: ١: ٣٠ وانظر الخصائص: ٢: ٣١٦.

(٩) نفسه: ١: ٢٠.

فهذا كله يثبت ان حروف المد (توابع للحركات ومتنشئة عنها، وان الحركات أوائل لها واجزاء منها) ^(١٣).

إجراء الحرف مجرها واجراها مجرى الحرف:

ما يدخل في هذا الباب أيضاً ويؤيد ان الحركات أبعاض حروف المد إجراء العرب الحرف مجرى الحركة، والحركة مجرى الحرف، فما اجرى فيه الحرف مجرى الحركة قوظم: لم يسع ولم ير بم، حيث حذفت الألف والياء والواو للجزم كما تختلف له الحركة في تحوله يقم ولم يقعد ^(١٤).

ومن ذلك ان ما قبل تاء المؤنث في الواحد لا يكون إلا مفتوحاً نحو حمزة وقائمة فإذا جاءت الألف قبلها جازت من دون سائر الحروف نحو: قطة وحصاة، فقد ساواوا بين الفتحة والألف حتى كأنها هي هي ^(١٥).

ومن ذلك أيضاً أنهم إذا أرادوا بيان الحركة في آخر اللفظ جاءوا بالهاء نحو اعطيتكه ومررت بكه، وأغزهه ولا تدعه، وكذلك يفعلون مع الحرف فيقولون وازياده، وأغلا مهوه وأغلامهيه، والهاء في كل ذلك للبيان وليس ضميراً ^(١٦).

وما اجرى فيه الحركة مجرى الحرف منهم من الصرف العلم المؤنث إذا حرك وسطه، وذلك أنهم اجازوا الصرف في علم المؤنث الساكن الوسط نحو هند، فلذلك ان تصرفه ولك أن تمنعه من الصرف، أما العلم المؤنث الذي جاء على أربعة أحرف كزينب فلا يجوز صرفه في سعة الكلام، فإذا كان العلم المؤنث الثلاثي حرك الوسط امتنع صرفه أيضاً، فجعلت الحركة في منع الصرف فيه بمنزلة الياء في زينب والألف في سعاد ^(١٧).

ومن ذلك أنهم حذفوا هذه الحروف للتخفيف وحدفوا الحركات أيضاً ^(١٨)، قال الشاعر:

فالحقتُ أخراهم طريقَ الْأَهْمُ
كما قيل نجم قد خوى متابع
فحذف الواو من أولاهم، وقال:

وصَانِي العجاجُ فِيمَا وَصَنِي

(١٣) سر الصناعة ١: ٢٦ - ٢٧.

(١٤) نفسه ١: ٣٠.

(١٥) الخصائص ٧: ٣١٨.

(١٦) نفسه ٢: ٣١٨ - ٣١٩.

(١٧) سر الصناعة ١: ٣٠، ٣١٩، وانظر الخصائص ٢: ٣١٨، وقد رفض الزجاج القول بجواز صرف العلم المؤنث إذا كان ثلاثي الساكن الوسط، وعمل الصرف في هذا بانه جاء (على جهة الاضطرار) من ٥٠ ما يصرف وما لا ينصرف للزجاج.

(١٨) الخصائص ٢: ٣١٧.

فحذف الألف من وصّاني الثانية، وقال الله تعالى: واللَّيل إِذَا يُسْرِ، فحذفت الياء من
 يسري في الآية، وكذلك حذفوا الحركات للتخفيف، قال الشاعر:
 فالاليوم أشرب غير مستحبِّبٍ
 فحذف الضمة من أشرب، وقال:
 تَرَأْكُ امكْنَةً إِذَا لَمْ أَرْضُهَا
 فحذف الفتحة من يرتبط، وقال:
 وَمَنْ يَتَّقْ فَإِنَّ اللَّهَ مَعْنَى
 فحذف الكسرة من يتق

ولم يكتف ابن جني بإجراء الحركات مجرى حروف اللين وإنما تجاوز ذلك إلى القول بإجرائها مجرى بقية الحروف، فكأنها حين جرت مجرى الألف والياء والواو وهن حروف توام كواهل، مكتنها ذلك من أن تجري مجرى بقية الحروف، فمن ذلك أنها تفصل بين الحرفين اللذين يمكن ادغامهما فلا يتوصلا إلى الإدغام معها كما لا يتوصلا إلى ادغام المثلين أو المترادفين إذا حجز بينهما حرف، وذلك نحو تدوبيط، حيث حجزت الحركة بين التاء والدال وبين الطاء والدال على ما يبينا من تقارب كما يعجز الحرف بين المترادفين نحو شَمْلِيل وحَبْرِير^(١٩).

ومن ذلك أيضاً منهم أجروا الحرف المحرك مجرى الحرف المشدد في بعض الموضع،
والمشدد حرفان ، فالحركة قد قابلت أحد الضعفين ، وذلك أنهم حذفوا الحركة في الشعر المقيد كما
خففوا المشدد بحذف الحرف الثاني منه ، فقال :

والقاف مجرورة فاسكتها، وقال:
أصحوت اليوم أم شاقتك هـ
(محذف إحدى الراءين) (٢٠).

هذه العلاقة بين حروف المدواحرات تجعلنا نسأل: أحرف المد مجرد اشباع للحركة في اللفظ، أم هو شيء جديد فيه بعد الحركة من نفس لفظها؟ أما ابن جنبي وهو متابع لبقية علماء العربية في ذلك فيرى أن الحركة إذا شبتت (حدث بعدها الحرف الذي هي بعضه) ^(٢١)، فقد

٣٢٠ : ٢ (الخصائص) ١٩)

نفسیہ (۲۰)

٢١) سـ الصناعة ١ : ٢٠

كان لا يتصور الحرف الصحيح (الصامت) إلا ساكناً أو متحركاً، والحرف الذي قبل حرف المد يكون محركاً بمثيل صوته فكما (أن الألف بعد الصاد في ضارب فكذلك الفتحة في الرتبة بعد الصاد) ^(٢٢). فهناك اذن فتحة بين الألف والصاد في ضارب . ويدو أن الذي جعلهم يتتصورون فتحة قبل الألف وكسرة قبل الياء وضمة قبل الواو تفريقهم بين الصوائت الطويلة والقصيرة واعتبار الطويلة حروفاً والقصيرة حركات ، وقادتهم في أن الحرف لا يكون إلا ساكناً أو متحركاً وهذه المدات سواكن ^(٢٣) وهي حروف ، فالحرف الذي قبلها يعني أن يكون متحركاً ثالثاً يلتقي ساكنان ، والصوت المسموع بعد الحرف الصامت بعض هذه المدات ، والحركات البعض حروف المد واللين ، فالحركة السابقة للألف اذن فتحة لأنها بعد الألف والسابقة للباء كسرة والسابقة للواو ضمة . ولم يكن بمقدور ابن جني أو غيره أن ينفي الحركة عن الحرف الصامت قبل الصائت الطويل بناء على هذا التقسيم .

اما المحدثون فانهم حين درسوا الأصوات جعلوا الحركات وحروف المد تحت قسم واحد هو الصوائت وجعلوها على نوعين صوائت قصيرة وصوائت طويلة فالقصيرة ما أطلق عليه القدامى الحركات والطويلة حروف المد ، وبهذا التقسيم استطاعوا أن يقولوا : إن حروف المد واللين ليست مسبوقة بحركة من جنسها كما يقول القدامى الذين (ضلوا الطريق السوى حين ظنوا أن هناك حركات قصيرة قبل حروف المد) ^(٤) .

والذي أميل إليه أن ابن جني قد تخلى عن النص على وحدة الصوت الذي أحسه في معالجة هذه الأصوات ، وعن نفي الحركة قبل حرف المد ، التزاماً بالقانون الصارم في مسألة الحركة والسكنون في الحرف ولو لذلک لما تردد عن أن يقول ما قاله المحدثون ، يدل على هذا ما ذكره من أن المفتح (هو الذي إذا اشبعت حركته حدثت عنها الف نحو ضاد ضرب لك أن تشبع الفتحة فتفقول ضارب) ^(٥) . وما ذكره عن حرف المد من أنه (حدث عن تمكين الحركة ومطلها ...) واستطالتها) ^(٦) وانه (لا يمكن فصل الحركة منه والعود إلى استتمامه لأن هذه المدة المستطيلة إنما تسمى حرفاً بينما مادامت متصلة) ^(٧) . فالآلف تحدث عن الفتحة باشباعها ، أو يتمكّنها ومتطلها واستطالتها ، وهذا المطل في الصوت والاستطالة لا يمكن أن يتجزأ أو يفصل عن بعضه ويبيّن مداً ، فهو اذن صوت واحد طويل متماسك وليس صوتين متتابعين ، هذا يفهم من عبارة ابن جني ، ولكنه لم يصرح بذلك الفتحة في الألف أو الكسرة في الباء أو الضمة في الواو ، ولو فعل لتقدم زمانه بأكثر من ألف عام .

(٢٥) سر الصناعة ١ : ٣١.

(٢٢) سر الصناعة ١ : ٣٦.

(٢٦) نفسه ١ : ٣٦.

(٢٣) نفسه ١ : ٣١.

(٢٧) الأخلاص ٣ : ١٢٠.

(٢٤) الأصوات اللغوية ص ٣٩.

ذكر ابن جنی أن ظاهر الأمر ما هو متداول بين الناس أن الحركات ثلاثة : الفتحة والكسرة والضمة ، إلا أن (مخصوصها على الحقيقة ست)^(٢٧) وذلك أن بين كل حركتين حركة ، فالتي بين الفتحة والكسرة الحركة التي قبل الألف الممالة في مثل عين عالم وكاف كاتب ، فهي بين الفتحة والكسرة كما أن الألف التي بعدها بين الألف والياء ، والتي بين الفتحة والضمة الحركة التي قبل ألف التفخيم كفتحة اللام في الصلة والكاف في الزكوة ، والتي بين الكسرة والضمة الكسرة التي تشم الضم في نحو قيل وسیر أو الضمة المشمة كسرًا كضمة القاف من منقر والعين من مذعور ، والضمة المشربة كسرًا لا تختلف عن الكسرة المشربة ضمًا (فهـما لـذلك كالصوت الواحد)^(٢٨) . ونص على أنه ليس في كلام العرب ضمة مشربة فتحة ، أو كسرة مشربة فتحة ، وهو بهذا ينطوي إلى أصل الصوت وهو حقاً كما قال ولكننا إذا نظرنا إلى الصوت نفسه فهو موجود أم لا فإنه قياساً على قوله ان الضمة المشربة كسرًا لا تختلف عن الكسرة المشربة ضمًا كما تقدم يمكن أن يقال ان الصوت موجود ، لأن ألف التفخيم كما ذكر قبلها فتحة هي بين الفتحة والضمة وهذا يعني أنها فتحة قد اشربت ضمة وكذلك مع ألف الامالة الفتحة اشربت كسرة ، فالصوت من حيث هو موجود إلا أن الفرق أن يقال هنا فتحة في الأصل اشربت صوت الضم وهو موجود ، أو أن يقال هنا ضمة في الأصل اشربت صوت الفتحة ولا وجود له في العربية كما ذكر.

ودعوى وجود حركة قبل الألف الممالة أو الألف المفخمة كدعوى وجودها قبل الألف التي هي مدة ليست ممالة ولا مفخمة ، ورأى المحدثين في هذه كرأيهم في ذلك ، إذ هم يرون أن القدامي كانوا توهموا وجود حركات قصيرة قبل حروف المد توهموا أيضاً وجود (فتحة ممالة نحو الضمة قبل ألف التفخيم في كلمة الصلاة)^(٢٩) مثلاً .

وقد وضع مقاييس عامة لأصوات اللين في لغات العالم اطلق عليها الحركات المعيارية^(٣٠) أو مقاييس أصوات اللين^(٣١) قام بوضعها دانيال جونز عالم الأصوات الانجليزي وارتضاهما علماء الأصوات في العالم مقاييساً لأصوات اللين^(٣٢) وهي تسع حركات أو مقاييس تقابل الكسرة العربية منها المقياس الذي رمز له بـ(i) والفتحة (a) والضمة (u) فإذا أردنا أن نرمز

(٢٨) الخصائص : ٣ : ١٢١ .

(٢٩) الأصوات اللغوية ص ٣٩ .

(٣٠) أصوات اللغة ص ١٦٢ وعلم اللغة العام - الأصوات - ص ١٥٠ .

(٣١) الأصوات اللغوية ص ٢٩ .

(٣٢) أصوات اللغة ص ١٦١ .

لأصوات المد واللين أو الصوائت الطويلة كرنا رمز الصائت القصير، فيكون رمز الياء (ii) والألف (aa) والواو (uu).^(٣٣)

أما ما أشار إليه ابن جني من امالة الألف نحو الياء فيمكن أن تقابل المقياس الذي رمز له بـ (٤) عند بعضهم (ee) أو بـ (٥) عند غيره^(٣٤)، أو بـ (٦) عندما تكون الامالة خفيفة و(٧) عندما تكون الامالة شديدة^(٣٥) ويمكن أن يقابل صوت الف التفخيم مارمزله بـ (oo)^(٣٦) أما الياء المد الممالة نحو القسم في قيل وبيع فيمكن أن نرمز لها بـ (ui).

وما ذهب إليه ابن جني من كونها ست حركات صحيح من حيث هي ستة أنواع من الأصوات وإن كان بعضها طويلاً وبعضها قصيراً على أن نذكر رفضنا لوجود صائت قصير قبل أي صائت طويل سواء أكان مملاً أو مفخحاً أم لم يكن.

موضع الحركة من الحرف:

الحروف من حيث الحركة والسكن على قسمين: ساكن، ومتحرك، أما الساكن فهو الذي يمكن تحميله الحركات الثلاث^(٣٨) كالكاف من بكرو عمرو، إذ يمكن أن نحملها الفتحة فنقول بكرو عمرو، والكسرة فنقول بكرو عمرو، والضمة فنقول بكرو عمرو، فلما أمكن تحميله الحركات الثلاث علم أنه كان قبل ذلك ساكناً. أما المتحرك فهو الذي لا يتحمل أكثر من حركتين كالميم من عمر، إذ يمكن أن نحمله الضمة فنقول عمر، والكسرة فنقول عمر، ولكنه لا يتحمل الفتحة لأنها كان محركاً بها حين جربنا ادخال الحركات عليه (والحرف الواحد لا يتحمل حركتين لا متفقتين ولا مختلفتين)^(٣٩)، أما الألف والواو والياء إذا كن مداداً فإنهن لا يكن إلا سواكن لأن المدة لا تتحرك أبداً.

إذا علم أن الحرف يكون ساكناً ومتحركاً كان السؤال بعدئذ: أين موضع الحركة من الحرف، وهي قبله، أم معه، أم بعده؟ أما القول بأنها قبل الحرف فلا يصح، بل هو محال^(٤٠) لأمرين:

(٣٣) مناهج البحث في اللغة ص ١٠٩.

(٣٤) علم اللغة العام. الأصوات. ص ١٤٢.

(٣٥) مناهج البحث في اللغة ص ١٠٨ في ضرب ما ذكر في ص ١٣.

(٣٦) الأصوات اللغوية ص ٤١.

(٣٧) مناهج البحث في اللغة ص ١٠٨ في ضوء ص ١٣.

(٣٨) سر الصناعة ١: ٣١.

(٣٩) سر الصناعة ١: ٣١.

(٤٠) نفسه ١: ٣٢.

الأول: أن الحرف كالمحل للحركة لأنها تحمله فهي كالعرض فيه ولذا فهي محتاجة إليه ولا يصح القول بوجودها قبل وجوده. وينبغي أن يعلم أن قول العلماء أن الحركة تحمل الحرف إنما هو مجاز لاحقيقة، لأن الحرف عرض والحركة عرض، والذي عليه أهل النظر أن الأعراض لا تحمل الأعراض، إلا أن الذي سوغ هذا المجاز كون الحرف أقوى من الحركة وأنه قد يوجد ولا حركة معه وأن الحركة لا توجد إلا مع الحرف فكأنها لذلك قد حلته وكأنه قد تضمنها^(٤٤). وقد فسر الدكتور فيليش رأي ابن جني السابق (بأن الحركة لا تقوم بنفسها فكيف نتصور وجودها قبل أن يوجد ما يساعد على هذا الوجود)^(٤٢).

الثاني: لو كانت الحركة قبل الحرف لما وجد الادغام في اللغة لأنها حيث تكون حاجزاً بين الحرفين، وإذا حجزت الحركة بين الحرفين لم يجز الادغام فوجود الادغام في اللغة اذن دليل على امتناع القول بتقدم الحركة على الحرف^(٤٣)، فلم يبق إلا أن تكون الحركة معه أو بعده. وقد ذكر أن القول بأنها بعد الحرف هو مذهب سيبويه^(٤٤)، أما سيبويه فقد وجده ينص على أن الرأي للخليل حيث قال: (وزعم الخليل أن الفتحة والكسرة والضمة زوائد، وهن يلحقن الحرف ليوصل إلى التكلم به والبناء هو الساكن الذي لا زيادة فيه)^(٤٥)، والذي يدل على أنها بعد الحرف مجيء المثلين المتحركين من غير ادغام في نحو قصص وطلل، وسرر وحضر، ومرر وقدد، فوجودها بعد الحرف فاصلة بينه وبين مثله هو الذي منع الادغام، ولا يجوز أن يقال إن الذي فصل بينها هو حركة الحرف الثاني وهي قبل الحرف، لانه من سقوط القول بتقدم الحركة على الحرف^(٤٦)، وما فصلت فيه بين المترابتين ومنعت الادغام قوله وتدم من غير ادغام فإذا سكتت الناء لارادة الادغام قلت وذ، فحركة الناء اذن كانت فاصلة بينها وبين الدال فلم يتم الادغام فلما زالت حركة الناء لم يعد هناك فاصل فقلبت وادغمت فدل هذا على ان الذي كان يفصل بين الناء والدال في وتد هو حركة الناء، ولما كانت بينها ففي اذن بعد الناء وليس معها^(٤٧). وما يدل أيضا على أن الحركة بعد الحرف أنك إذا أشرعتها تمتها حرف مد بعد الحرف فإذا أشرعت الفتحة في ضاد ضرب قلت ضارب، وإذا أشرعت الكسرة في ضرارب قلت ضرارب وإذا أشرعت الضمة في ضرب قلت ضورب، فكما جاءت الألف والياء والواو بعد الضاد ولم يحكم أحد بأنها معها، فكذلك يحكم للفتحة والكسرة والضمة لأن هذه الحركات بعض حروف المد كما تقام وتحكم البعض تابع حكم الكل في هذا^(٤٨).

(٤٥) الكتاب .٣٥٦

(٤١) سر الصناعة : ١ .٣٧

(٤٦) سر الصناعة : ١ .٣٣

(٤٢) النذير الصوقي عند العرب ص .٨١

(٤٧) نفسه : ١ .٢٤

(٤٣) سر الصناعة : ١ .٣٢

(٤٨) سر الصناعة : ١ .٣٥

(٤٤) المخصائق : ٢ .٢٢١

أما القول بأن الحركة مع الحرف فيسقطه قلب الواو ياء في مثل «اطواييل»^(٤٩)، وذلك إذا أمرنا الواحد المذكور بفعل من الطبي وآخر من الوجل من غير فاصل بينهما، وبين ذلك أن الواو الثانية في اطواوجل، لم تقلب ياء إلا لأنكسار ما قبلها، فلو قلنا ان الحركة مع الحرف لما جاز قبلها ياء، وذلك أنها تكون حينئذ مسبوقة بواو وكسرة وليس الكسرة بأقرب إلى الواو الثانية من الواو الأولى على مذهب من يقول ان الحركة مع الحرف، والواو حرف والكسرة حركة، والحرف أقوى جرساً وأوقي صوتاً من الحركة، كما أن صوت الواو الأولى من جنس صوت الثانية، فإذا لم نذهب إلى أن الواو الأولى لهذا أقوى من الكسرة التي فيها فلا أقل من القول بأنها ممثلها في القوة والصوت وإذا كان الأمر كذلك فينبع لا تقلب الواو الثانية ياء، لأن الواو الأولى وإياء قد ترتفع أحکامها لما تقدم من المعادلة بينها وتكافئها، فكانه لا كسرة ولا واو قبل الواو الثانية، فلما وجدنا أن الواو هذه تقلب ياء دل هذا على أن الكسرة ليست مع الواو الأولى وإنما هي أدنى منها إلى الثانية (إذا كانت أدنى إليها كانت بعد الواو الحركة بها لا محالة)^(٥٠).

ومما احتاج به على وقوع الحركة بعد الحرف يمكن أن يعد أقوى حججه في ذلك لاعتماده الدراسة الصوتية، ما بناه على القول بأن الحركات بعض حروف المدوالين وذكر بأن الفتحة بعض الألف والكسرة بعض الياء والضمة بعض الواو وقال: (فكمما أن الحرف لا يجماع حرف آخر فينشأ معاً في وقت واحد فكذلك بعض الحرف لا يجوز أن ينشأ مع حرف آخر في وقت واحد)^(٥١).

أما ما استدل به أبو علي الفارسي على أن الحركة تحدث مع الحرف وذكره ابن جني في سر الصناعة^(٥٢)، ووصفه بأنه استدلال قوي، ولم ينقضه هناك، فقد افسده في الخصائص بأمرين:

الأول: ما تقدم من إفساد القول بأن الحركة مع الحرف بصورة مطلقة.

الثاني: النقض المباشر له، حيث ذكر أن آبا علي كان يقول انه يقى مذهب من قال بأن الحركة مع الحرف أن النون الساكنة خرجها الأنف والمحركة خرجها من الفم فلو كانت حركة الحرف بعده لخرجت النون المتحركة من الأنف أيضاً لأنها قبل الحركة ساكنة، ثم تأتي الحركة بعدها فلما تغير خرج المحركة دل على أن الحركة معها لا بعدها، وهو استدلال ساقط كما يرى ابن جني وذلك لما ورد في اللغة من تأثير (الشيء فيها قبله من قبل

(٤٩) الخصائص ٢: ٣٢٧.

(٤٩) الخصائص ٢: ٣٢٢.

(٥٢) سر الصناعة ١: ٣٧.

(٥٠) نفسه ٢: ٣٢٣.

وجوده. لأنه قد علم أن سيرد فيما بعد) ^(٥٣) وهو كثير فمن ذلك أن النون الساكنة إذا جاءت قبل الباء قلبت ميما كقوهم في عنبر وشباء عمبر وشباء، فهذا ما لا يشك فيه بأن الباء جاءت بعد النون ومع ذلك قلبت النون ميما لما علم من وجودها بعدها، فكذلك حركة النون التي تحوّلها من الأنف إلى الفم هي وإن كانت بعد النون إلا أن مجئها معلوم كما علم مجيء الباء في عنبر وشباء، ومن ذلك أيضاً ضمهم همزة الوصل لما عرفوه من بحثي الضمة في الحرف الثاني بعدها كقوهم: أقتل، أدخل، استضعف، استخرج فهذا أيضاً قد (غير متقدماً لتوقع ما يريد من بعده متاخرأ) ^(٥٤). والأدلة التي ساقها ابن جنی لاثبات كون الحركة بعد الحرف أدلة قوية من حيث الشواهد اللغوية أو من حيث المنطق والعقل إلا أنها نعتقد أنه لو اتجه اتجاهها صوتياً مخضاً واكتفى باللحجة التي أشرنا إلى أنها أقوى حججه لأغناه ذلك عنها استدل به، فالحركات صوّات قصيرة مجهرة) ^(٥٥) فكل منها صوت قائم بنفسه، وأي حرف من حروف المعجم صوت مستقل أيضاً فكيف يتصور خروج صوتيين مختلفين في آن واحد، وقد يكون الصامت مهموساً فيختلفان حينئذ خرجاً وصفه.

وقد استوقفتني عبارة للدكتور فليش في هذا لم استطع أن أدرك مراده منها على وجه الدقة هي قوله: (ونحن نعلم أن هذه الحركات ليست سوى تكيف في خرج الصامت مع الصوت التالي له والذي سوف ينطلق معه) ^(٥٦).

يمكن أن يريد بكلمة سوف ينطلق معه وحدة الانطلاق فيكون رأيه أن الحركة تحدث مع الحرف، أم أنها تحمل كلامه على أنه أراد أن الصائت ينطلق بصحبة الصامت الذي قبله؟ أحسب أن الرأي الثاني أجمل ب الرجل درس علم الصوت المعاصر، كما أنه لم يحاول أن ينقض كلام ابن جنی في ترجيح القول بأن الحركة بعد الحرف) ^(٥٧).

مطلع حروف اللين:

ذكر ابن جنی أن الحركة إذا مطلت أي إذا اشترت نساً منها حرف من جنسها) ^(٥٨) وقد تقدم الكلام على ذلك، وأن حروف المد واللين هي حركات مشبعة، فحيث وقعت هذه الحروف وكيف وجدت يكمن فيها امتداد ولين، ولا يمكن حروف لين إلا بعد أن يكن (سواء كان يتبعهن بعضهن غير مدغمات) ^(٥٩)، إلا أن أصوات هذه الحروف تتطول وتمكّن

(٥٧) التفكير الصوتي عند العرب ص ٨٠ وما بعدها.

(٥٣) الخصائص ٢: ٣٢٤.

(٥٨) الخصائص ٣: ١٢١.

(٥٤) الخصائص ٢: ٣٢٥.

(٥٩) الخصائص ٣: ١٢٤.

(٥٥) الأصوات اللغوية ص ٣٦.

(٥٦) التفكير الصوتي عند العرب ص ٦٦.

المدة فيها في ثلاثة مواضع، وذلك إذا جاءت بعدهن الهمزة، أو الحرف المشدد، أو إذا وقف عليها عند التذكر.

قبل الهمزة:

وذلك نحو كسأء ورداء، وخطيبة ورزينة ومقرودة ومحبوبة، ولو قرنت هذا بقولك كتاب وحساب، وسعيد وعميد، وضروب وركوب، لوجدت الفرق بينها، فانت لا تجدهن في كتاب وما بعدها (لدنات ولا ناعمات ولا وايفيات مستطيلات)^(٦٠). كما تجدهن في كسأء وما بعدها، والسبب في ذلك (أن الهمزة حرف نائي منشورة، وتراخي مخرجها، فإذا أنت نطقت بهذه الأحرف المضمة قبله ثم تناولت بهن نحوه طلن وشعن في الصوت فوفين له وزدن في بيانه ومكانه)^(٦١).

وقد حاولت مطر الصوت في لفظي كسأء وكساب فلم أجده فرقاً ملحوظاً كالذى عبر عنه بالمقاربات في لدنات ناعمات وايفيات مستطيلات مع أنها اخترنا الباء وهي من الشفة مقابلة الهمزة التي نائي مخرجها، وكذلك الأمر في مثل خطيبة وخطيبة، ومقرودة ومقرودة، ولم أجده فرقاً أيضاً في مدى الصوت في هذه الكلمات المذكورة في النطق بها من غير مطر، ولست أدرى أمرد ذلك إلى اختلاف طريقتنا في نطق المدة قبل الهمزة عما كان النطق عليه في زمن ابن جني، أم هو ضعف مني في تقدير الفرق بين الصوتين. وقد نطقت بهذه الألفاظ أمام بعض السامعين فكان حظهم كحظي في عدم التفريق.

قبل المشدد:

وذلك قولهم شابة، وقضيب بكر، وقد قوصر بما عليه، والعلة في تناديهن ووفائهم إذا جاء المشدد بعدهن أن حروف المد واللين سواكن، وأول الحرفين عند التضييف ساكن أيضاً والتقاء الساكنين في الحشو عندهم مرغوب عنه فجعلوا طول هذه الحروف (ووفاء الصوت بها عوضاً ما كان يجب لالتقاء الساكنين من تحريكها)^(٦٢). وحروف المد الثلاثة هذه ليست متفقة في الطول ووفاء الصوت إذا جاءت قبل المشدد، وإنما يكون الحرف الأكثر رسوخاً في المد وهو الألف أولى صوتاً من الياء والواو، ثم يأتي بعده الياء ثم الواو، لقرب الياء من الألف وبعد الواو عنها ولذا كان المد في شابة أولى صوتاً من الواو والباء، والباء في قضيب بكر أولى من الواو في قوصر.

(٦٠) الخصائص: ٣: ١٢٥.

(٦١) الخصائص: ٣: ١٢٦.

أما كون الألف في شابه أقوى صوتاً من الياء في قضيب بكر والواو في قوص فمسلم باللحظة التجريبية وذلك بأنّ نحاول نطق هذه الصوائت بأقل مقدار ممكّن لا يخلّ به باعتباره صائتاً طويلاً. إلا أن الصعوبة تظهر بوضوح في محاولة إيجاد الفرق بين وفاء الياء والواو في اللقطتين.

وقد ذكر الدكتور فليش أن إطالة المد في شابة مثلاً تغير التقسيم المقطعي للكلمة فهي من غير إطالة: شاب- بـ تن، حيث أغلق المقطع الأول، أما على الطول الذي ذكره ابن جنی فالأمر مختلف، وذلك أنه يدعونا كما عبر فليش (إلى أن نقسم الكلمة هكذا: شا- بـ تن)^(٦٢) وبذلك يبقى المقطع الأول مفتوحاً بالمصوت الطويل (ويتيح له أن يعتمد على الصورة التي يتصورها ابن جنی من أجل التفرقة)^(٦٣).

عند التذكرة:

وذلك إذا وقفت على أحد هذه الحروف وأنت تذكر ما بعده ولم تُقطع الكلام حتى لا يظن السامع أنك قد أنهيت كلامك، كقولك: أخواك ضرباً، وأنت ت يريد أن تذكر المعمول به أو الظرف كأن يكون زيداً أو غيره، فلو لا مطرالألف وإطالة الصوت بها لما علم أنك متذكر (ولا وهمت كل الإيمام أنك قد أتممت كلامك ولم يبق من بعده مطلوب متوقع) (٦٣).

والعلة في مطل الصوت بهذه الحروف عند التذكر أن مطلها هو الدليل على أن المتكلم متذكر، لأن حرف المد إذا وقف عليه ضعف وتضاءل ولم يف منه، وهو حينئذ أضعف منه حين يكون بين الحرفين، وقد أحس العرب بأن الوقف على حرف المد ينقصه ولا يفي به فألحقوه بهاء في الوقف عند النسبة فقالوا: وازيداء، واغلامكية، واغلامهوة، فإذا وصلوا حدفوا الهاء لقيام الحرف التابع لهذه الحروف مقام هاء السكت في اطالة الصوت بها، فيقال: وازيدا لقد كان كريما (والمعنى الجامع بين التذكر والنسبة قوة الحاجة إلى إطالة الصوت في المضعين) ^(٦٤).

^{٦٢}) التفكير الصوتي عند العرب ص ٦٩.

٦٣) اخلاقیات

١٢٩٣ (٤)

الفصل الخامس

التعليق الصوتي

من مظاهر اللغة التي تعنى الدراسة الصوتية بها الادغام والابدال والاعلال. وقد تناول ابن جني هذه الظواهر وعنه فيها تعليقات صوتية تفصل الكلام عليها فيما يأتي :

الادغام :

علل سيبويه كلامه على صفات الحروف ومخارجها بأنه إنما فعل ذلك (لتعرف ما يحسن فيه الادغام وما يجاز فيه، وما لا يحسن فيه ذلك ولا يجوز فيه، وما تبدل له استثناؤه كما تدغم)^(١). وكان دراسة مخارج الحروف وصفاتها إنما هي توظئة لدراسة الادغام. وقد ذكر ابن جني (أن الادغام المألف المعتمد إنما هو تقرير صوت من صوت)^(٢). وأنه على ضربين : أكبر وأصغر.

الادغام الاصغر

أما الادغام الاصغر (فهو تقريرُ الحرف من الحرف وادناؤه منه من غير ادغام يكون هناك)^(٣). وهذا النوع من الادغام على قسمين :

الأول : يتمثل في بعض اللهجات العربية دون بعض كالمالة في مثل عالم^(٤) وابدال تاء الافتعال حرقا يجنس الفاء في مثل أذكرا واسم^(٥) ، وتقرير السين من الحرف المستعلي إذا وقعت قبله بقلبه صادا كقولهم في سقت صفت^(٦) ، وكالتبع الصوت من الصوت مع حروف الخلق نحو شِعْر ورِغْيف^(٧) وكالاتبع في قولهم الحمدُ لَهُ والحمدُ لِلَّهِ^(٨) وكقلب

(١) الكتاب : ٤٠٧ : ٢

(٢) الخصائص : ١٣٩ : ٢

(٣) نفسه : ٢ : ١٤١

(٤) نفسه : ٢ : ١٤٢

(٥) الخصائص : ٢ : ١٤٢

(٦) نفسه : ٢ : ١٤٣

الصاد زايا لاجل الدال في نحو قولهم مزدر في مصدر^(٦) وكالاشمام في قولهم مررت بمذعور وابن بور^(٧). وهذا كله تناولناه مفصلاً في موضعه في باب اللهجات.

الثاني: يتمثل في لغة العرب عامة وهو عدة اضرب:

١- الابدال في تاء الافتعال من غير ادغام نحو اصطبر وازادان^(٨)

٢- الابدال في تاء الافتعال ثم الادغام التقاطاً من غير قصد نحو اطْرَدْ وادْعَى^(٩).

٣- الابدال في تاء الافتعال ثم قلب الفاء حرف يجنس الحرف الذي قلب عن تاء الافتعال نحو ادْكَر^(١٠).

٤- قلب السين تاء في قولهم في العدد ست واطلها سدس^(١١).

وهذا كله بحثه في الابدال أولى من بحثه في الادغام كما أرى لأن حقيقة الأمر أنك أبدلت حرف من حرف وان كانت العلة تقريب الصوت من الصوت، ولذا رأيت أن أبحث هذه الجزيئات مما أطلق عليه الادغام الاصغر في باب الابدال.

فعل- يفعل.

وما يمكن النظر إليه هنا أعني في باب الادغام الاصغر، الباب الثالث من ابواب الثلاثي: فعل- يفعل ، فقد ذكر ابن جنني أن العرب حين فتحت العين في مصارع مفتوح العين ما كانت عينه أو لامه من حروف الخلق إنما كانت بذلك تقرب الصوت من الصوت وهو ضرب من الادغام الاصغر، فالآلاف عنده مخرجها الخلق والفتحة بعض الآلف فناسب العرب بين حرف الخلق في عين الفعل أو لامه والفتحة لما لها من علاقة بالخلق قال: (ومن ذلك أيضاً قولهم فعل - يفعل ما عينه أو لامه حرف حلقي نحو سأّل يسأل وقرأ يقرأ وسرع يسرع وقمع يقمع وسحل يسحل وسبح يسبح وذلك أنهما ضارعوا بفتح العين في المصارع جنس حرف الخلق، لما كان موضعاً منه مخرج الآلف التي منها الفتحة)^(١٢).

وتعليل فتح العين في مصارع المفتوح بمناسبة الصوت نجده عند سيبويه حيث ذكر إنما فتحوا حروف الخلق لأن الفتحة بعض الحرف الذي في حيز حروف الخلق وهو الآلف . ولم يحركوها بالكسر أو الضم لأنهما بعض حرفين متبعين عن الخلق قال في تفصيل ذلك: (وإنما فتحوا هذه الحروف لأنها سفلت في الخلق فكرهوا أن يتناولوا حركة ما قبلها

(٦) نفسه: ٢: ١٤٣.

(٧) نفسه: ٢: ١٤١.

(٨) المختار: ٢: ١٤٣.

(٩) نفسه: ٢: ١٤٢.

حركة ما ارتفع من الحروف، فجعلوا حركتها من الحرف الذي في حيزها وهو الألف، وإنما الحركات من الألف والواو والياء لأنها من الحروف التي ارتفعت، والحرف المرتفعة حيز على حدة، فإنما تتناول للمرتفع حركة من مرتفع وكره أن يتناول للذى قد سفل حركة من هذا الحيز^(١١).

وقد ذكر الرضي أن العلماء وجدوا حروف الخلق في هذه الأفعال التي فتحت عينها المضارع، ولم يجدوا الفتح مع غيرها، مع ما فيها من معنى يقتضي الفتح فغلب على ظنهم أن هذه الحروف هي علة الفتح (ولما ثبتت هذا الفتح إلا مع حروف الخلق غلب على ظنهم أنه لا مقتضى له غيرها)^(١٢).

وأرى أنتستطيع أن تستعي لفظة المماثلة assimilation من علم اللغة الحديث للتعليل الذي قدمه العلماء العرب للفتحة مع حروف الخلق ذلك لأن الأصوات اللغوية يتاثر بعضها ببعض وهي في هذا التأثير (تهدف إلى نوع من المماثلة أو المشابهة بينها). . ويمكن أن نسمى هذا التأثير بالانسجام الصوتي بين أصوات اللغة^(١٣). والانسجام الصوتي واضح بين الفتحة التي هي بعض الألف وحروف الخلق.

الإدغام الأكبر

أما الإدغام الأكبر فهو الإدغام حقيقة، وإذا أطلق لفظ الإدغام كان هو المراد دون الأصغر. وهو على ضربين:

الأول: (أن يلتقي المثلان على الأحكام التي يكون عنها الإدغام فيذغم الأول في الآخر).^(١٤) . وذكر أن الحرف الأول من المثلين أما أن يكون ساكناً في الأصل كالطاء الأولى من قطع والكاف من سكّر، وأما أن يكون متحركاً في الأصل ولكنه يسكن لأجل الإدغام نحو الدال من شدّ واللام من معتل، وذلك أن شدّ أصلها شدّ لاماً من باب نصر، ومعتلاً مفتل من العلة فأصله معتل.

الثاني: (أن يلتقي المترابيان على الأحكام التي يسوغ معها الإدغام فتقلب أحدهما إلى لفظ صاحبه فتدغم فيه).^(١٥) . ومثل لذلك بكلمة وَدَ في اللهجة التميمية. وأصلها وتسكت الناء كياسكت اللام في نحو عَلِم، ثم قلبت دالاً وادغمت في الدال. وقد مر ذلك في اللهجات ومنه أيضاً آخى وأماز، واصبر واثقل عنه.

(١٤) الخصائص ١٤٠: ٢.

(١١) الكتاب ٢٥٢: ٢.

(١٥) الخصائص ١٤٠: ٣.

(١٢) شرح الثافية ١: ١١٧.

(١٣) الأصوات اللغوية، ص ١٧٩.

وقد ذكر ابن جني أن العرب حين ادغموا (إنما فعلوا ذلك كراهة اجتماع مثليين متحركين).^(١٦)، وان المعنى الجامع للإدغام إنما هو تقريب الصوت من الصوت، وعبر عن نطق الحرفين المدغمين باختفاء الأول في الثاني (حتى نبا اللسان عن نبأ نبأ واحدة).^(١٥) . وقد جعل بعض علماء اللغة المحدثين (فندريس) هذه النبأ الواحدة بالصوت ممثلة لحرف واحد طويل، فالحرف الصامت المضعف، أو الساكن المضعف كما عبر عنه؛ ليس سوى حرف واحد طويل ينطق بقوة أشد مما في حالة التصوير فإن (مجموعة مثل atta آتا، تتميز عن المجموعة atta بوجود مسافة بين الحبس والانفجار يمكن للأذن أن تقدرها، ومن الخطأ أن يقال بأنه يوجد ساكنان في atta آتا وساكن واحد في atta آتا، فالعناصر المحصورة بين الحركتين في كلتا المجموعتين واحدة: عنصر انحباسي يتبعه عنصر انفجاري، ولكن بينما نجد العنصر الانحباسي في atta يتبعه العنصر الانفجاري مباشرة نجد في atta ينفصل عنه بمسافة يطيل مدى الأغلاق).^(١٧) . وأشار كاتبنا إلى فكرة الإطالة هذه في المشدد بقوله : (إن التشديد لا يغير من طبيعة الحروف الخاصة بل يطيل مداها فقط)^(١٨) ، وهي عبارة قد يفهم منها أنه يوافق فندريس ، إلا أن الذي يجعلنا نتردد في القطع قوله في موضع سابق : (الحروف المضيفة وهي التي يمتد النطق بها فيضاهاي مداها مدى حرفين بسيطين تقريباً).^(١٩)

وقد تنبه ابن جني إلى مثل ما ذكره فندريس ولكنه كان أكثر دقة وعناية حين قال : (وذلك أن الإدغام إنما ينبع عن المثنى نبأ واحدة فصار بذلك كالحرف الواحد).^(٢٠) . فيما إذ بهذه النبأ الواحدة كالحرف الواحد ولكنهما ليسا حرفاً واحداً.

والرأي عندي ما قاله ابن جني من أن اللسان قد ينبع عن حرفين نبأ واحدة ولكنهما بسبب النبأ الواحدة صارا كالحرف الواحد . ويبدو أن فندريس يطلب لأنثبات الصامتين في آتا أن يكون عندنا عنصر انحباسي ثم انفجاري يتبعه عنصر انحباسي آخر ثم انفجاري ، إذ التاء تكون من انحباس الهواء ثم انفجارة فـاما مدعا ندعى وجود تاءين فعلينا أن نثبت وجود صامتين أو ساكنتين في كل منها عنصر الانحباس والانفجار . والجواب عن ذلك أننا نرى أن الصامت سواء كان انفجاريأً أم احتكاكياً إذا طال الوقوف عليه واتبع بصائت طويل أو قصير نتج منه صامتان من النوع نفسه ، ومهما أطلت الوقوف فلن يكون ثلاثة صوات ، أما الصائق الطويل الذي هو حركة مشبعة فـكانه حركة حركتان أو صائستان قصيرة إن اجتمعا فإنك مهما أطلت الوقوف عليه فلن يكون إلا صائتاً طويلاً واحداً . وقد نقل ابن جني أن رجلاً زعم أنه يستطيع أن ينطق بالفين مرة واحدة

١٦ (١٦) المصنف ١: ٩٠ .

١٧ (١٧) اللغة، ص ٤٩ .

١٨ (١٨) دروس في علم أصوات العربية، ص ٣٩ .

أمام أبي إسحاق، ومد صوته بالألف وطوله فقال أبو اسحاق للرجل (لو مددتها إلى العصر ما كانت إلا الفاً واحدة.)^(٢١)

وعروض الشعر خير دليل على ما نقول، فالحرف المشدد يقابل حرفين في التفعيلة ومهمها اطلنا الوقوف عليه فإنه لن يقابل حرفًا ثالثة كالميم في قولنا:

أما أخرى

وهي تقابل السين والباء في مستفعلن. الكلمة أما تتمثل مقطعين مغلقين: أم + ما، ولا يمكن أن ندعى أنها تساوي أما التي تمثل مقطعين الأول مفتوح والثاني مغلق أ + ما.

أما إذا كان الصامت غير متبع بصائب طويل أو قصير أي إذا كان في نهاية مقطع مغلق فإنه لا يمثل سوى حرف واحد منها أطلت الوقوف عليه، وذلك لأنه لا يمثل حينئذ سوى نهاية مقطع مقلل، كالميم من: لم يكتب، إذ هي حرف واحد منها أطلت الوقوف عليها وهي تقابل السين في مستفعلن.

ولعل الذي أوهم فنديريス أنه تذوق الحرف المطلوب معرفته مجردًا من الصائبات بعده وهو أمر طبيعي في تذوق الحروف فرأى أن الثنائيين في atta كالباء الواحدة في atta، وهذا صحيح إذا أخذنا الثناء لوحدها إذ هي حينئذ تمثل صوتًا صامتاً من غير صائبات يلحقه، وهو غير ما يتحدث عنه أهل اللغة حين يقولون الحرف المشدد إذ هم يريدون حرفًا ساكنًا ادغام في مثله المتحرك، فالحركة في الثاني هي التي تظهر لنا الفرق بين الوقف على الحرفين المدغمين والحرف الواحد من غير إدغام وإن كان الزمن المستغرق في الوقف واحدًا ويمكن إدراك ذلك بوضوح في الميمين من لم نكتب ولما نكتب بأن نقف مدة على الأول ونتنقل إلى النون ثم نقف المدة نفسها على الثاني ونتنقل إلى الألف.

ويمكن أن نقول في المثال الذي أورده فنديريس إنه حدث تداخل في العناصر أثناء النطق بعد أن كان الصوت يمثل انحباساً يتبعه انفجار، يرتفع اللسان على أثره من موضع الحرف فيؤدي ذلك إلى الوقفة التي ذكرها ابن جني بقوله: (لوتكلفت ترك ادغام الطاء الأولى لتجشمت لها وقفه عليها تمتاز من شدة مجازتها للثانية بها كقولك قططع)^(٢٢)، ويعود اللسان ثانية بانحباس يتبعه انفجار في الموضع نفسه، تداخل الانحباسان ليكونا انحباساً واحداً فيه شدة، وتداخل الانفجارات ليولدان انفجاراتًا واحدًا فيه شدة أيضًا، وهذه الشدة في ضغط اللسان على الموضع عند الحبس وعند الانفجار مهمة في بيان الفرق بين الصوتين ولا يجوز اغفالها، ولذا لا نوافق فنديريس على رأيه في ترك مسألة الشدة جانبًا لترى انه لا يوجد ساكنان في atta بل ساكن

(٢١) الخصائص: ٤٩٣.

(٢٢) الخصائص: ١٤٠.

واحد، إذ يقول: (. . . فيا سمي بالساكن المضعة وهي ليست إلا ساكن طويلة كأنها تنطق بقوة أشد مما في حالة القصيرة، فإذا تركتنا مسألة الشدة جانباً وجدنا مجموعه مثل atta . . .)^(٢٣). فهذه الشدة من علامات ادغام الحرفين.

وقد ذكر ابن جني أن الغرض من الإدغام إنما هو تقويب الصوت من الصوت وأوضح ذلك بأن الأول إذا كان ساكناً وادغمه في مثله فقد قربته منه ونبا لسانك عنها نبوة واحدة وتجاوزت الوقفة التي كانت تكون في الأول ل ولم تدعمه.^(٢٤) فاما إذا كان الأول منها متحركاً فأمسكته وادغمه، فهذا أوضح من الأول في قصد التقويب وذلك انك قد أزلت عنه الحركة التي تكون حاجزاً بينه وبين مثله (التحاطط بالثانية وتجذبه إلى مضامنته ومماسة لفظه باللفظ)^(٢٤)، وأما إذا كان الحرفان مختلفين وقلبت أحدهما وادغمت، فلا شك في انك إنما فعلت ذلك إيثار التقويب أحدهما من الآخر (إن قلب المقارب أو كد من تسكين النظير).^(٢٤)

وعلى أن العرب تكره اجتماع المثلين المتحركين كما تقدم فتعمد إلى إسكان الأول ليتأتي لها الأدغام، إلا أنه ذكر من الصيغ ما ورد بفك الإدغام عنهم مع احتوائهما على مثلين متحركين، كيافي الملحق نحو جلب، وفي افعل غال العين فيه تاء نحو اقتل، وفي نون الوقاية إذا التقى بثون قبلها نحو يمكنتي ويضر بوني.

الملاحق:

الأخلاق كما فسروه أن تزيد حرفأً أو حرفين على تركيب، زيادة غير في افاده معنى، ليصير ذلك التركيب بتلك الزيادة مثل الكلمة أخرى في عدد الحروف وحركاتها المعينة والسكنات.^(٢٥).

وقد ذكر ابن جني أن الكلمة إذا كانت ملحقة وفيها حرفان مثلان متحركان لم يجز إسكان الأول وإدغامه في الثاني نحو جلب وشملل ومهدد وقردد، وسيهلهل وقفعدد، وقد علل ترك الإدغام بانك إنما أردت بهذه الزيادة أن تبلغ بالكلمة مثلاً معلوماً تقابلها بحر كاته وسكناته فلو سكنت وادغمت انتقض (غضبك الذي اعتزمه، ونقض ما رمته، فاحتمل النساء المثلين المتحركين لما ذكرنا من حراسة هذا الموضع وحفظه).^(٢٦) والتعليق بهذا المعنى تابع فيه ابن جني

(٢٣) اللغة، ص ٤٩.

(٢٤) الخصائص ٢: ١٤٠.

(٢٥) شرح الثافية ١: ٥٢.

(٢٦) الخصائص ٣: ٢٣٣ وانظر أيضاً الخصائص ١: ١٢٧.

سيبوه حيث قال: (... لم تسكن الأهل فتدغم وذلك قوله قد لا نك أردت أن تلتحقه بجعفر وسلبه).^(٢٧)

افتعل مما العين فيه تاء

أورد ابن جني كلام المازني في التصريف في ترك ادغام التاءين إذا قلت اقتتلوا ويقتلون ووافقه على ذلك. وقد قال المازني وهو يعلل ترك الادغام ان (تاء افتعل لا يلزمها أن يكون بعدها تاء ابدا، ألا تراها في اكثر الكلام تجيء وحدها ليس بعدها مثلها وذلك مثل اغتلم واحتلم واجتب واكتال، وذلك أكثر من أن يحصى).^(٢٨) وقد زاد ابن جني على كلام المازني وهو يوضحه أن دالي رددت مثلاً لا تستغنى احداهما عن الآخر في كل موضع اما تاء افتعل (فلا يلزم أن يكون بعدها ابداً تاء)^(٢٩). وهذا في هذا متابعان لسيبوه الذي علل ترك اسكان التاء الأولى في اقتتلوا أو ادغامها بأنه (قد تقع بعد تاء يفتعل العين، وجحيم حروف العجم).^(٣٠)

والذى أراه أن الأمر يتعلق بالصوت أكثر من تعلقه بتلازم الحرفين أو افتراقهما، ولو كان عدم لزوم الحرف مانعاً من الادغام أو مجوزاً ترك الادغام ما ادغمت الطاء في الطاء في مثل اطلع. وأرى أن ترك الادغام في افتعل إذا كانت العين تاء يمكن أن يقال في تعليله إنه كان للمحافظة على الصيغة كي يبقى المعنى المراد من تلك الصيغة واضحاً في ذهن السامع، إذ لو أردنا ادغام المثلين لكان لزاماً أن نسكن الأول أي تاء افتعل، والفاء سائنة فيلتقي ساكنان وفي النطق مع ابقائهما مشقة وكلفة لأنها تكون حينئذ إقتل، وقد ذكر الرضي أن بعضهم اجاز حذف حركة أول المثلين في افتعل من غير أن يحرك الفاء بحركة وعقب على ذلك بقوله: (فيجمع بين ساكنين وهو وجه ضعيف ينكره أكثر الناس، والأولى أن ما روى مثله عن العرب اختلاس حركة لا اسكان تام).^(٣١) فينبغي أن تحرك الفاء بالكسر على أصل التقاء الساكدين ولمناسبة كسرة الممزة قبلها، أو بالفتح للتخفيف، وحينئذ تُحذف همزة الوصل إذ لا حاجة إليها بعد تحريك الفاء كما حذفوها حين حركوا الفاء في مثل رد إذ أمروا فقالوا رُد.

وقد ذكر ابن جني أن من العرب من يدغم فيقول: (قتلوا، ومنهم من يقول قتلوا، ومنهم من يقول: قتَّلوا).^(٣٢) ويلاحظ أنه في هذه الألفاظ جميعاً لم تبق صيغة افتعل حاضرة

(٢٧) الكتاب ٢: ٤٠١.

(٢٨) المصنف ٢: ٣٣٥.

(٢٩) نفسه ٢: ٣٣٦.

(٣٠) الكتاب ٢: ٤١٠.

(٣١) شرح الشافية ٣: ٢٨٥.

(٣٢) المصنف ٢: ٣٣٦.

بعناتها في الذهن، وزادت الأولى على الآخرين أنها البست صيغة افعل بصيغة فعل.

نون الوقاية

ذكر ابن جني أن ترك الادغام جائز (في نحو يضر بوني ويضر باني ويمكنني ويدفني)، وإن كان المثلان متحركين في الكلمة واحدة لأنه لا يلزم الأولى أن يكون بعدها مثلها^(٣٣). وهذا الذي ذكره يحتاج إلى فضل تأمل. فقد ذكر سيبويه نون الوقاية مع نون الأفعال الخمسة بما يشعر أنها من باب المثلين المتحركين في كلمتين وليس في الكلمة واحدة كما عمن ابن جني إذ جعل سيبويه النونين في يظلموني كاللامين في المال لك، كذلك يفهم من عبارة سيبويه أن ترك الادغام هو الأصل لأن قبل المثلين حرف ساكن وإن كان هذا الساكن حرف مد وهو في باب الادغام بمنزلة حرف متحرك وبهذا المعنى جاز الادغام، قال: (وإذا التقى الحرفان المثلان اللذان هما سواء متحركين، وقبل الأول حرف مد فإن الادغام حسن لأن حرف المد بمنزلة متحرك في الادغام، ألا تراهم في غير الانفصال قالوا رأد وعمود الثوب وذلك قوله الملال لك وهم يظلماني وهما يظلماني وأنت تظلميني، والبيان هنا يزداد حسنا لسكون ما قبله)^(٣٤). فقول ابن جني إنما جاز الظهور في نحو يضر بوني، وتعليله ذلك بأن الأولى لا يلزم أن يكون بعدها مثلها، مخالف لذهب سيبويه الذي ذكرناه آنفا، إذ السؤال ينبغي أن يكون عن الفرع لا الأصل، أعني أن يقال لم جاز الادغام، لا أن يقال لم جاز الظهور. ويلاحظ أن سيبويه لم يذكر في باب الادغام مع نون الوقاية سوى الأفعال الخمسة، أما المازني وتبعه ابن جني فقد ذكر ما كان لامه نونا معها نحو يمكنني ويدفني، والظهور كما قلت لا يسأل عنه لأنه الأصل إذ هما من كلمتين وليس من الكلمة واحدة، وإنما يكون السؤال عن الادغام وقد علل ابن جني ذلك بقوله: (ومن يدغم يجريه مجرى اللازم)^(٣٥) أي أن النون الثانية وإن لم تكن لازمة للأول فقد اجراها من ادغم مجرى ما كان الثاني فيه ملازما للأول كالدال من رد واللام من مل. ولو ذهب إلى أن من ادغم جعل نون الوقاية كالجزء من الفعل لكن قوله.

الابدال

الابدال كما ذكروا: (جعل حرف مكان غيره)^(٣٦) فإن كان في حروف اللين بحث تحت الاعمال، وإن كان في الحروف الصامتة فاما أن يكون مثلا للهجات العربية، وإما أن يكون في لغة جهور العرب.

(٣٥) المنصف ٢: ٣٣٧.

(٣٣) المنصف ٢: ٣٣٧/٢.

(٣٦) شرح الشافية ٣: ١٩٧.

(٣٤) الكتاب ٢: ٤٠٧.

وقد بحثنا الابدال في اللهجات العربية في الفصل الذي عقدها له في باب اللهجات، والابدال الذي تتناوله هنا هو ما كان في جمهور لغة العرب مما عبر عنه ابن جني بالادغام الاصغر الذي هو تقريب صوت من صوت من غير ادغام يكون هناك، أو ما يكون الابدال للتقريب هو الأصل فيه ثم يدخله الادغام التقاطاً من غير قصد. وقد وجدت أن المطرد من ذلك في لغة العرب وذكره ابن جني ما كان في تاء الافتعال وما تصرف منه وفي التون الساكنة إذا وليها ميم أو باء وفي تاء ست.

صيغة افتعل

تزيد العرب الهمزة والتاء على فعل معانٍ تريدها من صيغة افتعل^(٣٧) فلما وجد العلماء في موضع التاء غيرها كالطاء في اضطراب والدال في ازدرع حكموا بأن هذا الحرف مبدل من تاء الافتعال. كذلك وجدوا الفاء في افتعل قد جعلت تاء وادغمت في تاء الافتعال في مواضع كقوفهم من وزن آثرٌ ومن يسٌ أتبسٌ فحكموا عليها بالابدال ايضاً. وقد ابدلت التاء طاء في مواطن كقوفهم اصطبر وااضطراب واطرب واظهرت ب حاجتي (وأصل هذا كله اصطبر وااضطراب واظهر واظهر)^(٣٨). ودالا في مواطن اخرى كقوفهم : ازدان وادعى وادذكر^(٣٩). والتاء والطاء والدال ثلاثتها من خرج واحد كما تقدم في فصل أصوات الحروف غير أن التاء مهموس نظيره المجهور الدال، والطاء مجهور ايضاً عند العلماء العرب فهو كالدال إلا أنه مختلف عنه بما فيه من اطباق، ولم تبدل تاء الافتعال إلى غير اختيائها، إلا ما كان في بعض اللهجات العربية من ابدال التاء حرفاً يجنسه فاء افتعل وادغامه فيه كقوفهم آثار وادذكر واصلح^(٤٠) من الثأر والذكر والصلح، وقد عرضنا لذلك في الابدال في اللهجات.

وعلة اقلاب التاء طاء أو دالا كما ذكر ابن جني تقريب الصوت من الصوت وادناؤه منه^(٤١) وعبر عن ذلك في موضع آخر بالتجنيس حيث قال (والعلة في أن لم ينطق بتاء افتعل على الأصل . . . انهم أرادوا تجنیس الصوت، وأن يكون العمل من وجه بتقريب حرف من حرف . . . فهذا يدلّك من مذهبهم على أن للتجنيس عندهم تأثيراً كبيراً)^(٤٢). وفصل هذا التقريب أو التجنيس وتعليقه في أكثر من موضع من كتبه فمن ذلك كلامه على ابدال التاء طاء مع الصاد والضاد والطاء والطاء وهي حروف الاطباق، وقد علل الابدال في المنصف بذكر استعلاه

(٣٧) انظر في معاني افتعل شرح الشافية ١: ١٠٨ - ١١٠.

(٣٨) سر الصناعة ١: ٢٢٣.

(٣٩) المخصائق ٢: ١٤٢ . . .

(٤٠) سر الصناعة ١: ١٩٠ . . .

(٤١) المنصف ٢: ٣٤٤ - ٣٤٥ . . .

هذه الحروف من غير إشارة إلى الأطباقيها، مما يورد عليه بقية الحروف المستعملة حيث ذكر أن التاء حرف غير مستعمل وهو حرف مستعمل وهو الطاء (فأبدلوا من التاء ما هو مستعمل من حيزها وهو الطاء) ^(٤٢). وحصره العلة بالاستعلاء يورد عليه نحو اختياره وأقرب لأن هذه الثلاثة أعني الخاء والغين والقاف مستعملة أيضاً. وعبارة في سر الصناعة خير منها في المنصف حيث ذكر الأطباقي وحده حيناً، وهو معنون ذكره أيضاً مع الاستعلاء وبهذا اخرجت الخاء والغين والقاف لأنها وإن كانت مستعملة إلا أنها ليست مطبقة. فكان تعليم الابدال عنده وإن التاء مهمومسة وهذه الأحرف مطبقة فقربوا التاء من (لفظ الصاد والضاد والطاء) ^(٤٣) بأن قلبوها إلى أقرب الحروف منه وهي الطاء، لأن الطاء أخت التاء في المخرج وأخت هؤلاء الأحرف في الأطباقي والاستعلاء، وقلبوها مع الطاء طاء أيضاً تلاؤفها في الجهر والاستعلاء ولذلك الصوت متتفقاً ^(٤٤).

هذا إذا كانت الفاء من حروف الأطباقي، فإن كانت فاء افتتعل زايا أو دالاً أو ذالاً قلبت التاء دالاً ^(٤٥)، وقد علل ابن جنني هذا الابدال بأنها (لما كانت مجهرة وكانت التاء مهمومسة، وكانت الدال أخت التاء في المخرج وأخت الزاي في الجهر قربوا بعض الصوت من بعض فأبدلوا التاء أشبه الحروف من موضعها بالزاي وهو الدال) ^(٤٦). وبهذا أيضاً علل ابدالها مع الذال ^(٤٧) وحل قلبهما مع الدال دالاً على الزاي حيث قال: (... قلبت تاء آذعني دالاً كقلبها في ازدان) ^(٤٨).

هذا التعليم الذي ذكر لابدال تاء الافتتعل مع حروف الأطباقي طاء ومع الزاي والذال والدال دالاً، أرى أنه بحاجة إلى زيادة إيضاح، فإذا كانت التاء قد أبدلت لأنها حرف مهمومس جاء بعد حروف الأطباقي فهل معنى ذلك أن كل حرف مهمومس يأتي بعد مطبق ساكن يلزم فيه الابدال؟ واقع اللغة لا يؤيد هذا فالفاء مثلاً مهمومسة وقد قال العرب يظفر ويطفع، والخاء مهمومسة وقالوا: يصحب ويطعن، وقالوا مع اهاء: يظهر ويصهر.

الذي أراه في هذا أن الأمر لا يتعلق بصفة الهمس التي في التاء وحدها، وإنما بصفة الشدة التي فيها أيضاً مع قرب مخرجها من الحروف التي أبدلت معها. فحروف الأطباقي تحصر كمية من الهواء بين أقصى اللسان وأقصى الحنك يمتد إلى موضعها من طرف اللسان (فالصوت محصور فيما بين اللسان والحنك إلى موضع الحروف) ^(٤٩). ولا شك في أن الجهد

^(٤٦) سر الصناعة : ١ : ٢٠٠.

^(٤٢) المنصف : ٢ : ٣٢٧.

^(٤٧) المنصف : ٢ : ٣٣١.

^(٤٣) في المطبع الطاء، وهو خطأ.

^(٤٨) الخصالص : ٢ : ١٤٢.

^(٤٤) سر الصناعة : ١ : ٢٢٣.

^(٤٩) الكتاب : ٢ : ٤٠٦.

^(٤٥) الخصالص : ٢ : ١٤٢.

العضو الذي يبذل في اخراج حروف الاطباق باستعمال جevity اللسان أكثر من غيرها مما يستعمل فيه جهة واحدة منه . ويضاف إلى ذلك سكون هذه الأحرف في فاء افتعل الذي يطيل مدة الوقوف عليها ولا يريح اللسان في وضعه ذاك بنطق صائت بعده وفي هذه الحال يكون علينا أن نخرج كمية من الهواء لحرف مهموس وهو التاء مع علمتنا بأن (الصوامت المهموسة) يحتاج نطقها إلى قوة من إخراج النفس أعظم من التي يتطلبها نطق الصوامت المجهورة^(٥٠) . يضاف إلى ذلك أن الصوامت المهموسة هذا هو حرف شديد ، أو كما عبر عنه المحدثون انفجاري ، والصوامت المهموسة الانفجارية (يكون حبس الهواء فيها أشد حكاما منه في حالة الانفجارية المجهورة)^(٥١) فهو يحتاج إلى جهد يبذل اللسان مباشرة مع اتخاذه وضع النطق بحرف الاطباق من غير فسحه بصائت مع قرب اللسان من موضع التاء في حال الاطباق ، ويمكن أن يلاحظ الفرق بين الجهد مع السكون وبينه مع صائت لو قيل مثلا في أضيق اضيق فالصائت وهو مجهر يحرر اللسان من وضع الاطباق ليعود ثانية لنطق التاء الانفجاري أما من غير الصائت فإنه يكون على اللسان أن ينطق التاء من موضعه في الاطباق فيتحرك طرفه نحو موضع التاء ويلتصق باللثة أو أصول الثانيا ليحبس الهواء حسما تماما ثم ينفرج فجأة محدثا الصوت الانفجاري المهموس ، ولما كان تحريك الفاء من افتعل غير مألف في لغة العرب لكثرة تواли المتحرّكات فقد تحول العرب عن المهموس الانفجاري إلى مجهر انفجاري من موضعه لأنّه يحتاج إلى جهد أقل فاختاروا مع حروف الاطباق الطاء لأنّ وضع اللسان عند النطق به هو عين وضعه قبل النطق به .

وأرى أن هذا ينطبق على الصوت في صيغة افتعل وفي غيرها ، وفي التاء والكاف أيضا وهذا الحرفان المهموسان الانفجاريان في لغة العرب ، فتحن لا نجد بقدر ما بحثت كلمة سكن فيها حرف الاطباق وبعده في حشوها تاء أو كاف .

أما إيدالها دالا مع الزاي والدال والذال فإنه يثير السؤال المتقدم نفسه وهو أكل مهموس يبذل مجهرها بعدها؟ وواقع اللغة أيضا يظهر أن المهموس يأتي بعدها وهي مسكنة في الحشو نحو يزهق ويدفع ويذهب ، فلا بد اذن من البحث عن سبب آخر ، ولا أرى أنها صفة الانفجارية التي فيه مع الهمس ، كما كانت مع حروف الاطباق لأن العرب تقول هذا مزكوم وهو ادken والكاف مهموس انفجاري كالباء .

الذى يتوجه لي في هذا أن العلة في صفة الهمس وقرب المخرج ، ويبدو أن الذوق العربي لم يكن متفقا في هذه الحالة كما اتفق مع حروف الاطباق ، فالحروف القرية المخرج

(٥٠) علم اللغة للسعريان ، ص ١٦٤ .

من التاء^(٥١) ثلاثة منها من بين الاسنان هي الثاء والذال والظاء وستة احرف اسنانية هي النون والسين والزاي والصاد واحتا التاء الدال والطاء . والظاء والطاء والصاد من حروف الاطباق ابدل معها التاء طاء ومضى الكلام عليها . أما الثاء والسين فهم موسان كالثاء وقد ابقيت العرب التاء مع السين وجعلوا استغسل من صيغهم ، أما الثاء والسين فهم موسان كالثاء وقد إذا وقعت في افعل قلبت تاء وادغمت في التاء بعدها وعلل ذلك بأنها مهمومستان (فلما تجاورتا في المخرج ارادوا أن يكون العمل من وجه واحد فقلبوها تاء وادغموها في التاء بعدها ليكون الصوت نوعا واحدا)^(٥٢) . وقد قالوا في افعل من التهيد اترد ومن التأثير ، ولم يتفق العرب على هذا فقد عكس بعضهم قلب التاء ثاء وادغم فتال اثرد واثار وقد من ذلك في الابدال في باب اللهجات .

وأما الذال والذال والنون والزاي فهي مجهرة قريبة المخرج من التاء ابدل الثاء معها سوى النون حرفا مجھورا من مخرجها هو الذال ، أما النون فيبدو أن خروج الصوت بها من الأنف هو الذي جعلهم يستخفون اجتماعها مع التاء من غير أن تبدل لها حرفا مجھورا .

وعلى أنهم قد ابدلوا مع الذال إلا أنهم لم يتلقوا على صورة واحدة فقد ابدل بعضهم التاء دالا وابدل الذال دالا ليديغم فقال : اذكر ، وعليه أكثر العرب ، ومنهم من ابدل الذال دالا وادغم فقال اذكر وعلل ذلك بأنه قلب الزائد للأصلي ، كما أجاز بعضهم بقاء الذال فقال اذ ذكر^(٥٣) .

وقد ذكر أن ما جاز في الذال من ابدل الزائد للأصلي يجوز في الزاي فيقال في ازدجر ازجر ، ولكن لا يجوز ادغام الزاي في الذال أو في التاء فلا يقال في ازدجر : اذجر ولا اتجبر ، قال : لأن الزاي لا تدغم في التاء ولا في الذال لثلا يذهب منها الصفير وطول الصوت لما فيها من الانسال^(٥٤) .

وهذا يقوى ما ذكرناه من أن العرب لم يحسوا في هذه الحروف أعني الزاي والذال والذال كما احسوا مع حروف الاطباق .

وما يدخل في هذا البحث أيضاً ابدلهم فإما افعل تاء وادغامها في التاء^(٥٥) ، إذا كانت الغاء

(٥١) انظر دروس في علم أصوات العربية ، ص ٣٠ .

(٥٢) سر الصناعة ١ : ١٨٩ .

(٥٣) المصنف ٢ : ٣٣١ .

(٥٤) نفسه ٢ : ٣٣٠ .

(٥٥) سر الصناعة ١ : ٦٦٣ .

واوا كقوهم من وزن ايتزن ومن وعد اتعد، قال الاعشى :
 فان تتعذني اتعدك بمثلها وسوف ازيد الباقيات القوارصا
 وقال طرفة :
 فان القوافي يتلجن موالجا تصايق عنها ان تولجها الإبر

وقد علل هذا القلب بأن الواء لوبقيت من غير ابداال فإن اللفظ سيؤول مرة ياء إذا انكسر ما قبلها، ومرة الفاء إذا انفتح ما قبلها، ويعودوا واثالثة إذا انضم ما قبلها، فكان ينبغي أن يقولوا في افتعل يفتعل مفتعل من وعد مثلاً: ايتعد ياتعد متعد، ومن وزن ايتزن ياتزن موتنز ومتزن ولوح ايتلنج يتلنج متلنج، فكرهوا هذا التغيير في اللفظ ولذا (أرادوا أن يقلبوها حرفاً جلداً فتغير أحوال ما قبله وهو باق بحاله وكانت التاء قريبة المخرج من الواو لأنها من أصول الثنائي والواو من الشفة، فابدلوها تاء وادغموها في لفظ ما بعدها وهو التاء). (٥٦)، وذكر أنهم فعلوا هذا في الياء أيضاً حيث كرهوا انقلابها واما متي انضم ما قبلها والفاء متي انفتح ما قبلها (فاجرواها مجرى الواو فقالوا اتبس واتس) (٥٧)، من الييس واليسير، هذا على أن من العرب كما ذكر من لا يبدلها ويرتضى القلب المذكور.

ويلاحظ أنه حين علل قلب الواو تاء بقرب المخرج لم تستقم له العلة مع الياء فتحول إلى التعليل بحمل الياء على الواو.

والذى أراه أن الفاء أقرب إلى الواو من التاء لاشتراكهما في الشفة وكثيراً ما نسمع الفارسية تبدل الواو إلى النظير المجهور للفاء ف(٧) كقوهم في والسلام فالسلام ، والفاء حرف جلد أيضاً تتغير أحوال ما قبله وهو باق على حاله فلو كانت العلة في قرب المخرج وحده لكان ابداال الواوباء أولى من ابداها تاء. ويبدو أنهم أرادوا حرقاً جلداً يكون أقرب الحروف إلى تاء افتعل طلباً للانسجام فلم يجدوا أقرب من التاء نفسها وهي ساكنة تحقق لهم الادغام . فابدلوا الواو تاء وادغموا، وابدلوا الياء تاء وادغموا وهو تعليل يبرر لنا قلب الياء تاء أيضاً ويبعدنا من القول بحمل الياء على الواو في القلب.

ابداال النون :

اعتنت كتب التجويد بابداال النون وادغامه في مجانسه كقوهم في انفعل من معاً امتحى ، وابداالله في اللفظ وادغامه مع بقائه في الخط على ما هو عليه إذا كان وما ادغم فيه في كلمتين نحومن

(٥٦) سر الصناعة ١٦٤: ١

(٥٧) نفسه ١٦٥: ١

مات، أوفي كلمة واحدة الحرف فيها مظلة التحرير في موضع آخر كقوفهم شبناء بالميم، وهذا النوع من الابدال بحثته تلك الكتب في باب الادغام^(٥٨). وقد أشار ابن جنی إلى هذا اشارات طفيفة كحديثة عن الحروف الخمسة التي يدغم فيها ما قاربهن ولا يدغمون هن فيها قاربهن وهي الراء والشين والضاد والفاء والميم^(٥٩). وعلل ترك الادغام في الراء بأن (ادغامها في غيرها يسلبها ما فيها من الوفور بالتكرير)^(٦٠)، وترك الادغام في الضاد (ما فيها من الامتداد والفسو)^(٦١). وترك البحث في تفصيات هذه الدراسة كان طبيعياً لأنه لم يكن يكتب في التجويد إلا أنه اجتهد في أن يستفيد من هذا العلم في الاستشهاد لبعض الأصول التي يذكرها، فمن ذلك قوله: (إن الحركة في الحرف تقويه والسكن يضعفه)^(٦٢)، حيث استدل على صحته بابدال النون مياماً مع البناء فقال: (ألا ترى أنك تقول عنبر وشباء فتقلب النون ميماً في اللفظ لوقوعها ساكنة قبل الباء فإذا تحركت صحت وذلك قوله عنب وشنب)^(٦٣)، فكلامه هنا لم يكن في الأصل على ابدال النون وادغامها وإنما كان يقرر قاعدة في المتحرك والساكن استuan على اثنائهما بما هو معروف في علم التجويد، والمعنى الذي ذكره نجده عند سيبويه حيث نص على أن النون الساكنة إذا كانت مع الباء لم تظهر (وذلك قوله شباء والعمير لأنك لا تدغم النون وإنما تحوها ميماً، والميم لا تقع ساكنة قبل الباء في كلمة فليس في هذا التباس بغيره)^(٦٤).

ومن ذلك أيضاً كلامه على ترك القياس خافة التباس الأصول بعضها حيث ذكر أن القياس في عدد من الكلمات التي جاءت النون ساكنة فيهن قبل الميم نحوزناء وزنم وأمثلة واغمار ان تدغم النون في الميم (ولكن لم يجز ذلك لثلا يلتبس الأصول بعضها بعض ، فلو قالوا زماء وزم لالتبس بباب زمت الناقة . ولو قالوا أمثلة لالتبس بباب أمثلت . ولو قالوا أمثار لالتبس بباب أمرت)^(٦٥) ، وقد قارن هذا المتروك ادغامه بما أبدل وادغم من قوفهم في اتفعل من حماً أعنى وعلل الادغام فيه بهم لم يخافوا (أن يلتبس بشيء لأنه ليس في كلام العرب شيء على اقفل بتشديد الفاء)^(٦٦) . وهذا الذي ذكره ابن جنی في زمانه كان سيبويه قد أورده بعبارة موجزة وكان ما أورده ابن جنی شرح لها حيث قال: (إنما حلهم على البيان كراهة الالتباس فيصير كأنه من المضاعف لأن هذا المثال قد يكون في كلامهم مضاعفاً، الا تراهم قالوا أعنى حيث لم يخافوا الالتباس لأن هذا المثال لا تضاعف فيه الميم)^(٦٧) .

(٥٨) انظر مثلاً قواعد التلاوة ص ٤٧ وما بعدها.

(٥٩) سر الصناعة ١: ٤٧.

(٦٠) نفسه: ١: ٤١٦.

(٦١) المختسب ١: ٤١٥.

(٦٢) المصنف ١: ٤٢١.

(٦٣) نفسه ١: ٢٢١.

(٦٤) الكتاب ٢: ٤١٦.

(٦٥) المصنف ١: ٧٣.

(٦٦) الكتاب ٢: ٤١٥.

الابدال في ست

العرب مجتمعون على نطق اسم العدد هذا بالسين المكسورة والباء المشددة ولم يذكر احد من رجعنا اليهم أية لهجة تختلف ما جمعوا عليه في هذا . وقد ذكر سيبويه ان أصل ست سدس ابدلوا السين الثانية تاء^(٦٧) ، لما كثر استعمالها في كلامهم ، وكانت السين مضاعفة وبين السينين ساكن وهو حاجز ليس قوياً ، وهذا الحاجز الذي هو الدال (مخرجه أقرب المخارج إلى مخرج السين فكرهوا إدغام الدال في زداد الحرف سيناً فلتقتى السينات ولم تكن السين لتدمى في الدال لما ذكرت ذلك^(٦٨) ، ولعله يريد بقوله ذلك مسبق أن ذكره من جواز ادغام الدال في السين وامتناع ادغام السين في الدال (والطاء والدال والباء يدعمن كلهم في الصاد والزاي والسين . . . وأما الصاد والسين والزاي فلا تدميهم في هذه الحروف التي ادغمت فيها لانهن حروف الصفير وهن اندى في السمع^(٦٩) . فلما كرروا ابدال الدال سيناً وادغامها لتوالي السينات والسين لا تدمى في الدال لزوال الصفير منها ابدلوا السين اشبه الحروف بها من موضع الدال وهو الباء كي يتيسر لهم الادغام ولا تتوالى السينات فكأنهم قالوا سدت ثم ادغموا الدال في الباء فقالوا ست .

وهذا الذي ذكره سيبويه نجده عند ابن حني بزيادة ايضاح وتفصيل حيث ذكر ان أصل ست سدس (لأنها من التسديس كما أن خمسة من التخميس ولذلك قالوا في تحقيتها سديسة^(٧٠) ، وعلل قلب السين الأخيرة تاءً بأنهم أرادوا تقريب السين من الدال فقلبوها تاءً لما بينها من صفة الهمس (فصار التقدير سدت فلما اجتمعت الدال والباء وتقاربتا في المخرج ابدلوا الدال الثانية تاءً لتوافقهما في الهمس ثم ادغمت الباء في الباء فصارت ست كماتري^(٧١) . وهو يريد بكلمة لتوافقهما في الهمس السين الأولى والباء وكأنه يحيب عن سؤال لم جعلت الدال تاءً ولم يجعل الباء دالاً ويدغم ، وفي موضع آخر ذكر ان ابدال السين تاءً إنما هو من باب تقريب الصوت من الصوت من غير إدغام ، وأما ابدال الدال تاءً فإنه قد اريد به الادغام (فالتغيير الأول للتقريب من غير ادغام والتغيير الثاني مقصود به الادغام)^(٧٢) .

والدراسات السامية المقارنة تظهر لنا تقاربًا واضحًا في العدد من واحد إلى عشرة يمكن أن يستفيد منه في البحث عن لفظ ست وفيما يلي جدول بالأعداد^(٧٣) :

(٦٧) بحث الزجاجي الابدال في ست في باب من شواد الادغام ، فهو ادغام شاذ عنده ، وانظر الجمل ص ٣٨٠ . الكتاب : ٤٢٨ : ٢ .

(٦٨) الكتاب : ٤١٩ : ٢ - ٤٢٠ .

(٦٩) سر المصنعة : ١٧٢ : ١ .

(٧٠) الخصائص : ١٤٣ : ٢ وانظر ٤٧٢ : ٢ .

(٧١) تاريخ اللغات السامية والجدول جمعناه من صفحة ٢٨٣ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٩٠ .

(٧٢) تاريخ اللغات السامية والجدول جمعناه من صفحة ٢٨٣ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٩٠ .

عربي	اشوري بابلي	عبري	آرامي	جنوب الجزيرة والحبشة
أحد (واحد)	أدو	أحاد	حد	أحد
اثنان	شنا	شنايم	ترين	سَيْنِيت
ثلاث	شلاشو	شلوش	تُلَاثٌ	شلاس
أربع	أربعو	أربع	أربع	أربع
خمس	خششو	خمس	حَسْنَا	خَمْس
ست	ششو	شش	شَتَا	سُّهُو
سبع	سيبو	سبع	شَبِعَ	شَبَعُو
ثمان	شمانو	ثمان	ثَمَانَا	سَمَانِي
تسع	يشو	تشع	تَشَعَّ	تَشَعُّ

ويلاحظ بالإضافة إلى التقارب الظاهر في الألفاظ أن السين في خمس وست وسبعين قد تحولت إلى شين على الأغلب في الآشورية البابلية والعبرية والأرامية وإن سين سبع وتسعة صارت شيئاً في العربية الجنوبية والحبشية كما وافقت العبرية العربية في سين خمس ووافقتها الآشورية البابلية في سين سبع وقد ذكر ولفسن (أن اغلب ما يأتي في العربية بالسين يأتي في العربية والحبشية بالشين والعكس بالعكس). (٧٣). وهكذا الأمر بالنسبة للآشورية البابلية ومن ذلك (٧٤) :

آشوري بابلي	عربي
Shumu	اسم
Shama	سماء
Shati Shanāti	سنة

وكذلك بالنسبة للآرامية (٧٥)، فاسم تقابلها شما في الآرامية وانسان ناشا ورأس ريشا.

ويلاحظ أن السين والتاء في ست العربية قوبلتا بسينين في لغة جنوب الجزيرة والحبشة وبشينين في الآشورية البابلية وهي تقابل سينين في العربية غالباً، كما تقدم، وجاءت في الآرامية بالشين والتاء. والذي يمكن أن يستنبط من هذا أحد الاحتمالات الأربع التالية:

(٧٣) تاريخ اللغات السامية، ص ٢٠.

(٧٤) نفسه، ص ٥٠

(٧٥) نفسه، ص ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٧.

الأول :

أن يكون أصل اللفظ سينين أو شينين اكتفت الآشورية والعبرية والحبشية بالصائرتين، وببدل الأرامية الشين الثانية تاء بسبب سكون الأولى حيث تقدم الصوت إلى الأمام. أما العبرية فإنها لم تكتف ببدل السين الثانية كما فعلت الأرامية. وإنما ضعفت التاء ليكون اللفظ ثلاثيًّا.

الثاني :

أن يكون الأصل سينين أو شينين كاحتمال الأول إلا أن العربية حين أرادت التثليث ولم تكتف بالصائرتين فاضلًا بين السينين ادخلت بينها حرفًا صامتًا وتحجّب التثليث بضعف الحرف الآخر لأنّه يؤدي إلى ثلاثة سينات، وكان الصامت من أقرب المخارج إلى السين وهو مخرج التاء والدال والطاء، أما الطاء فلم يتجهوا إليها لما فيها من أطباق لا يتنااسب مع الحفاظ على السين، وبقي الدال والتاء فاختيرت التاء لما فيها من همس يتفق مع السين المهموسة وكانت ساكنة لتوافق أغلب ما جاء على ثلاثة أحرف من العدد إذ هو جيًّا ساكن الوسط باستثناء أحد، فلما كانت ساكنة وبعدها السين مع ما بينها من قرب المخرج وصفة الهمس عمدوا إلى الإدغام فاختاروا اقلب السين تاء وادغام التاء فيها مع ما في ذلك من ذهاب الصفير منها على قلب التاء سيناً وادغامها في السين لأنّه يؤدي إلى ثلاثة سينات.

الثالث :

أن يكون اللفظ في الأصل مكوناً من السين والتاء ذات الزائدة الانحرافية أو الشين وهذه التاء، فقد كان كذا ذكر كاتينيو^(٧٦)، في السامية حرف شديد ذوزائفه انحرافية غير عنده برمز : ت ل ٢ ، ووصفه بأنه تاء متبع بزائدة انحرافية هي نوع من اللام الخفيفة^(٧٧)، فتخلصت العربية والأرامية من هذه الزائدة واقر فيها تاء خالصة، وزادت العربية بأن ضعفت الحرف لتشمل الكلمة، وتتطور في الآشورية والعبرية إلى شين برجوع الصوت إلى الوراء، وهو تطور وارد في السامييات : (ت ل ٢ ← ش ، وهي صيغة موجودة في المرقومات)^(٧٨)، أما في الحبشية فقد مضى التطور من الشين إلى السين كما حدث في شمس العربية حيث يرجع كاتينيو أن يكون الأصل شمش ، والشين الثانية آلت إلى : ت ل ٢ ثم عادت ثانية إلى شين ومنها إلى سين : (ت ل ٢ ← ش ، و ش ← س)^(٧٨).

وعلى أي من الاحتمالات الثلاثة فإن الدال لا وجود لها في أصل لفظ ست ، كما قدر سيبويه

(٧٦) دروس في علم أصوات العربية، ص .٩٧

(٧٧) نفسه، ص .٢٨

(٧٨) دروس في علم أصوات العربية، ص .٩٩

وبنجه ابن جي ، ولسائل أن يسأل من اين اخذت السين والدال في لفظ سدس والتسليس ،
بالنظر إلى هذه الاحتمالات الثلاثة :

اشتقت العرب لفظاً على زنة فعل من الأعداد من ثلاثة إلى عشرة فقالوا : هذا ثلث وربع
وخمس وسدس وسبع وثمن وتسعة عشر ، وحين ارادوا اشتقاق فعل من ستَ كان عليهم أن
يقولوا ستَ فليتني حرفان متخركان من جنس واحد فينبغي أن يسكن الأول ويدغم في الثاني
فيصبح اللفظ ستَ ، وهو وإن كان في الصناعة ثلاثياً وزنه في الأصل فعل ، إلا أنه في الأذن يختلف
عن أخواته من ثلث إلى عشر ، ويبدو أن حرصهم على البيان ليجري العدد على سنن واحد
جعلهم يبدلون الناء الاولى حرفان من مخرجها لكان الدال وكان عليهم أن يقولوا : سُدُّ ولو أنهم
صرفوه على هذا فقالوا : سُدُّ وسدِّيتُ وسدِّات لا تحتمل إلا أن الذي منع من ذلك جيء بالدال
ساكنة فهم يقولون في هذا فعلًا وفعلاً ، وكما أنهم حين سكنا الناء من تد جعلوها دالاً وادغموا
فقالوا : وَدْ فإن عليهم إذا سكنا الدال أن يدمغوا فيقولوا ستَ ويعودون حينئذ إلى ما
فروا منه من الإدغام والبعد عن البيان ومخالفة بقية الباب ولذا حلهم اللفظ على أن ابدلوا
الناء الثانية سيناً لأنها أقرب حرف مهموس إليها قالوا سدس ، ثم تصرفوا فيها فقالوا :
سدس وسداس وغير ذلك .

الرابع :

أن يكون الصوت الثاني ناء استثنائياً ذا زائدية سينية أي : تُسْ ، وهو من الأصوات السامية
القديمة (٧٩) ، فإذا جيء به مجهوراً فهو دُسْ ، وقد خلص من غير زائدية في الآرامية بالصوت
المهموس ، وغلبت الزائدية عليه في الحبشية وتراجع الصوت في العبرية والأشورية ليصبح شيئاً ،
أما في العربية فقد اسهمت الزائدية باظهار الناء بصورة مشددة في ستَ ، ولعل بعض
العرب كان يأتي بها ممهومة تُسْ وبعضهم يأتي بها مجهورة دُسْ ، وحين صرف اللفظة شاع في
التصريف الصوت المجهور مع اظهار الزائدية السينية بشكل مستقل لثلاث اللفظ . وشاع في اسم
العدد المجرد الصوت المهموس بعد أن تحولوا في تثليثه إلى التشديد وتخلصوا من الزائدية السينية .
ولعل هذا الاحتمال فيه بعض القرب مما ذهب إليه العلماء العرب .

الاعلال

ذكر الرضي (أن لفظ الاعلال في اصطلاحهم مختلف بتغيير حرف العلة أي الألف والواو
والإياء ، بالقلب أو الحذف أو الإسكان ، ولا يقال لتغيير المهمزة باحد الثلاثة اعلال) (٨٠) ، بل هو

(٧٩) دروس في علم أصوات العربية ، ص ٧٢ .

(٨٠) شرح الشافية ٣:٦٦ - ٦٧ .

تحفييف ثم ذكر أن (لفظ القلب مخصوص في اصطلاحهم بابدال حروف العلة والهمزة بعضها ممكان بعض، والمشهور في غير الأربعه لفظ الابدال، وكذا يستعمل في الهمزة أيضاً)، ومadam القلب من أبواب الاعلال فالهمزة داخلة فيه، وقد تناولنا ما يتعلّق بابدال الهمزة في اللهجات في موضعه من باب اللهجات ونقف هنا عندما كان عاماً في لغة العرب.

الاعلال بالقلب

قلب الواو والياء همزة.

تبدل الواو والياء همزة في كلام جمهور العرب في موضع:

أن تقعان طرفين بعد ألف زائدة:

وذلك قولهم قضا وسقاء وشفاء، وأصل الهمزة ههنا ياء لأنها من قضى يقضي وسقي يسقي وشفي يشفى، وقولهم كساء وشقاء وعلاء وأصلها الواو لأنها من كسا يكسو وعلاء يعلو، وشفي يشفي، والياء في شقي منقلبة عن واو لقولهم الشقاوة.

ويرى ابن جنبي أن الواو أو الياء لم تقلب همزة ابتداء وإنما قلبت أولاً الفاء همزة، وذلك أن وقوعها في الطرف يضعفها، ولم يذكر لم كان وقوعها طرفاً يسبب ضعفها ولعله يري بالضعف في الطرف أن الطرف مطلة الارءاب الذي لا يقر معه الحرف على حال فقد يسكن وقد يتحرّك وقد تكون الحركة ضمة أو فتحة أو كسرة، فكأن تعرّض الطرف لتغييرات جعله يصف الحرف المعتل المتعرّض بالضعف وهكذا فسر سيبويه الضعف حين قال عن الياء والواو إذا كانت الالامات : (اعلم انهن لامات أشد اعتلالاً واضعف لامن حروف اعراب وعليهن يقع التنوين والاضافة وكلها بعد ما من آخر الحرف كان أقوى لها فهما عينات أقوى، وهم فاءات أقوى منها عينات ولا مات).^(٨١) ومن قواعد الاعلال التي ستأتي ان الواو أو الياء إذا تحركت وافتتح ما قبلها قلبت الفاء. والألف في هذه المثل زائدة فهي تشبه الفتحة التي قبل الواو أو الياء في الزيادة^(٨٢)، (مع أن الفتحة بعض الألف، فانت إذا وقعت بعد الألف التي هي أكثر من الفتحة واسبع احرى بقلبها لأن الكل أشد تأثيراً من البعض)^(٨٣)، فلما قلبت الياء أو الواو الفاء صار تقدير قضائي قضا، وتقدير كسا وكسا، بالفين في الآخر، وواضح أن ذلك من قبيل التمثيل لأنه لا يجتمع الفان في النطق وقد ذكر أن الألف منها مدّت فلن تكون إلا الفاء واحدة^(٨٤)، فلما التقى السakanan الألف الزائدة والألف الأخيرة المنقلبة (كرهوا حذف أحد هما فيعود الممدود مقصورة فحرکوا الألف الأخيرة لالتقائهما فانقلبت همزة).^(٨٥)، والألف كما ذكر متى تحركت قلبت

(٨٣) المصنف: ٢، ١٣٨.

(٨١) الكتاب: ٢، ٣٨٠.

(٨٤) الخصائص: ٢، ٤٩٣.

(٨٢) سر الصناعة: ١، ١٠٥.

همزة^(٨٥)، وإنما حركوا الثانية لا الأولى لأنها حرف الاعراب فهي أولى من الأولى بالحركة^(٨٦). وقوله (ووقوعهما بعد الألف الزائدة المشبهة للفتحة في زيا遁ها)^(٨٧)، يفسر لنا اشتراطهم أن تقع بعد الف زائدة. والذي ذكره من انقلاب الياء أو الواو الفائمة همزة يفهم من كلام سيبويه وإن لم يصرح به، إلا أن زيادة الألف عند سيبويه لم تشبه بزيادة الفتحة وإنما جعلها كأنها ليست شيئاً حاجزاً بين اللام والعين قال: (فإن كان الساكن الذي قبيل الياء والواو الفائمة زائدة همزة وذلك نحو القضاء والنماء والشقاء . . . جعلوها في قضاة ونحوها كأنه ليس بينها وبين فتحة العين شيء^(٨٨))، فسبب الاعلال عند سيبويه فتحة العين وليس الألف التي تشبه الفتحة كما ذكر ابن جني، وأشارته إلى الفتحة تعني أن الواو والياء تقلبان الفاء لانه افتتاح ما قبلها لا يتقلبها همزة قبل الفاء ثم تقلب الألف همزة على ما فعل ابن جني.

وما يدخل في هذا الباب أيضاً ما كانت الياء فيه زائدة طرفاً بعد الف زائدة نحو علبة وحرباء والأصل علبة وحربأ (ثم وقعت الياء طرفاً بعد الف زائدة فقلبت الفائمة قلبت الألف همزة كما تقدم من قولنا في كساء ورداء . . . أما الواو الزائدة التي قلبت عنها همزة فلم تأت مسموعة عنهم إلا أن النحوين قاسوا ذلك على الياء لأنها اختها).^(٨٩).

وقلب الألف همزة له نظير مطرد على ما ذكر وهو قلبهم ألف التائث التي في نحو جبل وسكري وبشرى همزة بعد أن زيدت قبلها الف وذلك قوله: حراء وصفراء وصحراء وأربعاء حيث اجتمعت (الفان زائدتان الأولى منها الألف الزائدة والثانية هي ألف التائث)^(٩٠)، وقد جرى للالف الثانية في حراء، وصحراء ما جرى للألف كسا وستقا.

وقد أنكر بعض المحدثين أن تكون المهمزة في نحو بناء وكساء وحمراء بدلاً من ياء أو الواو أو ألف، وذهب إلى أن الذي حدث إنما هو افتتاح مقطوع مفتوح (باحلال المهمزة محل صوت اللين لا على سبيل الابدال بل من أجل تصحيح نهاية الكلمة)^(٩١). وذلك أن الأصل بناء وكساي وحمرى، ولما كان الأصل في الوقف هو السكون فإن هذا معناه أن العربي يكره الوقف على مقطع مفتوح ولذا يعمد إلى إغلاقه، فاغلق المقطع في هذه الكلمات بالهمز الذي هو وظيفة في النطق

(٨٥) سر الصناعة ١: ٥٢.

(٨٦) نفسه ١: ٩٦.

(٨٧) نفسه ١: ١٠٥.

(٨٨) الكتاب ٣٨٢: ٢.

(٨٩) سر الصناعة ١: ١١٢.

(٩٠) نفسه ١: ٩٥.

(٩١) القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، ص ٨١.

ههنا لا يزيد على كونه قفلاً مقطعاً. فالآلف والواو مثلاً في نهاية كساوها حركة لين مزدوجة أي: فتحة طويلة + ضمة (ينشأ عن النطق بها متصلين نصف حركة Semi Voyelle) هي الواو W^(٩١)، فلما همز آخر اللفظ انشطر عنصراها (فضاع شطر هو الضمة، وبقي شطر هو الفتحة الطويلة، وكذلك بقية الأسماء مثل سماء ودعاء وبناء وظباء وفضاء، وهمزة)^(٩٢)، وفي موضع آخر ذكر أن القول بزيادة ألف في حراء واجتماع الفين لا داعي له، وإنما الذي حدث على رأيه فضلاً عن افتتاح المقطع باهمز (ان الناطق شعر بضرورة تقوية النبر الطوي في الكلمة فقواه بنبر الهمزة)^(٩٣).

وهذا الذي ذكره فيه نظر، إذ هو يوافق العلماء العرب في أن أصل بناء وكفاء وحراء مثلاً بنای وكسا وهمرى. فلو سلمنا بكل تعليلاته فإنه لا يعدو ما قاله القدامي من ابدال على أنه أصر على رفض فكرة الإبدال ولا يغير الأمر أن يقول إن الهمزة في كفاء وظيفة ليست حرفاً في موضع حرف إذ واقع الحال يشهد بأنها حرف في موضع حرف وانها لا تختلف في الصوت عن الهمزة الأصل في نحو إنشاء التي لا خلاف في اصالتها. فقد حل هذا الصوت إذن محل الواو أو الياء أو الآلف، وأن محل الصوت محل الصوت لا ينفعه من يطلق عليه لفظ الإبدال، وهو كما نقله عن اللغويين (اقامة حرف مكان حرف مع البقاء على سائر احرف الكلمة)^(٩٤).

اما ما ذهب إليه من ان الإبدال لا يكون (ابداً أحقاً إلا إذا كان بين الإبدال والمبدل منه علاقة صوتية كقرب المخرج أو الاشتراك في بعض الصفات الصوتية كالجهر والهمس والشدة والرخاوة.)^(٩٥)، فنحن معه في هذا ولكن يقال له امامنا كلمة اتفقا على أنها بالياء في الأصل، وهي الآن بالهمزة فقد ذهبت الياء وجاءت الهمزة، وهذا ظاهر الإبدال إلا أنه لا قرابة بين الياء والهمزة فكيف نفسر ذلك، أما القدامي فقد ذهبا إلى انقلاب الياء الفاء وبين الياء والألف علاقة اذ هما من حروف الدين أو حروف المد التي يمتد الهواء بها (خلال مجرأه ويستمر في الامتداد...) ولا ينتهي هذا الهواء إلا بانتهاء الصوت نفسه)^(٩٦). والألف عندهم قريبة المخرج من الهمزة فقلوا إن الياء قلبت الفاء والألف همزة، فلم يخلوا بالعلاقة الصوتية. وأما الدكتور شاهين فقد ادعى ضياع الواو أو الياء الذي هو شطر نصف الحركة عنده بسبب دخول الهمز على أنه وظيفة. ودعوى الضياع هي الأخرى فيها نظر:

انني لست مع الدكتور شاهين فيما ذهب إليه أساساً من أن الواو بعد الآلف في سماو تمثل

(٩٢) نفسه ص ٨٧.

(٩٣) القراءات القرائية في ضوء علم اللغة الحديث، ص ٧٣.

(٩٤) علم اللغة العام - الاصوات - ص ٨٠.

نصف حركة؛ أو شبه صائب^(٩٥)، على ترجمة الدكتور السعران لـ: *Semi - Vowels* فهذا المصطلح يراد به مثل واو وجد وباء يزن. وقد وصف الدكتور السعران هذه الواو بأن اعضاء النطق تبدأ في الخاذا الوضع المناسب لنطق نوع من الضمة، ، ثم تترك هذا الوضع بسرعة إلى وضع صائب آخر^(٩٦)، وقد بيّن الدكتور شاهين دراسته على الكلمة في حال الوقف فقد ذكر أن العرب لا يميلون إلى المقطع المفتوح في الوقف ولذا همزوا بهذه الكلمات، وعند الوقف تكون الواو سائقة مما يجعلنا نعد الألف السائقة كي يتلقى الساكنان، واحسب أنه من المبالغة أن يقال حينئذ إن الألف الممدودة كانت مع الواو السائقة شبه صائب أو نصف حركة، بل الذي نراه أن الألف حينئذ صائب تمامًا مستوفى وكذلك الواو^(٩٧)، فنحن لم نبدأ نطق الألف ثم تحولنا فجأة نحو صوت الواو ليقال لها نصف حركة. ونظرته إلى الألف والواو، أو الألف والياء في نهاية كسا ووسماي على أنها حركة مزدوجة فيه نظر أيضًا، إذ لو اخترلنا الألف واخترسنا الواو أو الياء حتى تقرب كل منها من الضمة أو الكسر، لكن قوله وارداً تكون حينئذ من المزدوج أو كما عبر عنه الدكتور انيس والدكتور السعران من الأصوات المركبة^(٩٨)، Diphthongs ومثل له الدكتور انيس بالياء في بيت ويسر، أما ونحن نعد الألف ونشبعها حتى تكون وحدها حركة طويلة مشبعة فلا أرى من الصواب أن تجعل مع الواو أو الياء من المركب أو المزدوج الذي يمثل نصف حركة.

أما الدكتور فلتش فقد نظر إلى الواو والياء في هذا الوضع في حالة الحركة لا الوقف كما فعل الدكتور شاهين، ووجد أن الكلمة التي تنتهي بالواو تؤدي في حالة الرفع إلى نطق الواو+الضمة، وفي حالة الجر تؤدي إلى نطق الواو+ الكسرة والكلمة التي بالياء ستؤدي في الجر إلى نطق الياء+الكسرة، والعربية تكره (النطق بالصوات الضعيفة)^(٩٩)، - الواو والياء - مشكلة بمصوتات من جنسها، فلا تنطق الواو مع الضمة *wi*، ولا الياء مع الكسرة، *ya*، كما لا تنطق الواو مع الكسرة *Wi*^(١٠٠)، أما بقية الاحتمالات التي لم يشر إليها في حالات الاعراب وهي الياء+الضمة والياء+الفتحة، والواو+الفتحة، وهي حالات غير مكرورة على ما قررها فقد حلها على المكرورة (وذلك لتوحيد التموزج اللغوبي)^(١٠١). والذي يعنيها من الكراهات التي أشار إليها وقال عنها أن (العربية الفصحى محكمة بعض الأحداث الصوتية الكبيرة التي تفسر جزءاً هاماً

(٩٥) علم اللغة للسعران ص ١٩٧.

(٩٦) نفسه ص ١٩٨.

(٩٧) انظر مناهج البحث في اللغة ص ١٠٧.

(٩٨) انظر الأصوات اللغوية ص ١٢٢ ، علم اللغة للسعران ص ٢٠٣.

(٩٩) يزيد بالصوات الضعيفة ما عبر عنه غيره بانصاف الحركات أو أشيه الصوات كالياء في يكتب الواو في وجد.

(١٠٠) العربية الفصحى ص ٤٦ . وانظر كلامه على هذه الكراهة أيضاً في ص ٢٠٤.

(١٠١) القراءات القرآنية ص ٦٠ عن Henri Fleish: Études de phonétique arabe P250 - 251

من علم الصرف)^(١٠٢)، كراهة النطق بالصوات الضعيفة مع مصوت من جنسها أو بعض ما يغايرها كالواو مع الضمة والياء مع الكسرة والواو مع الكسرة أيضاً^(١٠٣)، فالذى منع الواو في سماو والياء في بنائى عند فلش هو هذه الكراهة في حالة الاعراب . ولم اجد في ما ذكر فلش ما نقله عنه شاهين أي تعليل لاختيار الهمزة دون غيرها . فهو يخلل التحول عن الواو والياء دون تعليل التحول إلى الهمزة دون غيرها . وعندى أن المشكلة تحتمل أحد امرin :

الأول: أن يقال إن العلاقة بين الهمزة والواو والياء موجودة في ذهن العربي الذي كان إذا سهل الهمزة المضمومة جعلها الواو في مثل مون وإذا سهل المكسورة جعلها ياء في مثل بير، فحين أرادوا التخلص من الواو أو الياء هنا جعلوها همزة لذلك، وهو أرجح القولين عندي لقلة الكلفة فيه.

الثاني: أن يقال إن هذه الكلمات كانت في الأصل مهموزة، فسماء وبناء وما تصرف منها وما اشبههما كان مهموزاً في الأصل أي سماً يسمؤ بزنة نصر ينصر وبنائين يبنيء بزنة ضرب يضرب ولكررة الاستعمال سهلت المهمزة واختفت حتى اضمرت وحل محلها إشارة حركة الحرف الذي قبلها. كما فعل بالمهموzig الآخر في اللهجات العامية كقولنا في بدأ، يبدأ : بدأيد. وتسهيل المهمزة بأن تقلب حرفاً يجنس الحركة قبلها كثير في لغة العرب كقولهم في بئر ومؤ من وراس بير ومومن وراس. أما ما ذكره الدكتور رمضان عبد التواب من أصلية الواو والياء المترددين بدلليل وجودهما على هذه الصورة الآن في الحبشيّة^(١٠٤)، مما يبطل القول باحتمال همزة هذه الافعال في الأصل فسوف نعرض له مفصلاً في كلامنا على ابدال عين الاجوف في قلب الواو والياء ألفاً.

أما حراء وبابه فيمكن أن تكون الهمزة قد زيدت فيه أصلًا وكذلك في المقصور، أي أن يكون العرب حين تحولوا عن التاء في المؤنث عند الوقف إلى الهاء فقلالو افاطمة مثلاً تحولوا في الفاظ أخرى إلى الهمزة اذ هي من الحال كالماء ثم اشبعوا الفتحة قبلها فصارت ألفاً، إلا أن الهمزة في بعض الألفاظ اضفت واستغنى عنها بالاشياع الذي دخل الحركة قبلها فكان المقصور، وبقيت على حالها في الفاظ أخرى فكان المددود، ويكون مثل كلمتي سلمي وحراء قد تدرج هكذا:

١٠٢) نفسه ص ٥٥، عن ص ٢٤٧.

٥٦ (١٠٣) نفسه ص

(١٠٤) نظر: العامة والتطور اللغوي ص. ٣٧٤.

همزة عين فاعل :

تهمز عين فاعل من الاجوف فيقال من قام وبائع قائم وبائع ، وقد علل ابن جني هذا القلب بأن العين كانت قد اعتلت في الفعل فانقلبت الفاء في الماضي ، فلما جئنا إلى اسم الفاعل التقت الفان (وهذه صورتها قام فلم يحيز حذف أحداً ما فيعود إلى لفظ قام فحركت الثانية التي هي عين كما حركت راء ضارب ، فانقلبت همزة لأن الألف إذا حركت صارت همزة) ^(١٠٥) وهذا الذي أورده ابن جني هو بعض ما جاء عند سيبويه ، فقد زاد سيبويه على هذا أن عرض أولاً احتمال القول بصوغ فاعل منها على الأصل قبل القلب ورده بائهم كرهوا (أن يحييء على الأصل مجيء ما لا يتعلّق فعل منه) ^(١٠٦) وأشار إلى نقض احتمال القول باسكن العين بسبب الألف فقال (ولم يصلوا إلى الإسكان مع الألف) ^(١٠٧) ، وذكر ما أورده ابن جني أيضاً بقوله : (وكرهوا الإسكان والحدف فيه فيتبس بغيره) ^(١٠٧).

ويرى الدكتور فلش أن صيغة فاعل من الاجوف اليائي يؤدي إلى نطق الكسرة مع الياء ، ومن الاجوف الواوي يؤدي إلى نطق الكسرة مع الواو وهم من الصور المكرورة عند العرب كما تقدم وقد ذكر أن (هذه الكراهة تفسر لنا من الناحية الصرفية حالات كثيرة من المخالفة عند ابدال الواو والياء همزة ، فاسم الفاعل من الفعل الاجوف بالواو أو بالياء مثل قاول يصبح قائل وكذلك بائع يصبح بائع) ^(١٠٨).

أما الدكتور شاهين فيرى إن المشكلة في تتابع الحركات فقد (Herb الناطق من تتابع ثلاث حركات في الأول q'awil التي هي في الحقيقة il - au) ^(١٠٩) و كان نبره لأول المقطع الثاني وسيلة للتخفيف من ثقل تتابع الحركات وكذلك في الثاني : بائع . . . ^(١٠٩) ، ويلاحظ أنه تكلف ربط الواو بالألف ، وفصل الكسرة عن الواو ليستقيم له ادعاء بهذه المقطوع بالكسرة ليخلص إلى همزة أو نبره باعتبار الهمزة وسيلة للتخفيف من تتابع الحركات وإن الكتابة المقطعة تشير إلى مقطعين هما : قا - ول.

والواو مع الكسرة يمثلان مزدوجاً أو مركباً بدأ به المقطع الثاني ، فضل الدكتور شاهين عنصرية قسر الوصل إلى القول بالنبر لأول المقطع الثاني . وقد تباهى إلى ذهب الواو من قاول والياء من بائع وحلول الهمزة محلهما وسائل : يمكن أن يقال إن هذا من باب ابدال الهمزة فيها وأجاب :

(١٠٥) المنصف ١: ٢٨٠ - ٢٨١.

(١٠٦) الكتاب ٢: ٣٦٣.

(١٠٧) الكتاب ٢: ٣٦٣.

(١٠٨) العربية الفصحى ص ٤٧.

(١٠٩) القراءات القرآنية في ضوء عالم اللغة الحديث ص ٨٨.

(ولا مانع في رأينا من حذف صوت ليقع آخر موقعه، ولكن لا على سبيل الابدال، لأن الابدال بكافة معانيه يتطلب قرابة صوتية هي هنا معدومة، بل على سبيل التعميض، مجرد التعويض الممتعي الذي تقتضيه وظيفة الصوت في الدلالة أو غيرها).^(١٠)

واوضح أن المشكلة عند الدكتور شاهين هي انعدام القرابة الصوتية بين الهمزة والواو والياء، فهو لا يمانع في أن يقال : حلت الهمزة محل الواو ولكنه يمانع في تسمية ذلك ابداً، فإذا وجدت القرابة الصوتية زال المانع ويمكن أن نقول انه يوافق على تسميته ابداً حيث إن وارى ان القرابة الصوتية موجودة بين الهمزة والواو والياء والألف ولكنها قرابة صوتية ذهنية، فقد الف العربي التحول من الهمزة إلى الألف أو الواو أو الياء في تسهيل تحويله ومؤمن برأه، وألف العربي الذي يحقق الهمزة سمعاً صوت الواو والياء والألف في الموضع الذي يهمزه هو كألف الذي يسهل سماع الهمزة في مواضعهن، فتكون نوع من العلاقة الذهنية عند العربي بين الهمزة وهذه الأصوات سواء أكان من يهمز من يسهل، فلما تكونت عنده صورة لفظية مكرورة هي الواو المكسورة أو الياء المكسورة كان امامه أن يأتي مكانها بحرف صامت لأن الألف هنا يؤدي إلى الحذف واختلال الصيغة، وكان الصامت المرتبط في ذهنه بالواو والياء في حلول بعضها في موضع بعض هو الهمزة فانتقل إليها، وهذا قولنا الأول في تعليل الهمزة في باب فاعل وهو عندي أرجح من القول الثاني الذي سنذكره على أنه مرجوح عندي ولكنه ليس متعيناً بذلك بآن يقال . بعد تجاوز رأي الدكتور عبد التواب في حركة عين الاجوف^(١) ، كما سيأتي في قلب الواو والياء الفاء يحتمل أن يكون الاجوف في الأصل مهموزاً، ويكون الأصل في قال يقول قال يقوءل بنزنة نصر ينصر، وباع بيع باع بيع، بنزنة ضرب وهكذا ما تصرف منها ومنه قائل وبائع . ثم سهلت الهمزة في الفعل حتى جعلت بين بين فقررت من الألف إذا كانت مفتوحة ومن الواو إذا كانت مضمومة ومن الياء إذا كانت مكسورة، ثم خلصت بكثرة الاستعمال إلى الحركات المشبعة للألف والواو والياء وبقيت في اسم الفاعل مثل قائل وبائع وإن سهلت فيما بعد في اللهجات فقيل قايل وبایع .

الهمز في باب فعائل.

جعٰت العرب رسالٰة علی رسائل وعجزٰ علی عجائز وصحیفٰ صحائف ویلاحظ ان
الآلف والواو والياء کن مدادات زائدات فی المفرد، وقد ذکر ابن جنی أن أصل القلب هنالك ألف،
وحلٰت الواو والياء علیها بذلك لأنها اعقدت فی المد منها، وعلة القلب فی رسائل أنها عند ما جمعت علی

. ٨٨) القراءات القرآنية ص ١١٠

(١١) لحن العامة والتطور اللغوي ص ٣٧٤.

فعائل وقعت ألف الجمجم ثالثة قبل الف رسالة فالنقى الفنان وصورتهارسالاول ولو حذفت اولاها (لبطلت دلالة الجمجم ، ولو حذفت الثانية لتغيير بناء الجمجم لأن هذا الجمجم لا يدله من أن يكون بعد الفه الثانية حرف مكسور بينها وبين حرف الاعراب فيكون كمفاعل .) ^(١٢) . فليابطل الحذف بقى التحرير ، ولم تحرك الأولى لأنهم لوحركوها القلب همزة وزالت دلالة الجمجم (فلم يبق إلا تحرير ألف الثانية بالكسر ليكون كعين مفاعل فلما حركت انقلبت همزة فصارت رسائل) ^(١٣) .

اما سيبويه فقد علل ذلك نقاً عن الخليل بأن الألف والواو والياء في رسالة وعجز وصحيفة (لأنه يمكن أصلها التحرير وكانت ميّة لا تدخلها الحركة على حال وقد وقعت بعد ألف لم تكن أقوى حالاً مما أصله متحرّك وقد تدخله الحركة في مواضع . . . فهمزت بعد الألف كما يهز سقاء وقضاء وكما يهز قائل وأصله التحرير .) ^(١٤) . فالمهمز فيها مرتبط بالهمز في غيرها مقىيس عليه عند الخليل وسيبويه .

وعلة القلب عند الدكتور فلش ^(١٥) ، هي العلة المتقدمة في قائل وبائع أي كراهة النطق بالصوات الضعيفة مع صوت من جنسها أو بعض ما يغايرها كذلك الأمر عند الدكتور شاهين ^(١٦) ، فالهرب من تتابع الحركات هو الذي أدى إلى النبر تماماً كما حدث في باب فاعل من الأجوف .

وارى أنه يمكن أن يقال أن الهمز هنا كان نوعاً من القياس الخاطئ ، وأن يكون الأصل في هذا الخطأ قد وقع في ما كان بالياء كصحيفة حيث جمعت صحائف وسمعت من العرب الذين عرّفوا بتسهيل الهمزة فظنّ الذين يحقّقون أن الياء تقابل الهمزة عندهم كباقي بيرفهمز وأما كان مثل صحائف وقادوا عليها ما كان جعلـالـنـحـوـعـجـوزـوـرسـالـةـ، ويحمل على هذا القياس الخاطئ أياًضاً ما جاء نحو نائيف وأوائل ، وإن اعتل ابن جني همز الواو الثانية في أواول بـأـيـنـبـهـاـالـأـلـفـ (وهي حرف كالنفس ليس بحاجز حصن) ^(١٧) ، والخطأ في القياس وارد عنهم فقد أشار ابن جني إلى مثل هذا الخطأ في قوله مصائب ومعاش ومنائر حيث قال : (وهذا مما لا ينبغي همزه في وجه من القياس) ^(١٨) ، وقياس مصائب مصاوب لـإـنـمـصـيـةـمـفـعـلـةـ ، فاصلة مصوية فالعين متحرّكة وقد جاء على الأصل قوله :

.٨٩ (١١٦) القراءات القرآنية ص

.٣٢٦:١ (١١٢) المصنف

.٤٥:٢ (١١٣) نفسه ١

.٣٢٧:١ (١١٤) الكتاب

.١٤٤:٣ (١١٨) الخصائص

.٣٦٧:٢ (١١٤)

.٤٧ (١١٥) العربية الفصحى ص

صاحبُ الشيطانَ من يصاحِبُهُ وهو أذىٌ جمّةٌ مصاًبَةٌ
وقياس معاشِ معايشٍ لِإِنْ الْيَاءِ أَصْلٌ إِذَا هِيَ مِنْ عِيشٍ، وَكَذَلِكَ مَنَاثِرُ الْأَلْفِ فِيهَا عَيْنٌ
وَلَيْسَ زَائِدَةٌ.

قلب الواو والياء الفاء، والألف واوا أو ياء:

ذكر (ان الواو والياء متى تحركتها وانفتح ما قبلها قبلنا الفين) (١١٩)، وعلل هذا القلب بأن العرب كرهت اجتماع ثلاثة أشياء متجانسة هي الفتاحة والواو أو الياء والحركة فيها فتحولوا إلى خرف لا يتحرك وهو الألف (١٢٠). إلا أن هذا التحول إلى الألف نراه عند ابن جني على صورتين:
الأولى: تربينا سكون الواو أو الياء أولاً ثم انقلابها الفين، أي ان الفعلين قام وباع مثلاً جاءا من: قَوْمٌ ← قَوْمٌ ← قَامٌ. وَبَيْعٌ ← بَيْعٌ ← باع، وعبر عن ذلك (قَوْمٌ وَبَيْعٌ وَخُوفٌ وَهَبَّ وَطُولٌ)، اعتلت العينات لتحرکهن وانفتاح ما قبلهن فسلبن ما فيهن من الحركات هرباً من جمع المتجانسات، فقلبن الفات لتحرکهن في الاصل وانفتاح ما قبلهن الآن) (١٢١). ولعل الذي حمله على القول بالإسكان قبل القلب ماذكره من أن الحركة في الحرف المتحرك تقويه والسكن يضعفه (١٢٢)، فاراد أن يجعل الحرف ساكتاً ليسهل القول بانقلابه.

الثانية: تربينا انقلاب الواو أو الياء الفاء من غير أن تمر بالمرحلة الثانية وهي مرحلة الإسكان وبيدو أنه وجد الجواب عن قوة الحرف بالحركة حيث اكتفى في سبب القلب بكراهة اجتماع ثلاثة أشياء متقاربة فتحولوا (من الواو والياء إلى لفظ تؤ من فيه الحركة وهو الألف وسوغها أيضاً انفتاح ما قبلها) فهذا هو العلة في قلب الواو والياء في نحو قام وباع لا ما ادعاه السائل من أن الفتاحة قويت على قلب الحرف المتحرك) (١٢٣)، فالحرف المتحرك إذن قلب الفاء لإن الألف لا تحرك فيكونون بذلك قد تخلصوا من جمع المشابهات وسogue هذا القلب وجود الفتاحة قبلها، وذكر الفتاحة في القلب احتراز من ابن جني حتى لا يورد عليه ما كان مكسوراً قبل الواو.

وقد ضبط القلب بما لا يورد عليه شيء بوضع قيد مع قاعدة حركة الواو والياء وانفتاح ما قبلها، وهو برأي الدارس كيف ينبغي أن يختاط ويخترز في وصف العلل (وذلك أن تقول في علة قلب الواو والياء الفاء: إنها متى تحركتا حركة لازمة وانفتح ما قبلها وسogue الموضع من اللبس، أو

(١١٩) نفسه: ١٤٦: ١.

(١٢٠) سر الصناعة: ١: ٢٥.

(١٢١) المنصف: ١: ٢٤٧.

(١٢٢) نفسه: ٢٢١: ١. وانتظر سر الصناعة: ١: ٢٤: ١.

(١٢٣) سر الصناعة: ١: ٢٥.

أن يكون في معنى مالا بد من صحة الواو والياء فيه، أو أن يخرج على الصحة منهية على أصل بابه، فإنها يقلبان القاف^(١٢٤)، واحتزز بهذا مما كانت الحركة عارضة فيه من مثل جوية وجيل لأن الحركة عارضة وليس أصلاً اذ هي منقوله من المهمزة المحذوفة فالاصل حواة وجيان فيها ساكتتان، ومثل حركة الواو في قوله تعالى: لو اطلعت عليهم، لانها حركت لالتقاء الساكدين وليس الحركة أصلاً فيها، واحتزز به أيضاً من مثل عور وصيد لأنه في معنى مالا بد من صحة الواو والياء فيه وهو اعور واصيد، وكذلك احتزز من مثل كروان وصميان لأنه لوقلب لادى إلى التباس فعلان بفعال حيث يتحول بناء فعلان وهو معتل اللام إلى فعال صحيح اللام فيكون كروان كر ان ثم كران وكذلك صميـانـ وأما قوـهمـ الحـوكـةـ والـقـوـدـ والـغـيـبـ فإـنهـ صـحـ لـيـنـهـ إـلـىـ أـصـلـ الـبـابـ فيـ مـثـلـ دـارـ وـعـابـ^(١٢٥)، واحتزز به أيضاً في مثل حـوـلـ وـطـولـ^(١٢٦)، لأن ما قبل الواو مكسور وليس مفتوحاً.

ولو أردنا الاستفادة من منهج الدكتور فلاش في ذكر الكراهات فإن بالإمكان القول إن ما ذكره من كراهة العرب النطق بالصومات الضعيفة مع مصوت من جنسها أو بعض ما يغایرها^(١٢٧)، قد أشار إليه ابن جني في كراهة اجتماع ثلاثة أشياء متجلسة^(١٢٨)، وهو تعليل صوقي مقبول.

وقد ذهب الدكتور رمضان عبد التواب إلى أن قلب عن الأجوف الفأ قد مر ب الأربع مراحل، ورجح أن تكون العربية القديمة قد نطقت فعلاً بعين الأجوف محركة واستدل على ذلك بما هو موجود الآن في لغة الحبشة حيث يقولون مثلاً bayana -خـقـقـ- dayana -دانـ^(١٢٩)، وقد كانت هذه المرحلة الأولى، وفي المرحلة الثانية سكن الوسط للتحخيف، وتسكن الوسط للتحخيف كثير في العربية كقوـهمـ في كتف وكبد مثلاً كـتـفـ وـكـبـدـ، ثم جاءت المرحلة الثالثة وهي مرحلة انكماش الصوت وتحوله مع الواو إلى ضمة طويلة ممالة (ô) - ومع الياء إلى كسرة طويلة ممالة (e)^(١٣٠)، وذكر أن هذه المرحلة موجودة الآن في الحبشية كقوـهمـ في عـورـ: Ôra وفي قـامـ qoma، والمرحلة الرابعة: هي التحول من الامالة إلى الفتح.

وهذا الذي ذكره الدكتور عبد التواب غير بعيد، إلا أنه يرد عليه احتمال أن يكون ما نسمعه من الحبشية الآن من تحريك عين الأجوف، هو تطور من المضعف وليس أصلاً حفظاً من القديم، أي أن يكون مثل bayna بين قد جاء بالتحخيف من bayyyana بين أوتيـنـ، ومثل

(١٢٤) الخصائص ١: ١٤٧.

(١٢٥) نفسه ١: ١٤٨.

(١٢٦) (١٢٦) المنصف ١: ٢٢١.

(١٢٧) (١٢٧) العربية الفصحى ص ٤٧.

(١٢٨) سر الصناعة ١: ٢٥.

(١٢٩) لحن العامة والتطور اللغوي ص ٣٧٤.

(١٣٠) نفسه ص ٣٧٥.

dayana دين هو تخفيف دين. هذا على أن الاستدلال بلهجة الخبرة المعاصرة فيما انفردت به من بين بقية الساميّات في النفس منه شيء، بالنظر لانزعها عن أخواتها الساميّات، واحتاطتها بهمّجات كثيرة غير ساميّة، مع جهلنا بوجود آلية محاولات قدّيم لضبط لغتها وتدوينها، مما يجعل الدارس يتّردد كثيراً في الاستشهاد بما انفرد به، وتحريك عين الاجوف من هذا. وإذا تجاوزنا رأي الدكتور عبد التواب في قدم حركة العين في الاجوف فإنه يمكن أيضاً أن يقال إن ما جاء بالألف من الثلاثي مما وصف بأنه دخله اعلال كان ينطّق قدّيمياً بالهمز وسهلت المهمزة فيه. والذي ورد عنهم مما صحت الواو أو الياء فيه مع تحركها وافتتاح ما قبلها فهو مما جاء بالواو أو الياء في الأصل، ويختلص حينئذ من دعوى ما صاحب لينبه على أصل الباب، وما صاحب لأنّه في معنى ما تصح فيه الواو والياء.

وقد ورد عن العرب عكس ما تقدم اعني انهم قلّبوا الألف ياء أو واوا فقد ذكر ان الألف تقلب واوا إذا انضم ما قبلها نحو قولك في تصغير سائر سوثير وضارب ضوبيّر، وتقلب ياء إذا انكسر ما قبلها كقولك في تصغير قرطاس قريطيّس وفي تكسيره قراطيّس، وبين علة هذا القلب في قوله : (فهذا ونحوه مالا بد منه من قبل أنه ليس في القوة ولا احتمال الطبيعة وقوع الألف المدة الساكنة بعد الكسرة ولا الضمة).^(١٣١)

ويبدو أنهم جعلوها واوا إذا انضم ما قبلها طلباً لتناسب الصوت، أما تحريك الواو بالفتح في تصغير فاعل فللخلفية إذ لو سكنت لالتقى ساكنان الواو المقلبة عن الألف وباء صيغة التصغير فويعل ، والمحذف يخل بالصيغة ، وب يحدث لبساً ، والفتحة أخف الحركات فصاروا إليها.

قلب الواو ياء والياء واوا.

عندما تأتي العرب بكلمة على مفعول مثلاً من اليدين واليسار فإنها تقول موْنَ وموْسَر بقلب الياء وأوا، وإذا جاءت بمفعال من الوزن والوعد مثلاً قالـت ميزان ويعاد بقلب الواوين، وقد ذكر ابن جني انك (لوتكلفت الكسرة قبل الواو الساكنة المفردة، أو الضمة قبل الياء الساكنة المفردة لتجشمت فيه مشقة وكلفة لا تجدها مع الحروف الصحاح)^(١٣٢). وهو بهذا يشير إلى الأصل في قلب الواوين والياء واوا وقد فسر المشقة والكلفة بأن (ذلك وإن كان مستثنلاً فليس بمستحبيل في الطاقة والطوع كاستحالـة بجيء الألف بعد الكسرة أو الضمة).^(١٣٣) . وعلـل القلب بالميل إلى

(١٣١) الخصائص ١: ٨٨.

(١٣٢) سر الصناعة ١: ٢١. وانظر الخصائص ١: ٤٩.

(١٣٣) نسـة ١: ٢٢. وانظر الخصائص ١: ٢٦٢.

الانسجام والتجاهي عن التناقض لأنك عندما تأتي بالضمة يكون المتوقع أن تأتي بعدها بالواو لأن الضمة بعد الواو فإذا بدأت بالضمة ثم (عدلت إلى الياء فقد ناقضت بأخر لفظك أوله) (١٣٣)، والتناقض الصوقي يكون أيضاً في التحول من الكسرة إلى الواو (لأنك إذا بدأت بالكسرة فقد جئت ببعض الياء وأذنت بتمامها، فإذا تراجعت عنها إلى الواو فقد نقضت أول قولك بأخره وخالفت بين طرفيه) (١٣٤).

وأقرب من حديث التناقض هذا ما ذكره الدكتور فلش من تعليل كراهة التقاء الواو بالكسرة حيث ذكر أنك قد (ترى نوعاً من تكلف النطق وثقله، فلكي تنطق بالواو تستدير الشفتان ولكي تنطق بالكسرة يحدث العكس فتنفرجان) (١٣٥) والواو بعضها الضمة والكسرة بعض الياء كما نقدم . وقد تناول ابن جني موضوع القلب هذا في موضع آخر من غير أن يشير إلى فكرة الانسجام أو التناقض ، وإنما كان يتحدث عن القوة والضعف ، فالحرف المتحرك قوي ، والساكن ضعيف ، فالباء (ما سكتت ضعفت فقويت الضمة قبلها على قبلها) (١٣٦) ، وكذلك الأمر مع الواو التي سكتت فقويت الكسرة على قبلها ، واستدل على قوة الحرف بالحركة بتصححهم الياء في نحو مبين وتصحيح الواو في جوّل وطبول .

وأرى أن عبارة القلب لتجنب المشقة والكلفة في النطق أولى من القرول بأن الحرف ضعف فقويت الحركة على قبله . وقد علل سيبويه قلب الواو الساكنة ياء إذا انكسر ما قبلها بالكراهة أيضاً حيث قال : (إنما كرهوا ذلك كما كرهوا الواو مع الياء في لية وسيد ونحوهما وكما يكرهون الضمة بعد الكسرة حتى أنه ليس في الكلام أن يكسروا أول حرف ويضمنوا الثاني نحو فعل) (١٣٧) وحمل قلب الياء الواو على هذا حيث قال : (إإن اسكتتها وقبلها ضمة قبلتها واوا كما قلبت الواو ياء في ميزان) (١٣٨) .

ويبدو أن الذوق العربي كان يثر صوت الياء على صوت الواو ، ويراه أخف منه ويسرقه سيبويه : (ويذلك على أن الياء أخف من الواو عندهم انهم يقولون ييأس وبيبس فلا يخذلون موضع الفاء كما يخذلوا بعد) (١٣٩) وقد مضى كلام ابن جني في إثبات الاعراض الياء في طبى على الواو ، وهذا الإيثار جعلهم يبذلون الواو ياء إذا التقت وكانت الأولى ساكنة إذ يقلبون الواو ياء ويدغمون كقوفهم : (لو بيت ليأ وطربت طيأ وسيد وهنّ وطي) (١٤٠) ومن ذلك قوفهم في مفعول

(١٣٤) سر الصناعة ١: ٢٢.

(١٣٥) العربية الفصحى ص ٢٠٤.

(١٣٦) المصنف ١: ٢٢١.

(١٣٧) الكتاب ٢: ٣٥٧.

(١٣٨) نفسه ٢: ٣٥٨.

(١٣٩) نفسه ٢: ٣٥٨.

(١٤٠) المصنف ٢: ٢٣٠.

من الفوقة مثلاً والعين واللام فيه واو: مقوي، حيث قلبت اللام ياء لتوالي ثلاث واوات (فلا اجتمعت الواو والياء وسبقت بالسكون قلبت الواوياء)^(١٤١) وحركت الواو بالكسر لتصبح الياء فلا تعود واوا. أي أنها مرت بالمراحل التالية:

مقوّوو ← مقوّوى ← مقوّي ← مقوى

ومن ذلك أيضاً أنهم أبدلوا الواوياء إذا كانت حرف اعراب في الإسم كقوفهم في جمع دلو أدل والأصل أدل لقلب الواوياء كراهة ان يجتمع (في آخر الكلمة ضمة وواو وكسرة وبعضاً هذا مكرر)... قلبت ياء، لأن الواو على كل حال انتقل من الياء^(١٤٢) ثم جرى على الكلمة ما جرى على نحو غاز فصارت أدل.

ومع استخفافهم الياء على الواو فقد ورد عنهم قلب الياء واوا الغير ماعلة صوتية فقالوا الفتوى والتقوى، وقد ذكر ابن جني أنهم فعلوا ذلك من باب الاستحسان وكأنه جبر للواو (أرادوا أن يغوضوا الواو من كثرة دخول الياء عليها)^(١٤٣) وفي موضع آخر عبر عن ذلك بقوله: (الا ترى إلى كثرة غلبة الياء على الواو في عام الحال ثم مع هذا فقد ملوا ذلك إلى أن قلبوا الياء واوا قبلها سادجاً أو كالساجد لا لشيء أكثر من الانتقال من حال إلى حال فإن المحبوب إذا كثر مل...) ^(١٤٤).

وقد لا يتحولون عن الواو إلى الياء إلا إذا اجتمعت في اللفظ عدة أشياء كما في قوله سوط وسياط وثوب وثياب وروضة ورياض حيث اجتمع مع كون الكلمة جمعاً وهو اثنان من الواحد، سكون الواو في الواحد، والساكن ضعيف يقبل العلة، وانكسار ما قبل الواو في الجمجم، ووقوع الألف بعدها (والألف قريبة الشبه من الياء)^(١٤٥) قال: (فلما تجمعت هذه الأشياء المستقلة كلها هربوا من الواو إلى الياء). ^(١٤٥) واستدل على أنه لولا اجتماع هذه الأشياء كلها ما تم القلب فيها بقول العرب في جمع طويل طوال، حيث أقرت الواو في الجمجم لتحركها في المفرد، على أن بعض العرب قال:

تبين لي أن القِمَاءَ ذَلَّةٌ وَأَنَّ أَعْزَاءَ الرِّجَالِ طِبَاهَا

وعلل ابن جني ذلك بأنه حله على ثياب وليس مثله^(١٤٦).

(١٤١) المتضب من كلام العرب ص ٣٤.

(١٤٢) المنصف ١١٨:٢

(١٤٣) الخصائص ٢: ٢٣١، وانظر المنصف ٢: ١٥٧.

(١٤٤) الخصائص ١: ٨٧.

(١٤٥) المنصف ١: ٣٤٢.

وواضح ان المجانسة بين الياء والكسرة مع شعورهم بأن صوت الياء اخف عليهم من صوت الواو هو الذي جعلهم يبدلون هذا ونحوه، أما من حوطوا وسوار وجوار فالقول فيها وفي غيرها مما صححته العرب أنهم عندما كانوا يستقون بعض الكلام من بعض ربيا ابقو الواو على حاملادون قلب وربما قلب بعضهم مالم يقلبه الاخرون كما قيل طيال في طوال ، والصوت واحد في الألفاظ التي قلبت قبل أن يدخلها القلب والتي صححت فلم تقلب ، ففي لفظ حواض وثواب وسواط اجتمعت الكسرة والواو والألف ، وفي طوال وسوار وجوار اجتمعت الكسرة والواو والألف أيضاً، وقد ذكر الدكتور فلش (^{١٤٦}) (الضعف النطقي الكبير لهذه الاصوات الضعيفة - الواو والياء - بحيث تتحول نحو الاختفاء حين تقع بين مصوتات) إلا أن العرب كما يبدولم يتوجهوا في هذه الألفاظ إلى الاختفاء يجعل الواو الفاكمي في قول ربما لهم ارادوا الحفاظ على الصيغة وقلبها الفايفقدهم اياما يدخل اللفظ من الحذف حينئذ، أما جعلها همزة كما فعلوا في سماء فإنه يمكن أن يقال من المحتمل أن يكون العرب قد فعلوا هذا أولاً أي أنهم قالوا ثاب وحناض مثلًا ثم سهلت المهمزة فجعلت ياء لأنكسار ما قبلها فقالوا ثياب وحياض . ويمكن أن يقال أيضاً إنهم بسبب الكسرة اختاروا الصوت المناسب لها وهو الياء من غير أن يجعلوا الواو همزة أولاً.

الاعلال بالنقل :

ورد عن العرب قولهم استحوذ واستروح واستنوق واستتيست الشاة من غير أن يدخله اعلال ، ولكن قليل لا يكاد يذكر بالقياس إلى ماجاء معملاً كقولهم استقام واستuan واستقاد ، وقد استدل العلماء بهذه الالفاظ الواردة بالتصحيح عن العرب (على أن أصل استقام استقوم) (^{١٤٧}) مثلاً، وبمثل قول الشاعر:

صَدِّدْتِ فَأَطْوَلْتِ الصُّدُودَ وَقَلَّمَ وصال على طول الصددود يدوم
حيث قال اطولت (على أن أصل اخاف اخوف ، وقد قالوا أطال) (^{١٤٧}) ، وحين تحدث سيبويه عن هذا ذكر علة واحدة للنقل تناول ماجاء بصيغة الماضي كاستقام والمضارع كيخاف ، قال : (إنهم أرادوا أن تعل وما قبلها إذ لحق الحرف الزيادة كما اعتل ولا زيادة فيه). (^{١٤٨})

وماجاء معملاً بنقل الحركة قوله : يقول ويبيع وبهاب وبمخاف والاصل يقول ويبيع وبهاب وبمخاف ، وحق الواو والياء كما ذكر في هذه المثل لا يدخلها الاعلال (لان الواو والياء اذا سكن ما قبلها جرتا بجري الصحيح) (^{١٤٩}) إلا أن الاعلال دخلها بسبب اعلال الماضي (... فلما جاء

(١٤٦) القراءات القرآنية ص ٥٦ عن ص ٢٤٨ من Etudes de phonétique arab

٢٢٣ ^{١٤٧} (١٤٧) النصف ١: ١٩٠ - ١٩١ .

٣٦٢: ٢ (١٤٨) الكتاب .

٢٤٧: ١ (١٤٩) المنصف ١ .

المضارع اعلىه اتباعاً للماضي لثلا يكون احدهما صحيحاً والآخر معتلاً^(١٤٩) . ويلاحظ أنه مأخوذ من تعليل سيبويه المتقدم. هذا في سبب دخول الإعلال، أما لماذا كان اعلال هذا الحرف بالألف مثلاً وذاك بالياء فقد ذكر ابن جني أن الواو في مثل استقام (قلبت الفاء تحرکها) الآن وافتتاح ما قبلها في الأصل اعني قوم .^(١٥٠) . ويلاحظ أنه لم يشر هنا إلى النقل فكان العلة منحصرة عنده في قلب الواو والفاء من غير نظر إلى نقل الحركة. إلا أنه يصرح بهذا النقل في الإعلال الداخل على يخاف ويهاب حيث ذكر ائمهم (نقلوا الفتحة إلى الآباء وأهلهما فصاروا في التقدير يخفون ويهبون قلباً الواو والياء الفين لتحرکها في الأصل وافتتاح ما قبلها الآن ، ولأنها قد اعتلت ضرورة في خاف وهاب).^(١٥١)

ولوقارنا بين التعليلين فسوف نجد اختلافاً بين العلل مرده اختلاف طبيعة الفعالين فاستقام ماضٍ ويخاف مضارع، وقد ربط اعتلال المضارع (يخاف) باعتلاله ضرورة في الماضي ، فكان انقلاب الواو الفاء في الفعالين وإن كانت صورته واحدة إلا أن عنته قد اختلفت عنده ، فالمضارع الذي اعتل ماضيه اعتلوا الحرف فيه بالنقل ثم قلباً ، لتحرکه قبل النقل وافتتاح ما قبله بعد النقل، أما في الماضي من مثل استقام فقد نظر إلى تحرك الحرف الآن ، وإن ما قبله مفتوح في الأصل مجرد لفعل أي قوم ، فقلباً ، وهو تفرق لا أرى له آية ضرورة ، على ما في التعليلين من تكليف كما هو ظاهر إذ القلب إنما يكون لعلاقات صوتية قائمة بالنظر إلى واقع حركات الحروف الآن ، والفتحة التي كانت موجودة قبل صيغة استفعال لم يبق لها أثر في واقع اللحظة هذا فضلاً عن أنها حركة تصورها العلماء تصوراً كما نص ابن جني على ذلك (بانهم عندما يقولون كان الأصل في قام قوم وفي اخاف اخوف وفي استقام استقوم لا يريدون أن العرب قد نطقت بذلك مدة من الزمان ثم تحولت عنه فيما بعد)^(١٥٢) فهذا (خطأ لا يعتقد أحد من أهل النظر).^(١٥٣) وإنما المراد من ذلك (إن هذا لون نطق به على ما يوجه القياس بالحمل على أمثاله لقليل قوم وببع واستقام ...)^(١٥٤) فآية حركة إذ تلك التي نظر إليها في قلب الواو الفاء في استقام.

والتعليق الثاني الذي أوردته هو الآخر فيه نظر أيضاً ، لأن الفتحة واحدة ولا يجوز أن تعطى قيمة صوتية مرتين ، مرة وهي على الواو أو الياء و أخرى وهي على فاء الكلمة ثم يتلاشى الزمن بين وجودها على العين ووجودها على الفاء فيحكم بأن الإعلال حدث لتحرک الواو سابقاً وافتتاح ما قبلها الآن بالحركة ذاتها.

. (١٥٣) الخصائص ١: ٢٥٧.

. (١٥٠) نفسه ١: ١٩٠.

. (١٥٤) المصنف ١: ١٩٠.

. (١٥١) نفسه ١: ٢٤٨.

بعض (١٥٢) المصنف ١: ١٩٠.

ويبدو أنه لم يكن يمتحن بالنظر إلى الحركة قبل النقل وبعده في كل الأحوال، فقد عمل انقلاب العين في قيل وخيف، والachel فعل أي قول وخوف باليهم (سلبواها الكسرة ونقلوها إلى الفاء فانقلبت العين في خيف وقيل ياء لأنكسار الفاء قبلها) ^(١٥٥) وكذلك الأمر في مثل مقيم وخيف حيث ذكر أن الحركة القيت (على الساكن وقلبت الواو ياء لسكنها وانكسار ما قبلها) ^(١٥٦).

أما الأعلال في مثل يقول ويبيع والأصل يُقُول ويُبَيِّع فقد نص على انهم (نقلوا الضمة والكسرة من الواو والياء إلى ما قبلهما، وأسكنوهما) ^(١٥٧) وعلة النقل عنده حل المضارع على الماضي في الأعلال كما تقدم، وذكر أن من قال إن العرب قد استقلت الحركة على الواو والياء فقلتها إلى الساكن قبلها (غير معبوء بقوله) ^(١٥٨) وعلل ذلك بما سبق أن ذكره من أن (الواو والياء إذا سكن ما قبلهما جرتا مجرى الصحيح فلم تستثن فيهما الحركة) ^(١٥٩) وقوى مذهبها هذا في جريانها مجرى الصحيح إذا سكن ما قبلهما بحكاية وقعت لأبي عمر الجرمي أسكنت فيها بعض كبار الكوفيين ^(١٦٠)، والذي أرأه أن هذا الكوفي الذي لم يسمه لنا على أنه سكت، إلا أن ما قاله هو الصواب ، فالضمة تكره على الواو، كما أن الكسرة تكره على الياء ^(١٦١).

وقد تجنب الرضي هذه التعليلات التي لا تخلو من التكلف كما تقدم واوجز القاعدة والتعليق : بأنه إذا نقلت الحركة من الياء أو الواو إلى الساكن قبلها نظر: فإن كان المقول فتحة قبلتها الفين (لأنه إذا امكن اعلال الفرع بعين ما اعمل به الأصل فهو أولي) ^(١٦٢) وإن كانت كسرة أو ضمة امتنع قبلتها الفين لأن الألف لا يكون قبلها إلا فتحة وقد حركنا الحرف قبلها بغير الفتحة (فيقيان بحافتها، إلا الواو التي كانت مكسورة فإنها تقلب ياء لصبر ورثها ساكنة مكسورةً ما قبلها) ^(١٦٣) وارى أنه لو قيل : إذا نقلت الحركة من الواو أو الياء جعلتا حرفاً يحيانس الحركة المنقوله ، كان اللفظ موجزاً وفيه تعليل للقلب بالمجانسة ، وقد نص على ذلك السيوطي حيث قال : (إذا نقل ابدللت العين بمحاجنس الحركة المنقوله ، كقولك في أقوم واطيب اقام واطاب ، فإن

^(١٥٥) المصنف ١: ٢٤٩.

^(١٥٦) نفسه ١: ٢٧٠.

^(١٥٧) نفسه ١: ٢٤٧.

^(١٥٨) نفسه ١: ٢٤٨.

^(١٥٩) الحكاية في المصنف ١: ٢٤٨: وهذا نصها : (وحدثني بعض أصحابنا أن أبا عمر الجرمي رحمه الله دخل بغداد فكان بعض كبار الكوفيين يغشاه ويكثر عليه المسائل وهو يجيبه ، فقال له بعض أصحابه : إن هذا الرجل قد ألح عليك بكثرة المسائل فلم لا تسأله ؟ فلما جاءه قال له : يا أبا فلان ، ما الأصل في قم ؟ فقال له : أقوم . فقال له : فما الذي عملوا ؟ فقال له : استقلوا الضمة على الواو فاسكتوها ، فقال له : اخطأت لأن القاف قبلها ساكنة ، قال : فلم يعد إليه الرجل بعدها) .

^(١٦٠) العربية الفصحى ص ٤٦.

^(١٦١) شرح الشافية ٣: ١٤٤.

جانست الحركة العين فليس فيه سوى النقل كيقول وبيع .^(١٦٢)

الاعلال بالحذف

ذكر ابن جني عدة مواطن حذف فيها الواو أو الياء فمن ذلك حذف العين والاكتفاء بالزائد عوضاً عنها في ما ورد عنهم من تخفيف سيد ومت وهي بزنة فعل حيث تحول إلى سيد وبمت وهي بزنة فعل بعد حذف العين قال الشاعر :
هُنَيْسُونَ لَيْسُونَ أَيْسَارٌ ذَوُو يَسَرٍ سُوَاسٌ مَكْرَمَةٌ أَبْنَاءِ أَيْسَارٍ
فقد حذفت العين منها وجعلت ياءً فيعل عوضاً منها .^(١٦٣)

والعلة في حذف العين هنا كما ذكر سيبويه التخفيف ... فإنهم يحذفون العين .. لاستقاحهم الياءات .^(١٦٤) ، وجعل المبرد هذا الحذف مطرداً في (جيع بابه استقلالاً للتضييف في حروف العلة) .^(١٦٥) وقد تابع ابن جني من سبقه من البصريين في هذا ، وجعل الاعلال بالحذف هنالك اتباً للاعلال بالقلب ، حيث قلبت العين وهي واو ياء لسكنها قبلها (ثم أنهما لما اعلوا العين بالقلب اعلوها أيضاً بالحذف لضرب من الاستخفاف) .^(١٦٦)

ومن الحذف أيضاً حذفهم اللام ما لحقه علم الجمع في نحو قوله : القاضون والاعلون .^(١٦٧) ، حيث التقت لام الكلمة المعتلة الساكنة وواو الجمع الساكنة فحذفت اللام تخلصاً من التقاء الساكنين .

ومما حذف فيه حرف العلة بعد أن تعرض للاعلال بالاسكان والقلب عن مفعول من الأجواف على رأي الأخفش ، وهي مسألة خلافية .^(١٦٨) ، حيث ذهب الخليل إلى أن المحذوف وأو مفعول ، وذهب الأخفش إلى أن المحذوف عن مفعول وقد قال ابن جني ، ولا يعنينا هنا استدلاله للمذهبين ، وإنما الذي يعنينا هو قوله عن عين مفعول ^{من} قال وباع : (فكم أعللت بالاسكان والقلب ، كذلك أيضاً أعللت بالحذف) . وأيضاً فإن العين قد حذفت في قوله : قل ويع ، ونحو ذلك ، فكم حذفت في غير هذا الموضع كذلك حذفت هنا .^(١٦٩) ، وهذا كما ذكر في باب هيئ وكان الحرف إذا أعل نوع اعلال في موضع صار عرضة لأنحرفي موضع آخر . والحذف هنا كان للتخلص من التقاء الساكنين سواء في عين مفعول نحو مقول حيث أعللت بالنقل أولاً فنقلت الضمة إلى الفاء وسكنت أوي في عين قل ويع حيث نقلت الحركة إلى الفاء وسكنت .

.^(١٦٦) (١٦٦) المصنف : ٢ : ١٦.

.^(١٦٧) (١٦٧) المصنف : ٢ : ٢٩٦.

.^(١٦٨) (١٦٨) المصنف : ١ : ٢٨٨.

.^(١٦٩) (١٦٩) نفسه : ١ : ٢٩٠.

.^(١٦٢) مع المراجع : ٢ : ٢٢٤.

.^(١٦٣) المصنف : ٢ : ٢٨٩.

.^(١٦٤) الكتاب : ٢ : ٣٧٢.

.^(١٦٥) المتنبب : ١ : ١٢٥.

وما يدخل في هذا من الحذف لالتقاء الساكين ما ذكره من حذف العين في قلت وبعث، والذي أورده في هذا من رأي علماء العربية يستدعي أكثر من سؤال، فقد ذكروا أن أصل قلت قولهت واصل بعث بيعت، ولكن (نقلت قولهت إلى قولهت لأن الضمة من الواو) (١٧٠). وكذلك حدث مع الياء حيث صار بيعت بيعت بالكسر، وبعد ذلك قلت الواو والياء الفين لتحركمها وافتتاح ما قبلها فالتفى ساكنان، الألف المتقلبة عن الواو المضمومة أو الياء المكسورة ولام الفعل الذي سكن بسبب اتصاله بناء الرفع (فسقطت العين، فنقلت حركتها المجتباة لها إلى الفاء قبلها فصارت قولهت وبعث) (١٧٠).

وقد ذكر ابن جني سؤالاً واحداً هو: لم نقلت فعلت إلى فعلت في قال، وإلى فعلت في باع؟ واجاب عن ذلك بأنهم إنما فعلوا ذلك لأنهم أرادوا أن يغيروا حركة الفاء كما كانت عليه ليكون ذلك دلالة على حذف العين وامارة للتصرف) (١٧٠)، أي إننا عند ما نرى القاف في قلت مضمومة فسوف نعلم أن المحذوف الواو والفعل متصرف وكذلك في بعث، وأغفل ابن جني سؤالين:

الأول: كيف استساغ العربي النطق بواو مضمومة أو ياء مكسورة مع ما عرف عنهم من كراهية ذلك (١٧١)؟ ويمكن أن يجاب عن هذا بأنهم لم ينطقو به وإنما هو هكذا في التقدير.

الثاني: لماذا يقع الاعلال بالقلب في قولهت وقد تحركت الواو وافتتح ما قبلها، وانتظروا إلى أن غيرت الحركة بالضم أو بالكسر في بعث ثم قلبا؟ يمكن أن يجاب عن هذا أيضاً بأنهم لو قلبوا ابتداء لفاظ عليهم تحرير الفاء بالضم أو بالكسر، وتبقى الفاء مفتوحة، فلما علموا أنهم سيقلبون مع تغير الحركة احتملوا حركة الواو والياء وافتتاح ما قبلها حتى تحولوا إلى الضم أو الكسر.

وأيس من هذا التكلف وأقرب كما أرى أن يقال: إن الذي اتصل بناء الرفع هو الفعل قال وباع بالألف، وليس مكان ينبغي أن يكون عليه الفعل قبل الاعلال، فلما سكت اللام حذفت هذه الألف التي هي عين الفعل لالتقاء الساكين، وقد علم العرب من تصرفهم بالفعل في المضارع والمصدر أن هذه الألف من الواو، أو تكون واوا في تصرف الفعل، فضموا الفاء إشارة إلى ما حذف، وكسروا الفاء مع ما كان أصله ياء للإشارة أيضاً.

وقد ذكر ابن جني ماذج أخرى من الحذف (١٧٢)، وهي لا تخرج عنها اخترتناه هنا فالحذف فيها إما للتخفيف وإما للتخلص من التقاء الساكين رأينا أن تتجاوز إيرادها اكتفاء بما ذكرناه آنفاً.

(١٧٠) المصنف ١: ٢٣٤.

(١٧١) انظر مثلاً المصنف ١: ٢٣٩، ٢٥٦، ٢٨٤، ٢٨٧.

(١٧٢) العربية الفصحى ص ٤٦.

الخاتمة



الخاتمة

في البحث الذي تقدم انتهينا إلى نتائج نحسب أنها على جانب من الأهمية. منها ما اختلف فيه من سبقنا فرجحت ما أراه بالدليل والبرهان، ومنها ما لم أسبق إليه فأتبته بأدله أيضاً.

ففي الباب الأول استطعت في الفصل الأول أن أقطع وأنا اتكلم على صفة ابن جني بأنه لم يكن مصانعاً كما ذهب إلى ذلك بعض المحدثين وذلك بايراد نصوص من كتبه المختلفة، كما كشفت بالنصوص أيضاً عن صفة من صفاته الكتابية وهي اعجابه الشديد بما يكتب وتصريحة بهذا الإعجاب كذلك قويت الرأي الذي كان عليه دارسو ابن جني من أنه كان بصرياً بعد أن حاول بعضهم أن يجعله بغدادياً وينخرجه من مدرسة البصرة.

وفي الفصل الثاني كان أبرز ما فعلته عالم يسبقي أحد من دارسي ابن جني إليه على ما أعلم هو تثبيت اسانيده التي أوردها في كتبه المختلفة مما يوثق النصوص التي يرويها ابن جني عن سبقة، وكذلك ما قمت به من احصاء طرق أخذنه من الكتب. وتدوين اهم الكتب التي ورد ذكرها في كتبه. ولما لم يكن عصر ابن جني عصر أخذ عن الاعراب فقد حاولت أن أحصر اهم المسائل التي كان قد أخذها عن اعراب زمانه. ولما كان الاستشهاد بالحديث من المسائل التي كثر كلام العلماء حولها فقد حاولت اظهار مذهبه في ذلك وقطعت بالاحصاء من نصوص كتبه بأنه كان من يستشهدون بالحديث.

اما الفصل الثالث فكانت أبرز نتائجه التدليل على أن عدداً من تقدم ابن جني قد بحثوا بصورة مفصلة في الحروف وخارجها وصفاتها والابدال لمناسبة الصوت، وورد في كتبهم ذكر لعدم من القوانين الصوتية وغير ذلك من المسائل الصوتية، كذلك بحثوا في اللهجات واختلافها وتأثير ذلك في القراءات. وقد رجحت في هذا أن يكون ابن جني قد افاد من ذلك لما يربطه باصحاب تلك الاراء والمذاهب من رابطة السندي عن طريق شيوخه.

وفي الفصل الأول من الباب الثاني استطعت أن أحصر العوامل التي أدت إلى ظهور اللهجات واختلافها بأمررين: العزلة، والاختلاط بغير العرب واظهرت خلافي ابن جني والأخفش فيما ذهبنا إليه من أن أول ما وضعت من اللهجات العربية وضع على خلاف. كما قويت رأى ابن جني فيما ذهب إليه من أن الخلاف بين اللهجات إنما هو في شيء من الفروع، أما الأصول وما عليه العامة والجمهور فلا خلاف فيه. كذلك حاولت في هذا الفصل تقيد عبارات ابن جني التي جاء فيها اباحة الكلام على آية لهجة وإن كانت غير مشهورة أو كان غيرها أسرير منها. فجمعت القيد من كلامه ووضعتها في مكان واحد، دفعاً للوهم في فهم عبارته. وفي هذا الفصل أيضاً استطعت أن أزيل الوهم والغموض الذي توحي به بعض عبارات ابن جني مما قد يفهم منه أن القول بأن هذه اللفظة لهجة أو ليست لهجة هو مسألة رواية، وقطعت بنصوص أخرى تفسر هذه أن الأمر لا يخرج عن الرواية في آية صورة من صوره. وفي هذا الفصل وضعت الضابط الذي اعتقاد صحته في كون اللفظة لهجة أو من الابدال أو من غيره.

وفي الفصل الثاني جمعت ما كتبه ابن جني في الابدال والإدغام والحدف والزيادة والقلب متثواراً في كتابه *بويته* وفصلت القول فيه بعرضه على آراء العلماء في الدراسات اللغوية والصوتية الحديثة وتمكنت من خلال ذلك أن أخرج بعض الآراء الشخصية في تفسير عدد من الظواهر اللهجية أرى أنني انفرد بها مدللاً على ذلك بالنصوص القديمة والحديثة كالذى ختمت به كلامي على الألف في الوقف. وأثبتت ابدال الماء الفاء في آل وغيرهما. وفيه أيضاً رجحت نسبة بعض اللهجات إلى قبائلها مما اسبق إليه بناء على ما ورد في أنساب القبائل وموضعها كابدال آيات غير المشددة جيئاً حيث ترجع عندي أنه في قبيلة جرم من قضاة. وغير ذلك. كما استطعت أن أو كدرأى العلماء العرب في تاء التائيت عند الوقف مسقطاً ما ذهب إليه بعض المحدثين من نفيها.

وفي هذا الفصل عرضت لاختلاف العرب في الإدغام وفكه واستطعت أن أو كد اعتماداً على الأحصاء والقراءات القرآنية الأسلوب الذي اختاره القرآن الكريم في الأمر وفي المضارع المنجز مما اسبق إليه بهذه الصورة التي قدمتها على ما أعلم. واستطيع أن أقول غير مغال إنه لا تكاد مسألة ما ذكر في هذا الفصل تتخلو من ترجيح أو رأي مدلل.

وفي الفصل الثالث حللت على الضرورة بعض ما أوردته ابن جني على أنه جاء على الأصل فخالفته ودللت على ما ملت إليه. كذلك رفضت ما استتبذه من حكاية السجستانى في طوى وطيبى ورجحت أن يكون الاعرابي متعمداً ولم يكن على سجيته وعللت بالقياس الحاطىء ماجاء عن بعض العرب مخالفاً الحجازية والتميمية في اتمام مفعول من الواوى، ووافقت ما ذهب إليه

بعضهم من رفض القول بوجود حركة ممالة قبل ألف الامالة ودللت على ذلك بما أراه، وأوردت ما أراه من تفسير لـألف الامالة والـف التفعيم والـالف المفتوحة . وكذلك تفسير ما ورد من حذف في حروف المد في شعر البداوة وفي القرآن الكريم . وفي هذا الفصل ترجع عندي ما ذهب إليه العلماء العرب من اشتراط حرف الخلق في مثل شعير ورغيف بكسر الفاء واسقطت ما أدعاه بعض المحدثين من أن هذا الاشتراط لا معنى له .

وفي كسر حرف المضارعة حرصت على إزالة كثير من الأوهام التي وقعت فيها عبارات المحدثين الذين تناولوا هذا الموضوع واوضحت رأي العلماء العرب بشكل واف .

أما الفصل الرابع وهو الفصل الخاص باختلاف اللهجات في المعنى والاعراب فقد ثبت فيه ان ابن جنی لم يذكر ما اندرج عنده تحت لفظ اختلاف اللهجات في المعنى واتفاقها في اللفظ مما يدخل في باب اللهجات سوى مسألتين اوما اليهما إيماء ولم يفصل القول فيها . فتابعته في ترك التوسيع في هذا . وفي اختلافهم في الاعراب أوردت شيئاً مما ذكره كاختلافهم في ما النافية إذا دخلت على الجملة الاسمية واختلفوا في النصب بليتها . وحاولت أن أعمل ما يمكنني تعليمه من هذا الاختلاف كما فعلت في هلم وفي الزام المثنى الألف .

وفي الفصل الخامس وهو شذوذ اللهجات والمقاييس بينما ذكرت اقسام الشاذة كما يراها ابن جنی وحاولت أن أصلح مذهبه في ما كان شاذًا في القياس والاستعمال بأن دعوت إلى طرح جملة رأيت أنها مقحمة في مت الخصائص من نسخة وصفت بأنها تختلف عن النسخ الأخرى اختلافاً كثيراً، فامكن اظهار رأيه بصورة خالية من التناقض . وما بحثته في هذا الفصل أيضاً الكلمة المفردة تسمع من العرب لا نظير لها هل تعد شاذة ، ومتى يقبل ما يرد من الألفاظ مخالفًا للغة الجمهور وللقياس وما عليه ، وهل يتنقل لسان العربي ويغلط فيكون ذلك مدعوة لإتيانه بما يخالف قياس لغة العرب ، وللاتيان بهجة ثلاثة تداخلت من هجته واللهجة التي انتقل لسانه إليها ، وهل يعد ذلك في الشذوذ ، وما الفرق بين شذوذ اللغة وشذوذ القراءة ، وما أثر هذا الشذوذ في القراءات ، وهل كل القراءات الشاذة آتية من لهجات شاذة ، وذكرت أيضاً عددًا من الاوصاف التي وصف بها اللهجات وهو يعقد موازنة بينها وعرضت مثالين لموازناته وانتهيت إلى مخالفته في اخضاع اللهجات للموازنات والمقاييس ووافقته في الإشارة إلى اللهجة الأكثر استعمالاً أو الأisser .

وفي الباب الثالث وهو دراساته الصوتية في ضوء علم اللغة الحديث عرضت في الفصل الأول وهو النظرية الصوتية في نشأة اللغة آراء العلماء في الكلام على نشأة اللغة أهم من مباحث

علم اللغة أم هو أمر غبي لشأن لعلم اللغة به، وقصرت البحث على النظرية الصوتية من بين النظريات المتعددة وكان ابن جني قد أشار إلى شيء منها ولم ينسبة لنفسه واتيت بالنص الذي يشير فيه إلى تقدم القول بهذا ووقفت عنده قليلاً لا زيل ما علق باذهان بعض المحدثين من نسبة القول بالنشأة الصوتية إلى ابن جني وكذلك ما عبر به بعضهم من أن القائلين بهذا من العلماء العرب قبل ابن جني كثيرون، ولم يذكر واحداً منهم. وعرضت في هذا الفصل أيضاً بصورة موجزة آراء علماء العرب في نشأة اللغة وتحدث الاراء في دراستها وانتهت إلى أنه قريب مما ذكره ابن جني.

وفي الفصل الثاني: الصوت والمعنى عرضت وجهة نظر ابن جني في موافقة عدد غير قليل من أصوات الحروف في العربية لمعانيها كاشتراك الحروف الأصول في التعبير عن معنى معين فإذا اختلف نظمها أدت معانٍ متعددة ولكنها في كل ذلك تبقى محتفظة بمعنى عام جامع وهو ما عبر عنه بنظرية الاشتراق الأكبر وقد ناقشت ذلك في ضوء علم اللغة وانتهت إلى خرورة اخراج هذا الموضوع من باب موافقة الصوت للمعنى. ومن ذلك بحثه في تقارب الأصلين حيث رأى أن أصوات الحروف بسبب تقاربها تؤدي إلى تقارب المعنى وقد خرجت من هذا إلى إعادة مارآه من أصول مختلفة إلى أصل واحد وبذلك علت التقارب في المعنى مستفيداً في ثبات ما ذهب إليه من رأي علم اللغة الحديث وأقوال العلماء السابقين. وقد وافقت ابن جني في ما أورد، من تقارب أصوات الحروف والمعنى المؤداة بها في بعض الصيغ والتضعييف كالفعلان والفعل وافعوعل وفقل، وعرضت كذلك رأيه في ترتيب الحروف بما يضاهي الاحداث وحكاية الاصوات والتفريق بين المعنين شدة وضعفا بحركة الحرف في البنية. وهي من المظاهر اللغوية القليلة بالقياس إلى عموم اللغة. ووقفت قليلاً عند المضارعة بالأصول حيث تناولت المضارعة بالأصل الواحد كأَزَّ وَهَزَ وبالاصلين كالصهيل للفرس والسجيل لخمار الوحش وبالأصول الثلاثة كالغدر والختل، واحصبت من ذلك في كتبه ما أربى على التسعين مثلاً، وابدلت رأيه مدعياً بالتصوص مما كتب فيها وصفه بعض المحدثين بغموض عبارة ابن جني في هذا الباب وبيانه لا مفهوم للأوصاف التي ذكرها عند علماء الاصوات. واستطاعت أن اكشف عما اراده ابن جني بالأوصاف الواردة في المضارعة بالأصول بما احسب أنه ازال ما وصف بالغموض عنها.

وفي الفصل الثالث وهو أصوات الحروف عرضت بصورة موجزة كلام المحدثين في اعضاء النطق مقارناً بما ذكره ابن جني وسيبوه والخليل وكان ابرز خلاف بين الفريقين اغفال القدامي دور الورترين الصوتين اللذين لم يكونوا يعرفونهما مما ادى إلى الاختلاف بين القدامي والمحدثين في صفات بعض الحروف بين الجهر والهمس وحين تناولت الكلام على المدرج الصوتي وجدت بعض الخلاف في ترتيب الحروف بين سيبوه والخليل وبين ابن جني وسيبوه فاشرت إلى

ذلك . ونبهت إلى خطأ بعض المحدثين في تفسير عبارة ابن جني المتعلقة بادخال الألف في حروف الحلق . وعرضت آراء العلماء العرب في مخارج الحروف على ما يراه علم اللغة الحديث وأوضحت الفرق بينها إن وجد وحاولت أن اعمل بعض هذه الخلافات كذلك حاولت أن أعمل ما اختلف فيه الفريقان في أوصاف بعض الحروف في الجهر والهمس أو الشدة والرخاوة مع ايراد الحروف على أوصافها الأخرى في الأطباقي والافتتاح والاستعلاء والانفاس وحروف القلة والذلاقة والمتصرف والمكرر والمهتوت والهاوي وفي ذلك كله كنت انظر إلى ما قاله ابن جني من خلال علم اللغة الحديث والنصول التي تقدمته في كتاب سيبويه .

وفي الفصل الرابع : الحرف والحركة ذكرت رأيه في تسمية الحركات وكونها ابعاضاً لحروف المدوالين والاستدلال على ذلك باشباع الحركة ومجيء حروف المعجم غير المدادات بعدها واجراها مجرى الحرف واجراء الحرف مجرها . وذكرت توهم ابن جني والقديمة وجود حركة قبل حرف المدمن جنسه ووافقت علم اللغة الحديث في نفي هذه الحركات بذلك ذكرت رأيه في موضع الحركة من الحرف واسقاطه لمذهب من قال أنها قبل الحرف ثم تدليله على أنها بعد الحرف ومناقشته رأي شيخه الفارسي في أنها مع الحرف . وكذلك تناولت كلامه على مطل حروف اللين وتطويلها ورأيه في أن هذه الحروف تكون أطول صوتاً قبل الهمزة والحرف المشدد وعند التذكرة وأوضحت رأي في ذلك كله كما افدت في دراسة الصوت قبل المشدد باللاحظات التي ابداها بعض المحدثين في التقسيم المقطعي للكلمات .

أما الفصل الخامس وهو التعليل الصوتي فقد عرضت فيه آراءه في الادغام الاصغر الذي هو تقريب الصوت من الصوت من غير ادغام يكون هناك كتعليل فتح العين في مضارع المفتوح بمناسبة الصوت وفي الادغام الاكبر وهو الادغام حقيقة عرضت رأي بعض علماء اللغة الغربيين في أن الحرف المشدد ليس سوى حرف واحد طالت الوقفة عليه وناقشت ذلك في ضوء ما قدمه ابن جني وفي ضوء علم اللغة الحديث أيضاً وانتهت إلى إثبات كون الحرف المشدد حرفين مدغمين وإن اللسان ينبو عنها نبوة واحدة وهو رأي ابن جني . ومع أن العرب تكره اجتماع المثلين المترجكين إلا أن عدداً من الصيغ قد ورد بفك الادغام عنهم عرضتها من كلامه مع ذكر تعليله لهذا الفك . وفي هذا الفصل أيضاً أوردت تعليلاًه الصوتية للابدال في تاء الافعال وما تصرف منه وفي النون الساكنة إذا ولها ميم أو باء وفي تاء ست وحاولت في تاء ست أن استفيد مما وارد في اللغات السامية لعرفة أصل اللفظة وتحولاتها وعرضت عدة احتمالات لذلك بناء على نظرية علم اللغة لما ورد في السامييات من أصوات . وفي الاعلال أوردت آراءه في العلل الصوتية التي تؤدي إلى احداث تغيير في حرف العلة في الكلمة وبيّنت وجهة نظر بعض علماء اللغة المحدثين في ذلك

وحاولت ابداء رأي في وإن خالف أحياناً ما توصل إليه بعض المحدثين.

وقد كان الباب الثالث بصورة عامة مجالاً رحباً لعرض التفكير الصوتي عند العرب من خلال ما كتبه ابن جني على علم اللغة الحديث بكل ما توصل اليه من نتائج التشريح والاجزءة الحساسة والاتجاهات الحديثة . ويستطيع أي دارس منصف أن يخرج من قراءته هذا الباب بأن ما توصل إليه علماء اللغة العرب في الدراسات الصوتية كان فقرة زمنية يطّلّون بها من خلال ما كتب ابن جني من وراء الف عام على علماء اللغة المحدثين.

والحمد لله في البدء والختام ، والصلوة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

المصادر

- ابن جني النحوي - الدكتور فاضل السامرائي . ط بغداد ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م .
- أبو عمرو الشيباني - الدكتور مراد كامل ، مجلة جمع اللغة العربية بمصر، ج ٣٢ سنة ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م .
- احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم - للمقدسي ، طبعة بالأوفست عن ط ٢ ، ليدن ١٩٠٩م .
- احياء النحو - إبراهيم مصطفى ، ط القاهرة ١٩٥٩م .
- أخبار النحويين البصريين - للسيرافي ، ط مصر ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م .
- أساس البلاغة - للزمخشري ، ط كتاب الشعب ، القاهرة ١٩٦٠م .
- الاستدراك على سيبويه - لأبي بكر الزبيدي ، ط روما ١٨٩٠م .
- أسرار البلاغة - عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق هـ . ريت ، ط استانبول ١٩٥٤م .
- الاشباه والنظائر - للسيوطى ، ط ٢ ، الدكن ١٣٥٩هـ .
- الاشتقاد - لابن دريد ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط ١ ستة ١٩٥٨م .
- اصلاح المنطق لأبي السكينة ، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ، ط ٣ ، ٣م . دار المعارف بمصر ١٩٧٠م .
- أصوات اللغة - الدكتور عبد الرحمن أيوب ، ط ٢١٩٦٨م .
- الأصوات اللغوية - الدكتور إبراهيم أنيس ، ط ٤ ١٩٧١م .
- الأصول في النحو - لابن السراج ، تحقيق الدكتور عبد الحسين الفتلي ، ط ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م .
- الاعلام - خير الدين الزركلي ، ط ٢ ، القاهرة ١٩٥٤م .
- الاغانى - لأبي الفرج الأصفهانى ، ط دار الكتب المصرية .

- الاغراب في جدل الإعراب - لابن الأباري، تحقيق سعيد الأفغاني، ط دمشق ١٣٧٧هـ / ١٩٥٧م.
- الاقتراح في علم أصول النحو - للسيوطى ، تحقيق الدكتور أحد محمد قاسم، ط القاهرة ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م.
- الأمالي - لأبي علي القالى، ط بالأوقست عن طبعة مصر.
- املاء ما من به الرحمن - لأبي البقاء العكيرى ، تحقيق الاستاذ إبراهيم عطوة عرض ط ١ ، ١٣٨٠هـ / ١٩٦١م.
- انبأه الرواة - للقطى ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، ط مصر ١٣٧١هـ / ١٩٥٢م.
- الانصاف في مسائل الخلاف لابن الاباري ، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، ط ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م.
- أوزان الفعل ومعانيها - هاشم طه شلاش ، ط الآداب ١٩٧١م.
- إيضاح المكتون في الذيل على كشف الظنون - إسماعيل باشا البغدادي ، ط ٣ بالأوقست ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م.
- البحر المحيط - لأبي حيان الأندلسي ، ط السعادة بمصر ١٣٢٨هـ .
- بحوث في تاريخ السنة المشرفة - أكرم العمري ، ط ٢ ، بغداد ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م .
- بغية الوعاة - للسيوطى ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، ط ١٣٨٤هـ / ١٩٦٥م.
- البلقة في أصول اللغة - محمد صديق حسن خان ، ط الجواب ١٢٩٦هـ .
- البيان في غريب اعراب القرآن - لابن الاباري ، تحقيق الدكتور طه عبد الحميد طه ، ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م.
- تاج العروس - للزبيدي ، ط بيروت ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م.
- تاريخ آداب العرب - مصطفى صادق الرافعى ، ط ١٣٥٩هـ / ١٩٤٠م.
- تاريخ علوم اللغة العربية - طه الراوى ، ط ١٣٦٩هـ / ١٩٤٩م.
- تاريخ القرآن - الدكتور عبد الصبور شاهين ، ط دار القلم ١٣٦٦هـ / ١٩٤٦م.
- تاريخ اللغات السامية - الدكتور إسرائيل ولفسن ، ط ١ القاهرة ١٣٤٨هـ / ١٩٢٩م.
- تحصيل عين الذهب - للعلام الشتيري بحاشية كتاب سيبويه ، ط بولاق.
- التصريف الملكي - لابن جني ، تحقيق محمد سعيد النعسان ، ط ٢ دمشق ، ١٣٩٠هـ .

- تغير الجيم إلى ياء في لهجات شبه الجزيرة العربية - ت. م. جونسون، ترجمة سعد مصلوح، مجلة جمع اللغة العربية بمصر، العدد ٢٦ سنة ١٩٧٠ م.
- تفسير أرجوزة أبي نواس - لابن جني، تحقيق محمد بهجة الأثري، ط دمشق ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦ م.
- التفكير الصوقي عند العرب - الدكتور هنري فلش، ترجمة الدكتور عبد الصبور شاهين، مجلة جمع اللغة بمصر، ج ٢٣ سنة ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨ م.
- التمام في تفسير أشعار هذيل ما أغفله أبو سعيد السكري - لابن جني، تحقيق الدكتور القيسي وصاحبيه، ط بغداد، ١٣٨١هـ / ١٩٦٢ م.
- التنبيه على شرح مشكلات الحماسة - ابن جني، تحقيق عبد المحسن خلوصي، (على الآلة الكاتبة) مكتبة الدراسات العليا بكلية الآداب.
- جمهرة اللغة لابن دريد، ط بالأوفست عن ط حيدر آباد - الدكن ١٣٤٥هـ.
- الجمل - للزجاجي، تحقيق ابن أبي شنب، ط ٢٣٧٦هـ / ١٩٥٧ م.
- حاشية الصبان على الاشموني - محمد الصبان، ط عيسى الحلبي.
- الحجة في القراءات السبع - لابن خالويه، تحقيق الدكتور عبد العال سالم مكرم، ط بيروت ١٩٧١ م.
- الحجة في علل القراءات السبع - لابي علي الفارسي، تحقيق علي النجدي ناصف وصاحبيه، ط مصر.
- الحديث الشريف في الدراسات النحوية واللغوية - محمد ضاري حادي، (على الآلة الكاتبة) في مكتبة الدراسات العليا بكلية الآداب ببغداد ١٩٧٣ م.
- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري - آدم متز، تعریف محمد عبد الهادي أبو ريدة، ط٤ بيروت ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧ م.
- خزانة الادب للبغدادي، ط١، المطبعة الأميرية ببولاق - مصر.
- الخصائص - لابن جني، تحقيق محمد علي النجار، ط دار الكتب المصرية، ١٣٧١هـ / ١٩٥٢ م.
- الخليل بن أحمد الفراهيدي أسمائه ومنهجه - الدكتور مهدي المخزومي، ط بغداد ١٣٦٠هـ / ١٩٤٠ م.
- دراسات في فقه اللغة - الدكتور صبحي الصالح، ط٣ بيروت ١٩٦٨ م.
- دراسات في فلسفة النحو والصرف واللغة - الدكتور مصطفى جواد ١٩٦٨ م.
- دراسات لأسلوب القرآن الكريم - محمد عبد الخالق عضيمة، ط السعادة بمصر، ١٣٧٢هـ / ١٩٧٢ م.

- درامة الصوت اللغوي - الدكتور أحمد مختار عمر، ط ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م.
- الدرس النحوي في بغداد - الدكتور مهدي المخزومي، ط ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م.
- دروس في علم أصوات العربية - جان كاتينيو، تعریف صالح القرماوي ، تونس ١٩٦٦م.
- دلالة الألفاظ - الدكتور إبراهيم أنيس ط ٢٠١٩٦٣م.
- ديوان الأدب - للفارابي، ج ١، تحقيق الدكتور أحمد مختار عمر، ط ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م.
- ديوان العجاج برواية الأصمعي ، تحقيق الدكتور عزة حسن ، ط بيروت ١٩٧١م.
- ديوان المذلين - برواية السكري عن الأصمعي ، ط دار الكتب المصرية، ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م.
- دور الكلمة في اللغة - ستيفن أولمان ، تعریف الدكتور كمال محمد بشر ، ط ٢٠١٩٧٣م.
- رصف المباني في شرح حروف المعاني- أحمد بن عبد النور المالقي ، تحقيق أحد محمد الخراط ، ط دمشق ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م.
- الرواية والاستشهاد باللغة - الدكتور محمد عيد ١٩٧٢م.
- سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب - للشيخ محمد أمين السويفي البغدادي ط المكتبة التجارية بمصر.
- سر صناعة الإعراب - لابن جني، ج ١، تحقيق مصطفى السقا وجامعة ١٩٥٤م.
- سر صناعة الإعراب - لابن جني، ج ٢ ، تحقيق أحد رشيد سعيد محمود (على الآلة الكاتبة) ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م . وقد أشرنا إليها بـ(الأزهر).
- سر صناعة الإعراب - لابن جني، ج ٢ ، نسخة المتحف العراقي ، مخطوطة تحت رقم ٩٨٩٦ وقد أشرنا إليها بـ(المتحف).
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد ، ط بيروت.
- شذا العرف في فن الصرف -أحمد الحملاوي ، ط ١٣٨٤هـ / ١٩٦٥م.
- شرح الفية ابن مالك - لابن عقيل ، تحقيق محمد محبي الدين عبد الحميد ، ط ١٤١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م.
- شرح تحفة الخليل في العروض والقافية - عبد الحميد الراضي ، ط بغداد ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م.
- شرح التصریح على التوضیح - الشیخ خالد الأزهري ، ط عیسیٰ الخلیبی.
- شرح أشعار المذلين - للسکری ، تحقیق عبد الستار أحد فراج.

- شرح الشافية - الرضي الاستربادي، تحقيق محمد نور وصاحبها، ط بيروت، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م.
- شرح شواهد الشافية - البغدادي، تحقيق محمد نور وصاحبها، ط بيروت، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م.
- شرح الكافية - الرضي الاستربادي، ط ١٢٧٥هـ.
- شرح لامية الأفعال - ابن الناظم في مجلة كلية الدراسات الإسلامية ببغداد العدد ٤ سنة ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م.
- شرح اللمع لابن جني، شرحه ابن الدهان، مخطوطة مصورة في مكتبة الدكتور أحمد ناجي القيسى.
- الصاحبي في فقه اللغة - أحمد بن فارس، تحقيق مصطفى الشومي، ط بيروت ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤م.
- صفة جزيرة العرب - للهمداني، ط ليدن، ١٩٦٨م.
- الضراير وما يسوغ للشاعر دون النثر - محمود شكري الألوسي، ط مكتبة دار البيان ودار صعب بالأوفست.
- طرق تسمية الألفاظ في اللغة - الدكتور إبراهيم أنيس، ط القاهرة ١٩٦٧م.
- ظاهرة الشذوذ في التحوّل العربي - الدكتور فتحي عبد الفتاح الدجني، ط ١٣٧٤هـ / ١٩٧٤م.
- عبرى من البصرة - الدكتور مهدي المخزومي، ط بغداد ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م.
- العربية - يوهان فلک، ترجمة الدكتور عبد الحليم التجار، ط القاهرة ١٣٧٠هـ / ١٩٥١م.
- العربية الفصحى - الدكتور هنري فليش، تعريب الدكتور عبد الصبور شاهين ط ١٩٦٦م.
- العربية ومجاتها - الدكتور عبد الرحمن أيوب، ط مصر ١٩٦٨م.
- علم اللغة - الدكتور علي عبد الواحد وافي، ط ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م.
- علم اللغة - الدكتور محمود السعران ط مصر، ١٩٦٢م.
- علم اللغة العام - الأصوات - الدكتور كمال محمد بشر، ط مصر ١٩٧٣م.
- علم النفس اللغوي - د. نوال محمد عطية، ط ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م.
- العين - للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق الدكتور عبد الله درويش، ١٩٦٧م.
- غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجوزي، نشر برجس تاسيير ١٣٥١هـ / ١٩٣٢م.

- الفتح الوهي على مشكلات المتنبي - لابن جني ، تحقيق الدكتور محسن غياض ط بغداد ١٩٧٣ م.
- الفسر : ديوان المتنبي بشرح ابن جني - تحقيق الدكتور صفاء خلوصي ، ط بغداد ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م.
- فضائل القرآن لابن كثير في مقدمة تفسير الجلالين ، ط مطبعة حجازي بالقاهرة.
- فقه اللغة المقارن - الدكتور إبراهيم السامرائي ، ط بيروت ١٩٦٨ م.
- فهرسة ما رواه عن شيوخه أبو بكر بن خير ، ط ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٣ م.
- الفهرست - لابن النديم ، ط مطبعة الاستقامة بالقاهرة.
- فهرس شواهد سيبويه - أحمد راتب النفاخ ، ط بيروت ١٩٧٠ م
- في الأدب الجاهلي - الدكتور ط حسين ، ط ١٩٦٢ م.
- في اللهجات العربية - الدكتور إبراهيم أنيس ، ط ٣، ٣، ١٩٦٥ م.
- القاموس المحيط ، للفيروز آبادي ، ط مؤسسة الحلبي بالقاهرة.
- القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث - الدكتور عبد الصبور شاهين ، ط مصر ١٩٦٦ م.
- قل ولا نقل - الدكتور مصطفى جواد ، ط بغداد ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م.
- قواعد التلاوة وعلم التجويد - فرج توفيق الوليد ، ط ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م.
- القوافي - لأبي الحسن الأخفش ، تحقيق الدكتور عزة حسن ، ط دمشق ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م.
- الكامل للمفرد ، ط المطبعة الأزهرية بمصر.
- كتاب الجيم لأبي عمرو الشيباني ، تحقيق إبراهيم الإياري ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م.
- كتاب سيبويه ، طبعة مصورة عن طبعة بولاق الأولى ١٣١٦ هـ.
- كتاب سيبويه ، تحقيق عبد السلام هارون ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م.
- كتاب اللغات في القرآن - المستند لابن عباس ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، ط القاهرة ١٣٦٥ هـ / ١٩٤٦ م.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، حاجي خليفة ، ط ٣ بالأوفست ، ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م.
- كلام العرب - الدكتور حسن ظاظا ، ١٩٧١ م.
- الكتر اللغوي في اللسان العربي ، نشر الدكتور أوغست هفر ، ط بيروت ١٩٠٣ م.
- لحن العامة والتطور اللغوي - الدكتور رمضان عبد التواب ، ط مصر ١٩٦٧ م.
- لسان العرب - لابن منظور ، طبعة مصورة عن طبعة بولاق.

- اللغة - ج فندرис، ترجمة - عبد الحميد الدواхи و محمد القصاص، ط مصر ١٩٥٠.
- اللغة والنحو - الدكتور حسن عون، ط ١٩٥٢ م.
- اللهجات العربية في التراث - الدكتور أحمد علم الدين الجندى، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- اللهجات العربية في القراءات القرآنية - الدكتور عبد الرحمن الراجحي، ط مصر، ١٩٦٨ م.
- ما ينصرف وما لا يصرف - لأبي إسحاق الزجاج، تحقيق هدى محمد قراءة، ط القاهرة ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م.
- المباحث اللغوية في العراق - الدكتور مصطفى جواد، ط معهد الدراسات العربية العالية ١٩٥٤ م.
- المبهج في شرح أسماء شعراء الحماسة لابن جني، ط الترقى بدمشق ١٣٤٨ هـ.
- محاضرات في اللغة - الدكتور عبد الرحمن أيوب، ط بغداد ١٩٦٦ م.
- المحاسب في تبيان وجوه شواذ القراءات - لابن جني، تحقيق علي النجدي ناصف وصاحبها، ط القاهرة ١٣٨٦ هـ.
- مختصر العين لأبي بكر الزبيدي. ط المغرب، تقديم وتعليق علال الفاسي ومحمد الطبخي.
- مختصر القوافي - لابن جني، تحقيق الدكتور حسن شاذلي فرهود، ط ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م.
- مراتب النحوين - لعبد الواحد بن علي . ط مصر.
- المزهر في علوم اللغة - للسيوطى ، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وصاحبها ط عيسى الحلبي.
- مستقبل اللغة العربية المشتركة - الدكتور إبراهيم أنيس، ط مصر ١٩٥٩ م.
- مصادر الشعر الجاهلى - الدكتور ناصر الدين الأسد، ط ١٩٦٢ م.
- المطول على التلخيص - للفتازانى، ط تركيا ١٣٣٠ هـ.
- المعاجم العربية - الدكتور عبد الله درويش، ط الرسالة بمصر ١٩٥٦ م.
- معجم الأدباء - لياقوت الحموي، نسخة مصورة عن طبعة مرجليلوث بمصر ١٩٢٣ م.

- معجم البلدان - لياقوت، ط ليزج ١٨٦٨ م.
- المعجم العربي - الدكتور حسين نصار، ط ١٩٥٦ م.
- المعجم الفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ١٣٧٨ هـ.
- المغرب - لابي منصور الجواليقي، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط ٢٠١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م.
- المغني في تصريف الأفعال - محمد عبد الخالق عصيمة، ط ٢٠١٣٤٢ هـ / ١٩٢٣ م.
- مغني الليبي - ابن هشام الاننصاري، ط عيسى الحلبي.
- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام - الدكتور جواد علي، ط ١٩٦٨ م.
- مقاييس اللغة - لابن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، ط الحلبي ١٣٦٦ هـ.
- المقتضب من كلام العرب - لابن جني ضمن ثلاث رسائل له. عني بنشرها وجهه فارس الكيلاني، ط مصر ١٣٤٢ هـ / ١٩٢٣ م.
- المقتضب - للمربرد، تحقيق محمد عبد الخالق عصيمة، ط القاهرة ١٣٨٥ هـ.
- مقدمتان في علوم القرآن - نشر آرثر جفري، مطبعة السنة المحمدية بمصر ١٩٥٤ م.
- الممتنع في التصريف - لابن عصفور، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة، ط حلب ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م.
- مناهج البحث في اللغة - الدكتور ثامن حسان، ط ٢٠١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م.
- من أسرار اللغة - الدكتور إبراهيم أنيس، ط ٢٠١٩٦٦ م.
- المنصف - لابن جني، تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين ١٩٥٤ م.
- مهذب الأغاني - ابن واصل الحموي . ط القاهرة ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٣ م.
- موسيقى الشعر - الدكتور إبراهيم أنيس، ط ٢٠١٩٧٢ م.
- نحو عربية ميسرة - الدكتور أنيس فريحة، ط بيروت.
- النحو المنهجي - محمد أحد برانق، ط ٢٠١٩٥٩ م.
- نزهة الآلباء في طبقات الأدباء - لابن الانتاري - ط جمعية إحياء مآثر العلماء العرب.
- نظرات في اللغة والنحو - طه الرومي، ط ٢٠١٩٦٢ م.
- التوادر في اللغة - لابي زيد الاننصاري، ط ٢٠١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م.
- همع المقامع شرح جمع الجماع - للسيوطى ، ط بالألوفت عن الطبعة المصرية.
- الوجيز في فقه اللغة - محمد الانطاكي ، ط ٢٠١٣٨٢ هـ / ١٩٦٧ م.
- وحي الأصوات في اللغة - الدكتور إبراهيم أنيس، مجلة اللغة العربية بمصر، العدد ١٠ سنة ١٩٥٨ م.

المحتويات

المقدمة

٨ - ٥

اختيار الموضوع ، هدفه ، مادة البحث فيه ، مصادره .

الباب الأول

٧٣ - ١١

ابن جني وأصول دراسته وجهود سابقيه

الفصل الأول

٢١ - ١١

ابن جني - حياته ، ثقافته ، آثاره .

اسمه وصفته ، خلقه وهل كان مصانعاً ، حياته ، ثقافته ،
إعجابه بما يكتب ، قسوته في الرد أحياناً ، اضطرابه ، بصريته ، آثره
في الكتب بعده ، آثاره .

الفصل الثاني

٤٩ - ٢٣

أصول دراسته

السماع - السماع من الشيوخ ، أسانيده ، الأخذ من الكتب ،
مشافهة الأعراب ، ما أخذه عن الاعراب ، الشواهد وموقفه منها ،
القرآن وقراءاته ، الحديث النبوي ، كلام العرب وأمثالهم وأشعارهم .

القياس - معنى القياس ، اهتمامه به ، هل كل اللغة تؤخذ
قياساً ، تعارض السمع والقياس ، فائدة القياس المخالف للسماع .

الفصل الثالث

جهود سابقيه في الدراسات الصوتية واللهجية

٧٣ - ٥١

المعجمات اللغوية ، كتاب العين ، النحو والصرف ، الكتاب لسيبويه ، كتب الصرف المفردة ، اللغة والنوادر ، اصلاح المنطق لابن السكريت ، النوادر في اللغة لأبي زيد ، كتب لغات القرآن ، كتب القراءات والمعاني ، الحجة في علل القراءات ، دواوين القبائل ، ديوان المذلين .

الباب الثاني

دراساته اللهجية

الفصل الأول

٩٥ - ٧٧

اختلاف اللهجات

لماذا اختلفت اللهجات ، نظرية العزلة والاختلاط ، عمق الخلاف بين اللهجات ، الاحتجاج بها ، أنواع الاختلاف بين اللهجات ، متى تكون اللفظة لهجة ومتى لا تكون ، ضابط اللهجة وغيرها عندهنا .

الفصل الثاني

١٩٢ - ٩٧

الاختلاف في الصوامت

الإبدال : الإبدال بين الحروف المتداينة في المخرج الواحد ، المهمزة والألف ، الألف قبل المضعف ، الألف في الوقف ، الألف قبل متحرك أو تاء تأنيث ، مشكلة قلب ألف هي بعض الكلمة ، إبدال المهمزة ألفا ، المهمزة والماء ، الإبدال غير المشكل فيها ، الإبدال المشكل فيها ، الماء والألف ، العين والخاء ، الغين والخاء ، الجيم والياء ، الجيم والشين ، التاء والدال ، التاء والطاء ، السين والصاد والزاي ، الدال والثاء ، الظاء والذال ، الإبدال بين الحروف المتجاوزة في المخرج الواحد ، المهمزة والعين ، العين والغين ، القاف والكاف ، الراء واللام ، اللام والتون ، الإبدال بين الحروف المتقاربة في

المخرج ، الثاء والفاء ، الكاف والشين ، التاء والسين ، التاء والصاد ، الصاد واللام ، الإبدال بين الحروف المتبااعدة في المخرج ، التاء والهاء ، الكاف والتاء ، التاء والباء ، الشين والسين ، المهمزة والواو والياء ، إبدال الياء ، رد القول بالإبدال في جملة الفاظ أوردها ابن جني .

الإدغام : أقسام الادغام ، الادغام في الأمر والمضارع المنجز ، ادغام التاء في الطاء والدال ، فاء الافعال وتأوه .

الحذف والزيادة : حذف الألف في الوقف على المتصوب ، حذف ألف فاعل ، حذف المهمزة ، حذف المهمزة في القراءات ، الحذف في الاسم الموصول ، حذف التنوين ، الوقف على المنون بالواو والياء ، حذف التنوين مع بنت ، حذف فاء افعال .

القلب : أقسامه ، متى يحكم به .

الفصل الثالث

٢٣٧ - ١٩٣

الاختلاف في الصوائت

الاختلاف في الصوائت الطويلة ، الإعلال ، التصحیح والاعلال ، الحذف والذكر في مفعول من الأجواف ، الإعلال غير المقیس ، الألف والواو والياء ، الإملاء ؛ حقيقتها ، أنواعها ، علة الإملاء ، الإملاء مع حروف الاستعلاء .

الاحتلاس والحدف .

الاختلاف في الصوائت القصيرة ، بين الضم والكسر ، بين الفتح والكسر ، الكسر مع حروف الحلق ، كسر أحرف المضارعة ، الاختلاف في الحركة والسكن ، الاختلاف في الاشباع والاحتلاس ، الاختلاف في الاشمام والإملاء .

الفصل الرابع

٢٤٧ - ٢٣٩

الاختلاف في المعنى والاعراب

الاختلاف في المعنى ، الاختلاف في الاعراب .

الفصل الخامس

٢٦٦ - ٢٤٩

شذوذ اللهجات والمقاييس بينها

شذوذ اللهجات ، الاطراد والشذوذ في القياس والاستعمال ، ما لا نظير له ، ما خالف لغة الجمهور ، تداخل اللغات وتركبها ، شذوذ القراءة ، المقاييس بين اللهجات ، ما النافع ، هلم .

باب الثالث

٣٤٧ - ٢٦٧

دراساته الصوتية في ضوء علم اللغة الحديث

الفصل الأول

٢٧٥ - ٢٦٩

النظرية الصوتية في نشأة اللغة

الفصل الثاني

٢٩٣ - ٢٧٧

الصوت والمعنى

التقديم والتأخير في الأصل الواحد ، تقارب الأصلين ، تقارب الحروف لتقريب المعاني ، معانى الصيغ والتضييف ، ترتيب الحروف بما يضاهي الأحداث ، مكاكية الأصوات ، حركة الحرف في البنية ، المضارعة في الأصول ، الاختلاف في حرف واحد ، الفاء وحرروف الذلة والنطع ، رأى المحدثين .

الفصل الثالث

٣٢٤ - ٢٩٥

أصوات الحروف

أعضاء النطق ، المدرج الصوتي ، مخارج الحروف ، صفات الحروف ، المهموس والمجهور ، الشديد والرخو ، الاطلاق والافتتاح ، الاستعلاء والانخفاض ، حروف القلقة ، حروف الذلة ، صفات مفردة .

الفصل الرابع

٣٣٧ - ٣٢٥

الحرف والحركة

الحركات وعلاقتها بحروف المد ، اشباع الحركة ، مع حروف

المعجم ، إجراء الحرف مجرها واجراوها مجرى الحرف ، عدد الحركات ، موضع الحركة من الحرف ، مطل حروف الين ، مطلها قبل الهمزة ، قبل الحرف المشدد ، عند التذكر .

الفصل الخامس

التعليق الصوتي

٣٧٤ - ٣٣٩

الادغام الأصغر ، الادغام الأكبر ، ترك الادغام ، الابدال ، الابدال في صيغة افعل ، ابدال النون ، الابدال في ست . الاعلال ، الاعلال بالقلب ، قلب الواو وائياء همزة ، همزة عين فاعل ، الهمز في باب فعال ، قلب الواو والياء ألفاً ، والألف واواً ، الاعلال بالنقل ، الاعلال بالحذف .

٣٨٢ - ٣٧٧

الخاتمة

٣٩٠ - ٣٨٣

المصادر



رقم الإيداع في المكتبة الوطنية بيغداد
١٥٢٨ لسنة ١٩٨٠

تصميم الغلاف

سوسن عبد الحميد

طبع: دار الطكليعة للطباعة والنشر
بيروت



الجمهورية العراقية

وزارة الثقافة والاعلام

دار المتنبي للنشر

١٩٨٠

النوع : ٥٠٠ فلس

توزيع المدار الوظيفي للتوزيع والاعلام